تنبيه وسنى العين

بتنزيه الحسن والحسين في مفاخرة بني السبطين

للعلامة الخبير

السيد محمد بن علي بن حيدر بن محمد بن نجم الدين العاملي الموسوي

١٠٧١-١١٣٩هـ

تحقيق السيد مهدي الرجائي

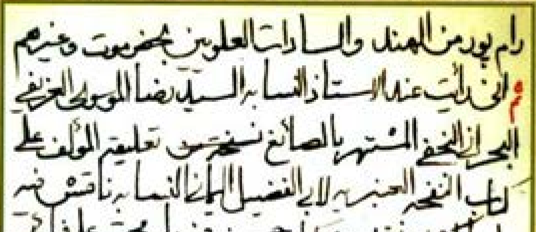
رام بور من الهند والسادات العلويين بحضرموت وغيرهم
ثم اني رأيت عند الاستاذ النسابة السيد رضا الموسوي الغريفي
البحراني النجفي المشتهر بالصائغ نسخة من تعليقة المؤلف على
كتاب النخبة العنبرية لابي الفضيل الحلي النسابة بما قيس فيه
عليها الكثير وتفقد وتعمل حسن في بابه يحتوي على فوائد
جمة وكانت التعليقة بخط ابن المؤلف

صورة لتوطئة المرحوم آية الله العظمى المرعشي النجفي(قده) بقلمه الشريف على كتاب تنبيه وسنى العين بتنزيه الحسن و الحسين(ع)

تنبيه وسنى العين

بتنزيه الحسن والحسين في مفاخرة بني السبطين

للعلامة الخبير

السيد محمد بن علي بن حيدر بن محمد بن نجم الدين العاملي الموسوي

١٠٧١-١١٣٩هـ

تحقيق

السيد مهدي الرجائي

Shiabooks.net

سرشناسه	عاملی موسوی ، محمّد بن علی ، ۱۰۷۱ - ۱۱۳۹ ق.
عنوان قراردادی	تنبیه وسن العین بتنزیه الحسن و الحسین علیهما السلام عن مفاخرة بني السبطين.
عنوان و نام پدید آور	تنبیه و سنی العین بتنزیه الحسن والحسین فی مفاخرة بني السبطين / محمد بن علی بن حیدر بن محمد بن نجم الدین عاملی موسوی : تحقیق سیّد مهدی رجائی.
مشخصات نشر	قم: مکتبة آیة الله العظمی المرعشي النجفي الكبرى - قدّس سرّه - الخزانة العالمية للمخطوطات الاسلامية. ۱۳۸۷ش = ۲۰۰۸م = ۱۴۲۹ق.
مشخصات ظاهری	٤٠٤ص.
شابک	978-964-8179-50-7
وضعیت فهرست نویسی	فیپا.
یادداشت	عربي.
یادداشت	کتابنامه.
موضوع	حسن بن علی (ع) ، امام دوم ۳ـ۵۰ ق.
موضوع	حسین بن علی (ع) ، امام سوم ، ٤ _ ٦١ق.
موضوع	آل ابوطالب - - نسبنامه - - متون قدیمی تا قرن ١٤.
موضوع	ابن عنبه ، احمد بن علی ، ۷٤۱ - ۸۲۸ق. عمدة الطالب فی انساب آل ابی طالب - - نقد و تفسیر.
موضوع	نسب شناسی.
موضوع	سادات (خاندان) - - نسبنامه.
شناسه افزوده	ابن عنبه ، احمد بن علی ۷٤۱-۸۲۸ق ، عمدة الطالب في انساب آل ابی طالب.
شناسه افزوده	کتابخانهٔ بزرگ حضرت آیت الله العظمی مرعشی نجفی (ره) . گنجینهٔ جهانی مخطوطات اسلامی.
رده بندی کنگره	BP۵۲/۷/ع۲۵ت۹ ۱۳۸۷
رده بندی دیویی	۲۹۷/۹۸
شمارهٔ کتابشناسی ملّی	۱۲۱۸۹۵۲

تنبيه وسنى العين بتنزيه الحسن والحسين في مفاخرة بني السبطين

المؤلف : العلامه محمد بن علي بن حيدر بن محمد بن نجم‌الدين العاملي (١٠٧١ـ١١٣٩هـ ق)

المحقق : السيّد مهدي الرجائي الموسوي

الناشر : مكتبة سماحة آية الله العظمى المرعشي النجفي الكبرى

ـالخزانة العالمية للمخطوطات الاسلامية ـ قم ـ ايران

الطبعة الاولى : ١٤٢٩هـ ق / ٢٠٠٨م/١٣٨٧هـ ش

عدد المطبوع : ١٠٠٠

المطبعه : ستاره ـ قم

ليتوغرافيا: تيزهوش ـ قم

ISBN: 978 - 964 - 8179 - 50 - 7 ردمك: ۹۷۸ - ۹۶۴-۸۱۷۹-۵۰-۷

AYATOLLAH MAR'ASHI NAJAFI ST., Qom 37157, I.R.IRAN

TEL: + 98 251 7741970-78; FAX +98 251 7743637

http:// www.marashilibrary.com

http:// www.marashilibrary.net

http:// www.marashilibrary.org

E_mail: info@marashilibrary.org

حياة المؤلّف

بسم الله الرحمن الرحيم

اسمه ونسبه

هو العلاّمة السيّد محمّد العاملي السكيكي المكّي بن علي بن حيدر بن محمّد ابن نجم الدين بن محمّد بن محمّد بن الحسن بن نجم الدين بن الحسين ابن محمّد بن موسى بن يوسف الأمير بن محمّد بن معالي بن علي الحائري بن عبدالله بن محمّد بن علي الديلمي بن أبي‌طاهر عبدالله بن أبي‌الحسن محمّد المحدّث بن أبي‌الطيّب طاهر بن الحسين القطعي بن موسى الثاني أبي‌سبحة بن إبراهيم المرتضى بن موسى الكاظم عليه السلام.

أقول: والسيد نجم الدين جدّه، هو المجاز من صاحب المعالم المحقّق العلاّمة الشيخ حسن بن الشهيد الثاني بالإجازة الكبيرة، وأوردها العلاّمة المجلسي رحمه الله بتمامها في إجازات البحار.

وجدّه السيد حسن أوّل من سكن قرية سكيك، قرية من قرى الشام.

وبيته بيت علم وثقافة وأدب، يقال لهم: بيت آل نجم الدين، نبع فيها جمع غفير، ذكرهم أرباب التراجم.

فابنه السيد رضي‌الدين الموسوي المكّي العاملي، كان من مشاهير عصره، وله آثار جليلة، منها: كتاب تنضيد العقود السنية بتمهيد الدولة الحسنية.

وابن أخيه السيد عبّاس المكّي العاملي، صاحب كتاب نزهة الجليس، وغيره.

الإطراء عليه

قال الشيخ الحرّ العاملي: فاضل، صالح، أديب شاعر، معاصر، سكن مكّة[١].

وقال ولده العلاّمة السيد رضي‌الدين الموسوي العاملي المكّي في كتابه القيّم تنضيد العقود السنية بتمهيد الدولة الحسنية: وفي يوم الإثنين ثاني شهر ذي‌الحجّة ختام السنة (١١٣٩) توفّي علم ذوي الفضائل، ومعلّم كلّ طالب وسائل، عن حلّ غوامض المسائل، علاّمة زمانه، وفهّامة معاصريه وأقرانه، سيدي ووالدي وسندي في طارفي من العلوم النامية، وتالدي الإمام الأكبر، والهمام الأفخر، السيد محمّد ابن علي بن حيدر، قدّس الله روحه، وأغدق بوابل الرحمة ضريحه.

فلعمري لقد كان باقعة ذوي البلاغة والفصاحة، والصادع بصواقع مقولة، فؤاد ابن وائل وابن المراغة، مقرّر علوم الأدب ومحرّرها، ومنوّر رياض البلاغة ومزهّرها.

إن هزّ أقلامه يوماً ليعملها ... انساك كلّ كمي هزّ عامله

وإن أقرّ علىٰ رقٍّ أنامله ... أقرّ بالرقّ كتاب الأنام له

أمّا الشعر، فهو روضة الأريض، وميدانه الطويل العريض.

وأمّا النثر، فهو ابن خاقانه، وصاحب نكته، وبديع جمانه، طالما خطبته ملوك مكّة المشرّفة لمنصب كتابة بالإنشاء، لتلاعبه بجواهر الألفاظ وأبكار المعاني كيفما شاء، فتارة يحرزون منه ذلك، وتارة يمتنع امتناع الزاهد في هذه المسالك، وسأثبت لك منها ما يقوم بهذه الدعوىٰ، ممّا تهوي إليه الأفئدة وتهوىٰ، مع ما مرّ بك في غصون هذا الكتاب، من شعره النايق ونظمه المستطاب، لكن لابدّ من

---

(١) أمل الآمل ١: ١٦٠ برقم: ١٥٩.

زيادة إيضاح لهذا البيان، حتّىٰ تقول لا قرية وراء عبّادان .

وأمّا بقية العلوم، فلم يكن منها عنك غير معلوم، غاص في بحارها فكره السبّاح، وسلك سبل سباسبها وساح، فاستخرج منها درر القلائد، وعاد من سياحته بغرر الفوائد، فألّف في جميعها وصنّف، وملأ الأسماع بفرائد فوائده وشنف، وسأملي عليك من أسمائها، ما تعرق به ارتفاع سمائها[١] .

وقال ابن أخيه السيّد عبّاس المكّي: قاموس العلم الزاخر، يلفظ إلىٰ ساحله الجوهر الثمين الفاخر، وشمامة أهل الحجاز حقيقة لا مجاز، فاضل بأحاديث فضله تضرب الأمثال، ومجتهد رحلة إلىٰ بابه تشدّ الرحال، وبليغ تفرّد بالبلاغة، وأديب ألمعي صاغ النظم والنثر أحسن صياغة، حاز العلوم والشرف الباهر، وورث الفخار كابراً عن كابر، له التصانيف العديدة، المشهورة المفيدة .

كان رحمه الله بمكّة المشرّفة كالبيت العتيق يقصده الطلاّب من كلّ فجّ عميق، وما زال مقيماً في أسمىٰ ذروة الشرف والفضل والجاه، إلىٰ أن دعاه إلىٰ قربه ملك الملوك فأجابه ولبّاه[٢] .

وقال الشيخ السماهيجي في الإجازة الكبيرة التي ألّفها سنة (١١٢٨) هـ: وما رويته بطريق الإجازة عن السيد محمّد بن السيد علي بن السيد حيدر المكّي العاملي سلّمه الله تعالىٰ، وهذا السيد فاضل، محقّق، مدقّق، خصوصاً في علوم

---

(١) تنضيد العقود السنية بتمهيد الدولة الحسنية ص ٤٠٨ ـ ٤٦٥، المخطوط، وعندي نسخة مصوّرة من الكتاب، وهو كتاب تاريخ نفيس في بابه .

(٢) نزهة الجليس ١: ١٤٠ ـ ١٦٨ .

العربية والكلام، والنجوم والفلك وغيرها، وجميع ما صنّفه[١].

وقال السيد عبدالله الجزائري في إجازته، عند ذكر مشايخه: ومنهم السيد الجليل الفقيه السيد رضي‌الدين بن محمّد بن علي بن حيدر العاملي المكّي، أجازني بالمشافهة في مكّة شرّفها الله، لمّا استجزته بمحضر من مولانا الشيخ إبراهيم المجاز، ثمّ كتب لي إجازة مبسوطة مشتملة علىٰ جميع طرقه وطرق أبيه وأسانيدهما، وقد ذهبت في أثناء الطريق، ولم أحفظ منها إلاّ روايته عن والده المذكور، عن العلاّمة المحقّق محمّدشفيع بن محمّدعلي الأسترابادي، عن والده، عن المولىٰ محمّدتقي المجلسي.

وكان السيد رضي‌الدين ﷺ مهذّباً، أديباً، شاعراً، فصيحاً، حسن السيرة، مرجوعاً إليه في أحكام الحجّ وغيره.

وسمعت والدي طاب ثراه يصف أباه السيد محمّد بغاية الفضل والتحقيق، وجودة الذهن، واستقامة السليقة، وكثرة التتبّع لكتب الخاصّة والعامّة، والتبحّر في أحاديث الفريقين، ويطري في الثناء عليه لمّا اجتمع معه في مكّة، والذي وقفت عليه من مصنّفاته في الكلام والفقه يدلّ علىٰ فضل غزير، وعلم كثير، رحمة الله عليه[٢].

وقال الشيخ يوسف البحراني: ويدور على الألسن السيدمحمّدحيدر الموسوي العاملي أصلاً المكّي موطناً، وكان هذا السيد فاضلاً محقّقاً مدقّقاً، حسن التعبير والتقرير، وقفت له علىٰ كتاب في آيات القرآن من تصانيفه، فإذا هو يشهد بسعة

---

(١) الإجازة الكبيرة للسماهيجي ص ١٠١.

(٢) الإجازة الكبيرة للجزائري ص ٩٦ ـ ٩٨.

باعه، ووفور اطّلاعه علىٰ مذاهب العامّة والخاصّة، وتحقيق أقوالهم، سلك في الكتاب مسلكاً غريباً، يتكلّم فيه علىٰ جميع العلوم، اشتمل علىٰ أبحاث في ذلك شافية مع علماء العامّة، صنّفه للشاه السلطان حسين ﷺ .

قال في أوّله بعد الخطبة وكلام في البين: حداني هذا القصد الشريف، على التقرّب بأشرف تصنيف، سمح به فكري القاصر الضعيف، لولا العناية والتوفيق اللطيف، إلىٰ ذلك الجناب الأرفع السلطاني، الذي شملني ظلّه الأنجد وأنا في أوطاني، وهو المصنّف في آيات الأحكام، الفائق كلّ مصنّف علىٰ مرور الأيّام، كما فاق المخدوم به ملوك الأنام .

لأنّه جمع إلىٰ آيات الأحكام الفقهية كلّ آية يستفاد منها مسألة أُصول العقائد الكلامية، وأُصول الفقه من القواعد العربية، أو العقلية أو النقلية، مع بسط وتوسّع وتحقيق في الاستدلال، يكسب الناظر فيه ملكة رفيعة المنال، وتوضيح من إلزام الفرق المخالفين، بأدلّة الحقّ المبين، قلّما يوجد منهجه المتين، في كتب أصحابنا المتقدّمين والمتأخّرين، ويجمع إلىٰ دلائل كلّياته علىٰ مسائله من الفروع والأُصول، ممّا يدلّ علىٰ تلك المسألة من السنّة الشريفة، ومن المعقول مع البسط والايعاب في كلّ ذلك أيضاً، وتفجير ينابيع الاستنباط حتّىٰ يفيض فيضاً ملآناً في كلّ آية حوض، كلّ بحث وخوض، حتّىٰ يقول قطني، فقد ملأت بطني. إلىٰ آخر كلامه زيد في مقامه .

والكتاب المذكور مجلّد، وهو لم يتمّ، ولا أعلم أنّه الذي خرج من التصنيف خاصّة أم بعده مجلّدات أُخر. وله رسالة في المحاكمة بين الغنى والفقر بعد افتخار كلّ منهما على الآخر بذكر مناقبه، وذكر معائب عدوّه ومثالبه، تشهد ببلوغ كعبه في البلاغة والفصاحة، وحسن العبارة والملاحة، علىٰ ما يضيق علىٰ غيره فيه

المساحة .

ثمّ أورد كلام الشيخ السماهيجي، ثمّ قال: قال السيد عبدالله الجزائري: والذي بلغني متواتراً من حاله‏ﷺ أنّه كان في غاية ما يكون من الفضل والسداد، وجودة النظر، وسمعت الوالد ـ أطال الله بقاءه ـ يصفه بالجميل جدّاً، ويثني عليه ثناءً مطرياً، لمّا اجتمع معه في مكّة، ورأيت من مؤلّفاته كتاباً أهداه إلى المولىٰ عبدالله(١)، وهو كتاب حسن يدلّ علىٰ غزارة علمه، ووفور فضله، وتوسّعه في الفنون، واطّلاعه علىٰ كتب القوم .

وحكىٰ والدي أنّه اجتمع به لمّا سافر إلىٰ مكّة المشرّفة في السنة الخامسة عشرة بعد المائة والألف ـ أو السادسة عشرة ـ فكان يصف فضله وعلمه، وأنّه عرض عليه إشكالاً في مسألة الزوال في شرح اللمعة، فأجاب بأنّها تتوقّف علىٰ ملاحظة الإسطرلاب، وكان مشغولاً بالناس .

قال: وجرىٰ ذكر الملاّ محمّدأمين صاحب الفوائد المدنية في مجلسه، فتجرّأ عليه وسبّه بكلمات فظيعة من حيث طعنه في العلماء .

قال: وحكىٰ لي فضل الشيخ سليمان بن عبدالله البحراني، فطلب منّي بعض مصنّفاته، فأُتي له برسالة في الصلاة، فلمّا نظر في جملة منها وتصفّحها، قال: هذه كلّها مدارك، وهو صادق في ذلك(٢) .

وقال السيد الصدر: أحد العلماء الأجلاّء، وقد ذكر نسبه في آخر كتابه «تنبيه وسنى العين في المفاخرة بين بني السبطين» ثمّ سرد نسبه نحو ما ذكرناه هنا، ثمّ

---

(١) هو صاحب كتاب رياض العلماء .

(٢) لؤلؤة البحرين ص ١٠٣ ـ ١٠٧ .

قال: قد ذكره في أمل الآمل على إجمال. ثمّ أورد كلام النزهة بتمامه.

ثمّ قال: يروي عنه الشيخ الفقيه عبدالله بن صالح السماهيجي البحراني جامع الصحيفة العلوية(١).

وذكره السيد الأمين، وأورد ما ذكره صاحب الأمل، واللؤلؤة، والنزهة(٢).

وكذا المحقّق الطهراني في أعيانه(٣).

مشايخه ومن روىٰ عنهم

١ ـ العلاّمة المحقّق الشريف أبوالحسن بن محمّدطاهر النباطي العاملي.

٢ ـ العلاّمة المحقّق محمّدشفيع بن محمّدعلي الأسترابادي.

تآليفه القيمة

١ ـ إقتباس علوم الدين من النبراس المعجز المبين في آيات الأحكام.

قال في التنضيد: تكلّم فيه علىٰ الآيات الأحكامية، وهو كتاب لم يصنع مثله في سعة مباحثه المتنوّعة في الأُصولين والفروع الفقهية، وهو مجلّد كبير(٤).

وقال في الذريعة: إيناس سلطان المؤمنين باقتباس علوم الدين من النبراس المعجز المبين في تفسير الآيات القرآنية، التي هي في الأحكام الأصلية والفرعية، ثمّ قال: يوجد منه نسخة في اصفهان في مكتبة الشيخ أبي‌المجد الرضا الشهير بآقا

---

(١) تكملة أمل الآمل ص ٣٥٨ - ٣٦٠.

(٢) أعيان الشيعة ٩: ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

(٣) طبقات أعلام الشيعة، الكواكب المنتشرة في القرن الثاني بعد العشرة ص ٦٦١ ـ ٦٦٣.

(٤) تنضد العقود السنية ص ٤٥٩، المخطوط.

رضا ابن الفقيه المفسّر الشيخ محمّد حسين الاصفهاني المعاصر، ألّفه بـاسم شـاه سلطان حسين، وهو المراد من سلطان المؤمنين [١] .

٢ ـ الأنوار المبكّرة في شرح خطبة التذكرة .

قال في التنضيد: شرح فيها خطبة تذكرة الشيخ داود الحكيم، وناهيك بما في سعة مباحثها المتعلّقة بعلمي الكلام والهيئة [٢] .

٣ ـ برهان الحقّ المتين علىٰ لسان الخصم المبين، في مجلّدين في الإمامة، من طريق العامّة. أثبت فيه الإمامة والتفضيل بما في الكتب المعتبرة لأهل السنّة إلزاماً للحجّة على الخصم، وقال في الذريعة: وهو كبير في أربع مجلّدات [٣] .

٤ ـ البسط السالك على المدارك والمسالك .

٥ ـ بغية الطالب في أحوال أبي طالب .

٦ ـ التعليقة علىٰ عمدة الطالب لابن عنبة الداوودي .

٧ ـ التعليقة على النفحة العنبرية لليماني .

٨ ـ التقريظ علىٰ كتاب منهج التحقيق .

٩ ـ تنبيه وسنى العين بتنزيه الحسن والحسين عليهما السلام في مفاخرة بني السبطين، وهو هذا الكتاب الذي بين يديك، وسيأتي الكلام حوله .

١٠ ـ ثواقب العلوم السنية في مناقب الفهوم الحسنية، وهو مجلّد ضخم جليل المقدار .

---

(١) الذريعة ٢: ٥١٧ ـ ٥١٨ .

(٢) تنضيد العقود السنية ص ٤٦٠، المخطوط .

(٣) الذريعة ٣: ٩٥ .

قال في التنضيد: وموضوعه بيان تعريف الملكات اللسانية المضرية، وكيفية تحصيلها مع حلّ لكثير من الأبيات الشعرية، وذكر مفاهيم لبعض ملوك مكّة المشرّفة صادفت الصواب، وهو كتاب مفيد جدّاً، خدم به حضرة مولانا السيد الشريف ناصر بن أحمد الحارث[١].

١١ ـ الحاشية على شرح المدارك. ولعلّه هو بعينها كتاب البسط السالك المتقدّم.

١٢ ـ الحسام المطبوع في المعقول والمسموع في علم الكلام.

قال في التنضيد: وموضوعه أشرق موضوع، لأنّه منطو على المباحث المفيدة، والمطالب السديدة، وهو مجلّد كبير[٢].

وقال في الذريعة: إنّ مبنىٰ هذا الكتاب علىٰ مسألة خلق الأفعال وما يترتّب عليها من المباحث[٣].

١٣ ـ ديوان الشعر. ينقل عنه كثيراً في مطاوي كتابه هذا وكتبه الأُخرىٰ، وهو مدوّن.

١٤ ـ رجل الطاووس إذا تبختر القاموس.

قال في التنضيد: جعله كالحاشية عليه، وضمّنها زيادات مع إيرادات حفّها في طيّ الصحائف إليه، وفي الإسم نكتة لطيفة لا تخفىٰ علىٰ ذوي الأفهام الشريفة، برز

---

(١) تنضيد العقود السنية ص ٤٥٩، المخطوط.

(٢) تنضيد العقود السنية ص ٤٦٠، المخطوط.

(٣) الذريعة ٧: ١٣.

منه سفر مفيد[١].

وقال في التكملة: وعندي له كتاب رجل الطاووس المذكور آنفاً حاشية على القاموس ناقصة تدلّ علىٰ تبحّره في اللغة والأدب، لا أظنّ أنّ أحداً من أهل العلم بالعربية يقدر علىٰ مثلها، ولو لم يكن إلاّ هذه الحاشية لكفىٰ في فضله وغزارة علمه.

وقال في الذريعة: وتوجد نسخة منه مخرومة الأوّل والآخر في مكتبة الصدر[٢].

١٥ ـ رسالة في تفسير قوله تعالىٰ ﴿ربّ اجعلني علىٰ خزائن الأرض﴾.

١٦ ـ ريّ الوارد والصادر في بيان أسماء المصادر.

١٧ ـ شرح المناسك للفاضل الهندي.

١٨ ـ الفوائد الجلية في إعراب أبيات الخزرجية. ويعبّر عنه أيضاً بالعبائر المزجية في تركيب الخزرجية.

١٩ ـ كتاب في آيات القرآن، يشهد بسعة باعه ووفور اطّلاعه علىٰ جميع المذاهب، وتحقيق أقوالهم، سلك فيه مسلكاً غريباً، تكلّم فيه علىٰ جميع العلوم، اشتمل علىٰ أبحاث في ذلك شافية مع علماء الجمهور، ولعلّه بعينه كتاب النبراس المبين في آيات الأحكام.

٢٠ ـ كنز فرائد الأبيات للتمثيل والمحاضرات[٣]، وهو مجلّد ضخم.

---

(١) تنضيد العقود السنية ص ٤٦٠، المخطوط.

(٢) الذريعة ١٠: ١٦٣.

(٣) في التكملة: كنز الفوائد والأبيات للتمثيل والمحاضرات.

قال في التنضيد: عارض به كتاب القطبي الذي سمّاه التمثّل والمحاضرة بالأبيات المفردة النادرة، وزاد عليه ثلاثة أمثاله، مع اختراع لم يحم حول مثاله، وناهيك بما يحتاج إليه مثل هذا الجمع من سعة الاطّلاع، وطول الباع، خدم به السيد الشريف الأكبر مولانا السيد أحمد بن سعيد بن شبّر ﷺ[١].

٢١ ـ مذاكرة ذوي الراحة والعنا في المفاخرة بين الفقر والغنىٰ. وسيأتي تسهيلاً للطالبين ذكر الرسالة بتمامها في هذه المقدّمة.

٢٢ ـ مطلع بدر التمام من قصيدتي أبي تمام.

قال في التنضيد: شرح فيه قصيدتيه الرائية والميمية أحسن شرح لكونهما مغلقتين[٢].

٢٣ ـ نجح أسباب الأدب المبارك في فتح باب قرب المولىٰ شبير بن المبارك، استعطفه به.

قال في التنضيد: وله رحمه الله تعالىٰ غير هذا المرقوم من رسائل وحواش تقف دونها الفهوم، وكتب بخطّه الشريف كتباً عديدة، ووشحها بفوائد مفيدة، من جملتها القاموس، كتبه مراراً مع ضبط يرجع إليه، ويعتمد في النقل عليه، وغيره من الكتب المعتبرة الأدبية، كالجمهرة وغيرها، وكتابة بعض الحواشي عليها[٣].

أدبه الرايع

له ديوان شعر عجيب، يهش لسماعه الأديب، فمن نظمه الرقيق المسبوك،

---

(١) تنضد العقود السنية ص ٤٥٩، المخطوط.

(٢) تنضد العقود السنية ص ٤٦٠، المخطوط.

(٣) تنضد العقود السنية ص ٤٦٠، المخطوط.

وكلامه الذي هو كلام الملوك قوله متغزّلاً :

لولا محياك الجميل المصون ... ما بتّ تجري من عيوني عيون
ولا عرفت السقم لولا الهوىٰ ... ولا تباريح الأسىٰ والشجون
كم وقفةٍ لي في طلول الحمىٰ ... روىٰ ثراها صوب دمعي الهتون
يا ربع خيرٍ لا جفاك الحيا ... ولهان لا يعرف غمض الجفون
هل كنت مغني للغزال الذي ... إليه أصبو والتصابي فنون
وأشرقت فيك شموس الضحىٰ ... ورنّحت فوق رباها الغصون
من كلّ غيداء إذا أسفرت ... جلا محيّاها سجوف الدجون
صوارم الألحاظ إن جرّدت ... أثارت الحرب بكسر الجفون
وعامل القامة مهما انثنىٰ ... نحوك لا تستطيع صرف المنون
والمقلة السوداء مهما رنّت ... علمت الصبّ فنون الجنون
منيعة الحجب فنيل اللقا ... منها بعيدٌ عن مرامي الظنون
عزيزةٌ تحمي حمىٰ خدرها ... أُسود غيلٍ فوق قبّ البطون
حسبك لوما يا عذولي اتّئد ... انّي لعهدي في الهوىٰ لا أخون
لا تطلب السلوان من وامقٍ ... فذاك أمرٌ أبداً لا يكون
دع السكارىٰ بكؤوس الهوىٰ ... يا صاح في سكرتهم يعمهون
يا ويح عذالي أما شاهدوا ... طلعة من أهواه بل هم عمون
فحسبهم بالنون عن حاجبٍ ... عمّا يقولون وما يسطرون
أما ووجدي يا أهيل اللوىٰ ... وعهدي الوافي وسرّي المصون
وما لكم من منزلٍ عامرٍ ... بالقلب لا سفحُ طوىٰ والحجون
لقد أطعت الحبّ في حكمه ... عدلاً وجوراً في جميع الشؤون

بذلت فيه الروح بذل امرئٍ لديه صعب الحتف فيهم يهون

وقوله مؤرّخاً ولادة الشريف بركات بن شبير :

أطلع السعد بأفق المجد نجما فجلا حكماً أفاد العقل علما
دلّ أن شمنا هلالاً مسفراً أن سيبدو بالسنا بدراً متمّا
منح الله شبيراً ذا العلا وافداً بالبشر والأفراح عمّا
خير نجلٍ سرّ في مولده بركات قارنته اسماً ورسما
ماجد يحوي فخاراً طارفاً وتليداً وأباً يسمو وعمّا
ينشر المدح على أعطافه حللاً موشية نثراً ونظما
دام في ظلّ أبيه سيّداً سنداً لا يختشي راجيه هضما
وحباه الله في أخلاقه فوق ما نأمله جوداً وحلما
وتلاه أوفر الأعداد من إخوة تبني بيوت المجد حتما
فهو المسعود جدّاً إذ غدا ينتمي للفضل جدّاً حين ينما
سعد الطالع في ميلاده فأرانا منه في التأريخ حكما
أوّل الإقبال في تأريخه بركات اسمه نفس المسمّىٰ

وقوله مؤرّخاً ولادة السيد الشريف مبارك بن بشير بن مبارك بن فضل بن مسعود بن الشريف حسن :

وافت تباشير التهاني تشير إنّ بشير السعد وافى بشير
هو الهمام الماجد المرتقىٰ بفخره الباذخ أوج الأثير
إنسان عين المجد بل عينه فكلّ وصفٍ عن علاه قصير
مولاي يا من محض ودّي له كالمنهل العذب الزلال النمير
ومن إذا يوماً دجا حادثٍ فإنّه حصنٌ به أستجير

وافاك والأقدار قد أسعفت — في طالع السعد القوي المنير
نجل سعيد الحظّ ميمونه — من منح الربّ اللطيف الكبير
مبارك الغرّة مسعودها — قدومه عنوان خيرٍ خطير
فإسمه الموروث من جدّه — بجدّه المسعود أضحىٰ جدير
لذاك قد صحّت له نسبة — بطالع الميلاد عند الخبير
قرّت به عين أبيه ولا — زال به طرف المعالي قرير
هذا وفي تاريخ ميلاده — قال أتىٰ بالحكم طبق الضمير
خذ غاية السؤل لتاريخه — مبارك للسعد وافى بشر

وقوله مؤرّخاً ولاية شريف مكّة سعيد بن سعد المستمرّة إلىٰ سنة (١١٣٨) وكانت في سنة (١١٢٤) هـ:

طوالع السعد قالت — والدهر واف ومحسن
بيتاً نأىٰ عنه كيد — فجاء تاريخ متقن
بشّر سعيد بن سعد — بملك زيد بن محسن

رسالته إلى السيد علي خان صاحب السلافة

قال في التنضيد: فمن نثره البليغ رسالة أنشأها بالطائف سنة (١١١٤) أربع عشرة ومائة وألف، وبعث بها إلىٰ أديب ذلك العصر، السيد علي بن أحمد معصوم صاحب سلافة العصر، معتذراً إليه وهو بالمثناة عن رحيله إلى الطائف مع إقامة السيد بها، وهي من آيات البلاغة، ومعجزات الصياغة، وهي:

أهلّ وادي المشاة إنّ حكم الد — هر يبين عن سوحكم وبعاد
فعزامي قرباً وبعداً عزامي — ووادي وصلاً وصدا ودادي

هكذا صحيفة اعتذار، بل صفيحة بتّار، فتكت بغداد الراقم، ثمّ ساورته في

الطروس مساورة لما راقم، وخطّ حاكه القضاء والقدر أبدع حوك، ووقف كاتبه بين الكيس والنوك، أراه وكأنّ سطوره أغصان شوك .

يودّ على المرء في أيّام محنته حتّىٰ يرىٰ حسناء ما ليس بالحسن

كلاّ والقمر، والليل إذا أدبر، والصبح إذا أسفر، لئن عزم المحبّ على السفر، وقابله منه اليمن والظفر، وكان حظّه منه الأوفر، وقد عذر المولىٰ في الفراق وغفر، فسيصلىٰ منه سقر، وما أدراك ما سقر، نار شوق يلتهب، وتقسم فكر للرقاد ينتهب، ونفس لوّامة كلّما أنيمت تهب .

غربة فارضية وغرام عامري ومحنة علوية

والعيش أسعدك الله كالجيش، منتظم الأمر، بعيداً عن الطيش، إن لم يكن كذلك أضلّ المسالك، وأورد المهالك، أميره القلب القار،وسلاحه حرق الأفكار، وعناده السكن بالأهل والولد، وزاده الأنس بالصعاب وأهل البلد، وأين القلب فيحكم له بالقرار، وهو المقيم لديكم إذا علا الجسم الأكوار، وأتىٰ بالفكر وهو الزيبق الفرار، والشوق النار، وكيف السكن والأنس عند من يرىٰ أنّه استبدل الجنّ بالإنس .

وما ينفع الحرّ أن ذا اللوح أن يرىٰ حياض القرىٰ مملوءة لا يذوقها

فلا أقلّت شخصي قدم، ولا أقلّت من ندم، ولا أفلت من سدم، إن لم أكن أرىٰ وجداننا كلّ شيء بعدكم عدم. نعم يا مولانا أعتذر عن الرحيل بأنّ جنابي محيل، وأخصّابي بالقرض في هذه الأرض مستحيل، وأقدر أن أزيد علىٰ هذا القول المفيد .

فأقول: وقد ضعف الطالب والمطلوب، واستوى الغالب والمغلوب، وأكدى الحالب وجفّ المحلوب، وجهد سعي القدم من تحت واللسان من فوق، وكلّ القدوم من السخت والسوط عن السوق، وكنت والدين كالفرقدين، أو كندماني

جذيمة ونخلتي حلوان، فقد باعدني في هذا الزمان والمكان، مباعدة الثرىٰ لسهيل، ومباينة النهار بالليل، وبان بين كليب ووائل، والقارض العنزي في الأوائل، وأطلق في مثل هذا عنان القلم، وأرفع للسارين ناراً علىٰ علم، لكن عليّ في ذلك محنة أُخرىٰ، ومكيدة تفطو القلب ولو كان صخرا، ولا أُريد بذكرها فخرا، ولم أبدها لولم أكن أعدك لتكميل عقلي وأدبي ذخرا، فأنت الذي :

تمسّكت لمّا أن ظفرت بردّه ... علىٰ حالتي وضع النوائب والرفع

بأوثق من عقل وأوفق من هوىً ... وأنسب من طبعٍ وأرفع من شرع

هي أنّ هذا الشرح والبثّ، مشعر بالتعريض والحثّ، علىٰ وصل الحبل والرثّ، وأنا أقسم بالله يمين من لا يمين، ولم يزل عند مولانا عن اليمين، إنّي أعتقد أنّ إفضالكم مسعد مصعده، وانّ التحلّي به شرف عدّه، وانّك المولى الذي ما علىٰ سائله منقصة السائل، كيف لا والنسب شريف، والحسب ظلّ وريف، والمنصب علي عالي العماد، والمحجّة متعالي الأمجاد، والنفس عصامية، أربت على المآثر الغطامية، فالعلم خضارة ذو الوجبات، والحلم ثهلان ذو الهضبات، والكرم والسماح يباريان الرياح، والمروءة والتقوىٰ، لهما من العصمة سبب أقوىٰ .

ومع ذلك فإنّي أتقلّد الحول والقوّة دون حول الله وقوّته، يمين أهل البيت المنصوص علىٰ حرمته، إن لم يكن يعتريني الألم من كلّ إفضال ألمّ، ويأخذني الأرقّ والقلق، للبس جديد المنّ والخلق، وتعلوني للكآبة والحزن، ولو كان المنعم ابن ذي يزن، ولا أعدّ الموهوب من النعماء، ولو أصبحت به ابن ماء السماء، ولا يتصرف خاطري إلىٰ غير الكفاء، إذا شغل الفرح بالعطاء، خواطر ذوي الوفاء .

ولو أنّ نفساً بين جنبي أُعطيت ... مناها ومن ذا في الدنا أُعطي المنا

أنت في زمان كان يفزع مثلها ... أنّىٰ شئت إن لم يسعف العلم بالعنا

فإمّا قضت من موقف الجدّ حجّها ... وإلاّ حكت بعض الأضاحي في منىٰ

لكن هذا زمن ليست فيه الهمم الخيش، وطد أربابها من جمال بين أقيش، ولو عرض علىٰ غير مولانا ما قلت لغده من الحمق والطيش، وتمثّل بقول عوام مكّة فقر الزيا لعدوتيه قريش، وطالما قلت متنصّلاً من لؤمهم، متوسّلاً إلى العذر داخلاً في سومهم، آي كذا خلقت، فما ينفع النحاة ما اختلفت، وأدواة الشرط والاستفهام تأبي الاّ الصدر، وإن ركبت مع كلام سافل القدر، وشواظ النار يطلب المخيط، وإن نكصه القابض مع البسيط.

طبعت علىٰ ما في غير مخير ... بشيء ولو خيّرت كنت المهذّبا

أُريد وما أُعطي وأُعطى ولم أرد ... وغيّب عنّي أن أنال المغيّبا

إلىٰ قوله منها، ولم يكن هذا التفصيل يليق نشره في ذلك الجناب، لكن مولانا القائل وما دون الصديق حجاب، وأقسم بالله المعبود أن ليس المقصود إلاّ بيان العذر الجميل، من فراق هو عندي الخطب الجليل، وحسبنا الله ونعم الوكيل (١).

حول الكتاب

قال ولده العلاّمة السيد رضي‌الدين في كتابه تنضيد العقود السنية: تنبيه وسنى العين في المفاخرة بين بيني السبطين، بناه علىٰ عبارة لصاحب عمدة الطالب في أنساب آل أبي‌طالب، صرّح فيها برفع بني الحسن علىٰ بني الحسين عليهما السلام، بل ترقّىٰ إلىٰ أفضلية أحدهما على الآخر بزخارف المين، وما ذاك إلاّ لكونه من بني الحسن، فهوت به العصبية الواهية وادياً غير حسن، حتّىٰ أساء الأدب، وتناسل عليه اللوم من كلّ حدب، فسلك والدنا رحمه الله تعالىٰ في هذا الكتاب مسلك

---

(١) تنضيد العقود السنية ص ٤٦٠ ـ ٤٦٣.

الإنصاف، وبيّن ما لكلّ من الفريقين من المفاخر العالية الأوصاف، فإذا استوعب المناظرة ما لكلّ منهما من المفاخرة، علم بل تضيء بالصدق للآخر.

ثمّ ولا يخفىٰ عليك ما يحتاج إليه من سعة الإحاطة، حتّىٰ يسدّد سهمه فيما جعله غرضه ومناطه، وهو مجلّد ضخم[١].

وكان الفراغ من تأليف هذا الكتاب القيّم يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان المبارك سنة ثمان وعشرين ومائة بعد الألف.

أقول: في بعض المعاجم والتراجم جاء عنوان الكتاب: تنبيه وسن العين، ولكن في آخر نسخة المؤلّف وتصريح ولده السيد رضي‌الدين في التنضيد، هو: تنبيه وسنى العين، ولعلّ التأنيث باعتبار العين.

قال في لسان العرب في مادّة «وسن»: قال الله تعالىٰ ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ أي: لا يأخذه نعاس ولا نوم، والسنة: النعاس من غير نوم، والسنة: نعاس يبدأ في الرأس، فإذا صار إلى القلب فهو نوم.

ووسن الرجل يوسن وسناً وسنةً: إذا نام نومة خفيفة، فهو وسن، قال أبو منصور: إذا قالت العرب امرأة وسنىٰ، فالمعنىٰ أنّها كسلىٰ من النعمة[٢].

والنسخة التي اعتمدت في تحقيق الكتاب عليه، هي النسخة الفريدة الخاصّة لخزانة العلاّمة الفقيه الآية المعظّم السيد شهاب الدين المرعشي النجفي ﷺ، استكتبها عن نسخة أُخرىٰ، وقابلها بنسخة أُخرىٰ أيضاً، كما أشار إلىٰ ذلك في تقريظه على الكتاب.

---

(١) تنضيد العقود السنية ص ٤٥٩ ـ ٤٦٠، المخطوط.

(٢) لسان العرب ١٥: ٣٠٤.

وتفضّل بهذه النسخة النفيسة نجله الحجّة السيد محمود المرعشي حفظه الله، وطلب منّي تحقيقه ونشره في سلسلة الآثار النسبية للمكتبة .

تقريظ العلاّمة الفقيه المرعشي‌ رحمه الله على الكتاب

قال العلاّمة الفقيه السيد المرعشي النجفي‌ رحمه الله في تقريظه على الكتاب بخطّه الشريف: كتاب تنبيه وسنى العين بتنزيه الحسن والحسين‌ عليهما السلام في مفاخرة بني السبطين، للسيد المحدّث النسّابة المفسّر الشاعر الفقيه الأديب المتكلّم الأُصولي، السيد محمّد بن علي بن حيدر الموسوي العاملي، نزيل الحرمين، صاحب التآليف الرائقة .

وينتهي نسبه الشريف إلىٰ إبراهيم المرتضىٰ. ويعرف المؤلّف بالسيّد محمّد السكيكي بضمّ السين المهملة ثمّ الكاف المفتوحة ثمّ الياء المثنّاة التحتانية الساكنة ثمّ الكاف، نسبة إلىٰ سكيك من قرىٰ دمشق، سكنها جدّه الأعلىٰ السيد حسن بن نجم .

والرجل بحّاثة محقّق متتبّع، ماهر في العلوم، ثقة فيما ينقله، وينقل فيه غالباً عن وسيلة المآل في فضائل الآل، وكتاب عمدة الطالب، وكتاب جواهر العقدين، وكتاب الصواعق، وكتاب النفحة العنبرية، وغيرها .

ويظهر أنّ للمؤلّف تعليقة علىٰ عمدة الطالب، فراجع كلامه عند ذكره السيد زين العابدين المرعشي ملك طبرستان .

وقد مدح السلطان مراد العثماني ملك الحرمين في زمان المؤلّف .

وكان فراغ المؤلّف من كتابه هذا الخمس بقين من شعبان سنة (١١٢٨) هـ.

وموضوع الكتاب الردّ علىٰ صاحب عمدة الطالب في ترجيحه بني الحسن‌ عليه السلام علىٰ بني الحسين‌ عليه السلام في المفاخرة والمفاضلة .

وبالجملة فهو كتاب نفيس في بابه، حوىٰ من فضائل الآل شطراً وافياً. وذكرت فيه تراجم عدّة من أعيان بني السبطين، كالأئمّة، وزيد الشهيد، وابنه يحيىٰ، ومحمّد النفس الزكية، وإخوته موسىٰ وإبراهيم ويحيىٰ، والأُمراء آل المشعشع، والسادة المرعشية ملوك طبرستان، والصفوية ملوك بلاد ايران، وملوك رام پور من الهند، والسادات العلويين بحضرموت، وغيرهم .

ثمّ إنّي رأيت عند الأُستاذ النسّابة السيد رضا الموسوي الغريفي البحراني النجفي المشتهر بالصائغ تعليقة المؤلّف علىٰ كتاب النفحة العنبرية لأبي الفضيل اليماني النسّابة، ناقش فيه عليها كثيراً ونقد، وهو كتاب حسن في بابه محتو علىٰ فوائد جمّة، وكانت التعليقة بخطّ ابن المؤلّف .

وقد استكتبت هذه النسخة من نسخة مستعارة كانت في خزائن بعض الأعلام في الغري الشريف، وقوبلت بنسخة أُخرىٰ كانت عند شيخنا الآية الحجّة الثبت الميرزا محمّد الطهراني أدام الله بركته وأيّامه في سنة (١٣٦٦) هـ.

ولادته ووفاته

كانت ولادته في سنة (١٠٧١) هـ كما أشار إلىٰ ذلك المحقّق الطهراني في أعيانه .

وكانت وفاته يوم الإثنين ثاني ذي الحجّة الحرام عام تسع وثلاثين بعد الألف والمائة (١١٣٩) من هجرة خير الأنام، رحمه الرحمٰن الرحيم، وأسكنه فراديس النعيم .

ويكون عمره عند وفاته (٦٨) سنة. والظاهر أنّه توفّي بمكّة حيث كان مسقط سكناه، ودفن فيها .

رسالة مذاكرة ذوي الراحة والعنا في المفاخرة بين الفقر والغنىٰ

تتميماً للفائدة نذكر في هذه المقدّمة الرسالة البديعة للمؤلّف العلاّمة بتمامها، تسهيلاً للطالبين.

قال ابن أخيه السيد عبّاس الموسوي العاملي المكّي في كتابه نزهة الجليس: وأمّا في الإنشاء الفريد العجيب، فما الحريري لديه وما ابن حبيب، فمن إنشائه هذه المقامة، بوّأه دار المقامة، وأعلىٰ بها مقامه، فإنّها لفضله وبلاغته علاّمه، وسمّاها «مذاكرة ذوي الراحة والعنا في المفاخرة بين الفقر والغنىٰ» وهي عزيزة الوجود، فريدة الموجود.

قال رحمه الله تعالىٰ، وأفاض وابل غفرانه عليه ووالىٰ:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الحكيم القادر على الإطلاق، الباسط المقدّر للأرزاق، الذي جعل الفقر والغنىٰ آيتين من أبدع آياته، وغايتين في الحكم من أبعد غاياته، يتفكّر فيهما ذو الفطنة والإعتبار، فيتلو ﴿ربّنا ما خلقت هذا باطلاً﴾[1] ويجري إليهما العبد علىٰ جياد الأقدار حالياً بزينة العقلاء وعاطلاً، فيسعد من يرشد للتسليم إيماناً وتصديقاً، ويبعد من ينشد وهو المليم:

هذا الذي ترك الأوهام حائرة　　　وصيّر العالم النحرير زنديقا

والصلاة والسلام علىٰ نبيه المبعوث بالإسلام، محمّد الهادي للخلائق إلىٰ أقوم[2] الطرائق، وأكرم الخلائق، صلّى الله وسلّم عليه، وآله وصحبه الأغنياء بالله

---

(١) سورة آل عمران: ١٩١.

(٢) في المصدر: أقوام.

والفقراء إليه .

وبعد: فقد وقفت علىٰ مقامة أنشأها بعض المتأخّرين من الأفاضل، ووشاها بدرر الفوائد هدية لكلّ ناثر وناظم، ابتدعها علىٰ لسان الغنىٰ والفقر كالمفاخر بينهما والمفاضل، وأودعها من الحجج التي يفلج بمثلها المناظر والمناضل، فمدّ بها في العلوم باعه الأطول، وأمدّ الفهوم بمصداق كم ترك الأوّل .

قاصداً بذلك رياضة العقول، في رياض المقول، وتبريض اللسان، بوقائع شآبيب البيان، وتعريض الإحسان، للقانع بالأثر عن العيان .

فأيّد فيها الفقر على الغنىٰ، وشيّد له في الفخر على البنا، وجعله سابق الحلبة مجلياً، وأتلاه بالغنىٰ بعد لأي مصلّياً، حتّىٰ أقرّ بالتقديم تسليماً، وأخلص لوداده بعد التندّم علىٰ عناده قلباً سليماً، وإن كان الفقر عند أبناء الدنا، ملياً بالحساب العنا، خلياً عن أسباب الغنىٰ، حفياً في اقتضاب المنىٰ، كفياً في سدّ أبواب الهنا، وبينه وبين النفوس، ما بين تغلب وبكر غبّ غزاة البسوس .

وقد أوقع فيها من المكروه والمساءه، ما لم يوقعه قيس ببني بدر يوم جفر الهباء، وحطمها ولا تحطم الإبل المخبلة، جيوش لقيط يوم جبلة، ووسمها بالعار الباقي على الزمان، كما وسم به الوليد الربيع في مجلس النعمان، ونفورها عنه ولا نفور الغادة الفتية من مقاربة الشيب، والشنشنة الأخزمية من مقارنة العيب، وبعدها عنه بعد العزائم اليقينية عن شبهات الريب، والكثائف الجسمانية عن إدراك محجّبات الغيب .

هذا وعقال العقول، في تقييد صعاب النفوس محلول، وحسام الفكر مصقول، عن قطع أعصاب الأهواء مغلول، والناس أكيس من أن يمدحوا إنسان، ما لم يروا عنده أثر إحسان، فلا جرم كاد أن ينعقد الإجماع، كما لا يخفىٰ علىٰ ذي نظر

وسماع، علىٰ بغض الفقر وذمّه، وقصده بالصدّ وأمّه، وتواتر الدعاء بالهبل والثكل علىٰ أمّه .

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يـفره ومن لا يـتّقي الشـتم يشـتم

فكان ما اختاره من هذا الصنيع، معدوداً في فنّ المغايرة من البديع، وفيه تسلية لنفس البائس الفقير، وتقوية لقـلب الآيس الحـقير، وإعـانة للـمبتلي بـهذا الداء العضال، وإبانة للغرض الداعي لنشط العقال .

لكن حقيقة الحال أنّ هذا الفاضل، لمّا كان من كبار الأتقياء الزاهدين، وخيار الصلحاء العابدين، ومعلوم أنّ أكثرهم قد اختار التقشّف الموصوف، وشيّد بـناء الزهد المرصوف، وهجر أنواع زخرف الدنيا وصنوفه، حتّىٰ قطع مسافتها وما بلّ بحرها صوفه .

كانوا جمال زمانهم فتصدّعوا فكأنّما لبس الزمان الصـوفا

فبنىٰ علىٰ مقتضىٰ طريقتهم، وفضّل الفقر إذ كان مرتضىٰ حقيقتهم، وهو الحقّ الذي لا ريب فيه، والإنصاف الذي يرتضيه الأديب ويصفيه، ولا يعارض في مراد مفاده ﴿قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده﴾[1] فإنّ من ذاد نفسه عن حلول هذه الساحة، وخشي أن يغرق عند تلاطم الأمواج وإن كان متقناً للسباحة، لا يلزمه أن يقول بالتحريم وعدم الإباحة .

وأحزم الناس من لو مات من ظـمأ لم يقرب الورد حتّىٰ يعرف الصدرا

وأمّا أرباب العصمة، فهم البريئون من كلّ وصمة، فإنّهم شاهدوا حظّهم الأوفر الأسمىٰ، فلم يثبتوا لما دونه رسماً ولا إسما، وقصروا نظرهم على الخالد الباقي،

(١) سورة الأعراف: ٣٢ .

واتّقوا أن تطأ أقدامهم الأرض وهم في أعلى المراقي، ومن ورد البحر استقلّ السوافي .

فلمّا تأمّلت تلك المقامة، رأيت مبنى الأفضلية على أنّ جعل الفقر أمهر في تحصيل العلوم والمعارف، وأكثر مقيلاً في ظلّها الوارف، وأقدر على إبراز الصواب، عند السؤال والجواب، لا على إقامة الدليل والبرهان بالأفضلية، وجعل السابق في هذا صاحب الأولوية .

على أنّ هذا الميدان هو مجرى العوالي ومجرى السوابق، وفيه تزدحم كتائب فرسان الحقائق، وتلتحم مناكب النظارة من الخلائق، إذ الناس لعدم خلوّهم من أحد الوصفين، ينقسمون إلى صنفين، وينتظمون في صفّين، وكلّ يحتجّ لصاحبه بالصفات الواقعية المرضية، لا المجازية الفرضية .

فأحببت أن أجول في هذا المجال، ولو بالمحال، وأنسج على هذا المنوال، على وهن القدرة وضعف الحال، وقصور عامل الفضل على التسلّط على هذه الحال، اعترافاً منّي بالتقصير، وإسعافاً بطلب المسامحة لباعي القصير .

ومن يعص أطراف الزجاج فإنّه يطيع العوالي ركّبت كلّ لهزم

فبنيت هذا المقصد على وضع غريب، وترتيب يهشّ له الأديب الأريب، وأسلوب يأخذه الطبع السليم عن قريب، وجعلت المفاخرة بينهما على حقائق الأوصاف، وذكرت ما يقابل الطرفين بنهاية الإنصاف، ثمّ أنهيت المخاصمة، إلى التراضي بالمحاكمة، فحكمت بينهما مناط التكليف، ورباط الفضل الذي اختصّ به النوع الشريف، فحكم حكماً يقضي منه الفريقان مأربهم، ويعلم كلّ أناس مشربهم، وكلّ فلك يسبحون، وكلّ حزب بما لديهم فرحون، والحقّ واضح العذر والاحجال لقوم يعرفون، وماذا بعد الحقّ إلاّ الضلال فأنّى تصرفون .

حدّث الغزل الرقيق، عن المديح الأنيق، عن السؤال الجميل، عن النوال الجزيل، عن الخاطر المطاع، عن كريم الطباع، قال: حضرت مجلساً من المجالس السرية، التي لم تزل تعقد بحضرة النفوس البشرية، وقد حضر وزيرها الفهم، وحاجبها الحلم، وقائدها وقاضيها العلم، وخازنها الحفظ، ومنشيها المكر، وشاعرها الخيال، ونديمها الوهم، ومثّلت للمخدمة أعوانها المتظاهرة، وهي المدارك الخمس الظاهرة، وانتظمت في مراتبها سائر القوىٰ، وغاب بحمد الله عدوّها الهوىٰ .

واتّفق أن حضر الغنىٰ والفقر، الضدّان المتناقضان، بل العدوّان المتباغضان، والجوادان المتعارضان، بل القرنان المتناهضان، إلاّ أنّ النادي جمع بينهما، وقرّب علىٰ سبيل الاتّفاق بينهما، وخاض القوم في مجانح الحديث، من سوانح القديم والحديث، فأراد بعض من حضر، طراد جياد البحث والنظر، فتلطّف بلطفه، ولحظ الغنىٰ بطرف طرفه، وقال: إنّي أحفظ بيتين، وردّ الأوّل منهما علىٰ روايتين، يبني عليهما حكم وأحكام، إذا تقرّر مفادهما باحكام .

ولو أنّي ولّيت أمير جيشٍ لمـا قـابلت إلاّ بـالسؤال

لأنّ النـاس يـنهزمون مـنه وقد ثبتوا لأطراف العـوالي

ثمّ قال: والرواية الأُخرىٰ، يعرفها من هو بإحراز شرفها أحرىٰ .

قال كريم الطباع، الراوي لهذه الأسجاع: فابتدر الغنىٰ لجوابه، وقد استخرج دقيق المعنىٰ من جرابه، فقال: إنّ بعض من أسعده الجدّ بخدمتي، وأيّده الجدّ بعزمتي، وسدّده المجد بهمّتي، أنشده هذين البيتين بعض ندمائه، وجلاهما كالنيّرين في سمائه، فتفطّن ذلك الرئيس، لمعنىٰ فيهما نفيس، وأعاد إنشادهما في الحال، ووضع النوال موضع السؤال، فأظهر شمائل همّته العلية، ورمىٰ مقاتل الفقر

وما ظلم فأدواه ووتره، وألبس البيتين حلي الملوك، بعد أن كانا في أسمال الصعلوك، حتّىٰ أشرق معناهما بالضياء المستفاد من شمسي، وأغدق مغناهما بالأنواء الهاطلة من صنائع يومي وأمسي .

قال: ثمّ تنبّه إلىٰ أنّ هذا الكلام، من بليغ الكلام، وانّه بغى والبغي مرتعه وخيم، وأظهر دعوى الفضل وفوق كلّ ذي علم عليم، فكفّ من غربه، ورجع عن شرقه وغربه، واسترجع وسكت وأطرق إلى الأرض ونكت، لكنّه قال في أثناء ذلك: ما أراني أضللت المسالك، وانّي ما قلت وإن فاخرت وطلت لعنان الحقّ مالك، وليس بملوم من نطق بالحقّ وصدع، وإن شقّ قلب المعاند وصدع، والحقّ أحقّ أن يتّبع .

وما المرء إلاّ حيث يجعل نفسه وأنّىٰ لها فوق السماكين جاعل

قال كريم الطباع: فاستشاط الفقر من الغيظ، وتلظّت أنفاسه أحرّ من سموم القيظ، وأنف من الذلّ والاستكانة، إذ أنزله الغنىٰ إلىٰ هذه المكانة، وأنشد وقد أشعل نار الحمية تسعيرها :

ونفسك أكرم عن أُمور كثيرة فما لك نفس بعدها تستعيرها

ثمّ انبرىٰ للمقاومة مسترسلاً، بعد أن تضرّع إلى الله تعالىٰ متوسّلاً، وقال متمثّلاً :

احدىٰ لياليك فهيسي هيسي لا تنعمي الليلة بالتعريس

إلاّ أنّه خاطب خطاب من قيّد الحلم ألفاظه، وسدّد العلم إيعاظه، فقال: أيّها الغنىٰ لقد صرّحت وما كنّيت، وعجّلت وما تأنّيت، وليتك إذ صدفت عن الحقّ وأبيت، لم تعمر بيتاً بخراب بيت، أخبرني عن هذا الرئيس، الذي ملأت أنت له الكيس، فزعمت أنّه إنّما صار لذلك قلائلاً، من حيث كان في ظلالك قائلاً، فلو كان ظامي الفؤاد من مياه الكرم التي جرت فيه، خاف القعود عن سلافة البلاغة التي

رشفت فيه، أتراه كان يقول ما قال، ويتحمّل ما استلزمه نطقه من الأثقال، أو تراه لو كان مربوطاً بإشراكي، مخروطاً في إسلاكي، محوطاً بإفلاكي، ثمّ كان ممّن تشقّ أفعال الكرم من مصدر طبعه، وتشقّ قسي الهموم من غروس نبعه، ألم يكن ينطق بما به نطق، ويرشد إلىٰ ما إليه أرشد، حين أنشده البيتين من أنشد، فلا تجهل علوم الاخبار وأنت خبيرها.

فما الجواد من فقر الرجال ولا الغنىٰ ولكنّه خيم الرجال وخيرها

وما ازراؤك على الصعاليك، لتزيد بذلك في معاليك، فكفاهم فخراً في الدين، قول علم المهتدين: «ربّ أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبرّه»[1] وما أشبه هذا ممّا طرق سمعك غير مرّه، وأمّا باعتبار الدنيا، وزينتها الدنيا، فإنّ منهم ما علا بالأوصاف قدره، وغلىٰ للأضياف قدره، حتّىٰ أشرق من اُفق السعد بدره.

ولكنّ صعلوكاً صحيفة وجهه كضوء شهاب القابس المتنوّر

إلىٰ آخر الأبيات، المعلومة في الروايات، فيا أيّها الغنىٰ هلاّ إذا نطقت تحمّلت ما أطقت، ورفعت نفسك من حيث لم تخفض سواك، وجلوت ثغرك بغير هذا السؤال، فإنّ الشريف الكريم ينقص قدراً بالتعدّي على الشريف الكريم، وولع الخمر بالعقول رماها بالتنجيس والتحريم.

قال: فنظر إليه الغنىٰ شزراً، وأعاره لحظاً ونزراً، وخاطبه مخاطبة متحكّم، ولاطفه ملاطفة متهكّم، فقال: عذراً أيّها المسكين، ورفقاً أيّها المستكين، فما أنا بالذي بلغت عظمك السكين، ولست الذي أنزل شكلك هذا البيت من التسكين، إنّما قلت ما قلت فيّ وفيك، ما كلامنا به حقيق، ونسبت إليّ وإليك، ما انعقد عليه

---

(١) كنز العمّال ٣: ١٥٢ برقم: ٥٩٢٤ ـ ٥٩٢٦.

الاجماع بالتحقيق، فاستمع بعض أوصافك، واردد جماح أنفك بلجام إنصافك، وإن لم تصدّق الناس ما أقول، فبرأت منّي ذمّة العقول .

ألست حائك شقق الهوان والإذلال، وموشيها بوشي الكدّ والسؤال، ومفصّل أوصالها بمقراض الضجر والملال، وخائط تفاصيلها بخيوط الإلحاح الطوال، ومقدّرها علىٰ قامات الرجال، ومفرعها عليهم لا للزينة والجمال، فاستحلّ فيهم هذا الوصف الشنيع، واستملّ منهم شكر هذا الصنيع، وأعفني من عتابك، فإنّي أربأ بنفسك عن خطابك .

وإنّ حمىٰ عزّي منيعٌ محرّم ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

ثمّ انّك مع ذا أردت جلاء العين فزدت قذىٰ، وأنزلت معاني الهدىٰ مغاني الهوىٰ، وتكلّمت في حضرتي بشريف الآثار كلام من يظنّ أنّه فيها ذو استئثار، وأنت تعلم أنّي فارس نقعها المثار، واستشهدت ببعض الأشعار، فأشهدت أنّ لمعانيها في ذهنك أشعار، وكان عارف بأنّي لا أركب في مضمارها الفرس المعار، ولا أقنع في معرفة أسرارها بالدثار دون الشعار .

وإن كنت تستطيع معي صبراً، فسأُنبّئك بما لم تحط به خبراً، حسبي وإيّاك صيتاً وذكرا، إنّ الله سمّاني خيراً وسمّاك شرّا ﴿إنّ الإنسان خلق هلوعا * إذا مسّه الشرّ جزوعا * وإذا مسّه الخير منوعا﴾[١] وجعني من نعمه التي ذكر بها عباده كثيرا ﴿وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا﴾[٢] بل يشمل سيد البشر هذا

---

(١) سورة المعارج: ١٩ ـ ٢١ .

(٢) سورة الإسراء: ٦ .

المعنىٰ ﴿ووجدك عائلاً فأغنىٰ﴾[١].

ومن دلائل فخري وسعدي ﴿وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾[٢] وجعلك من المحن التي تسكب عندها العبرات، ولا تقال في حزونها العثرات ﴿ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات﴾[٣] وإن شئت خفضتك طبقة أُخرىٰ، ورويت لك «كاد الفقر أن يكون كفرا»[٤] وما جرىٰ هذا المجرىٰ.

فأنت المبعد عن طاعة الخالق، لمّا تنزّل بالخلائق من الكرب والمضايق، وهي القواطع والعوائق، وأنا الذي أيسّر لهم سنى البضاعات، المتوقّف عليها كثير من الطاعات، فلولا وجودي ووجد جودي لم يظفروا بثواب الزكاة والصدقات وصلة الأرحام والنفقات، ومن أعظم هذا المرام حجّ بيت الله الحرام، وهل يستوي الإيسار والإفلاس، والله لم يدع إلىٰ بيته سوى المياسير من الناس.

وتعلّم كثرة دعاء الأنبياء، والمقتدين بهم من الأولياء، بالاستعاذة من جوارك، والاستقالة من عثارك، والتضرّع إلى الله في محو آثارك.

وأمّا الشعراء، فهاموا بهجوك في كلّ واد، وقاموا بذمّك علىٰ رؤوس الأشهاد، وأمّوا للهرب بالتغرّب في البلاد، ومقاساة الأين في ذلك والسهاد، حتّىٰ رأت المقام على الاقتصاد، قنوعاً به ذلّة في العباد، وحسبك ببيت سار مسير المثل في

---

(١) سورة الضحىٰ: ٨.

(٢) سورة ص: ٣٥.

(٣) سورة البقرة: ١٥٥.

(٤) كنز العمّال ٦: ٤٩٢ برقم: ١٦٦٨٢.

الورىٰ:

فسر في بلاد الله والتمس الغنىٰ تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

وقال من أنف من قدرك الحقير:

دعيني للغنىٰ أسعىٰ فإنّي رأين الناس شرّهم الفقير

ولو عقلت ما فاخرت الأقران، وقد نظموك والكفر في قران:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

وصعاليك اليهود، علىٰ هذا البيت من الشهود، ولولا ذمّ الإطراء وخوف الملام، وأن يقول بعض الفقراء مادح نفسه يقرؤك السلام، لأوردت عليك ما نظموه فيّ من المدائح، ومريت لك درر الفوائد من أخلاق القرائح.

وكيف لا وأنا علّتهم الغائية، في نظم مدائحهم المحبّرة، ونعوتهم المحرّرة، وأغزالهم الرائقة، وتخيّلاتهم الفائقة، وهل الممدوح إذاً مثل المادح لديه، إلاّ المعهود الذي أقدره علىٰ إطلاق يديه، فخذ إليك غيضاً من فيض، ولمعة من روض، وإن أردت زيادة الخوض، ملأت بهذا السجل لك الحوض، حتّىٰ تقول قطني، فقد ملأت بطني.

قال كريم الطباع: فاستجاش الفقر وأزبأر، واستوفز وأثار، وقال: كلاّ لا مفرّ إلىٰ ربّك يومئذ المستقرّ، الآن حمي الوطيس، والتفّ الخميس بالخميس، وتكلّمت القلوب بألسنة أحدّ من الصفاح، بل تكلّمت ألسنة العذبات الحمر بأفواه الجراح، من صدّ عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براح، أيّها الغنىٰ، أمثلي تذلّل صعابه بالثرىٰ، ويركب إعجاز الإبل وإن طال السرىٰ، أقسمت بمن جعلني في خلقه آية، ورفع لي على الطاغين أشرف راية، وخلقني لمحق الباغين أشأم من ابن داية، لتسمعنّ منّي ما يدعك تقرع بأنامل الندم الثنايا، وأنا ابن جلا وطلاّع الثنايا.

يا أيّها الناعم في لباس العجب والتيه، والزاعم أنّه مولي الفضل ومؤتيه، والنازع إليّ أخلاق اللؤم والرداءه، المنازع ربّ الكبرياء رداءه، لقد افتريت في وصفي ووصفك بهنك، وأبصرت القذاة في عيني ولم تبصر الجذع في عينك، وصدفت عن مناهج الحقّ ومشارعه، وحرفت الكلم عن مواضعه.

ولو أنّك شدّاد بن عاد، ومتّعك الله بإرم ذات العماد، وفرعون ذي الأوتاد، ثمّ نجوت من اليمّ بمن معك من الأجناد، وكليب بن ربيعة ولم يقدم عليك جسّاس في الحمىٰ، وأبرهة ولم ترمك طير أبابيل من السما، وزهير بن جذيمة ولم تأخذك يد خالد من قريب، وأبوجهل ولم تسحب إلى القليب، لأنفت لك من هـذا العجب والاستطالة، وضجرت منك إذا أطلت هذه الإطالة.

لكن لا بدع في ذلك، فإنّك منبع الطغيان، بنصّ القرآن ﴿إنّ الانسان ليطغىٰ * أن رآه استغنىٰ﴾[١] أن كان ذا مال وبنين، إذا تتلىٰ عليه آياتنا قال أساطير الأوّلين، وانّ الذي جمع مالاً وعدّده، وحسب أنّ ماله أخلده، منك استمدّ مدده، وبك أعدّ في الكفر عدده، وقد قالت قريش حين لفحها ريحك العقيم: ﴿لولا أُنزل هذا القرآن علىٰ رجل من القريتين عظيم﴾[٢].

وقد علم مفضلك أو مساويك، إن لم يعمه حبّك عن مساويك، إنّ الخلق بك يخسرون ولا يربحون، وانّك من الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، فكم اقتضىٰ غيّ أهوائك وعيّ أدوائك، وسكر شرابك، ومكر سرابك، أن يقطع السارق، ويقمع المارق، ويردع الخائن، ويصفع المائن، ويدفع الغاصب القاسط، ويتبع

---

(١) سورة العلق: ٦ ـ ٧.

(٢) سورة الزخرف: ٣١.

المحاسب المغالط، وأن يدنس بياض الأعراض، بسواد دنايا الأغراض، ويتحكّم في صحاح العقول عضال الأمراض، من الأطماع الحقيقة بالإهمال والإعراض، ويغصّ الحريص بالجريض عند الحثّ علىٰ الجود والتحريض، وأن يرتكب الحازم متون المآثم بغيب الظنون، ويقدم السالك في المفاوز والمهالك، علىٰ ريب المنون.

وكم وقعت فتنتك بين المرء وأبيه، وخليله وأخيه، وصاحبته وبنيه، وفصيلته التي تؤويه، ومن في الأرض جميعاً ثمّ لا ينجيه، ولعلّك تقول إنّ من ذكرت، وشنعت عليهم وأنكرت، منك هربوا فلاذوا بسابغ ظلّي، وفي حماك أجدبوا فاستسقوا وابلي وطلّي، فأنت الذي حملتهم علىٰ أن ارتكبوا ما ارتكبوا، حتّىٰ حادوا عن القصد ونكبوا، فعوقبوا ونكبوا، كلاّ إنّ خرط القتاد دون هذا الإيراد.

فمن المعلوم أنّ كثيراً ممّن ظهرت غواياتهم، وبعدت في الفساد غاياتهم، قد يرضىٰ لنفسه بسمة القباحة، مع كوني لم أطرف له ساحة، وإنّما يقصد الزيادة من كيلك، أو التقويم لأودك عند ميلك، فيعشي عن بصيرته في ليلك، وأمّا من سواهم، وقليل ما هم، فلو كان قصده بأفعاله الشنيعة، إفلاته من حوزتي المنيعة، لكنت تراه يكتفي بالطفيف الذي يبعده عنّي، ولا يكاد مصاعد التمنّي والتعنّي.

دليلك إنّ الفقر خير من الغنىٰ   وانّ القليل المال خير من المثري
لقاؤك شخصاً قد عصى الله للغنىٰ   ولم نر شخصاً قد عصى الله للفقر

ويؤكّد هذه الأحكام العلية، ما أثبتته الأدلّة العقلية والنقلية، إنّ جمع المال من وجوه الحلال، يكاد يدخل في المحال، أما تعلم أنّ ما قابلني بالرضا، والتسليم للقضا، وكفّ نظره عن الطماح، وعامل هواه بالزجر لا بالسماح، ظفر بكنز القناعة، وطفر عن وهاد الذلّ والخناعة، وهجر كدّ الطلب ووباله، وفرغ لطاعة مولاه

خاطره وباله، وتمسّك بأوثق الوسائل، لتحصيل العلوم والفضائل، استحقّ أن ينشد لسان افتخاره:

غيري تغيّره فعال الجافي ويحول عن شيم الكريم الوافي

ويرشد عند اختباره:

إنّ الغني هو الغني بنفسه ولو أنّه عاري المناكب حافي

وأمّا من أبغضك وأحبّني، ورفضك وقرّبني، وأبعدك وأنت قائم في خدمته، كبعض عبيده، وطردك وأنت باسط ذراعيك بوصيده، فإنّه رجل الدنيا وواحدها، وطالب الآخرة فواجدها، وحسبك بإبراهيم بن أدهم بعد نزوله من أعلى القصور، وعمرو بن عبيد وجلالة قدره عند المنصور.

دع أهل هذه الطبقة وما حووه من المفاخر، واتل ﴿لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾(١) أليس قد ورد عنه صادق النبا، بأنّه نشر عنك ونبا، وقد عرض عليه أن تسير معه جبال تهامة فضّة وذهبا.

ثمّ من العجيب زعمك أنّك العزيز وأنا الذليل، وأنا الحقير وأنت الجليل، ولو كنت تساوي عفطة عنز أو قلامة حافر، لما متّع الله بك الفاسق الكافر، وإن زعمت أنّ لك الفضل والنعمة، لأنّ صاحبك يعدّ من أُولي النعمة، فإنّ معك من المحن والأكدار، وهموم الخوف من طوارق الأغيار، وتوقي سوء السمعة في هذه الدار، ما لا ينقطع ولا ينتفي، ولا يستتر ولا يختفي.

وأزنت بين مليحها وقبيحها فإذا الملاحة بالقباحة لا تفي

وأنّى يهنأ بعيش مستطاب، من يعلم أنّ حلالك حساب، وحرامك عقاب،

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

وكيف يتحمّل منك الافضال والانعام، من سمع «يدخل فقراء هذه الأمّة الجنّة قبل أغنيائها بخمسمائة عام»[١] فدونكها غارة شعواء، تخبط في عجاجها خبط عشواء، وداهية دهياء، تحقّق عندي أنّك الداء العياء، تمنع الحدث الغرّ أن يصول، والهرم المجرّب أن يقول :

يا ليتني فيها جذع أخب فيها وأضع

وتقرّر في العقول، مفاد المثل المقول :

ما طار طيرٌ وارتفع إلاّ كما طار وقع

قد أصدرتها صيانة المروءة الشرعية، وحياطة حقوق النفس المرعية، لا بوادر القوّة الغضبية، ونوادر النخوة والحمية، لتفيدك موعظة حسنة، وتتلو ولا تستوي السيئة ولا الحسنة، وتنشد البيت الدائر على الألسنة :

الخير يبقى وإن طال الزمان به والشرّ أخبث ما أوعيت من زاد

قال الكريم الطباع: فلمّا أتمّ الفقر مقاله، ورمىٰ عن ظهره أثقاله، أقبل الغنىٰ علىٰ رأس المجلس وصدره، وشمس المحفل وبدره، وقال: أيّها النفس الشريفة، أمدّ الله بك ظلال العقل الوريفة، إنّ حال هذا الجاهل ظريفة، وأيّ ظريفة، لقد جهل الجهل المركّب، وركب في غير سرجه هذا المركب، وقصد إذ شوّه وجه جمالي، وأودّ غصن كمالي، أن ينشد حرّ كريم، أو ذو أدب قويم .

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغضاً إنّه لذميم

فيدخل بفحوى العموم في جملة أقراني، ويصعد بهذا المفهوم إلىٰ أوج أقراني، وهيهات هيهات أين الثريّا من يد المتناول، ومتىٰ قال السهىٰ للشمس أنت خفية،

---

(١) كنز العمّال ٦: ٤٧٧ برقم: ١٦٦٢٥ .

وقال الدجىٰ للصبح لونك حائل، ولو انثالت من جيوش الكلام هذه الجحافل، في أحقر الأندية والمحافل، لميز في الحال بين البطل الشجاع، والخنع اليراع، وأسقط سقط المتاع، عن رتبة سكاب الذي لا يعار ولا يباع .

فكيف بهذا المجلس الذي أنشر عليه غمام الأدب والفضل، وسرت منه بوارق صوارم القول الفصل، وارتعدت بصواعق الجدّ فيه فرائص الهزل، وهمرت سيول النفع والضرّ في شعاب التولية والعزل، وأنا سأحبس عناني، ولا آخذ إلاّ فيما عناني، حتّىٰ تنحسم الأباطيل والأماني، وتمحي عن صحائف الخواطر وساوس ماني، وأُجازي بالشكر من عرف قدري فأسماني .

قال الراوي: فبادر الفقر قائلاً: ربّ إنّي دعوت هذا الخصم للرشاد ليلاً ونهارا، ونصحته بالبيان المستفاد سرّاً وجهارا، فلم يزده دعائي إلاّ فرارا، وإصراراً على الجور واستكبارا، ثمّ لم يكتف بذلك حتّىٰ أخذ يمكر بي مكراً كبارا، ويتقرّب للحظرة السلطانية استظهاراً عليّ وانتصارا، ويظنّ أن سينال بذلك لديها إيثارا، كلاّ والله تلك حضرة شوط الباطل فيها قصير، وهي للحقّ وأهله نعم النصير، ولا تمييز عندها للمتربّع فوق السرير، على الجاثي على الحصير، وقد وقف الكلام بمنتهاه وغايته وصار إلىٰ مصير .

ثمّ أقبل على العقل، وقال: يا مولانا الوزير، أنت المدبّر والمشير، والحاكم علىٰ كلّ مأمور وأمير، وأنت لسان الملك الناطق بلا اعتراض، ويده المتصرّفة في جميع الأغراض، وطبيب أحكامه الشافي من كلّ الأمراض، ولك الأمر فاقض ما أنت قاض .

قال كريم الطباع، الراوي لهذه الأسجاع: فلمّا سمع العقل ما قالاه، ورأىٰ أنّهما ألزماه الحكومة وإن عثر ما أقالاه، لبث هنيهة ينتظر الإذن في الكلام، ويحرّر من

القول ما يخرجه عن الملام، إجلالاً للحضرة السلطانية، وتبجيلاً، وعملاً بما قيل :

إنّ الكلام لفي الفؤاد وإنّما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

حتّىٰ حصلت له الإشارة، ووصلت نتائج أفكاره المستشارة، فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم، وقال: بسم الله الرحمٰن الرحيم .

أمّا بعد: فالحكومة معيار الذمم، ومحك الهمم، وميزان الفضل والمعرفة، وميدان الأفكار المتصرّفة، وممرّ أنهار البلاغة والفصاحة، ومقرّ أطواد الرصانة والرجاحة، ومصرع جنوب المودّة والصداقة، لكن في معارك ذي الجهل والحماقة، والحقّ يأبى الجمع بين النقيضين، والعقل يحرض على الاصلاح بين البغيضين، والتوفيق عزيز، وخير الكلام الجامع الوجيز، وبحر المدح والقدح لا تفنىٰ عجائبه .

ومن ذا الذي ترضىٰ سجاياه كلّها كفى المرء نبلاً أن تعدّ معائبه

ومن هنا أيّها الفقر والغنىٰ، ينبغي أن تعلما أنكما أدخلتماني في أضيق من سمّ الخياط، وكلّفتماني المرور علىٰ جهنّم فوق الصراط، وأشقّ المسائل الشرعية باب الاحتياط، وأنا أستعين بالله وأستهديه، وأسأله أن يوفّقكما لقبول ما أبديه، فقد أجبت السؤال وأطعت، وما أُريد إلاّ الاصلاح ما استطعت .

أمّا أنت أيّها الغنىٰ، فإنّك المحمود المذموم، والميمون المشؤوم، المحبوب المبغوض، المطلوب المرفوض، النافع الضارّ، المقيم الفارّ، المنبّه الغارّ .

وأمّا أنت أيّها الفقر، فإنّك العدوّ الصديق، المسعف الرفيق، المشقي المسعد، المهبط المصعد، الممرض المعافي، المعرض الموافي، المخلّ الكافي، الناقص الوافي، وأنا أُفصّل لكما هذين الإجمالين، وأرفع التناقض بين الإحتمالين، حتّىٰ تنزّهاني عن الجهل والمين، وتنقلبا بحقائق الأُمور عالمين .

اعلما أنّ الله تعالىٰ لم يخلق شيئاً عبثاً ولعبا، ولا يظلم ربّك أحداً أولاه راحة

وتعبا، وجميع نعمه ونقمه، منتظمة في إسلاك حكمه، وكلّ ما أودعه في عالم الكون والفساد ذريعة للعباد، إلىٰ كسب الفوز في المعاد، وملاك نتيجة كلّ قضية، ما يهدي الله إلى اختيار حضرة النفس الإنسانية، وقد أحكما الله من عباده في مواقع، يجوزها الشرع ولا يدافع، من وافاها حقّها ظفر بالعلم النافع، ومن قصر جوزي بعذاب واقع، ما له من الله من دافع .

فيكون الغنىٰ منحة استعدّ لها العبد المطيع فحواها، أو مصلحة لا يصلح للعبد سواها، أو محنة للاختبار والابتلا، أو فتنة للاستدراج والاملا، ويكون الفقر نعمة طبق الاستحقاق المسطور، أو نقمة لتنزيه النفوس البشرية عن متاع الغرور، ويشارك الغنىٰ في الابتلاء والاختبار، والمصلحة التي يعلمها الحكيم المختار .

فحقّ المحبوّ بالغنىٰ أن لا يألو جهداً، في أن يوالي شكراً وحمداً، وأن يتوصّل به لاكتساب الأُخرىٰ، ويتصرّف فيه بما هو الأولىٰ والأحرىٰ، ويتخرّج من عهدة النوافل والحقوق، ويتحرّج عن وصمة التغافل والعقوق، ويستعيذ بالله من إملائه وفتنته، ويحذر أن تغلب الغفلة علىٰ فطنته، وإيّاه ثمّ إيّاه، أن يشغله عن مولاه، وتحت هذا الإجمال، تفصيل طويل، الويل لمن ضرب عنه والعويل .

وحقّ الممنوّ بالفقر أن يأخذ بالرضا والتسليم، ويقابل حكم الحكيم بقلب سليم، ويشكره علىٰ آلائه، حيث خصّه بشعار غالب أنبيائه وأوليائه، وينيب إلىٰ باريه بالتوبة، ويستعيذ به من شؤم الإثم والحوبة، ويعتاض بعزّ القناعة والعفاف، ويرتاض على الزهد والكفاف، ويعتصم بحبل التقىٰ، ويحذر من التخلّص بالشقاء من الشقا، ولا ييأس من روح الفرج، وإن عزّ في الضيق المخرج، ولا يدع التلطّف في الحيلة، لتكلّف المظاهر الجميلة، فهذه السنن المنيعة مقنعة، في الخروج من عهدة المواقع الأربعة .

فإذا علم ذلك وتقرّر، وثبت لديكما وتحرّر، فاعلما أنّ كلاًّ منكما متىٰ جاور من هذه صفاته، وحاور من لا تصدع بالجهل صفاته، فهو في معرك المفاخرة فارس الصفّين، والحائز للقسم المحمود من الوصفين، وإلاّ فهو المتّسم بالوصف الأخير، الحري وإن قدّم بالتأخير.

ثمّ إن أبيتهما إلاّ التمييز في الصفات بينكما، فأنت أيّها الغنىٰ كالسيف الصقيل، يضيء حدّه في أعناق المعتدين والمهتدين، والجواد الأصيل، يصلح جدّه لقطع السبيل، وإعزاز الدين، فلك الفخر الذي يزاحم الكواكب بالمناكب، لكن بعد النظر إلى الضارب والراكب.

وأنت أيّها الفقر كالبحر الأُجاج، تجري فيه الفلك مواخر، ويستخرج منه الدرّ الفاخر، والقفر الفجاج، ينجو سالكه من طلب أعدائه، ويرجو عند انتهاء المسير لقاء أودائه، فأنت الحائز للمناقب، لكن باعتبار العواقب.

ثمّ إنّي أقول ولا أخشىٰ ملامه: إنّ الفقر أدلّ علىٰ منهج الاستقامة، وأقرب إلىٰ ساحل السلامة، وإن كان الغنىٰ إذا كشف عن صاحبه الدين، ووفّق إلىٰ عزّه التوفيق لأحد الاختبارين، فهو الظافر بسعادة الدارين.

وبهذا التأصيل الوثيق، والتفصيل المطابق للتحقيق، يرتفع التناقض بين ما أوردتماه من الحجج، وقلتماه عند الخوض في تلك اللجج، فتأمّلاه بعين البصيرة، وتناولاه بيد غير قصيرة.

وعلىٰ كلّ حال فأنا المبتلىٰ الممتحن بكما، والمرآة المجلي فيها شكلكما، ولم يكفكما تكليفي المشاقّ منفردين، حتّىٰ جئتما مجتمعين، وحملتماني ما لو عرض على الجبال لأبين، وأنا أسأل الله تعالىٰ أن يمنح حكمي القبول، ويوفّق بينكما بالإصلاح، وهيهات أن يتّفق الدبور والقبول.

قال كريم الطباع، الراوي لهذه الأسجاع: فلمّا سمع الغنىٰ والفقر ما جلاه العقل من الدلائل، وعلما أنّه لم يبق مقالاً لقائل، ولا مصالاً لصائل، قاما حامدين للحكومة راضيين، وانطلقا لشأنهما كالسيفين الماضيين.

وتفرّق أرباب المجلس، وكلّ يقول: هذا هو الحكم العدل، والمنطق الفصل، ولواهب العقل جزيل الحمد والمنّة والفضل، وصلّى الله علىٰ أكرم خلقه، وسراج أُفقه، سيّدنا ومولانا محمّد وعلىٰ آله وصحبه الأنجاب، وسلّم تسليماً كثيرا، والحمد لله ربّ العالمين[1].

ربيع الأوّل ـ قم المشرّفة ـ السيد مهدي الرجائي

---

(١) نزهة الجليس ١: ١٥٣ ـ ١٦٨.

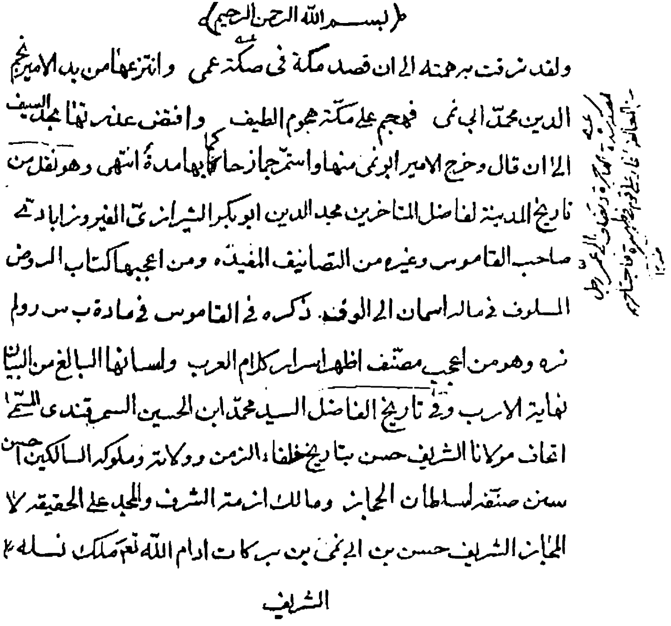
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

ولقد شرفت برهته الى ان قصد مكة في سنة عمى وانتزعها من يد الامير نجم
الدين محمد ابي نمي فهجم على مكة هجوم الطيف وانفض عنه تها بجملة السيف
الى ان قال وخرج الامير ابو نمي منها واستمر حازحا بها مدة انتهى وهو نقل من
تاريخ المدينة لفاضل المتاخرين مجد الدين ابو بكر الشيرازي الفيروزابادي
صاحب القاموس وغيره من التصانيف المفيدة ومن اعجبها كتاب الروض
المسلوف فيما له اسمان الى الوف. ذكره في القاموس في مادة ب س ر ولم
نره وهو من اعجب مصنف اظهر اسرار كلام العرب ولسانها البالغ من البيان
نهاية الارب وفي تاريخ الفاضل السيد محمد ابن الحسين السمرقندي المسمى
اتحاف مولانا الشريف حسن بتاريخ خلفاء الزمن وولاته وملوكه السالكين احسن
سنن مستقر لسلطان الحجاز ومالك ازمة الشرف والمجد على الحقيقة لا
المجاز الشريف حسن بن ابي نمي بن بركات ادام الله نعم ملكه ونسله الى
الشريف

الصفحة الأولى من النسخة المخطوطة

تنبيه وسنى العين

بتنزيه الحسن والحسين في مفاخرة بني السبطين

للعلامة الخبير

السيد محمد بن علي بن حيدر بن محمد بن نجم الدين العاملي الموسوي

١٠٧١-١١٣٩هـ

تحقيق

السيد مهدي الرجائي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

ولقد[١] ترقّت به همّته إلىٰ أن قصد مكّة في صكّة عمّي[٢]، وانتزعها من يد الأمير نجم الدين محمّد أبي‌نمي، فهجم علىٰ مكّة هجوم الطيف، وافتضّ عذرتها بحدّ السيف.

إلىٰ أن قال: وخرج الأمير أبونمي منها، واستمرّ جمّاز حاكماً بها مدّة. إنتهىٰ.

وهو نقل من تاريخ المدينة[٣] لفاضل المتأخّرين، مجدالدين أبوبكر الشيرازي الفيروزآبادي[٤]، صاحب القاموس وغيره من التصانيف المفيده.

---

(١) من هنا تبدأ النسخة المخطوطة، ومن المعلوم سقوط خطبة الكتاب وكذا مقدّمة المؤلّف.

(٢) الصكّة: شدّة الهاجرة، وتضاف إلىٰ عمي رجل من العماليق أغار علىٰ قوم في الظهيرة فاجتاحهم «منه» وراجع: لسان العرب ٧: ٣٧٩.

(٣) لم أظفر علىٰ هذا التاريخ.

(٤) هو قاضي القضاة أبوطاهر مجدالدين محمّد بن يعقوب بن محمّد الشيرازي الفيروزآبادي، ولد سنة (٧٢٩) بكازرون، وتوفّي قاضياً بزبيد من بلاد اليمن سنة (٨١٦) وله تصانيف كثيرة، منها القاموس المحيط، وهو تلخيص كتابه الكبير اللامع المعلّم العجاب الجامع بين المحكم والعباب، وكان في ستّين مجلّد.

ومن أعجبها[١] كتاب الروض المسلوف في ما له إسمان إلىٰ اُلوف، ذكره في القاموس في مادّة «ب س ر»[٢] ولم نره، وهو من أعجب مصنَّف أظهر أسرار كلام العرب ولسانها البالغ من البيان نهاية الارب .

وفي تاريخ الفاضل السيد محمّد[٣] بن الحسين السمرقندي المسمّىٰ «إتحاف مولانا الشريف حسن بتاريخ خلفاء الزمن وولاته وملوكه السالكين أحسن سنن»[٤] صنّفه لسلطان الحجاز، ومالك أزمّة الشرف والمجد علىٰ الحقيقة لا المجاز، الشريف حسن بن أبي‌نمي بن بركات، أدام الله تعالىٰ ملك نسله الشريف، فأفاض بهم البركات، ذكر نحو ما ذكره الفيروزآبادي، وزاد عن استيلائه علىٰ مكّة المشرّفة، كان بمساعدة الملك الصالح الأيّوبي، وأنّ الذي أخرجه من مكّة المشرّفة الشريف راجح بن قتادة .

---

(١) أي: من أعجب تصانيف صاحب القاموس .

(٢) القاموس المحيط ١: ٣٧٢ .

(٣) ذكره العيدروس في النور السافر ص ٥٦٥، وقال: وفي ليلة الخميس تاسع المحرّم سنة ستّ وتسعين بعد التسعمائة توفّي الشريف الفاضل محمّد بن الحسين السمرقندي الحسيني بالمدينة المشرّفة، وكان أهل المدينة إذا أرادوا مكاتبة أحد من الأكابر لا يكتبون ذلك المرسوم إلاّ بإنشائه، وكان يعرف كثيراً من اللغات مثل العربية والفارسية والرومية والهندية والحبشية، ولمّا مات اُحصيت كتبه فكانت ألفاً وتسعين كتاباً، ثمّ ذكر نبذة من شعره الرايع .

وذكره أيضاً في شذرات الذهب ١٠: ٦٤٢، وغيره، ومن آثاره المطبوعة تحفة الطالب بمعرفة من ينتسب إلىٰ عبدالله وأبي‌طالب .

(٤) لم أظفر علىٰ هذا الكتاب .

وذكر أيضاً استيلاء الملك المسعود يوسف الأيّوبي علىٰ مكّـة وأخـذها مـن الشريف حسن بن قتادة، بعد حرب بينهما، ونهب مكّة، واستمرّ عليها والياً إلىٰ أن مات سنة (٦٢٦) ثمّ من ولّىٰ مكّة من ملوك اليمن وعساكرها أصالة أو نيابةً، إلىٰ أن خلصت لأبيسعد الحسن بن علي بن قتادة.

وقد أشار إلىٰ ذلك كلّه ماعدا ملك الأمير جمّاز، الشيخ أحمد بن الفضل باكثير[١] في كتابه وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل[٢].

وكلّ ذلك لم يذكر شيئاً منه مصنّف عمدة الطالب، وهو الفاضل النسّابة السيد الشريف أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن مهنّا بن عنبة الأصـغر الحسـني، وباقي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ ذكره في العمدة، فـي عـقب موسى الثاني بن عبدالله بن موسى الجون رحمهم اللّه تعالىٰ[٣].

ويظهر من لوايح تصنيفه أنّه كان من الشيعة الزيدية لا الإماميّه[٤]، إلاّ أنّه أشار إلىٰ تغلّب الملك الأفشين مسعود بن الكامل علىٰ مكّة وقتاً، قال: ثمّ طرد عـنها الأمير راجح بن قتادة[٥].

---

(١) هو العلاّمة الشيخ أحمد بن الفضل بن محمّد باكثير الحضرمي المكّي الشافعي، توفّي سنة (١٠٤٧) هـ وكتابه هذا ألّفه باسم الشريف إدريس أمير مكّة.

(٢) وسيلة المآل للباكثير الحضرمي، مخطوط.

(٣) عمدة الطالب ص ١٥٩، المطبوع بتحقيقي.

(٤) والصحيح عندي بعد التتبّع في أحواله وآثاره، أنّه كان مـن الشـيعة الإمـامية، وكان صهر العلاّمة تاج الدين ابن معية، وهو من أعلام الشيعة وكبارهم.

(٥) عمدة الطالب ص ١٧٤.

وأمّا قضية الأمير جمّاز بن شيحة الحسيني، فلم يعرّج عليها في كتابه، لا في موضع ذكر أمير المدينة شيحة وولده جمّاز، ولا في موضع ذكر ملوك مكّة آل قتادة، أدامهم الله تعالىٰ وأيدّهم بالسعادة.

مع أنّه ذكر في ترجمة الشريف نجم‌الدين محمّد أبي‌نمي بن أبي‌سعد أنّ الشريف راجح بن قتاده في بعض حروبه مع أخيه الشريف أبي‌سعد استنجد أخواله من بني حسين، فخرجوا المدده في‌سبعمائة فارس، ورئيسهم الأمير عيسى الملقّب بـ«الحرون» إلىٰ آخر القضية المشهورة، المشتملة علىٰ انهزام عيسى الحرون ومن معه من الشريف أبي‌نمي بن أبي‌سعد، إذ لقيه في الطريق وهو سائر مدداً لأبيه الشريف أبي‌سعد في جمع قليل نحو أربعين (١).

وذكر صاحب عمدة الطالب قول النقيب جعفر بن محمّد ابن معيّة الحسني من قصيدة يمدح بها الشريف أبانمي:

ألم يبلغك شأن بني حسينٍ ... وفرّهم وما فعل الحرون
يصول بأربعين علىٰ مئين ... وكم من فتنةٍ طالت تهون (٢)

وما ذاك من مصنّف عمدة الطالب إلاّ تحاملاً علي الحسينيين، وهضماً وافتخاراً لقومه الحسنيين، احتمل به إثماً؛ إذ حقّ أمانة العلم والإنصاف أشرف الأوصاف.

وامتثال قوله ﷺ «أُمرنا أن ننزّل الناس منازلهم» قاله الحافظ السيوطي في

---

(١) عمدة الطالب ص ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٢) عمدة الطالب ص ١٧٥ ـ ١٧٦. وسقط بعد البيت الأوّل قوله:

فيا لله بأس أبي‌نميّ ... وبعض الناس يشبهه الجنون

الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، مسلم في المقدمة[١]، وأبو داود[٢]، والحاكم عن عايشه.

والتوقّي من قول الشاعر، وله من مشارع الشرع مشاعر:

لا تضع من عظيم قدرٍ وإن كنت مشـاراً إليـه بـالتعظيم

فالشريف الكريم ينقص قدراً بالتعدّي على الشريف الكريم

ولفى الخمر بالعقول رمى الخمـ ـر بتنجيسها وبالتحريم

أن يذكر مآثر كلا الفريقين، ويوفي حقّ المفخرين الأنيقين، ويجني الناظر في كتابة نور الغصنين الوريقين، فيذكر فعال الأمير جمّاز بن شيحة، وما بلغته عزائمه المشيحة، فإنّه أخو الأمير عيسى الحرون الفارّ، ممّن يجعل الباز الكاسر كالصيد الحرون، ولم تزل الأبطال تفرّ وتكرّ، وبعضها لبعض يسلّم ويقرّ.

وليس يعاب المرء في الجبن يومه إذا عرفت منه الشجاعة بالأمس

ولقد ترقّىٰ بصاحب عمدة الطالب هذا التحامل، وتطلّب الفخر إلىٰ محاولة المفاخرة والمفاضلة بين الحسن والحسين عليهما السلام، واقتبسنا نوادر الأدب منهما، وهو

---

(١) قال مسلم في صحيحه (١: ٦): وقد ذكر عن عائشة أنّها قالت: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله أن ننزّل الناس منازلهم، مع ما نطق به القرآن من قول الله تعالىٰ ﴿وفوق كلّ ذي علم عليم﴾.

(٢) روىٰ أبو داود في سننه ٢: ١٩٧ بإسناده عن عبدالرحمن بن معاذ، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، قال: خطب النبي صلى الله عليه وآله بمنىٰ، ونزّلهم منازلهم، فقال: لينزل المهاجرون هاهنا، وأشار إلىٰ ميمنة القبلة، والأنصار هاهنا، وأشار إلىٰ ميسرة القبلة، ثمّ لينزل الناس حولهم.

مسلك لم تستحسنه الشيعة زيديتها وإماميتها ولا المعتزلة، كما ستعلمه من كلام ابن أبي الحديد المعتزلي، ومن كلام الشريف المرتضىٰ وهو منهم(١)، ولا رأيته في مسالك أهل السنّة والجماعة تأدّباً واحتراماً وإعظاماً لمقام الحسنين عليهما السلام، فإنّما يعرف الفضل لأهل الفضل أهل الفضل.

وهذه مسألة لم يرد فيها نصّ صريح عن النبي صلى الله عليه وآله، كما ورد في تفضيل أبيهما أميرالمؤمنين علي عليه السلام، وجعل لنا إلىٰ موالاته أقوم وجهه عليهما قوله صلى الله عليه وآله: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، وأبوهما خيرٌ منهما(٢).

قال فيه ابن حجر الهيتمى في شرح همزيّة الأبوصيري: إنّه جاء من طرق صحّ بعضها، ورتّب عليه ما ذكره من الحكم، فراجعه ثمّة(٣).

والدليل الإعتبارى مظنّة الخطأ، فحقّ هذا المقام العظيم التأدب وحبس عنان القلم، ومن حكمة الشعر الذى هو في الفصاحة علم:

إذا ما قبلت الشيء علماً فقل به ولا تقل الشيء الذي أنت جاهله

ولآخر من الفصحاء، وأنا لك من النصحاء:

فإنّي رأيت الناس إمّا مكذّبٌ يقول بما تهوىٰ وإمّا مصدّق

---

(١) أي: من الشيعة الإمامية، بل هو من رؤسائهم وزعمائهم.

(٢) رواه الحافظ الهيتمي في مجمع الزوائد ٩: ١٨٣، وابن حجر في الصواعق ص١٨٩، والعسقلاني في الاصابة ٣: ٤٨٠، والسيوطي في الجامع الصغير ١: ٥١٨، والحاكم النيشابوري في المستدرك ٣: ١٦٧، وابن ماجة في سنن المصطفىٰ ١: ٥٦ ومحبّ الطبري في ذخائر العقبىٰ ص ١٢٩، واحقاق الحقّ ٩: ٢٢٩ ـ ٢٤١، وغيرها.

(٣) شرح همزية الأبوصيري.

يقولون أقوالاً ولا يتقنونها   فإن قيل هاتوا حقّقوا لم يحقّقوا

تحقيق حول والدة الإمام زين العابدين عليه السلام

قال صاحب عمدة الطالب عند ذكر الإمام زين العابدين السجّاد علي بن الحسين عليهما السلام: وقد اختلف في أمّه، فالمشهور أنّها شاه زنان بنت كسرى يزدجرد.

وقيل: إنّ اسمها شهربانو.

قيل: نهبت في فتح المدائن، فنفلها عمر بن الخطّاب من الحسين عليه السلام.

وقيل: بعث حريث بن جابر الحنفي[1] إلى أميرالمؤمنين عليه السلام بنتي يزدجرد بن شهريار، فأخذهما، وأعطى واحدة لابنه الحسين عليه السلام، فأولدها علي بن الحسين عليهما السلام، وأعطى الأخرى محمّد بن أبيبكر، فأولدها القاسم الفقيه بن محمّد ابن أبيبكر، فهما إبنا خالة.

وقال ابن جرير الطبري، إسمها غزالة، وهي من بنات كسرى.

وقال المبرّد: هي سلامة بنت يزدجرد، وكانت عمّة أمّ يزيد الناقص بن الوليد ابن عبدالملك أو أختها[2]، قاله المبرّد.

وقد منع من هذا كثير من المؤرّخين والنسّابين، وقالوا: إنّ بنتي يزدجرد كانتا معه حين ذهب إلى خراسان، وقالوا[3]: إنّ أم زين العابدين عليه السلام من غير ولده[4].

أقول: لا يخفى أنّ الحامل له على قوله «وقد منع من هذا كثير» إلى آخره، هو

(١) كذا في هامش العمدة عن بعض النسخ، وفي المتن: الجعفي.

(٢) في العمدة: وأختها.

(٣) في العمدة: وقيل.

(٤) عمدة الطالب ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

قصد المفاخرة والمزاعمة لبني الحسين عليه السلام، كما يدّل عليه كثير من كلامه الآتي، وإلاّ هو ما ذكره أوّلاً، وهو المشهور المذكور في التواريخ.

ولم يذكر الحافظ الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام غيره، قال ـ والقول ما قالت حذام، ولا قرية وراء عبّادان. وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ـ ما هذا لفظه:

وليس للحسين عليه السلام عقب إلاّ من زين العابدين عليه السلام، وأُمّه أمة، وهي سلافة بنت يزدجرد آخر ملوك فارس. وقيل: غزالة كما تقدّم، خلّف عليها بعد الحسين مولاه زبيد ـ بيائين ـ فولدت له عبدالله بن زبيد، قاله محمّد بن سعد، وهي عمّة أُمّ الخليفة يزيد بن الوليد[1]. إنتهىٰ كلام الذهبي.

وحسبك دلالةً علىٰ ماقلناه أنّه روىٰ هذا القول عن ابن جرير الطبري والمبرّد، وهما ما هما، ولم يسند القول الآخر إلىٰ قائل معيّن، ولو كان ممّن لا نسبة له إليهما وستر ضعفه الذي لا يخفىٰ على الخبير بقوله «وقال كثير».

ثمّ القائل إنّ أمّ زين العابدين عليه السلام من غير ولده ـ أي يزدجرد ـ هلاّ عيّنها ولو بالإسم، كما جرت به عادة النسّابين والمؤرّخين، فعدم التعيين والتبيين علىٰ سفسفة هذا القول دليل متين.

صحّة نكاح الملل الأُخرىٰ

قال صاحب عمدة طالب: وقد أغنى الله تعالىٰ علي بن الحسين عليهما السلام بما حصل له من ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله عن ولادة يزدجرد المجوسي المولود من غير عقدٍ، علىٰ ما جاءت به التواريخ[2].

---

(١) تاريخ الاسلام ٦: ٤٣٩، ترجمة الإمام زين العابدين عليه السلام.

(٢) عمدة الطالب ص ٢٣٦.

أقول: في هذا سوء أدب على الإمام زين العابدين في عصره من بني هاشم وسائر العرب، وسيّد الناسكين إلىٰ العلم والعمل من كلّ حدب؛ لأنّه لم يكن يليق منه هذا القول إلاّ بعد أن يبرّىء علي بن الحسين عليه السلام من ولادة الفرس، وينفي ذلك، ويدفعه أشد دفع وأسدّه، وهو لم يفعل ذلك بل فعل ضدّه، فإنّه نسب ولادتة إلى الفرس على المشهور، وأسند ذلك إلى ابن جرير والمبرّد، وهما عمدة الجمهور، وهذا من أدلّة تحامله علىٰ بني الحسين.

وإذا بلغ في ذلك إلىٰ مثل علي بن الحسين عليه السلام، فكلّ من علماء الإسلام يدفع باليدين نبله عن العين، ويتمثّل للباطل والمين، دُهْدُرَّين سعد القين.

والجواب الشافي للمريض عن هذا التعريض: أنّه لا خلاف بين أهل الإسلام في تقرير أنساب الكفّار المترتّبة علىٰ مناكحهم إطلاقاً من غير تفصيل.

ألا تراهم يرفعون أنساب المسلمين من الصحابة ومن بعدهم من العرب إلىٰ عدنان، بل إلىٰ إسماعيل ونوح عليهما السلام، وإلىٰ آدم عليه السلام، ومن الفرس إلىٰ نوح عليه السلام، وكذلك من الترك والروم والقبط وغيرهم، منتهين بالنسب إلىٰ أحد الأجداد المشاهير، حاكمين بانتساب ذلك المنسوب إليه، ثم إلىٰ أحد أولاد نوح الثلاثه، ثمّ إلىٰ آدم، لا يفرّقون في طرد النسب بين أجداده المسلمين والكفّار من أيّ نحل الكفّار كانوا.

ولو استقام له هذا التعريض، لاطّرد في أنساب الصحابة، ولا سيّما سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ وغيره من المنسوبين إلىٰ فارس، بل يترقّىٰ ذلك ـ والمعاذ بالله والبراءة إلى الله تعالىٰ منه ـ إلىٰ نسب نبينا صلى الله عليه وآله، إلاّ علىٰ مذهب من

يقول بإيمان آبائه صلى الله عليه وآله وسلم إلى آدم عليه السلام[١]، وليس ذلك بإجماعي[٢]، وإن أيّده ابن حجر في شرح الهمزيّة، والسيوطي في رسالة مسالك الحنفا في والدي المصطفى[٣].

---

(١) وهو المذهب الحقّ الصريح عند الإمامية، ويدلّ عليه الآيات والروايات المستفيضة، ولا مجال هنا لذكرها، وقد صنّفوا في ذلك الكتب والرسائل.
(٢) وذلك أنّ بعض العامّة لا يعتقدون ذلك.
(٣) مسالك الحنفا في والدي المصطفى ص ١٩١ ـ ٢٢١، المطبوع في المجلّد الثاني من الحاوي للفتاوي، وهي مجموعة رسائل للحافظ السيوطي.
وقد أثبت في هذه الرسالة إيمان والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالآيات والروايات المستفيضة، قال: فعرف من مجموع هذه الآثار أنّ أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا مؤمنين بيقين.
وقال أيضاً في الأمر الرابع: وممّا ينتصر به لهذا المسلك أنّه قد ثبت عن جماعة كانوا في زمن الجاهلية أنّهم تحنّفوا وتديّنوا بدين إبراهيم عليه السلام وتركوا الشرك، فما المانع أن يكون أبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم سلكوا سبيلهم في ذلك.
وقال أيضاً: وكذلك نقول في حقّ أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّهما لم يثبت عنهما حالة كفر بالله، ثمّ أجاب عن الروايات المزوّرة التي نقلوها في كفر والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
وقال أيضاً في المسلك الثالث: إنّ الله أحيا له صلى الله عليه وآله وسلم أبويه حتّى آمنا به، وهذا المسلك مال إليه طائفة كثيرة من حفّاظ المحدّثين وغيرهم، منهم ابن شاهين، والحافظ أبوبكر الخطيب البغدادي، والسهيلي، والقرطبي، والمحبّ الطبري، والعلاّمة ناصرالدين بن المنير، وغيرهم.
والظاهر من مجموع كلامه أنّ أكثر أهل العامّة من المحدّثين وغيرهم يعتقدون ⇩

ولئن كان في أنكحة الفرس ما ذكره، فإنّ في أنكحة كفّار العرب نكاح المقت، وهو نكاح زوجة أبيه النازل فيه قوله عزّوجلّ ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلاّ ما قد سلف إنّه كان فاحشةً ومقتاً وساء سبيلاً﴾(١) .

وقوله تعالىٰ ﴿إلاّ ما قد سلف﴾ في الإخبار بوقوعه منهم، كما أنّ هذا الإستثناء المنقطع نصّ في غفران السالف منه. وفيهم الجمع بين الأُختين، وقوله تعالىٰ ﴿وأن تجمعوا بين الأُختين﴾(٢) نصّ كذلك في الأمرين .

فلو كان ما عرض به في أنكحة الفرس خللاً أو طعناً في الأنساب، للزم مثله في أنساب العرب؛ لأنّ جميع ذلك نكاح حرام بالضرورة من دين الإسلام، ولئن كان ما في مناكح العرب أقلّ قبحاً، فإنّه أصحّ نقلاً لإخبار القرآن الكريم بذلك .

وما ذكره عن مناكح الفرس، إنّما نسبه إلىٰ التواريخ، وهذا التعريض الخبيث يترقّىٰ بالسير الحثيث إلىٰ تحقّق معرّة المعرّي في قوله البيتين :

إذا مــا رأيــنا آدمــاً وفـعاله وتزويجه بنتيه لابنيه في الخنا

فإنّ الأُخت من أقرب المحارم في الدين الإسلام، فلا يتوجّه إلىٰ المعرّي في

ـه بإيمان والدي النبيّ ﷺ، إلاّ من اغترّه بعض الروايات المزوّرة المفتعلة في زمن معاوية، فحكم ـ والعياذ بالله ـ بكفرهما، والشيعة الإمامية تبرأ ساحتهما وساحة والد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عن الكفر والشرك، بل تعتقد أنّ إيمان والدي النبي ﷺ ووالد الإمام علي بن أبيطالب عليه السلام في أعلا مراتب الإيمان، ولهم في ذلك كتب ورسائل مبسوطة، فراجع .

(١) سورة النساء: ٢٢ .

(٢) سورة النساء: ٢٣ .

البيتين ملام، وكيف يستقيم ما بنىٰ عليه التعريض، أو ينفع في عليله التمريض؟ وقد أثبت القرآن الكريم زوجية إمرأة فرعون بإضافتها إليه (١)، وفي ذلك ثبوت النسب، وكذلك امرأة العزيز (٢)، وحمّالة الحطب امرأة أبي لهب (٣)، وكأنّه من هنا أخذ العلماء تقرير أنساب الكفّار إطلاقاً، وقالوا بذلك إجماعاً واتّفاقاً.

فضائل العجم

قال صاحب عمدة الطالب: والعرب لا تعدّ للعجم فضيلةً وإن كانوا ملوكاً، ولو اعتدّوا بالملك فضيلة، لوجب أن يفضلوا العجم على العرب، وقحطان علىٰ عدنان، وليس (٤) ذلك عندهم شيئاً يعتدّ به (٥).

أقول: وهذا علىٰ إطلاقه غير مسلّم، وليت من لم يعلم تعلّم، فإنّ العرب إنّما لم تعدّ للعجم فضيلة بالنسبة إلىٰ العرب لا مطلقا، وإلاّ فعلماء النسب والتأريخ والشعراء والخطباء من العرب لم يزالوا يفضلون بعض العجم علىٰ بعض، ويعتنون ببيان ذلك، ويفخرون بفضل بعضهم علىٰ بعضٍ، كالفرس على الروم، والروم على الترك، والترك على الزنج، وكبعض أنواع الجنس منهم علىٰ غيره من أنواعه، كاليونان من الروم، والنوبة من الزنج، وأهل الهند من نسل حام، ثم الحبشة بعدهم، واليونان من نسل يافث.

---

(١) قوله تعالىٰ ﴿وقالت امرأة فرعون قرّة عين لي ولك﴾ الآية. القصص: ٩.

(٢) سورة يوسف: ٣٠ و ٥١.

(٣) سورة المسد: ٤.

(٤) في العمدة: ولكن ليس.

(٥) عمدة الطالب ص ٢٣٦.

ومن وقف علىٰ أشعار العرب من الجاهلية والإسلام، وخطبهم ومحاوراتهم، وكلمات علماء علوم العرب، تحقّق ما ذكرناه، وتصدّق ما سطرناه، بل ذلك موجود في الأحاديث الشريفة النبويّة .

فما فيها ممّا يدّل علىٰ فضل جيل على الأجيال، أو علىٰ جيلٍ غير قليل، كما في الصحيحين، والترمذي، ونقلته من مصابيح البغوي، والجمع بين الصحاح الستّة[1]، ولشرف الدين البارزي المسمّىٰ بتجريد الأُصول في باب فضل العجم والروم، عن أبي هريرة: كنّا عند النبي ﷺ إذ نزلت سورة الجمعة، فلمّا نزلت ﴿وآخرين لما يلحقوا بهم﴾[2] قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: وفينا سلمان الفارسي رضى الله عنه، فوضع النبي ﷺ يده علىٰ سلمان، وقال: لو كان الإيمان في الثريّا لناله رجال من هؤلاء[3] .

فتغيّر وجه الآخرين منهم بالفرس، لأنّ قوله ﷺ «لوكان الإيمان» الخ، جواب قول الصحابة «من هم يارسول الله؟» وذلك يقتضي أن يكون الفرس تالين في الفضل للعرب المراد بالأمّيين في صدر الآية، وذلك يقتضي فضلهم علىٰ غيرهم من الأجيال .

وكذلك المدح في قوله «لوكان الإيمان» الخ، يقتضي فضلهم علىٰ غيرهم؛ إذ لم

---

(١) للشيخ أبي الحسن رزين بن معاوية العبدري السرقطي الأندلسي .

(٢) سورة الجمعة: ٣ .

(٣) صحيح البخاري ٨: ٦٤١، كتاب التفسير، وصحيح مسلم ٤: ١٩٧٣، كتاب فضائل الصحابة باب فضل فارس، ومصابيح السنة للبغوي ٤: ٢١٠ ـ ٢١١ برقم: ٤٨٧١ .

يرد فيهم مثل هذا المدح الديني البليغ.

ومثل ما ذكرناه في الدلاله قول القاضي البيضاوي في تفسير قوله تعالىٰ ﴿وإن تتولّوا يستبدل قوماً غيركم ثمّ لا يكونوا أمثالكم﴾[١]: في التولّي والزهد في الإيمان وهم الفرس؛ لأنّه سئل ﷺ عنه وكان سلمان إلىٰ جنبه، فضرب فخذه، وقال: هذا وقومه، أو الأنصار، أو اليمن[٢].

وقال القاضي في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه﴾[٣] وقيل: الفرس لأنّه ﷺ سئل عنهم، فضرب يده علىٰ عاتق سلمان، وقال: هذا وذووه[٤]. إنتهىٰ.

وورد في الروم حديث مسلم: تقوم الساعة والروم أكثر الناس[٥].

وفيه قول عمرو بن العاص: إنّ فيهم خصالاً أربعة وذكرها[٦]. وهو يقتضي فضلاً فيهم.

ووردت أحاديث في الحبشة، ذكرها مصنّف كتاب الطراز المنقوش[٧].

---

(١) سورة محمّد ﷺ: ٣٨.

(٢) تفسير البيضاوي ٢: ٤٠٦ طبع دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) سورة المائدة: ٥٤.

(٤) تفسير البيضاوي ١: ٢٧١.

(٥) صحيح مسلم ٤: ٢٢٢٢، برقم: ٢٨٩٨، باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس.

(٦) صحيح مسلم ٤: ٢٢٢٢.

(٧) هو كتاب الطراز المنقوش في محاسن الحبوش، لأبي المعالي علاءالدين محمّد ابن عبدالباقي البخاري المكّي خطيب المدينة، ألّفه سنة (٩٩١) واستمدّ فيه من ⇩

وفي غير الروم والحبشة تقتضي فضلاً في من وردت فيه. ومعلوم أنّ ذلك بالنسبة إلىٰ غيره من الأجيال عدا العرب.

وإنّما اقتصرنا علىٰ ما ورد في الفرس، لمناسبة مناط البحث والجدال، أعني أمّ سيد العلماء والعبّاد، وقطب الأبدال، سلام الله عليه وعلىٰ أبيه وعمّه وجدّه وجدّته الفائزين بأعلىٰ شرف وأعمّه، وهل بعد آية التطهير [١] وأحاديث الكساء الصحيحة [٢] من بدر في تمّة.

إقدام العقلاء لتحصيل المُلك وفضله

وكذلك لا نسلّم أنّ العرب لا تعدّ الملك على الإطلاق فخراً، ولا تجعله للمفاخرة ذخراً، بل ذلك بالنسبة والإضافة إلىٰ شرف النبوّة والخلافة، وشرف رؤسائهم وعظمائهم الذين أرّبوا على الملوك بالبأس والكرم، وعلّوهم بعلوّ الهمم، حتّىٰ أنّ منهم من فتك بالملك، أو بأعزّ ذويه في تخت ملكه، ومن أورد ملكاً

ـه رسالتي السيوطي أحدهما رفع شأن الحبشان، والآخر أزهار العروش في أخبار الحبوش، وفيه مقدّمة وأربعة أبواب وخاتمة، المقدّمة في أصل الحبوش، والباب الأوّل فيما يدلّ علىٰ فضلهم، والثاني في فضل النجاشي، والثالث في من عرف من الصحابة منهم، والرابع فيما ذكر أهل الأدب فيهم.

(١) قوله تعالىٰ ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾ سورة الأحزاب: ٣٣. وقد روى الفريقين أحاديث وروايات متواترة متضافرة جدّاً أنّ هذه الآية الشريفة نزلت في أهل بيت العصمة والطهارة علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

(٢) وهي الأحاديث المتواترة الواردة في شأن نزول آية التطهير، وقد رواه جمع غفير من الفريقين.

عظيماً حياض هلكه، وطمس جواري فلكه، وأغرق جوارد فلكه .

كعمرو بن كلثوم صاحب القصيدة المشهورة في فتكه لعمرو بن هند المأثورة، والبراق في قتله ملك الفرس بين جيوشه في مملكته وتخليصه بنت عمّه ليلىٰ من ملكته، والحارث بن ظالم مخلّص لقاح[١] خالته بزعم النعمان بن منذر، ثمّ قتل ولده ليخبر بتقاضيه وينذر، وقاتل جاره خالد بن جعفر في قبّة الملك المضروبة عليه، وما فرّ بل مشىٰ، فوصلت إليه كتيبة الدوسر فردّها وحده وكسرها، ومحىٰ أثر سيفه المغلوب أثرها .

وكليب بن ربيعة قاتل بالعدنانية تُبعاً وجيوشه القحطانية، فكسر ملك اليمن، وإنّما كليب من رؤساء ربيعة في ذلك الزمن، ثمّ لمّا عظم شأنه وعدّ من الملوك سلك فيه جسّاس ذلك السلوك، فأقدم عليه غير مبتهل، وقتله بناب من الإبل، إلىٰ غير ذلك[٢] .

وكيف لا تعدّ العرب الملك فضيلة؟ وقد قال نبيها سيّد الأنبياء ﷺ: السلطان ظلّ الله في الأرض، فمن أكرمه أكرمه الله، ومن أهانه أهانه الله[٣]. رواه أبو داود الطيالسي، والبيهقي في شعب الايمان، عن أبي بكرة[٤] .

وعنه: السلطان ظلّ الله في الأرض، يأوي إليه الضعيف، وبه ينصر المظلوم،

---

(١) اللقاح: ككتاب الإبل .

(٢) راجع تواريخ هؤلاء الملوك إلىٰ كتاب تاريخ الطبري وكامل ابن الأثير .

(٣) كنز العمّال ٦: ٤ برقم: ١٤٥٨٠ .

(٤) شعب الإيمان للبيهقي ٦: ١٧ برقم: ٧٣٧٣، ورواه الترمذي في جامعه ٥: ٤٣٥ برقم: ٢٢٢٤ .

ومن أكرم سلطان الله في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة. الحافظ محبّ الدين ابن النجّار[١].

وفي تاريخ بغداد: لا تسبّوا السلطان، فإنّه فيء الله في أرضه[٢]. أبونعيم في المعرفة، والبيهقي عن أبي‌عبيدة[٣]. وفي معناهما أحاديث أُخر[٤].

وروى الحاكم في المستدرك، والبيهقي في دلائل النبوّة، عن قتادة في قوله تعالىٰ ﴿واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾[٥] قال: علم نبي الله أنّه لا طاقة له بهذا الأمر إلاّ بسلطان، فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله وحدوده وفرائضه. تمام الأثر[٦].

والخطيب في تاريخ بغداد: عن عمر بن خطّاب: والله ما يزع بالسلطان أعظم ممّا يزع بالقرآن[٧].

قال السيوطي في رسالته في السلطان ومنها نقلت: قوله «يزع» أي: يكفّ، فإنّ المجرمين واللصوص ونحوهم لو قرأت علىٰ أحدهم القرآن كلّه لم يرتدع، فإذا أحسّ مأخذ السلطان إيّاه وعقوبته ارتدع[٨]. إنتهىٰ.

فإن قيل: الأحاديث مختصّة بسلطان الاسلام، وبالعادل المتّقي.

---

(١) كنز العمّال ٦: ٥ برقم: ١٤٨٢ عن ابن النجّار.

(٢) كنز العمّال ٦: ٦ برقم: ١٤٥٨٦.

(٣) شعب الإيمان للبيهقي ٦: ١٧ برقم: ٧٣٧٢.

(٤) راجع: كنز العمّال ٦: ٤ ـ ٦.

(٥) سورة الإسراء: ٨٠.

(٦) المستدرك على الصحيحين ٣: ٣.

(٧) كنز العمّال ٥: ٧٥١ برقم: ١٤٢٨٤.

(٨) نهاية ابن الأثير ٥: ١٨٠.

قلت: قوله «ولو اعتدّوا بالملك فضيلة» الخ، مطلق يدخل فيه هذا المقيّد، والقصد بيان بطلان إطلاقه.

وأيضاً هذه الأحاديث تستلزم تعظيم سلطان غير الإسلام من المتقدّم على زمان الإسلام إذا كان على الشريعة المعتبرة في ذلك الزمان، كمُلك طالوت مثلاً.

وأيضاً ما ذكر في الأحاديث من وصف السلطان اللازم له المرتّب عليه تعظيمه، يقتضي عظم مطلق السلطان؛ لأنّ ذلك الوصف لازم له، فليفهم ذلك.

ولولا شرف الملك لم يجب الله تعالىٰ بني إسرائيل إذ قالوا ﴿أنّىٰ يكون له الملك علينا﴾ بقوله عزّوجلّ ﴿إنّ الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ ولما أضافه إلىٰ نفسه بقوله ﴿والله يأتي ملكه من يشاء﴾[1] ولما سأله نبي الله سليمان عليه السلام بقوله ﴿وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾[2] ولما امتنّ به الله تعالىٰ علىٰ بني إسرائيل بقوله ﴿إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً﴾[3].

وقد افتخرت العرب قديماً وحديثاً بالمُلك والانتساب إلى الملوك، بل بالقرب من الملوك والعزّة عندهم، والمنال منهم، والوفادة عليهم.

هل المجد إلاّ السؤدد الفرد والندىٰ وجاه الملوك واحتمال العظائم

وإيراد ما قالوه في ذلك نظماً ونثراً يطول، وحسبك من ذلك أشعار القحطانية، ومنها: شعر حسّان بن ثابت، ودعبل الخزاعي، وغيرهما، وأنموذج ذلك مقصورة ابن دريد، فكلّهم افتخروا بالتبابعة ملوك حمير، وملوك كهلان والعدنانية.

---

(١) سورة البقرة: ٢٤٧.

(٢) سورة ص: ٣٥.

(٣) سورة آل عمران: ٢٠.

ولمّا قارعوهم على الفخر، وقابلوهم بـالنظم والنـثر، لم يسـفهوا افـتخارهم بالملوك، ولأسدوا طريقة المسلوك، وإنّما قابلوهم بالفخر بالنبيﷺ وعترته أهل بيته، وهم الخلفاء من قريش، وبمساعي رؤساء عدنان المنيفة عـلىٰ مـملكة قحطان، ونحو ذلك.

وفي مخاطبة أبيبكر وهو مع النبيﷺ لقوم من ربيعة وقد سألهم ممّن أنـتم؟ فقالوا: من ذهل الأكبر وافتخروا به، فقال: أفمنكم عوف الذي يقال لا حرّ بوادي عوف؟ قالوا: لا، قال: أفمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنعمها؟ قـالوا: لا، قال: أفمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة؟ قـالوا: لا، قـال: أفـمنكم أخـوال الملوك من كندة؟ قالوا: لا، قال: أفمنكم أصهار الملوك من لخم؟ قالوا: لا، تـمام القصّة، وهي مذكورة في أوّل كتاب نهاية الأرب في أنساب العرب للقلقشندي (١)، ومروية في الجامع الكبير للسيوطي.

فجعل أبوبكر من مفاخرهم مصاهرة الملوك وخؤولتهم، فما بالك بنفس الملك.

وقوله «أفمنكم الحوفزان» الخ، يدلّ علىٰ ما قلناه آنفاً، فاعرفه.

ولولا أنّ الملك فضيلة وفخر لقبح ولم يحسن البيت الذي قيل قديماً في مدح الإمام علي بن الحسين، وهو:

وإنّ غلاماً بين كسرىٰ وهاشمٍ   لأكرم من نيطت عليه التـمائم

وقبح أيضاً إفتخار بعض السادة العلماء الأتقياء الداخـلين بـالقناعة والزهـد مملكة الأولياء، بقوله يخاطب بعض ملوك اليمن من أبيات:

ملوكٌ على التحقيق ليس يفوتنا   مـن المـلك إلاّ إثـمه وعـقابه

---

(١) نهاية الأرب في أنساب العرب للقلقشندي ص ١٥.

لأنّه تمدّح بمشابهة الملوك في الاستغناء والتصرّف في القلوب الذي هو أعلىٰ من تصرّفهم بالأجساد، بل لم يحسن قوله عزّوجلّ ﴿الرحمٰن على العرش استوىٰ﴾[١] لأنّ حاصل الاستعارة التمثيلية، كما قرّره في الكشّاف[٢]: الرحمٰن ملك من الملك بضمّ الميم، إستعار لهذا المعنىٰ الإستواء على العرش، وهو سرير الملك، فلولا فضيلة الملك وفخره عند العرب لم يخاطبهم الله عزّوجلّ بذلك، دلالة علىٰ عظيم مجده وكبريائه، وثناءً علىٰ نفسه عزّوجلّ.

هذا، وقول صاحب عمدة الطالب «لوجب أن يفضلوا العجم على العرب» قد حصل جوابه ممّا قرّرناه، فعليك باستخراجه واطّلاع نجم الصباح من أبراجه، والله أعلم.

عدم اجتماع الملك والنبوّة

قال صاحب عمدة الطالب: وقد ألحّ[٣] بعض العوام وكثير من بني الحسين بذكر هذه النسبة، وقالوا: جمع علي بن الحسين عليهما السلام بين النبوّة والملك، وليس ذلك بشيء، ولو ثبت علىٰ ما عرفته[٤].

أقول: أمّا إلحاح بني الحسين، فلم نره، وإنّما قد يذكره الذاكر منهم، وقد يذكره الذاكر من غيرهم؛ لأنّ الجمال لا يخفىٰ، والكمال لا يخفىٰ.

ففي ربيع الأبرار للزمخشري: عن النبي ﷺ: إنّ لله تعالىٰ من عباده خيرتين:

---

(١) سورة طه: ٥.

(٢) الكشّاف ٢: ٥٣٠.

(٣) في العمدة: وقد لهج.

(٤) عمدة الطالب ص ٢٣٦.

من العرب قريش، ومن العجم فارس، فكان يقال لعلي بن الحسين عليهما السلام: ابن الخيرتين؛ لأنّ أُمّه سلافة كانت من ولد يزدجرد[1]. إنتهىٰ.

وفيه مزيد ردّ علىٰ صاحب عمدة الطالب فيما مرّ الكلام فيه.

ولبني الحسين من مفاخر الآباء الكرام، ومآثرهم العظام، المعدودة في الأحياء وإن كانت رفاتاً بالممادح العظام، ما يغنيهم عن ذكر مفخر الخال، والتشبّه بالبغال، كلّ ذلك مع سلوك الأدب الحسن بقطع النظر عن المفاضلة بين الحسين والحسن عليهما السلام، فهم يتشحّون من الفخر الديني والدنيوي بسمطين، مع التأدّب واحترام قدر السبطين، بخلاف صاحب عمدة الطالب، حيث توصّل بحطّ الحسين عليه السلام عن الحسن عليه السلام إلىٰ هذه المطالب.

وقد نظمت هذا المعنىٰ في أبيات كتبتها علىٰ حاشية كتابه، وأشعرت فيها بعتابه، وسأبثّها بعد ذكر المفاخر، تلو تنزيه الحسنين عليهما السلام عن عطاس تلك المناخر، وإن كان عطاساً تشمّته أملاك الجنان، ويصدق في مثله حديث العطاس من الرحمٰن؛ لأنّه من فوائح روائح الكتاب والسنّة، ومواد الأدلّة المدلّة بالإيصال إلى الجنّة، إن شاء الله تعالىٰ، وله الحمد والمنّة، وبه الحول والمنّة.

وأمّا قوله صلى الله عليه وآله «وليس ذلك بشيء ولو ثبت» فقد علمت ممّا قدّمناه أنّه شيء يسمو به الشريف، ومزاعمه يتمنّاه؛ إذ قد ثبت أنّ الملك فخر سني، والعرب في مفاخرها تلمّ به بل تعتني، والعرف حاكم في كلّ زمان حتّىٰ علىٰ الحسيني والحسني، بأنّ من كانت أُمّه من فخذ الملوك، له جلالة علىٰ من أبوه سوقة أو صعلوك، والفخر بالخال كلام العرب منه غير خال، بشرط أن يكون عارض الآباء

(١) ربيع الأبرار للزمخشري ١: ٣٣٤.

صادق الخال، وإلاّ كان الفاخر في جيش البغال، يحقّق عليه الخال.

علىٰ أنّ بني الحسين تركب هاهنا الجياد الجردة عن الفخر بولادة يزدجرد إلى الفخر الشرعي الوثيق الحقيق، بالإذعان والتصديق بولادة أبي‌بكر[١].

قال الشريف الرضي الذي قال فيه صاحب عمدة الطالب وغيره: إنّه أشعر قريش[٢]، من أبيات فخرية:

أخذنا عليكم[٣] بالنبي وفاطمٍ ... طلاع المساعي من مقامٍ ومقعد
وطُلنا بسبطي أحمد ووصيه ... رقاب الورىٰ من متهمين ومنجد
وحزنا عتيقاً وهو غاية فخركم ... بمولد بنت القاسم بن محمّد
فجدٌّ نبي ثمّ جدٌّ خليفة ... فأكرم بجدّينا عتيقٍ وأحمد[٤].

إفتخر بأُمّ فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي‌بكر، فإنّها والدة جعفر الصادق عليه السلام، وأُمّها أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي‌بكر، ولهذا كان الصادق عليه السلام يقول: ولّدني أبوبكر مرّتين، قاله صاحب عمدة الطالب[٥]، وغيره من أهل النسب والتاريخ.

فما يقول في ذلك صاحب عمدة الطالب؟ أيقدر أن ينطق في هذا الفخر ببنت

---

(١) لا ينكر هذه الولادة، ولكن الفخر من جهة الولادة من محمّد بن أبي‌بكر، الذي كان من خلصّ الموالين والمعتقدين والمطيعين لإمام زمانه الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي‌طالب عليه السلام، والذي تربّىٰ في حضن الولاية والمحبّة.

(٢) عمدة الطالب ص ٢٥٣.

(٣) في الديوان: عليهم.

(٤) ديوان الشريف الرضي ١: ٣٥٩. وفيه بعد الأبيات قوله:

وما افتخرت بعد النبي بغيره ... يد صفقت يوم البياع على يد

(٥) عمدة الطالب ص ٢٣٨.

شفه، أو يدخل في التمر التوحيدي حشفه[١].

الحسن والحسين عليهما السلام من أحفاد الملوك

قال صاحب عمدة الطالب: ثمّ إنّ فاطمة بنت الحسين أمّ أولاد الحسن المثنّى ابن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهي فيما يقال من أمّ علي زين العابدين عليه السلام، فإن كانت ولادة كسرىٰ فضيلة، فقد حصلت لأولاد الحسن عليه السلام أيضاً[٢].

أقول: أراه قد حرص على إدخال أولاد الحسن عليه السلام في ولادة كسرىٰ، وعرّس في هذا المنزل وما أسرىٰ، وبنو الحسين تتلوا بذلك ﴿إنّ مع العسر يسرا﴾[٣] إذ دخل بكلامه هذا بنو عمّهم معهم في ذلك التعريض الذي أسمعهم، وهو ولادة المجوس الناكحين بغير عقد، فقد أمكن الله تعالىٰ منه بغير عهد ولا عقد، وهذا في فنّ الجدل من باب إعطاء السلاح في الحرب للخصم، وقد صان الله تعالىٰ كلاًّ من الفريقين عن كلّ وصم، وقد سبق منّا دفع تعريضه بالفصم والقصم، لكن هذا الكلام لمداواة تلك الكلام.

تمنّىٰ لقائي فلاقيته ... فعاد الغبار على المرهج

براءة ساحة الحسنين عليهما السلام عن المفاخرة

قال صاحب عمدة الطالب: علىٰ أنّ الحسن عليه السلام كان إماماً على أخيه

---

(١) ولي تحقيقات رشيقة في إبطال هذه المفاخرة. وإنّما ذكره أصحابنا الإمامية، إعطافاً للقلوب القاسية من المعاندين، ومع ذلك نراهم يكفّرونهم ويحكمون بإباحة عرضهم ودمائهم.

(٢) عمدة الطالب ص ٢٣٦.

(٣) سورة الشرح: ٦.

الحسين عليه السلام، يجب عليه طاعته، ولم يكن الحسين عليه السلام إماماً للحسن عليه السلام قطّ. وهي الفضيلة التي يلتجيء إليها بنو الحسن عليه السلام إذا عورضوا بتلك الولادة، أو بغيرها ممّا تقوله الإمامية[(١)].

أقول: هذا سوء الأدب الذي نبّهنا سابقاً عليه. وما أعلم ما الذي اضطرّه إليه، فإنّ المفتخر بتلك الولادة أو بغيرها ـ كما أفاده ـ لمّا طار إلىٰ قلل الفخار لم يرفرف بالجناحين في جوّ الحسنين عليهما السلام، وإنّما حام في طبقة أبنائهما مسفّاً عن سمائها، والبطل من قابل السيف بالعصا، لا قابل العصا بالسيف، والمنصف في الجدل من لا ينقل البحث ولا يغيّر ما هو عليه من الكيف، اللّهمّ إلاّ أن يعجز عن السبح ويكاد يغرق، فهو بكلّ حبل يعلق، وقد يقع حينئذ في مضرب المثل: الشقي بكلّ حبل نخيق.

وإذا حذرت من الأُمور مقدّراً وفررت منه فنحوه تتوجّه

واعلم أنّ المفاضلة بين الحسنين عليهما السلام طريقاً لم أر من يرغب في سلوكها، ويعتني بنظم الأدلّة في سلوكها، لا من الشيعة زيديتها وإماميتها، والظاهر أنّ صاحب عمدة الطالب من الزيدية[(٢)]، ولذلك قدّمناهم، ولا من المعتزلة، وهم والزيدية شيء واحد، والإمامية تخالفهم[(٣)] في مسائل عديدة توافق فيها أهل السنّة

---

(١) عمدة الطالب ص ٢٣٦.

(٢) بل الحقّ أنّه من الشيعة الإمامية، كما مرّ بيانه.

(٣) وهناك روايات متواترة عن أهل العصمة عليهم السلام في الاجتناب عن مذهب الزيدية وعن اتّباعهم، إلاّ من سلك منهم مسلك أهل البيت عليهم السلام.

والجماعة[١]،كما يستفاد من التجريد[٢]،ويبيّن في شرحه القديم والجديد،ولا من أهل السنّة والجماعة .

وقد سبق بيان وجه الترتيب في الذكر، فلينصرف توهّم التعظيم والتحقير عن الفكر، وكان عدم الاعتناء بالمفاضلة بينهما عليهما السلام ما ذكرناه سابقاً، من عدم وجود نصّ صحيح، كما وجد في تفضيل أبيهما عليهما، ولا دليل اعتباري صريح يوجّه المفاضلة إليهما .

ألا ترىٰ إلىٰ كلام ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة، وهو كتاب يقارب الكشّاف في قبول القلوب وإقبالها عليه، وإن كان مذهب الاعتزال يقتضي النفرة والاعتزال؛ لاتّساع هذا الكتاب ومهارته في علوم الأدب، وإمتاعه الناظر فيه بإيساعه دائرة النقل من الحديث والسير والحكم والأمثال وكلام العرب .

حيث قال في أثناء شرح وصية أميرالمؤمنين علي لابن الحسن عليهما السلام عند قوله عليه السلام «وخض الغمرات إلى الحقّ حيث كان»[٣] ما هذا لفظه: لا شبهة أنّ الحسن عليه السلام لو تمكّن لخاضها، إلاّ أنّ من فقد النصّار لا حيلة له .

وهل ينهض البازي بغير جناح

والذي خاضها مع عدم الأنصار هو الحسين عليه السلام، ولهذا عظم عند الناس قدره، فقدّمه قوم كثير على الحسن عليه السلام[٤] .

---

(١) في عدم المفاضلة بين الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، كما تقدّم .

(٢) تجريد الاعتقاد ص ٢٩٣ .

(٣) نهج البلاغة ص ٣٩٣ رقم الوصية: ٣١ .

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٦٥ .

أقول: لو تعلّق بنو الحسين عليه السلام بهذا الكلام، وجيّشوا منه جيشاً تخفق فيه الأعلام، كما تعلّق صاحب عمدة الطالب بفضيلة الإمام لانتصفوا منه، ولم يكن عليهم في ذلك ملام، لكن إجلال قدر الحسنين عليهما السلام عن المفاضلة أولىٰ بمن يؤثر مثوبات الآخرة علىٰ مثوبات الأُولىٰ.

عاد كلام ابن أبي‌الحديد، قال: فان قلت: فما تقول أصحابكم في ذلك؟

قلت: هما عندنا في الفضيلة سيّان. أمّا الحسن عليه السلام، فلوقوفه مع قوله تعالىٰ ﴿إلاّ أن تتّقوا منهم تقاة﴾(١) وأمّا الحسين عليه السلام، فلإعزاز الدين(٢). إنتهىٰ.

فانظر من هذا الكلام حال الدليل الاعتباري في هذه المفاضلة. فإنّه لمّا ذكر دليلاً علىٰ فضل الحسين عليه السلام عارضه بدليل المساواة بينهما، فدلّ ذلك علىٰ عدم دليل اعتباري صريح في هذه المفاضلة.

وإن كان يمكن أن يورد علىٰ دليل المساواة، أنّ آية التقاة غاية مدلولها الفضيلة لا الأفضلية، وإعزاز الدين الوافي بامتثال قوله تعالىٰ ﴿وجاهدوا في الله حقّ جهاده﴾(٣) و ﴿فضّل الله المجاهدين﴾(٤) الآية، يقتضي الأفضلية.

وكذلك الدليل علىٰ فضل الحسن عليه السلام بالإمامة، يرد عليه إن عنيتم الإمامة المستحقّة بالنصّ، كما هو رأي الزيدية والإمامية.

قال مصنّف البحر الزخّار في اختلاف علماء الأمصار، للإمام أحمد بن المهدي

---

(١) سورة آل عمران: ٢٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ١٦: ٦٥.

(٣) سورة الحجّ: ٧٨.

(٤) سورة النساء: ٩٥.

علي بن محمّد بن علي بن منصور بن يحيى بن مفضّل بن الحجّاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن الإمام يوسف الداعي بن يحيى بن أحمد الناصر بن يحيى الهادي بن الحسين بن القاسم الرسّي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنّى بن الحسن بن علي بن أبي طالب، يعلم ذلك من قوله في تصنيفه هذا في فصل تعداد أئمّة الزيدية(١).

ثمّ قال: والدنا الإمام المهدي علي بن محمّد، وساق النسب كما سطرناه إلىٰ يحيى الهادي، قال في تصنيفه المذكور ما هذا لفظه:

مسألة: المعتزلة والأشاعرة علىٰ أنّه لم ينصّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم علىٰ إمام بعده، الزيدية بل نصّ علىٰ علي والحسنين عليهم السلام، الإمامية علىٰ اثني عشر عليهم السلام(٢). إنتهىٰ.

فنقول: تقدّم إمام علىٰ إمام في الإمامة المستحقّة بالنصّ تقدّماً زمانياً، لا يدلّ علىٰ فضل المقدّم؛ إذ لا مدخلية للتقدّم الزماني في أكثرية الثواب، ولا في كثرة الخصائص والمزايا.

ومتىٰ قيل: إنّما قدّمه الله؛ لأنّه أكثر ثواباً أو خصائص.

أُجيب: باحتمال أن يكون التقدّم لمصلحة تابعة للزمان وأهله، كما قالوه في باب النسخ لا للفضل، وإذا قام الاحتمال سقط الاستدلال.

ويجاب أيضاً بالآية المنسوخة؛ إذ لو تمّ هذا الاستدلال لكانت أفضل؛ لتقدّم ثبوت حكمها على الناسخة تقدّماً زمانياً، وبأنّه يلزم هذا الاستدلال أن يكون كلّ منصوص عليه متقدّم في الزمان أفضل ممّن بعده، فعلىٰ طول الزمان وكثرة عدد

---

(١) البحر الزخّار ١: ٤٤٦.

(٢) البحر الزخّار ١: ١٠٥.

الأئمّة يحصل طبقات كثيرة يكون بها الإمام الأخير الذي لا إمـام بـعده أسـفل سافلين، فيسفل عن درجة أقلّ رعيته في الفضـل، وهـذا لا يـقبله عـاقل، وهـو السفساف.

وفي حكايات كتب السير والتواريخ: أنّ بعض الخـلفاء حـاول الطـعن فـي عثمان، فقال: إنّ أبابكر خطب علىٰ درجة تحت التي كان يخطب النبيﷺ تأدّباً واحتراماً، وانّ عمر خطب تحت درجة أبيبكر كذلك، وعثمان صعد علىٰ درجة النبيﷺ، فقال له بعض جلسائه: لولا صنيع عثمان لكنت تخطبنا اليوم من قعر بئر بل من تخوم الأرض، أو ما هذا حاصله[١].

وهذا الإلزام يتمشّىٰ أيضاً علىٰ مـذهب نـصب الإمـام بـاختيار الأُمّـة؛ لأنّ الاختيار قائم مقام النصّ[٢]، فمن قدّره الله تعالىٰ أن يسبق اختيار الأُمّة إيّاه على اختيارها أُخَر، يكون قدّر الله تعالىٰ تقدّمه في الزمان على الآخر وهكذا، فيجيء الإلزام المذكور.

ويلزم أيضاً أن يكون يزيد بن معاوية والوليد بن عبدالملك الفاسقان بإجماع

---

(١) وهذا من أدلّ الدلائل علىٰ تجاسره وهتكه لمنصب الرسالة ومقام النبوّة.

(٢) هذا علىٰ مذهب أهل العامّة، وأمّا علىٰ مذهب الشيعة الإمـامية، فـإنّ النـصّ عندهم هو السبب الوحيد لاختيار الإمام، حيث انّ المعصوم هو من لا يـعصي الله تعالىٰ طرفة عين من حين ولادته إلىٰ وفاته، وهذا لا يعلمه إلاّ الله تعالىٰ أو من نصبه الله تعالىٰ، فالرسول الأعظمﷺ نصب الإمام علي بن أبيطالبعليه السلام خليفة للأُمّة بعد وفاته، وهكذا الإمام نصّ على الخليفة من بعده وهو الإمام الحسنعليه السلام، إلىٰ آخـر الأئمّة الاثني عشرعليهم السلام.

وأشباههما أفضل من عمر بن عبدالعزيز .

وإن عنيتم الإمامة بالاختيار يرد أنّه لو كان مجرّدها يقتضي التفضيل المطلق على من لم يلها، لكان معاوية أفضل من سعد بن أبي وقّاص وسعيد بن زيد، وهما من العشرة المبشّرة[(١)]، وعابثاً إلى خلافة معاوية وبايعاه ودخلا تحت طاعته، وأفضل من الحسن والحسين عليهما السلام وعبدالله بن عبّاس، وعبدالله بن عمر وأشباههم، بل يكون يزيد بن معاوية وعبدالملك بن مروان أفضل من ابن عمر والحسين بن علي وعبدالله بن عبّاس وعلي بن الحسين والقاسم بن محمّد بن أبي‌بكر، وهلمّ جرّاً .

فإن قيل: إنّ تولّي الخلافة فضيلة لا تنكر؛ لأنّ أعمال الخليفة في مصالح المسلمين أعمّ نفعاً وأشقّ، فتكون أكثر ثواباً، ولأنّه يكون أكثر وأعظم خصائص ومزايا، لكن قد يكون في من لم يتولّها من الفضائل والخصائص والأعمال الجماعة للوصفين، كنشر العلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما يعادل فضيلة الخلافة ويزيد ويربو عليها .

---

(١) هنا سؤال، كيف يكون لمعاوية فضل؟ وهو ممّن حارب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو من العشرة المبشّرة، وقتل معاوية الأبدال والزهّاد، أمثال حجر بن عدي، وعمّار بن ياسر، وسلّط ابنه يزيد على الأمّة، ويزيد دمّر البلاد والعباد، وقتل الإمام الحسين عليه السلام سبط الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وأباح قتل أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وآله، وأقدم على تخريب الكعبة الشريفة، وغيرها؟ ولا مجال هنا للتفصيل، والمؤلّف رحمه الله يتكلّم هنا كما صرّح مراراً في تضاعيف الكتاب على مذهب القوم، إفحاماً للحجّة .

قلنا: كلامنا إنّما هو في التفضيل المطلق؛ لأنّه يبتنىٰ عليه، ويرجع إليه كلام صاحب عمدة الطالب. وأمّا ما ذكرتم فمسلّم.

ويقال عليه: يجوز أن يكون في الحسين عليه السلام من الفضائل المختصّة به والأعمال ما يساوي فضيلة الخلافة في الحسن عليه السلام، ولا تقول يزيد، فنخالف الأدب السديد، ونلجأ في المساواة إلىٰ ما ذكره ابن أبي‌الحديد، ونبدىء فيه ونعيد، وإلىٰ غير ذلك من خصائص لا يليق نشر أرجها الفتيق، إذ يتعرّم للتفضيل سكر ذلك الرحيق، ولولا الاحترام والأدب الوثيق لأتتك رجالاً وعلىٰ كلّ ضامر يأتين من كلّ فجّ عميق.

وفي المقام كلام قد يؤثر الكلام طويناه علىٰ غيره، وفرخ الطائر فاتح فاه لفرّ، فتركنا حلوه حذار مرّه، وهو يتعلّق بأن يقال: إنّ خلافة الحسن عليه السلام من خلافة النبوّة، وهي الثلاثون المجلوّة، فهي تقتضي زيد فضله وعلوّه، فيجاب بأنّها أيضاً لا تقتضي التفضيل المطلق، وإن اقتضت أزيد من فضل مطلق الخلافة، وإلاّ لاكتفىٰ في تفضيل الخلفاء الأربعة علىٰ جميع الصحابة بالخلافة، واكتفىٰ في ذلك أيضاً في تفضيل السابق منهم على اللاحق.

فصاحب عمدة الطالب وقومه الأكارم الأطائب إن كانوا ممّن يقولون في الخلافة بالاختيار، لزمهم ما يلزمهم بالإجبار، وإن لم يكونوا منهم، فليتجاوز عن هذه الاستدلال وعنهم.

علىٰ أنّه يمكن أن يقال: لا نسلّم أنّ الحسين عليه السلام لم يلي الخلافة، فإنّه قتل وفارق الدنيا وليس في عنقه بيعة لخليفة؛ لأنّه بعد موت معاوية الذي بايعه هو وأخوه الحسن عليه السلام بعد الصلح والنزول له عن الخلافة مع كراهة الحسين عليه السلام لذلك، كما في كثير من النقل، لم يبايع يزيد ولا غيره إلىٰ أن فارق الدنيا، وقد بايعه عليه السلام

بالخلافة أكثر أهل الكوفة، وهم الذين بمبايعتهم ثبتت خلافة الحسن عليه السلام، وفيهم من الصحابة سليمان بن صرد الخزاعي.

نصّ علىٰ ذلك الذهبي في تاريخ الاسلام[١]، بايعوا بذلك له رسوله إليهم والوكيل عنه والقائم مقام نفسه ابن عمّه مسلم بن عقيل رضي الله عنهما.

قال ابن حجر في الصواعق: وقدّم أمامه مسلم بن عقيل، فبايعه من أهل الكوفة اثناعشر ألفاً، وقيل: أكثر من ذلك[٢]. إنتهىٰ.

وقال في شرح الهمزية، إنّ يزيد لمّا استخلف سنة ستّين أرسل لعامله بالمدينة أن يأخذ له البيعة على الحسين عليه السلام، ففرّ الىٰ مكّة خوفاً علىٰ نفسه، فأرسل إليه أهل الكوفة ليبايعوه ويمحوا ما هم فيه من الجور. إلىٰ أن قال: وقدّم أمامه مسلم بن عقيل، فبايعه من أهل الكوفة اثناعشر ألفا[٣]. إنتهىٰ.

وقال صاحب عمدة الطالب: فأرسل إليهم ابن عمّه مسلم بن عقيل، فبايعه ثمانية عشر ألفاً، فأرسل إلى الحسين عليه السلام يخبره بذلك، فتوجّه إلى العراق[٤]. إنتهىٰ.

فهذه المبايعة مع كونه عليه السلام ليس في عنقه بيعة لأحد تقتضي اتّصافه بالخلافة، وليس المدّة ما بين مبايعتهم له وقتله في عدم تصرّفه بالأمر والنهي بنفسه أو تصرّف وكيله مسلم بن عقيل، بأنكد وأشأم من مدّة أخيه عليه السلام مذ بويع إلىٰ أن صالح معاوية، وهي ستّة أشهر، فقد قاسىٰ عليه السلام في تلك المدّة من أصحابه البلاء الأكبر، ولم

---

(١) تاريخ الاسلام للذهبي ٤: ١٧٠ ـ ١٧١.

(٢) الصواعق المحرقة ص ١٩٦ طبع مكتبة القاهرة.

(٣) شرح الهمزية للأبوصيري.

(٤) عمدة الطالب ص ٢٣٤.

يكن له في الحقيقة من لوازم الخلافة إلاّ المنبر .

وبسبب خطبة خطبها عليه السلام على المنبر أغاروا عليه، ونهبوا فسطاطه ومتاعه، حتّىٰ نهبوا مصلاّه من تحته، ثمّ طعنه واحد منهم بمعولٍ في فخذه الشريف، فشقّه حتّىٰ خالط أربيته، وسيأتي نقل هذا ممّا كابده من أصحابه، إلىٰ أن صالح معاوية، ونزل عن الخلافة، فيكاد تشبه خلافة الحسين عليه السلام بمجرّد البيعة خلافة أخيه؛ إذ لم يكن له منها إلاّ مجرّد البيعة، وجميع تصرّفاته عليه السلام كانت مردوعة بالعكوس من أُولئك الأشقياء المتلبّسين بالنحوس .

قال الأبوصيري :

ما رعىٰ فيهما ذماك مرؤوس وقد خان عهدك الرؤساء

ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم .

وقد قال ابن حجر في الصواعق في الفصل الأوّل، في الآيات الواردة في أهل البيت في آية التطهير الشريفة: أكثر المفسّرين علىٰ أنّها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام[1]. إلىٰ آخر ذلك الكلام .

وفيه أخرج أحمد، عن أبي‌سعيد الخدري، أنّها نزلت في خمسة: النبي صلى الله عليه وآله، وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام .

وأخرجه ابن جرير مرفوعاً بلفظ: أُنزلت هذه الآية في خمسة: فيّ، وفي علي، وفاطمة، والحسن، والحسين. وأخرجه الطبراني أيضاً .

ولمسلم: أنّه صلى الله عليه وآله أدخل أُولئك تحت كساءٍ وقرأ هذه الآية .

وصحّ أنّه صلى الله عليه وآله جعل علىٰ هؤلاء كساء، وقال: اللّهمّ أهل بيتي وخاصّتي أذهب

---

(١) الصواعق المحرقة ص ١٤٣ .

عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، فقالت أمّ سلمة: وأنا معهم؟ قال: إنّك على خير.

وفي رواية أنّه قال بعد ﴿تطهيراً﴾: أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، وعدوّ لمن عاداهم.

إلىٰ أن قال: ثمّ إنّ هذه الآية منبع فضائل أهل البيت النبوي؛ لاشتمالها علىٰ غرر من مآثرهم، والاعتناء بشأنهم، حيث ابتدأت بـ«إنّما» المفيدة لحصر الإرادة في إذهاب الرجس في أمرهم الذي هو إذهاب الرجس الذي هو الإثم، أو الشكّ فيما يجب الإيمان به عنهم، وتطهيرهم من سائر الأخلاق والأحوال المذمومة.

وسيأتي في بعض الطرق تحريمهم على النار، وهو فائدة ذلك التطهير وغايته؛ إذ منه إلهام الإنابة إلى الله، وإدامة الأعمال الصالحة، ومن ثَمّ لمّا ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت ملكاً ـ ولذلك لم تتمّ للحسن ـ عوّضوا عنها بالخلافة الباطنة، حتّىٰ ذهب قوم إلىٰ أنّ قطب الأولياء في كلّ زمن لا يكون إلاّ منهم، وممّن قال لا يكون من غيره الأُستاذ أبو العبّاس المرسي[1]. إنتهىٰ نقلنا الكلام بطوله، مع قصد كسب الثواب وحصوله، ولأنّه سيأتي تفريع علىٰ أُصوله، والمقصود منه قوله «ومن ثمّ» إلىٰ آخره، لاختصاص الحسنين عليهما السلام بمفاخرة.

فنقول: قال في أوائل الصواعق: الحادي عشر: أخرج أحمد عن سفينة، وأخرجه أيضاً أصحاب السنن الأربعة، وصحّحه ابن حبّان وغيره، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: الخلافة ثلاثون عاماً، ثمّ يكون بعد ذلك الملك.

وفي رواية: الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثمّ تصير ملكاً عضوضاً. أي: يصيب

---

(١) الصواعق المحرقة ص ١٤٣ ـ ١٤٥.

الرعية فيه عنف وظلم، كأنّهم يعضّون عضاً[١]. إنتهىٰ.

وفي الجامع الكبير للسيوطي، في مسند حذيفة رضي الله عنه، قولهﷺ: تكون النبوّة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثمّ يرفعها إذا شاء، ثمّ تكون خلافة علىٰ منهاج النبوّة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثمّ يرفعها إذا شاء، ثمّ يكون ملكاً عضوضاً، فيكون ما شاء الله، ثمّ يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثمّ ملكاً جبريّة، ثمّ تكون خلافة علىٰ منهاج النبوّة. ط بز حم والروياني ض[٢]. فالحديث علىٰ قانونه صحيح.

وفي مسند معاذ وأبي عبيدة بن الجرّاح، قولهﷺ: إنّ هذا الأمر بدأ رحمةً ونبوّةً، ثمّ يكون رحمة وخلافة، ثمّ كائن ملكاً عضوضاً، ثمّ كائن عتوّاً وجبريّة وفساداً في الأرض[٣]، يستحلّون الحرير والفرج والخمور، ويرزقون علىٰ ذلك وينصرون حتّىٰ يلقوا الله تعالىٰ. طب هب وأبونعيم في المعرفة عن أبي ثعلبة الجشني[٤].

وذكرنا الأحاديث المشتملة علىٰ وصف الملك؛ لأنّ ذلك أبلغ في فضيلة الحسنين عليهما السلام، وشرف قدرهما عند الله تعالىٰ، حيث نزّههما عن ذلك الملك وحلاّءها عن موارد الهلك.

ثمّ نقول: قد استويا عليهما السلام في هذه التنزيه، فلا زيادة لأحدهما على الآخر في القدر النبيه، فأحدهما لم تتمّ له الخلافة حيث اتّصفت بالملك العضوض، والآخر حيث كان في زمن ذلك الملك حاولها، فلم تمكّنه منها الحظوظ.

---

(١) الصواعق المحرقة ص ٢٥.

(٢) جامع الأحاديث للسيوطي ٤: ١٢٤ برقم: ١٠٥٨٤.

(٣) في الجامع: في الأمّة.

(٤) جامع الأحاديث للسيوطي ٣: ١٧٤ برقم: ٧٩٨٢.

مع أنّه بمبايعة أهل الكوفة إيّاه قد اتّصفت بالخلافة في أنظار أهل دنياه، كيلا تقصر في المفاخرة الدنيوية علياه، فألحقت هذه المبايعة به أوصافها؛ لأنّ الله تعالىٰ يحبّ له معالي الأُمور، ويكره سفسافها ليقي استبداد الحسن عليه السلام بالمديدة المحبوسة من خلافة النبوّة، وذلك لا يقتضي زيد الفضل وعلوّه؛ لأنّ ذلك حصل له من تقدّم الولادة، وكبر السنّ الموجب أن يقدّمه الأصغر منه في الشرع والعرف والعادة، وفضل الحسن عليه السلام بالسنّ لا ينكر.

والكلام في الفضل بتلك الخلافة، وهو إنّما يتمّ لو تساويا في السنّ، إذ لا يكون حينئذ ولاية أحدهما دون الآخر إلاّ بترجيح فضله عليه، وذلك هو الذي ساق الولاية إليه، وتقديم الكبير المساوي في الفضل للصغير متعارف عند الخلفاء والملوك، معدود في الشرع من محاسن السلوك. وقد يقدّم بعضهم الأكبر وإن كان الأصغر أفضل وأبرّ، لكن هذه من مسائل الخلاف، وللإجتهاد فيها مجال، فعليك بالإنصاف.

ومن الشعر البليغ الحكيم في هذا المقام، وفي إيراده هنا شفاء أسقام، قول الخنساء إذ قيل لها: ما مدحت أخاك حتّىٰ هجوت أباك، فقالت:

جارىٰ أباه فأقبلا وهما ... يتعاوران مُلآءة الحُضرِ
حتّىٰ إذا نزت القلوب وقد ... لُزّت هناك العذر بالعذر
وعلا هتافُ الناس أيّهما ... قال المجيب هناك لا أدري
برزت صحيفة وجه والده ... ومضىٰ علىٰ غُلوائه يجري
أولىٰ فأولىٰ أن يساويه ... لولا جلال السنّ والكبر
وهما وقد برزا كأنّهما ... صقران قد حطّا إلىٰ وكر

ذكرها الشريف المرتضىٰ في كتابه غرر الفوائد ودرر القلائد[١]. وقد ذكر هذا الكتاب وعظم شأنه صاحب عمدة الطالب[٢]، وابن خلّكان في وفيات الأعيان في ترجمة المرتضىٰ ﷺ[٣].

ثمّ قال بعد ذكر الأبيات: ويقال: إنّه قيل لأبي‌عبيدة: ليس هذه الأبيات في مجموع شعر الخنساء، فقال: العامّة أسقط من أن يجاد عليها بمثل هذا.

قال الشريف: ولعمري انّها قد بلغت في مدح أخيها من إزراء علىٰ أبيها النهاية؛ لأنّها جعلت تقدّم أبيها له عن قدرة منه على المساواة من غير تقصير منه، وإنّما أفرج له عن السبق معرفة بحقّه وتسليماً لكبره وسنّه[٤]. إنتهىٰ.

وأقول: ليت صاحب عمدة الطالب، وإن كان في مقام المفاخر المغالب، والقصد من جميع ما قلناه علىٰ طول المجال الذي جلبناه، بيان أنّ المفاضلة بينهما ﷺ إنّما تستتبّ بالدليل الاعتباري، وهو لا يحصل به للمهج اللهبي ريّ لمنع سباع الايراد من الجانبين، عن ورود شريعة العين، وحجز القال والقيل دون جلاء الرين، والعزم

---

(١) غرر الفوائد ودرر القلائد المعروف بأمالي السيد المرتضىٰ ١: ٦٧.

(٢) عمدة الطالب ص ٢٥٠، قال: وله مصنّفات كثيرة في الفقه والكلام والأدب، ومن أشهرها كتاب درر القلائد وغرر الفوائد، وهو يدلّ علىٰ فضل عظيم، وقوّة ذهن، وقدرة تصرّف، وكثرة نقل، وغزارة اطّلاع.

(٣) وفيات الأعيان لابن خلّكان ٣: ٣١٣، قال: وله الكتاب الذي سمّاه الغرر والدرر، وهي مجالس أملاها تشتمل علىٰ فنون من معاني الأدب، تكلّم فيها على النحو واللغة وغير ذلك، وهو كتاب ممتّع يدلّ علىٰ فضل كثير، وتوسّع في الاطّلاع على العلوم.

(٤) غرر الفوائد ودرر القلائد المعروف بأمالي السيد المرتضىٰ ١: ٦٧.

على أحد الاختيارين، والمقام مقام أدب واحترام، وفي المثل «دواء العين أن لا تمسّ» والأمر كما قيل:

حذار يا أيّها الباغي ظلامتنا فإنّ لحم بني الزهراء مسموم

أورده القطب النهرواني في كتابه المتمثّل والمحاضرة بالأبيات المفردة النادرة.

فصل

مذهب الإمامية في إمامة الحسن والحسين عليهما السلام وفضلهما

قوله(١) «وبغير ذلك ممّا تقوله الإمامية» فهو عجيب صانه الله عن التقوّل، وعلىٰ مثله فيه التثريب، قد نقل أصحابه(٢) الزيدية إن كان منهم، والمعتزلة لا تحيد عنهم، وأهل السنّة والجماعة، كلّ منهم ذكروا في مصنّفاتهم في الكلام، وفي الملل والنحل، والسير والتاريخ، مذهب الإمامية وأقوالهم، وذكروا أطوارهم في موالاة العترة وأحوالهم، فلم يذكر ذاكر من مذهبهم تفضيل الحسن على الحسين عليهما السلام، فضلاً عن بسطهم في ذلك لسان الإستدلال، فضلاً عن اللسْن باللسَن.

وكيف يفعلون ذلك، ويأخذون في هذه المسالك، وهم في القول بعصمة الحسنين عليهما السلام أبلغ من الزيدية وأشدّ، وذلك من وجوه:

الأوّل: أنّهم يزيدون على الزيدية بالقول بعصمة تسعة أبوهم الحسين عليه السلام، وعمّهم الحسن عليه السلام، وعصمة فاطمة عليها السلام أمّهم. والزيدية تقف علىٰ عصمة الحسنين وأمّهما عليهم السلام.

---

(١) أي: قول صاحب عمدة الطالب المتقدّم كلامه.

(٢) هذا علىٰ رأي صاحب الكتاب من أنّ صاحب العمدة من الزيدية، والصحيح أنّه من الشيعة الإمامية، وإن كان يظهر من كلامه الترديد.

قــال صــاحب البــحر الزخّــار: مسألة: ولا مـعصوم بـعده ﷺ إلاّ عـلي، والحسنان ﷺ، وفاطمة ﷺ. الحاكم عن المعتزلة: بل العشرة.

قلت: وفيه نظر؛ إذ قول أبي علي في مقالاته بفسق عثمان ظاهر. ولقولهم بفسق طلحة والزبير، وقول قاضي القضاة: يقطع في علي لخبر الموالاة، ثمّ العشـرة إن صحّ الخبر، وقد تلقّى بالقبول فتقرب صحّته[1]. إنتهىٰ.

فالحسنان ﷺ أعرف في العصمة عند الإمامية منهما عند الزيدية.

والثاني: أنّ الإمامية تفسّر العصمة بامتناع الكبائر والصغائر ولو سهواً، والزيدية تجوّز على المعصوم الصغيرة غير الخسيسة كالمعتزلة.

ومن عبائر البحر الزخّار: ونقطع بصغر معاصي الأنبياء ﷺ[2].

وفي هذه العبارة كفاية، فالحسنان ﷺ لا يقع منهما كبيرة ولا صغيرة، عمداً ولا سهواً.

والثالث: أنّ الإمامية لا تجوّز على المعصوم، نبياً كان أم إماماً الاجتهاد فـي الأحكام الشرعية، ولا في الحروب والأداء في مسالكها الدينية، فضلاً عن الخطأ والاجـتهاد، فـالحسنان ﷺ عـندهم كـذلك. والزيـدية تـجوّز الاجـتهاد عـلى الأنبياء ﷺ، وتتوقّف في وقوعه وعدم وقوعه، وبوقوعه في الحروب.

وفي البحر الزخّار: ويجوز تعبّده ﷺ بالاجتهاد عقلاً. أبو علي: لا، قلنا: لا مانع. فرع: ولا قطع لوقـوعه ولا انـتفائه. إلىٰ أن قـال: قـلنا: لا دليـل إلاّ فـي الآراء

---

(١) البحر الزخّار ١: ١١٠.

(٢) البحر الزخّار ١: ٨٢.

والحروب[١]. إنتهىٰ .

وما نقلته من مذاهب الإمامية يعلم من متن التجريد[٢] وشرحيه، وغيره من كتبهم، وهو مذكور في مثل شرح المواقف، وشرح المقاصد، وشرح المختصر الحاجبي للعضد، وغيرها من كتب الكلام وأُصول الفقه، وهم متفرّدون بما ذكرناه من المذاهب .

وأهل السنّة والجماعة والمعتزلة ينفون ماعدا النبي صلى الله عليه وآله، وهم في تفسير العصمة واجتهاد النبي صلى الله عليه وآله علىٰ نحو ما نقلناه من الزيدية .

فالإمامية أقرب إلىٰ ترك التعرّض لتفضيل الحسين على الحسن عليهما السلام وبالعكس؛ لأنّ ذلك أقرب إلى الإجلال والإعظام اللازمين لاعتقاد العصمة بالتفسير الذي يعتمدونه فيها ونفي الاجتهاد، مع اعتقاد الإمامة المستحقّة بالنصّ النبوي فيهما، واعتقاد الأمرين في بعض المنسوب إليهما، وإن شاركتهم الزيدية في اعتقاد العصمة إجمالاً، والنصّ على الحسنين عليهما السلام فقط، ولاسيّما والإمامية تستند في تفسير العصمة إلىٰ دليل التنفير[٣] المذكور في التجريد[٤] .

---

(١) البحر الزخّار ١: ٣٨٤ ـ ٣٨٥.

(٢) تجريد الاعتقاد ص ٢١٣ و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٩٤ .

(٣) وذلك أنّ النبي أو الإمام لولم يكونا معصومين، لاحتمل الخطأ والسهو في الأحكام الصادرة عنهما، فيوجب تنفير الناس عنهما، ومتىٰ أثبتنا عصمتهما، وأنّهما محفوظان عن الخطأ والسهو، فلا محالة يكون قولهما حجّة، وتسكن النفوس إليهما .

(٤) قال في التجريد ص ٢١٣: ويجب في النبي العصمة ليحصل الوثوق فيحصل الغرض، ولوجوب متابعته وضدّها، وللإنكار عليه، وكمال العقل والذكاء والفطنة وقوّة الرأي، وعدم السهو وكلّ ما ينفر عنه .

وقد بسط تقريره وتحريره أجلّ علمائهم وسيّد عظمائهم، الشريف المرتضى الموسوي، في كتاب له يسمّىٰ تنزيه الأنبياء والأئمّة .

وخلاصته: دعوى القبح العقلي ولو بمعنىٰ صفة النقص ومنافاة الكمال، فإنّه عقلي عند أهل السنّة والجماعة أيضاً في تمكين الله تعالىٰ من نصبه وأقامه لهداية الخلق جميعاً، وتبليغ أحكامه تعالىٰ إليهم: إمّا عن الوحي، وإمّا عن المبلّغ عن الوحي، وهو ذو الرئاسة العامّة في أُمور الدين والدنيا بالنصّ من النصّ من الله تعالىٰ من كلّ أمر ينفر القلوب عن طاعته ومحبّته والانقياد إليه وتصديقه ولو أقلّ تنفير .

ومثّلوا ذلك بمن يدعو الناس إلىٰ طعامه ليأكلوا منه، وفي ذلك مراده ولأجله إصداره وإيراده، فإنّ الحسن منه والكمال له أن يبالغ في إمالة القلوب وعطفها إلى الحضور عنده، والأكل من طعامه، فلو استعمل ضدّ ذلك ممّا ينفر القلوب عنه أدنىٰ تنفير، كالعبوس في وجوههم والتضجّر أو التبرّم بهم، أو الإخلال بمقدار ما يتوقّعونه من التعظيم ولو بالترحيب وبشر الوجه وبعض آداب المضيف، لاستقبحت العقول منه ذلك، وعدّته نقصاً وضدّ الكمال[١] .

والكلام في هذا الدليل والجواب عنه يطول، ولسنا بصدد ذلك .

علىٰ أنّ القاضي عياض في الشفا في مبحث عصمة النبيّ ﷺ قارب التمسّك بدليل التنفير[٢]، وهو وابن حجر في شرح الهمزية، والسبكي في جمع الجوامع، قد فسّروا عصمة النبيّ ﷺ بنحو تفسير الإمامية، وقول العلماء في الأولياء محفوظون

(١) تنزيه الأنبياء للشريف المرتضىٰ ص ٤ ـ ٥ .

(٢) نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ٥: ١٤٤ .

من المعاصي، أو هو عينها، والحسنان عليهما السلام سيد الأولياء بلا خلاف .

والغرض الذي نحن بصدده أنّ دليل الإمامية هذا يقودهم إلىٰ ترك المفاضلة بين الحسنين عليهما السلام؛ لأنّ كلّ فضل يثبتونه لأحدهما يكون معدوداً في الآخر، وكثيراً ما يوجب عدمه التنفير .

ولقد قادهم القول بعصمة الحسنين عليهما السلام بالتفسير الذي ذكرناه، استناد دليل التنفير إلىٰ ما هو حقّ الحسنين عليهما السلام وإجلال قدرهما، وتعظيم شأنهما، وإزالة التعارض والتناقض عن فعليهما في آخر الخلافة، أجمل وأكمل وأسدّ وأشدّ وأليق وأوثق ممّا نقله ابن أبي‌الحديد عن أصحابه المعتزلة بقوله «هما سيّان» إلىٰ آخر ما سبق نقله .

تقدّم مذهب الشيعة على المذاهب الأُخر

وذلك ما رأيته في الكتاب المذكور تصنيف الشريف المرتضىٰ، ونقل السنيّ العلوي ولا سيّما الفاطمي له مرتضىٰ، فإنّه بصدد تعظيم آبائه وتنزيههم عن زبد كلّ سفساف وجفائه، فيتوصّل إلىٰ مراده بقول كلّ قائل إذا كان وثيق الدلائل «كل البقل من حيث يؤتىٰ به ولا تسألنّ عن المبقلة» وإن كان كلام منسوب إلى البدعة عند أهل السنّة، إن صحّ فيه التشنيع المذموم وتخفّفت الظنّة، وإلاّ فلعلّه من قبيل عبدالرزّاق إمام الحديث الثقة الرضي بالاتّفاق .

قال ابن حجر في الصواعق في أثناء الباب الثالث في بيان أفضلية أبي‌بكر: وما أحسن ما سلكه بعض الشيعة المنصفين، كعبدالرزّاق، ونقل كلامه الحلو المذاق[1].

---

(١) الصواعق المحرقة ص ٥٨، وهو قوله: ذكر عبدالرزّاق عن معمّر، قال: لو أنّ ⇩

ويحيي بن يعمر العدواني التابعي النحوي، قال فيه ابن خلّكان في وفيات الأعيان: كان تابعياً، لقي عبدالله بن عمر، وابن عبّاس، وغيرهما، وروىٰ عنه قتادة. وإسحاق العدوي، وهو أحد قرّاء البصرة.

إلىٰ أن قال: وكان شيعياً من الشيعة الأوّل القائلين بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص لذي فضل من غيرهم، وحكىٰ قضية في ذلك مع الحجّاج، فراجعها في وفيات الأعيان، فإنّها مفيدة شريفة[(١)].

وأمثال عبدالرزّاق ويحيى بن يعمر كثيرون[(٢)]، وسنذكر بعضهم.

وقال الشهاب الخفاجي في الريحانة في ترجمة بهاءالدين محمّد[(٣)] بن الحسين العاملي الشامي أصلاً ومحتداً الفارسي منشئاً ومولداً: فاضل لمعت من أُفق الفضل بوارقه، وسقاه من مورده النمير عذبه ورايقه، لا يدرك بحر وصفه الأغراق، ولا تلحقه حركات الأفكار ولو كان في مضمار الدهر لها السباق، إلىٰ أن قال:

وسرّ دهر هو صدرٌ له ... بعالمٍ ذي نجدةٍ عاملي

← رجلاً قال عمر أفضل من أبي‌بكر ما عنفته.

أقول: وذلك لأنّهما سيّان في ما صدر عنهما، وذلك واضح عند المتأمّل البصير.

(١) وفيات الأعيان ٦: ١٧٣ ـ ١٧٤.

(٢) نعم أمثال هؤلاء الشيعة الذين كانوا يتّقون ويتورّون في كلامهم كثيرون، حفظاً لدمائهم وأعراضهم، ولكن المهمّ فهم أسرار كلامهم ومرادهم، وذلك يحتاج إلىٰ بصيرة دينية معنوية.

(٣) هو العلاّمة الكبير الشيخ بهاءالدين العاملي، كان من أعيان الشيعة وزعمائهم، وله مؤلّفات كثيرة ومواقف هامّة، تعرّض لترجمته أكثر أرباب التراجم والمعاجم، فراجع.

وكان رئيس العلماء عند عبّاس شاه سلطان العجم، لا يصدر إلاّ عن رأيه إذا عقد ألوية الهمم، إلاّ أنّه لم يكن علىٰ مذهبه في زندقته وإلحاده، لانتشار صيته في سداد دينه ورشاده، إلاّ أنّه علوي[١] بلا مين، وهو عند العقلاء أهون الشرّين[٢]، فإنّه أظهر غلوّه في حبّ أهل البيت، وجارىٰ في حلبة الولاء الكميت، وأنشد لسان حاله لكلّ حيّ وميت :

إن كان رفضاً حبّ آل محمّد   فليشهد الثقلان أنّي رافضي

وأورد له الشهاب الخفاجي في الريحانة قوله في الرباعيات :

مــن أربـعة وعشـرة إمــدادي   في ستّ بقاعٍ سكنوا يا حـادي
فـي طـيبةٍ والغـري مـع سـامرّا   في طوس وكربلاء وفي بغدادي

وقوله :

يا ريح اقص قصّة الشـوق إليك   إن جئت إلىٰ طوس فبالله عليك
قبّل عنّي ضـريح مـولاي وقـل   قد مات بهاتيك من الشوق إليك

إلىٰ غير ذلك من رباعياته في ضرائح أعيان العترة الشريفة، نفعنا الله ببركاتها المنيفة وظلالها الوريقة .

وقول الشهاب «أهون الشرّين» لا يخلو من غين ورين، فإنّ الرأي العلوي كان في بعض الصحابة، وخصوصاً الذيه عاشوا إلىٰ زمن الفتن المسترابة، وفي بعض

---

(١) أي: الشاه عبّاس الصفوي علوي النسب، ينتهي نسبهم إلىٰ حمزة ابـن الإمـام موسى الكاظم عليه السلام .

(٢) وكلامه هذا يدلّ علىٰ زندقته وإلحاده وخروجه عن الدين، ومن العـجب أنّـه ينزّه الشيخ البهائي في مذهبه، وهو يتجاسر في كلامه .

أجلاّء التابعين أشير إليهم بالتعيين .

فمن الصحابة: أبو الطفيل عامر بن واثلة بن عبدالله بن عمر الليثي الكناني، قاله الذهبي في تاريخ الاسلام، ثمّ قال: آخر من رأى النبيﷺ في الدنيا بالإجماع، وكان من شيعة علي، روى عن النبيﷺ استلامه الركن (١). إنتهى المراد من كلام الذهبي .

وقال أبوعمرو بن عبدالبرّ في كتاب الاستيعاب في باب الكنى فيه: وكان فاضلاً عاقلاً، حاضر الجواب فصيحاً، وكان يتشيّع في عليﷺ، ويفضّله ويثني على الشيخين، ويترحّم على عثمان (٢). إنتهى .

---

(١) تاريخ الأسلام للذهبي ٦: ٥٢٦ ـ ٥٢٨ .

(٢) الاستيعاب ٤: ٢٦٠ برقم: ٣٠٨٤، وقال: قدم أبوالطفيل يوماً على معاوية، فقال له: كيف وجدك على خليلك أبي الحسن؟ قال: كوجد أمّ موسى على موسى، وأشكو إلى الله التقصير، وقال له معاوية: كنت فيمن حصر عثمان؟ قال: لا ولكنّي كنت فيمن حضر، قال: فما منعك من نصره؟ قال: وأنت فما منعك من نصره إذ تربّصت به ريب المنون، وكنت مع أهل الشام وكلّهم تابع لك فيما تريد، فقال له معاوية: أو ما ترى طلبي لدمه نصرة له؟ قال: بلى، ولكنّك كما قال أخو جعفي :

لا ألفينّك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زوّدتني زادا

أقول: طلبه لدمه نصرة، فهو حيلة وخديعة منه لأتباعه وأهل الشام لنيل الحكومة والملك، لا لمسألة دينية اعتقادية، وإلاّ فكان له أتباع، وكان هو منصوباً من قبل عثمان حاكماً على الشام، وكان حاضراً مع أتباعه حين محاصرة عثمان، فكيف لا يدافع عنه ويخلّصه من هذه المخمصة التي أوقع نفسه فيها، وهذا كلّه أدلّ دليل على فساد نيته وطويته .

ومنهم: سليمان بن صرد الخزاعي، وهو ممن شيعة علي، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين عليه السلام، ذكر ذلك الذهبي وغيره.

وبلغ من تشيّعه أنّه حيث كان رأس الشيعة الذين كاتبوا الحسين عليه السلام، وفي داره اجتمعوا للمكاتبة، ثمّ عجز عن نصره، فخرج مع التوّابين، وكانوا أربعة آلاف، وكان هو رأسهم، فقتل وقتلوا جميعهم، كلّ ذلك ذكره الذهبي، وسيأتي نقل بعض ذلك في فضل الحسين عليه السلام.

فقال الذهبي في ترجمته: له صحبة ورواية، وهو من صغار الصحابة. إلىٰ أن قال: وكان صالحاً ديناً، أشرف قومه[1]. وسيأتي تتمّة الكلام فيه إن شاء الله.

ومنهم: عمرو بن الحمق بن الكاهن بن حبيب الخزاعي، قال أبوعمرو في الاستيعاب: هاجر إلى النبي صلى الله عليه وآله بعد الحديبية، وقيل: بل أسلم عام حجّة الوداع، والأوّل أصحّ، وصحب النبي صلى الله عليه وآله وحفظ عنه أحاديث، وكان ممّن سار إلىٰ عثمان، وهو أحد الأربعة الذين دخلوا عليه الدار فيما ذكروا، ثمّ صار من شيعة علي عليه السلام. إلىٰ آخر كلامه[2].

وقال الذهبي: له صحبة ورواية، وبايع النبي صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع، وسمع منه وروىٰ عنه: رفاعة بن شدّاد، وجبير بن نفير، وعبدالله بن عامر المعافري.

وقال ابن سعد: كان أحد الرؤوس الذين ساروا إلىٰ عثمان، وقتله ابن أُمّ الحكم بالجزيرة.

وعن الشعبي: لمّا قدم زياد الكوفة أثاره عمارة بن عقبة بن أبي معيط، فقال: إنّ

---

(١) تاريخ الاسلام للذهبي ٥: ١٢٢ ـ ١٢٣ برقم: ٣٧.

(٢) الاستيعاب ٣: ٢٥٧ ـ ٢٥٨ برقم: ١٩٣١.

عمرو بن الحمق من شيعة علي، فسيّر إليه يقول ما هذه الزرافات التي تجتمع عندك، من أرادك أو أردت كلامه ففي المسجد .

وعنه قال: تطلّب زياد رؤساء أصحاب حُجر، فخرج عمرو إلى الموصل هو ورفاعة بن شدّاد، فكمنا في جبل، فبلغ عامل ذلك الرستاق، فاستنكر شأنهما، فسار إليهما في الجبل، فأمّا عمرو بن الحمق فكان مريضاً، فلم يكن عنده امتناع، وأمّا رفاعة فكان شابّاً فركب وحمل عليهم، فأفرجوا له، ثمّ طلبته الخيل، وكان رامياً، فرماهم فانصرفوا، وبعثوا بعمرو بن الحمق إلى عبدالرحمٰن بن أمّ الحكم. وذكر الذهبي قتله إيّاه (١) .

إلىٰ أن قال: وقال أبوإسحاق عن هنيدة الخزاعي، قال: أوّل رأس أُهدي في الاسلام رأس عمرو بن الحمق (٢) . إنتهىٰ .

ذكرت هذا النقل لدلالته علىٰ أنّ حُجر بن عدي ـ رضي الله عنه ـ وأصحابه من صحابي وغير صحابي من شيعة علي عليه السلام، وللتشيّع قتلوا (٣) .

وقال الذهبي في ترجمة حجر بن عدي: ولحجر صحبة ووفادة، ما روىٰ عن النبي صلى الله عليه وآله شيئاً، إلىٰ أن قال: وكان يكذّب زياد بن أبيه الأمير على المنبر، وحبسه

---

(١) قال الذهبي بعد قوله «أمّ الحكم»: أمير الموصل، فكتب فيه إلىٰ معاوية، فكتب إليه معاوية: إنّه زعم أنّه طعن عثمان تسع طعنات بمشاقص، ونحن بل نتعدّىٰ عليه، فاطعنه كذلك، ففعل به ذلك، فمات في الثانية .

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٣: ٨٧ ـ ٨٨ .

(٣) كما أنّ صاحب الترجمة وهو عمرو بن الحمق الخزاعي قتل لتشيّعه بأمر معاوية، واتّهامه أنّه شارك في طعن عثمان .

مرّة، فكتب فيه إلىٰ معاوية. فسار حجر عن الكوفة في ثلاثة آلاف بالسلاح، ثمّ تورّع وقعد عن الخروج، فسيّره زياد إلىٰ معاوية. وجاء الشهود فشهدوا عند معاوية عليه، وكان معه عشرون رجلاً، فهمّ معاوية بقتلهم. فأُخرجوا إلىٰ عذرا[١].

وقيل: إنّ رسول معاوية جاء إليهم لمّا وصلوا إلىٰ عذرا، يعرض عليهم التوبة والبراءة من علي عليه السلام، فأبىٰ من ذلك عشرة، وتبرّأ عشرة، فقتل أُولئك[٢]. إنتهى المراد من كلام الذهبي.

وهذا يدلّ صريحاً علىٰ قتل حجر بن عدي ومن كان معه للتشيّع.

وفي كلام أبي‌عمرو في الاستيعاب: إنّ حجراً خلع زياداً ولم يخلع معاوية، وتابعه جماعة من أصحاب علي وشيعته، إلىٰ آخر ما قاله[٣].

---

(١) زرت قبره الشريف في عذرا، وله قبّة وضريح ورواق وحجب وخدّام، يزوره الآلاف من المسلمين في كلّ يوم، ويتبرّكون بقبره الشريف، وتصفّحت عن قبر معاوية في الشام، فدلّيت في بعض أزقّة دمشق ببيت خربة، فقالوا: هاهنا مقبرة معاوية.

(٢) تاريخ الاسلام للذهبي ٣: ١٩٣ ـ ١٩٤. وقال بعده: ولمّا بلغ عبدالله بن عمر قتله حُجر قام من مجلسه مولّياً يبكي. ولمّا حجّ معاوية استأذن على عائشة، فقالت له: أقتلت حجراً؟! فقال: وجدت في قتله صلاح الناس، وخفت من فسادهم.

أقول: وهذا كذب صريح منه، بل الصحيح أنّه خاف علىٰ ملكه ورئاسته الدنيوية، ومن وعي الناس وثورتهم عليه، فقتله لبقاء الملك، وزعم أنّ الملك عقيم، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

(٣) الاستيعاب ١: ٣٨٩، قال: كان حجر من فضلاء الصحابة، وصغر سنّه عن ⇩

وهو يدلّ على تشيّع حجر رضي الله عنه.

وفي الصواعق في باب تفضيل أبي‌بكر، وإن قلت: ينافي ما قدّمته من الاجماع على أفضلية أبي‌بكر، قول ابن عبدالبرّ: إنّ السلف اختلفوا في تفضيل أبي‌بكر وعلي عليه السلام، وقوله أيضاً قبل ذلك: روي عن سلمان وأبي‌ذرّ والمقداد وخباب وجابر وأبي‌سعيد الخدري وزيد بن أرقم، أنّ علياً أوّل من أسلم، وفضّله هؤلاء على غيره (١).

وأجاب ابن حجر بما ليس فيه دفع للمروي عن هولاء الأعاظم من الصحابة، وإنّما هو تأويل، فيصدق على كلّ من هؤلاء الصحابة أنّه علوي الرأي، وكذلك على من وصف منهم بالتشيّع (٢).

← كبارهم، وكان على كندة يوم صفّين، وكان على الميسرة يوم النهروان، ولمّا ولي معاوية زياداً العراق وما وراءها، وأظهر من الغلظة وسوء السيرة ما أظهر، خلعه حجر ولم يخلع معاوية، وتابعه جماعة من أصحاب علي وشيعته.

وظاهر هذا الكلام أنّ حجر خلع زياد بن أبيه عن الحكم وإمارة الكوفة، وبعد ما خلعه كان من الواجب على معاوية خلع زياد، ولكن لعناده لشيعة علي عليه السلام وأتباعه، لم يخلع معاوية زياد من الحكم، بل سلّطه على دماء الشيعة وأعراضهم، وتابع حجر بن عدي جملة من القوّاد في خلع زياد، وصرّحوا جهاراً بخلعه عن الحكم.

(١) الطواعق المحرقة ص ٥٨.

(٢) ومن راجع الروايات الواردة من الفريقين في فضائل هؤلاء الصحابة الموالين للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي‌طالب عليه السلام، فإنّه لا محيص له من الحكم بأفضلية الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام على جميع الصحابة، ووجوب متابعته وموالاته بعد وفاة ⇩

وفي الاستيعاب ما هذا لفظه: وأمّا اختلاف السلف في تفضيل علي ـ كرّم الله وجهه ـ فقد ذكره ابن أبي‌خيثمة في كتابه من ذلك ما فيه كفاية، وأهل السنّة اليوم على ما ذكرت. إلى آخر كلامه(١).

وفي التابعين من هو علوي الرأي والمذهب، كيحيى بن يعمر الذي سبق ذكره.

وأبي الأسود الدؤلي، قال الذهبي: قاضي البصرة، روى عن عمر وعلي وأُبيّ بن كعب.

إلى أن قال: وكان من وجوه شيعة علي ومن أكملهم رأياً وعقلاً، وقد أمره علي عليه السلام بوضع النحو، فلمّا أراه أبو الأسود ما وضع، قال: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت، ومن ثمّ سمّي النحو نحواً.

إلى أن قال: قال الجاحظ: أبو الأسود مقدّم في طبقات الناس، كان معدوداً في الفقهاء والشعراء والدهاة والنحاة والحاضر الجواب، والشيعة، والنجلاء، والصلع الأشراف(٢).

وككميل بن زياد بن نهيك بن الهيثم النخعي، قال الذهبي: حدّث عن عمر

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فإنّ سلمان الفارسي وأباذرّ الغفاري والمقداد وجابر، كانوا من أعاظم الصحابة. فكيف يمكن التمسّك بأقوال جماعة من الصحابة على أفضلية الأوّل على الإمام علي عليه السلام، بمن ليس له فضيلة واحدة في كتب الفريقين، فكان من الواجب على ابن حجر أن لا يردّ في الجواب بأجوبة سخيفة، ونزّه المؤلّف رحمه الله كتابه عن ذكر أجوبته الموهونة.

(١) الاستيعاب ٣: ٢١٤.

(٢) راجع: تهذيب الكمال للمزّي ١١: ٢٢٢ برقم: ٧٨٤٣.

وعثمان وعلي وابن مسعود، وأبي هريرة، وروىٰ عنه عبدالرحمٰن بن عابس، والعبّاس بن ذريح، وأبوإسحاق السبيعي، والأعمش، وقدم دمشق في زمن عثمان، وشهد صفّين مع علي عليه السلام، وكان شريفاً مطاعاً، ثقة عابداً علىٰ تشيّعه، قليل الحديث، قتله الحجّاج [١]. إنتهىٰ.

وكصعصعة بن صوحان بن هجر العدوي، قال الذهبي: الكوفي، أحد شيعة علي عليه السلام، أمّره علىٰ بعض الكراديس يوم صفّين، وكان شريفاً مطاعاً خطيباً بليغاً مفوّهاً، واجد عثمان بشيء، فأبعده إلى الشام، روىٰ عن علي وغيره، وروىٰ عنه الشعبي، وأبوإسحاق، وابن بريدة، والمنهال بن عمرو. وقال ابن سعد: هو ثقة [٢]. إنتهىٰ المراد.

وممّن يعدّ من التابعين: جعفر بن سليمان، قال الذهبي: الإمام أبو سليمان الضبعي: روىٰ عن ثابت البناني، وأبو عمران الجوني، إلىٰ أن قال: وطائفة كبيرة. وعنه سيّار بن حاتم، وعبدالرزّاق، إلىٰ أن قال: وغيرهم، وهو من عبّاد الشيعة وصالحهم، وثّقه ابن معين، وليّنه غيره، وقد حجّ وذهب إلى صنعاء، فأكثر عنه عبدالرزّاق وتشيّع به، وقد قيل له: تشتم أبابكر وعمر؟ فقال: لا، ولكن بغضاً يا لك. وفي صحّة هذا عنه نظر، فإنّه لم يكن رافضياً حاشاه، قال ابن زكريا الساجي: إنّما عني به جارين له اسمهما أبوبكر وعمر [٣]. إنتهىٰ.

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ٣: ٤١٥ برقم: ٦٩٧٨، وتاريخ الاسلام للذهبي ٤:٥١٦ برقم: ٢٤١، وتهذيب الكمال ٨: ٤٦٢ ـ ٤٦٤ برقم: ٥٦٢٣.

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي ٢: ٣١٥، تهذيب الكمال للمزّي ٤: ٧٠٩.

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي ١: ٤٠٨ ـ ٤٠٩، تهذيب الكمال ٢: ٢٦٥ ـ ٢٦٧.

وغير من ذكرناه ممّن يطول بتعدادهم المجال، وهم من خيار الرجال، فلا يحسن جعل الرأي العلوي أهون الشرّين، بل هو بالإنتساب إلىٰ ذلك المقام العُلوي خير الخيّرين إن شاء الله تعالىٰ.

وقد قلت في خطبة هذه الرسالة[١]، جعلها الله إلى المثوبات المنثالة أوثق وسالة، إنّها علىٰ نهج المجاميع، وأرجو أن تكون كالمقول فيها أمن ريحانة الداعي السميع.

ترجمة الشريف المرتضىٰ

فمن المسلك المرتضىٰ ذكر شيء من تراجم الشريف المرتضىٰ، ولاسيّما ونسب الموسوي ينتهي بالاطّراد السوي إلىٰ عمّ جدّنا موسى الأبرش بن محمّد الأعرج بن موسى الأصغر المعروف بأبي‌سبحة بن إبراهيم الملقّب بالمرتضى بن موسى الكاظم عليه السلام. فأنا ينتهي نسبي إلى الحسين القطعي بعد موسى الأصغر أبي‌سبحة، وهو أخو جدّ المرتضىٰ محمّد الأعرج، وإليه في عمدة الطالب[٢] من علي الحائري ابتداء المعرج.

وإلىٰ موسى الأصغر أبي‌سبحة هذا وهو جدّ جدّ المرتضىٰ ينتهي نسب الطبريين الذين لم يزالوا من غير العلم والإمامة والفضل بريّين، وبكلّ ثناء على امتداد الزمان حريّين.

فالشريف المرتضىٰ هو كما في عمدة الطالب، وغيرها من كتب التاريخ

---

(١) مع الأسف خطبة هذه الرسالة ساقطة عن النسخة الفريدة التي كانت بين يدي عند التحقيق.

(٢) عمدة الطالب ص ٢٦٢.

والمناسب، هو الطاهر ذو المجدين المرتضىٰ علم الهدىٰ أبو القاسم علي بن نقيب النقباء ذي المناقب أبي أحمد الحسين.

قال في عمدة الطالب: قال الشيخ أبو الحسن العمري: كان بصرياً، وهو أجلّ من وضع علىٰ رأسه الطيلسان، وجرّ خلفه رمحاً. أراد[1] أجلّ من جمع بينهما، وأطال في ترجمته[2].

وهو ابن موسى الأبرش بن محمّد الأعرج بن موسى الأصغر أبي سبحة، وفيه ملتقىٰ نسبنا ونسبه، فلا غرو أن نثاير في تأثيل حسبه، ونتعلّق في العلم البريء من الابتداع بسببه، وانّ رجلاً ليس بينه وبين موسى الكاظم عليه السلام إلاّ خمسة آباء، هم ما هم أكرم من يشرب صوب الغمام، لحري بالبعد عن البدعة، ومليّ بسداد الاسلام إن شاء العلاّم.

وقد أطال صاحب عمدة الطالب في ترجمته والثناء عليه، بحيث لا ترىٰ في كتابه من يشقّ غباره، ويصل إليه.

وترجمه وأثنىٰ عليه كذلك القاضي ابن خلّكان في وفيات الأعيان[3]، والباخرزي في دمية القصر[4]، وذكره ابن الأثير في جامع الأُصول في المجدّدين علىٰ رأس المائة الرابعة العصر[5]، وترجمه وأثنىٰ عليه الإمام الحافظ السيوطي في

---

(١) في العمدة: أريد.

(٢) عمدة الطالب ص ٢٤٨.

(٣) وفيات الأعيان ٣: ٣١٣ - ٣١٧ برقم: ٤٤٣.

(٤) دمية القصر وعصرة أهل العصر ص ٧٥.

(٥) جامع الأُصول ١٢: ٢٢٢.

كتابه بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، وغير من ذكرت، وإلىٰ كتبهم أشرت، وربما ذكرت طرفاً من تلك التراجم بعد الفراغ من قطف الزهر من كلام الناجم إن شاء الله .

تحقيق حول كلام الشريف المرتضىٰ في تنزيه الإمام الحسن عليه السلام

وأنا الآن أنقل كلام السيد المرتضىٰ، وأحمي كثيراً منه بالصارم المنتضىٰ، من الأدلّة المطابقة لأدلّة أهل السنة، وكلامه رحمه الله في فصلين: أحدهما في الحسن عليه السلام، والآخر في الحسين عليه السلام .

قال في الأوّل، وعلىٰ هداية الله تعالىٰ المعوّل :

مسألة: إن قال قائل: ما العذر له ـ يعني الحسن عليه السلام ـ في خلع نفسه من الإمامة، وتسليمها إلىٰ معاوية، مع ظهور فجوره، وبعده عن أسبابها[(١)]، وتعرّيه من صفات مستحقّها، ثمّ في بيعته، وأخذ عطائه وصلاته، وإظهار موالاته، والقول بإمامته، هذا مع توفّر[(٢)] أنصاره، واجتماع أصحابه ومتابعيه، ومن كان يبذل عنه دمه وماله، حتّىٰ سمّوه مذلّ المؤمنين، وعابوه في وجهه عليه السلام .

أحقية الإمام الحسن عليه السلام للإمامة والخلافة

أقول: لا ريب أنّ الحسن عليه السلام كان بعد موت أبيه أحقّ بالإمامة من معاوية، ومن جميع قريش. أمّا معاوية، فواضح؛ إذ لا نسب له إلى المهاجرين أهل السابقة وأبنائهم الموجودين إذ ذاك، فضلاً عن الحسن عليه السلام، ولم يكن مثل عبدالله بن عبّاس، وعبدالله بن عمر، وابن الزبير، فضلاً عن الحسن عليه السلام في العدالة والتقوىٰ

---

(١) في التنزيه: أسباب الإمامة .

(٢) في التنزيه: وفور .

والعلم والإجتهاد، وهما شرطا الاختيار للإمام بإجماع أهل السنّة وغيرهم.

وهب أنّه يجوز نصب المفضول، كما ذهب إليه كثيرون [١]، لكن ذلك مشروط بأن يكون المفضول أقدر من الفاضل على القيام بمصالح الدين، وأعرف بتدبير الملك، وأوفق لانتظام حال الرعية، وأوثق في اندفاع الفتنة؛ إذ بدون ذلك لا يقول أحد من أهل الإسلام بل من العقلاء بتقديم المفضول، أو ترجيح المرجوح من جميع الوجوه.

قال في الصواعق بعد أن قرّر جواز تقديم المفضول: والمعنىٰ في ذلك أنّ غير الأفضل قد يكون أقدر منه على القيام بمصالح الدين إلىٰ آخر ما ذكره [٢].

ولا طريق إلى العلم بأنّ معاوية كذلك بالنسبة إلىٰ كلّ واحد ممّن ذكرناهم، بل الطريق واضح إلىٰ ضدّ ذلك، فإنّه منذ تولّىٰ أميرالمؤمنين عليه السلام وهو هو في كلّ فضل، وبايعه جميع أهل السابقة والفضل من المهاجرين والأنصار وسائر المسلمين، وكان معاوية يسعىٰ في الفتنة والخروج المفضيين إلىٰ تعطيل مصالح الدين، ووهن الاسلام، وضرر المسلمين، ووهي نظام الرعية، وإراقة دمائهم المحمية، فمن كان هذا هو المعهود من مساعيه كيف يحكم له من يتصدّىٰ لاختيار الامامة بضدّ ذلك.

ألا ترىٰ أنّ أباموسى الأشعري لمّا صار أحد الحكمين اختار تولية من لم يعهد منه إثارة فتنة، ولا تلبّسٍ بها، ودخولٍ فيها، وقوّىٰ هذا الرأي عنده حتّىٰ جرّأه علىٰ خلع صاحبه أميرالمؤمنين عليه السلام، وهذا في ما قلناه أوضح دليل متين، وقد حمل كثير من العلماء صلح الحسن عليه السلام علىٰ دفع الفتنة، وكراهة إراقة دماء المسلمين.

---

(١) كابن أبي الحديد وأمثاله، كما صرّح بذلك في خطبة كتابه شرح نهج البلاغة.

(٢) الصواعق المحرقة ص ٥٨.

قال في الصواعق: وبعد تلك الأشهر الستّة سار إلىٰ معاوية في أربعين ألفاً، وسار إليه معاوية، فلمّا تراآى الجمعان، علم الحسن عليه السلام أنّه لن تغلب أحد الفئتين حتّىٰ تذهب أكثر الأُخرىٰ، فكتب إلىٰ معاوية يخبر أنّه يصير الأمر إليه، إلىٰ آخر كلامه[١].

فمثل هذا الذي يرضىٰ بالنزول عن الخلافة ومعه أربعون ألفاً، وقد استقرّت الخلافة ستّة أشهر، دفعاً للفتنة، وحسماً للمحنة، وكراهة لإراقة دماء المسلمين، هو الذي يحصل بخلافته، لو تمّت اندفاع الفتنة، وانتظام حال الرعية، وقيام مصالح المسلمين، لا بمن أثار الفتنة فقامت، وأسند أمتها فدامت، وأيقضها وهي ببيعة أفضل الأمّة حين بويع بالإجماع قد نامت.

ثمّ إن كان القيام بمصالح الدين وتدبير الملك إلىٰ آخر ما ذكر، علىٰ مطابق الأحكام الشرعية، وملازمة التديّن والتقوىٰ، فلا يكون أقدر علىٰ ذلك وأعرف به إلاّ من كان أفضل وأكمل في العدالة والتقوىٰ والزهد والعلم والفقه، وذلك هو الأفضل مطلقا؛ لأنّه الأكثر ثواباً، والأكثر خصائص وفضائل دينية.

وإن كان بقطع النظر عن مطابقة الأحكام الشرعية، نحو استمالة الرؤساء والأعاظم بإعطاء الأموال العظيمة من بيت مال المسلمين، كإعطاء معاوية مملكة مصر برمّتها لعمرو بن العاص، وألف ألف لعبيدالله بن العبّاس ليدخل في طاعته، ويخلّي طاعة ابن عمّه الحسن عليه السلام، ومائة ألف لفلان، ومائتي ألف لفلان، ولا يقسّم مال المسلمين بينهم.

ونحو تدبير تولية ولده يزيد الخلافة ـ بما ذكره الذهبي في تاريخ الاسلام

(١) الصواعق المحرقة ص ١٣٦.

وغيره في غيره ـ من محاولته للحسين بن علي عليهما السلام، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله ابن عمر، وعبدالرحمٰن بن أبي‌بكر، أن يرضوا بذلك بجميع أنواع المحاولة من الإكرام والإعظام والبذل .

فلمّا لم يرضوا ولم يفعلوا جمعهم عنده في خلوة، فقال: أمّا أنّي قد أحببت أن أتقدّم إليكم، إنّه من أعذر فقد أنذر، وانّي قائم بمقالة، إن صدقت فلي صدقي، وإن كذبت فلي كذبي، وإنّي أقسم بالله لئن ردّ عليّ إنسان منكم كلمة في مقامي هذا ألاّ ترجع إليه كلمته حتّىٰ يسبق إليّ رأسه، فلا يرعينّ امرءٌ إلاّ علىٰ نفسه .

ثمّ دعا صاحب حرسه، فقال: أقم علىٰ رأس كلّ رجل من هؤلاء رجلين من حرسك، فإن ذهب رجل يرد عليّ كلمة في مقامي، فليضربا عنقه .

ثمّ خرج وخرجوا معه، حتّىٰ رقي المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال: إنّ هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم، لا يستبدّ بأمر دونهم، ولا يقضىٰ أمر إلاّ عن مشورتهم، إنّهم قد رضوا وبايعوا ليزيد ابن أميرالمؤمنين من بعده، فبايعوا بسم الله .

قال الذهبي: فضربوا علىٰ يده بالبيعة، ثمّ جلس علىٰ رواحله وانصرف الناس، فلقوا أُولئك النفر، فقالوا: زعمتم وزعمتم، فلمّا أرضيتم وحيّيتم فعلتم، فقالوا: إنّا والله ما فعلنا، قالوا: ما منعكم؟ ثم بايعه الناس(١). إنتهىٰ ما ذكره الذهبي .

وذكر قبل هذه الرواية كيفية أُخرىٰ: أنّه صعد المنبر، فقال: إنّا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار، زعموا أنّ ابن عمر، وابن أبي‌بكر، وابن الزبير، لم يبايعوا يزيد، وقد سمعوا وأطاعوا وبايعوا له .

---

(١) تاريخ الإسلام ٣: ١٥٢ .

فقال أهل الشام: والله لا نرضىٰ حتّىٰ يبايعوا علىٰ رؤوس الأشهاد، وإلاّ ضربنا أعناقهم، فقال: سبحان الله ما أسرع الناس إلىٰ قريش بالشرّ، لا أسمع هذه المقالة من أحد منكم بعد اليوم، ثمّ نزل، فقال الناس: بايع ابن عمر وابن الزبير وابن أبي‌بكر، وهم يقولون: لا والله ما بايعنا[1]. إنتهىٰ.

وهو أعلم بما فعل وما قال، ورواحل الاجتهاد المخطىء تنهض بالأثقال، الذي جمع له عمر الشام كلّه، وأقرّه عليه عثمان، ذكر ذلك الذهبي[2] وغيره.

وإنّما القصد أنّ القيام بمصالح الدين وتدبير الملك وانتظام الرعية بقطع النظر

(١) تاريخ الإسلام ٢: ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٢) تاريخ الاسلام ٣: ٣١٠. ولا يخفىٰ على العاقل اللبيب أنّ جميع ما جرىٰ على الأُمّة من معاوية ويزيد، من إراقة الدماء، وإبادة البلاد، وهتك الحرمين الشريفين المكّة والمدينة، وقتل الذرّية الطاهرة من نسل رسول الله صلى الله عليه وآله، وغيرها، فكلّها نشأ من جمع عمر الشام كلّه له، وإقراره عثمان عليه، وأمّا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي‌طالب عليه السلام، فإنّه خلعه من الإمارة، وحاربه أشدّ المحاربة، لعلمه بما يجري منه على الأُمّة الإسلامية.

ولا ينقضي تعجّبي من إصرار عمر وعثمان علىٰ إبقائه على الحكم، مع أنّه روى الذهبي بعد قوله المتقدّم، عن أبي‌الحسن المدائني، قال: كان عمر إذا نظر إلىٰ معاوية قال: هذا كسرى العرب. فكيف ينصبه حاكماً لأهل الشام مع اعتقاده أنّه كسرى العرب، وروىٰ أيضاً بعد ذلك بإسناده عن أبي‌سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رأيتم معاوية علىٰ منبري فاقتلوه. فهذا الذي أمر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بقتله إن رئي علىٰ منبره، فكيف يجعله عمر ويقرّه عثمان علماً وأميراً على الشام.

عن العلم بمطابقة الأحكام الشرعية خارج عن مباحث الخلاف المرعية[١].

وأمّا كون الحسن عليه السلام كان أحقّ بالخلافة من جميع قريش في ذلك العصر، فقد قال فاضل الشافعية وإمام الحديث محمّد بن عبدالرحمن السخاوي في كتابه استجلاب ارتقاء العرف، وهو الذي لخّص منه ابن حجر بعد إكمال الصواعق بقوله:

تتمّة: لمّا فرغت من هذا الكتاب، إلىٰ قوله: رأيت كتاباً في مناقب أهل البيت، فيه زيادات علىٰ ما مرّ، لبعض الحفّاظ من معاصري مشايخنا، وهو الحافظ السخاوي الخ[٢].

قال السخاوي في الكتاب المذكور ـ بعد أن أورد أحاديث التمسّك بالعترة، نحو خبر الغدير، أورده من طرق صحّ أكثرها، وهو الذي قال فيه في الصواعق: إنّه حديث صحيح لا مرية فيه، فقد أخرجه جماعة، كالترمذي، والنسائي، وأحمد، وطرقه كثير جدّاً الخ[٣].

ونحوه قال ابن حجر العسقلاني، وستقرأ كلامه عن قريب إن شاء الله.

ولفظه كما في الصواعق وكتاب السخاوي: إنّه صلى الله عليه وآله خطب بغدير خمّ تحت

---

(١) ولا شكّ أنّ الإمام الحسن عليه السلام كان أعرف بمصالح الدين، وتدبير الملك، وانتظام الرعية، لأنّه تربّىٰ في حضن الرسالة، وأهل البيت أدرىٰ بما في البيت، ولكن الظروف السيّئة، من عدم وجود الأنصار، واعوجاج مسير الخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، سبّب نزوله عن الخلافة الظاهرية، فهو لا محالة إمام وخليفة للمسلمين، قام أو قعد، كما قال الرسول صلى الله عليه وآله: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا.

(٢) الصواعق المحرقة ص ٢٢٦.

(٣) الصواعق المحرقة ص ٤٢.

شجرات، فقال: أيّها الناس إنّه قد نبأنّي اللطيف الخبير، أنّه لم يعمر نبي إلاّ نصف عمر الذي يليه من قبله، وانّي لأظنّ أن يوشك أن أُدعىٰ فأُجيب.

إلىٰ قوله ﷺ: يا أيّها الناس إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولىٰ بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه ـ يعني علياً ـ اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه.

ثمّ قال ﷺ: يا أيّها الناس إنّي فرطكم، وانّكم واردون عليّ الحوض، حوض أعرض ممّا بين بصرىٰ إلىٰ صنعاء، فيه عدد النجوم قدحان من فضّة، وإنّي سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله تعالىٰ، وطرفه بأيدكم، فاستمسكوا به، ولا تضلّوا ولا تبدّلوا، وعترتي أهل بيتي، فإنّه قد نبّأني اللطيف الخبير أنّهما لن ينقضيا حتّىٰ يردا عليّ الحوض[١].

ونحوه قوله ﷺ في عدّة طرق ببعض اختلاف في اللفظ.

منها: في الصواعق في كلامه في الآية الرابعة: قال تعالىٰ ﴿وقفوهم إنّهم مسؤولون﴾[٢] وفي رواية صحيحة: إنّي تارك فيكم أمرين، لن تضلّوا إن تبعتموهما، وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي. زاد الطبري: إنّي سألت ذلك لهما، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم.

قال ابن حجر: وفي رواية: كتاب الله وسنّتي[٣]. وهي المراد من الأحاديث

---

(١) الصواعق المحرقة ص ٤٣ ـ ٤٤.

(٢) سورة الصافّات: ٢٤.

(٣) وهذه الرواية شاذّة ضعيفة، ولم أر بعد تتبّع كثير هذه الرواية في مسانيد

المقتصرة على الكتاب؛ لأنّ السنّة مبنية له، فأغنىٰ ذكره عن ذكرها[١]. إنتهىٰ.

قال السخاوي ما هذا لفظه: وهذه إشارة إلىٰ شيء من فوائد هذا الحديث، فالثقلان وهما كما تقدّم: كتاب الله، والعترة الطيبة. إنّما سمّاهما إعظاماً لقدرهما، فإنّه يقال لكلّ شيء خطير نفيس: ثقيل. وأيضاً فلأنّ الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل. ومنه قوله تعالىٰ ﴿إنّا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾[٢].

وناهيك بهذا الحديث العظيم فخراً لأهل البيت النبوي؛ لأنّ قوله ﷺ «اُنظروا كيف تخلفوني فيهما، وأُوصيكم بعترتي خيراً، وأُذكّركم الله في أهل بيتي» على اختلاف الألفاظ في الروايات التي أوردتها، يتضمّن الحثّ على المودّة لهم والإحسان إليهم، والمحافظة لهم، واحترامهم وإكرامهم، وتأدية حقوقهم المستحبّة والواجبة، وكذلك يجب تقديم المتأهّل منهم للولايات علىٰ غيره[٣]. إلىٰ آخر كلامه.

والمقصود منه هذا الكلام الأخير[٤]، وقد لخّصه ابن حجر في الصواعق في التنبيه الذي ألحق فيه خلاصة كتاب السخاوي، بقوله: وفي قوله ﷺ «ولا تقدّموها فتهلكوا، ولا تقصروا عنها فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم» دليل علىٰ أنّ من تأهّل منهم للمراتب العلية والوظائف الدينية، كان مقدّماً علىٰ غيره.

▲ الفريقين.

(١) الصواعق المحرقة ص ١٥٠.

(٢) سورة المزمّل: ٥.

(٣) الصواعق المحرقة ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(٤) وهو وجوب تقديم المتأهّل من العترة للخلافة والولاية، كما قال أبوبكر علىٰ منبر رسول الله ﷺ: أقيلوني ولست بخيركم و علي فيكم.

ويدلّ له التصريح بذلك في كلّ قريش، كما في الأحاديث الواردة فيهم، وإذا ثبت هذه الجملة لقريش، فأهل البيت النبوي الذين هم غرّة فضلهم، ومحتد فخرهم، والسبب في تمييزهم على غيرهم، بذلك أحرىٰ وأحقّ وأولىٰ[١]. إنتهى المراد من كلام ابن حجر.

وقد قال نحو هذا الكلام الفاضل السيد علي السمهودي في جواهر العقدين: وما أحسن تعليل ذلك بقوله: وإذا ثبت هذه الجملة، وأحسن منه استفادة ما ذكره من حثّ النبي صلى الله عليه وآله في الأحاديث الصحيحة الكثيرة على التمسّك بهم أبلغ حثّ، بحيث جعل لهم من ذلك ما للكتاب العزيز، فظاهر التمسّك المحثوث عليه العموم، كما هو قضية الشرط، فكما هو قرنهم به، أعني الكتاب وعلى العموم لابدّ من الإطلاق والتقديم للولايات والمراتب العلية، هو الفرد الأعلىٰ من أفراد التمسّك العمومية أو الإطلاقية؛ لأنّ الولايات والمراتب رأسة دينية ودنيوية، فهي سبب وثيق إلىٰ تمسّكاتٍ كثيرة تكاد لا تتناهىٰ[٢].

فالحسن عليه السلام بعد موت أبيه عليه السلام متأهّل للخلافة[٣]، وهي داخلة بل هي الفرد الأكمل

---

(١) الصواعق المحرقة ص ٢٢٩. وهذا تصريح من ابن حجر علىٰ وجوب تقديم العترة عليهم السلام علىٰ من سواهم، ولكن أتعجّب منه كيف مع هذا التصريح، لم يقدّم من ظهر عنده بالأدلّة المتقنة وجوب تقديمه في الإمامة والخلافة.

(٢) جواهر العقدين للسمهودي.

(٣) أضف إلىٰ ذلك النصّ الصريح من والده الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وذلك أنّ الخلافة منصب إلٰهي، فكما أنّ الرسول صلى الله عليه وآله بلّغ رسالة ربّه في نصب علي عليه السلام علماً وخليفةً من بعد وفاته، فكذا الإمام علي عليه السلام نصب ولده الإمام ⇩

في الولايات التي عبّر بها السخاوي، وكذا في المراتب العلية، والوظائف الدينية، ومن مذاهب بعض أُصول الفقه: إنّ الإطلاق ينصرف إلى الفرد الأكمل.

بل قول السخاوي «الولايات» وقول ابن حجر «المراتب والوظائف» كلّ منهما صيغة عموم؛ لأنّها جموع معرفة، وذلك أصرح وأوثق من الإطلاق.

وأصرح من ذلك قول الفاضل الشافعي القلقشندي في كتابه نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب في أوّله، في ذكر فوائد علم النسب: ومنها اعتبار النسب في الإمامة، التي هي الزعامة العظمىٰ. وقد حكى الماوردي في الأحكام السلطانية الإجماع علىٰ كون الإمام قرشياً.

إلىٰ أن قال: بل قد نصّوا أنّ الهاشمي أولىٰ بالإمامة من غيره[1]. إنتهىٰ.

ومن جملة تأهّل الحسن عليه السلام حين مات أبوه للإمامة، أنّ أباه كان ولم يكن معاوية ولا غيره إذ ذاك ولا بعد موته عليه السلام إماماً[2]، علىٰ ذلك إجماع المسلمين، وكلّ من كان مبايعاً له[3] ومعتقداً ذلك فيه، فلا يرضىٰ ببيعة غير ولده، ولا سيّما الموصوفون بشيعته، وقد ذكرنا آنفاً وجود كثيرين كذلك[4].

= الحسن عليه السلام خليفة وإماماً للأُمّة من بعده، وهكذا الإمام الحسن عليه السلام نصب أخاه الإمام الحسين عليه السلام خليفة وإماماً للأُمّة، إلىٰ آخر الأئمّة والحجج المعصومين الإمام المهدي عجّل الله تعالىٰ فرجه الشريف، وسهّل الله مخرجه الشريف.

(١) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص ١٤.

(٢) وذلك أنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام بعد ما انتقل إليه الحكم الظاهري، خلعه عن إمارة الشام وحاربه أشدّ المحاربة.

(٣) أي: للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام.

(٤) أي: من غير الشيعة أيضاً كانوا لا يرضون بخلافة معاوية، لما جرىٰ منه من

وهذا ممّا يوجب كون الحسن عليه السلام كان بعد موت والده أحقّ قريش بالخلافة؛ لأنّ في مبايعة غيره ثوران الفتنة والقتال؛ لأنّ جميع رعية أبيه أو أكثرهم لم يكونوا يرضون بغيره من قريش، وفي مبايعته السلامة من الفتنة، فهو أحقّ.

هذا كلّه قبل أن تتمّ له البيعة، وأمّا بعد تمامها، فلا ريب أنّه صار أحقّ بها من معاوية ومن كلّ قرشي؛ لأنّها بيعة حقّ بإجماع المسلمين، وقد تمّت له ومعاوية إذ ذاك وبعده إلىٰ أن سلّم له الحسن عليه السلام.

كان كما قال في آخر الصواعق: ومن اعتقاد أهل السنّة والجماعة أنّ معاوية لم يكن في أيّام علي خليفة، وإنّما كان من الملوك، وغاية اجتهاده أنّه كان له أجر واحد (١).

إلىٰ أن قال: واختلفوا في إمامة معاوية بعد موت علي عليه السلام، فقيل: صار إماماً وخليفة؛ لأنّ البيعة تمّت له. وقيل: لم يصر إماماً، لحديث أبي داود والترمذي والنسائي: الخلافة بعدي ثلاثون عاماً، ثمّ تصير ملكاً، وقد انقضت الثلاثون بموت علي عليه السلام.

ـه الفسوق والفجور على الأُمّة الإسلامية.

(١) وقد تقدّم نبذة من اجتهادات معاوية في قتل الصحابي الجليل حجر بن عدي، وذلك لمّا حجّ معاوية استأذن علىٰ عائشة، فقالت له: أقتلت حجراً؟! فقال: وجدت في قتله صلاح الناس، وخفت من فسادهم، ومن اجتهاداته نصبه ولده يزيد المتّفق علىٰ فسقه وفجوره علماً للأُمّة، وغيرهما.

ولابدّ أنّ يكون ابتناء الاجتهاد علىٰ أُصول صحيحة شرعية، فالمخطىء مأجور إن شاء الله، لا ما يكون ابتناء الاجتهاد علىٰ حبّ الملك والرئاسة والمصالح الشخصية، فعليه ليس يكون له أجر، بل يعاقب على اجتهاده هذا.

وأنت خبير ممّا قدّمته أنّ الثلاثين لم تتمّ بموت علي عليه السلام وبيّن ذلك.

إلىٰ أن قال: وتمّت الثلاثون بمدّة خلافة الحسن بن علي عليهما السلام، فالذي ينبغي ـ كما قاله غير واحد من المحقّقين ـ أن يحمل قول من قال بإمامة معاوية عند وفاة علي عليه السلام علىٰ ما تقرّر من وفاته بنحو نصف سنة لمّا سلّم له الحسن عليه السلام الخلافة، والمانعون لخلافته يقولون: لا يعتدّ بتسليم الحسن عليه السلام الأمر إليه؛ لأنّه لم يسلّمه إليه إلاّ للضرورة(١). إلىٰ آخر كلامه، وسنذكره عن قريب.

وإذا كان الأمر علىٰ ما قرّرناه، والحال كما شرحناه، اتّجه السؤال الذي ذكره المرتضىٰ، واحتيج أن يجاب عنه الجواب المرتضىٰ؛ لأنّ الحسن عليه السلام كان عالماً أنّه أحقّ قريش بالإمامة، ولو بعد تمام البيعة له، وأحقّ من معاوية بل أكثر أعيان قريش، إذ ذاك كانوا أحقّ منه بها، لكونهم من المهاجرين الأوّلين أو أبنائهم، وأجمع لشروط الإمامة منه، وإنّما هو من الطلقاء ـ ولا نطلق الأقلام في هذا المرام، فإنّه يثير فيه وفي أبيه الغرام ـ وكان مع الحسن عليه السلام الجيش العظيم.

وروىٰ في الصواعق عن الحسن البصري: استقبل الحسن بن علي عليهما السلام معاوية بكتاب مثل الجبال. إلىٰ آخر الرواية(٢).

وقد كان معاوية في اجتهاد الحسن عليه السلام واجتهاد أبيه من قبله علىٰ خطأ وضلال، بل زلل واختلال، حيث خرج بغياً علىٰ خليفة الحقّ، وسفك في بغيه من الدماء ما احمرّت بلونه آفاق السماء، ولغير ذلك ممّا هو موجود في مكاتبات علي والحسن عليهما السلام، ومخاطبتهما ايّاه، وخطبهما ومحاوراتهما لغيره، وكذا غيرهما كابن

---

(١) الصواعق المحرقة ص ٢١٧.

(٢) الصواعق المحرقة ص ٢١٧.

عبّاس وغيره من أنصار علي عليه السلام، وذلك منذ بويع علي عليه السلام، ثمّ عند ثوران حرب صفّين، وفي ابتداء الحرب وفي أثنائه إلىٰ آخره، وبعد ذلك إلىٰ موت علي عليه السلام، وبعده إلىٰ صلح الحسن عليه السلام.

وبعد ذلك لا يمكن أن ينكر ولا يدفع ذلك؛ لكثرته وتواتره المعنوي.

وناهيك من ذلك قوله عليه السلام: وما كنت متّخذ المضلّين عضداً، حين قيل له: أبقه على الشام، ولا تبادر بعزله. وهو من النقل المشهور، حتّىٰ ذكره قطب الدين النهرواني مفتي الحنفية في رسالة المعمّيات[١].

وفي خطبة الحسن عليه السلام بعد الصلح المذكور، في الصواعق من جوامع الكلم، ما يكفي عن جميع تلك الكلامات في الدلالة على اعتقاده في معاوية وقومه حسب اجتهاده، كقوله: إن أكيس الكيس التقي، وأحمق الحمق الفجور. وقوله: إنّ معاوية نازعني حقّاً هو لي دونه. وقوله في ختام الخطبة: وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلىٰ حين[٢]. وفي هذا الإقتباس ساطع المقباس.

قال الذهبي في تاريخ الإسلام في ترجمة الحسن عليه السلام في تراجم أهل الطبقة الخامسة من سنة (٤١) إلىٰ سنة (٥٠): لمّا بايع الحسن عليه السلام معاوية، قال له عمرو بن العاص وأبو الأعور السلمي: لو أمرت الحسن فصعد المنبر فتكلّم، عيّ عن النطق، فقال معاوية: لا تفعلوا، فوالله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يمصّ لسانه وشفتيه، ولن يعيي لسان مصّه رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فأبوا علىٰ معاوية، فصعد معاوية المنبر، ثمّ أمر الحسن، فصعد وأمره أن يخبر الناس أنّي قد بايعت معاوية.

---

(١) رسالة المعمّيات، لم أعثر عليه.

(٢) الصواعق المحرقة ص ١٣٧.

فصعد فحمد الله، وأثنىٰ عليه، ثمّ قال: أيّها الناس إنّ الله هداكم بأوّلنا، وحقن دماءكم بآخرنها، وإنّي قد أخذت لكم علىٰ معاوية أن يعدل فيكم، وأن يوفّر عليكم غنائمكم، وأن يقسّم فيئكم، ثمّ أقبل علىٰ معاوية، فقال: أكذلك؟ قال: نعم.

ثمّ هبط من المنبر، وهو يقول ويشير باصبعه إلىٰ معاوية: ﴿وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلىٰ حين﴾ (١) فاشتدّ ذلك علىٰ معاوية، فقالوا: لو دعوته فاستنطقته ـ يعني: استفهمته ـ ما عنىٰ بالآية، فقال: مهلاً، فأبوا عليه، فدعوه، فأجابهم، فأقبل عليه عمرو، فقال له الحسن عليه السلام: أمّا أنت فقد اختلف فيك رجلان: رجل من قريش، وجزّار (٢) أهل المدينة، فادّعياك، فلا أدري أيّهما أبوك، فأقبل عليه أبو الأعور، فقال له الحسن عليه السلام: ألم يلعن رسول الله صلى الله عليه وآله رعلاً وذكوان وعمرو بن سفيان، وهذا اسم أبي الأعور، ثمّ أقبل عليه معاوية يعنيهما، فقال له الحسن عليه السلام: أما علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعن قائد الأحزاب وسائقهم، وكان أحدهما أبو سفيان، والآخر أبو الأعور السلمي (٣).

ومن العجيب قول السيد الشريف في شرح المواقف في المقصد السابع: إنّه يجب تعظيم الصحابة كلّهم، في آخره: والذي عليه الجمهور من الأمّة هو أنّ المخطىء قتلة عثمان ومحاربوا علي؛ لأنّهما إمامان، فيحرم القتل والمخالفة قطعاً، إلاّ أنّ بعضهم كالقاضي أبوبكر ذهب إلىٰ أنّ هذه الخطيئة لا تبلغ إلىٰ حدّ التفسيق. ومنهم من ذهب إلى التفسيق كالشيعة وكثير من أصحابنا. إنتهىٰ.

---

(١) سورة الأنبياء: ١١١.

(٢) في التاريخ: ورجل.

(٣) تاريخ الإسلام ٤: ٣٩.

والعجب من قوله «وكثير من أصحابنا» فتأمّل .

عصمة الإمام الحسن عليه السلام

قال المرتضىٰ: الجواب قلنا: قد ثبت أنّه ـ يعني الحسن عليه السلام ـ الإمام المعصوم المؤيّد الموفّق بالحجج الظاهرة، والأدلّة القاهرة، فلابدّ من التسليم لجميع أفعاله، وحملها على الصحّة، وإن كان فيها ما لا يعرف وجهه على التفصيل، أو كان له ظاهر ربما نفرت النفوس منه [١].

أقول: قوله «المعصوم» ظاهره البناء علىٰ أُصول الشيعة .

ويحتمل أنّه يريد العصمة بالمعنى اللغوي [٢] .

ففي الصحاح: العصمة المنع، يقال: عصمه الطعام، أي: منعه من الجوع [٣] .

ويكون قوله «المؤيّد الموفّق» قرينة علىٰ ذلك؛ لأنّ العصمة بمعنى المنع ترجع إلى التأييد والتوفيق والحفظ من الله تعالىٰ، كما قالوه في الأولياء [٤]، نفعنا الله بهم.

ولا ريب عند جميع أهل الاسلام إلاّ الخوارج والنواصب، والإستثناء منقطع؛ لمخالفتهم المعلوم بالضرورة من وجوب محبّة أقرباء النبي صلى الله عليه وآله، ولاسيّما أولاده

---

(١) تنزيه الأنبياء ص ١٦٩ ـ ١٧٠ .

(٢) وهذا تفسير لغوي لمعنى العصمة التي تعتقدها الشيعة الإمامية، لا أنّه وجه آخر في مقابل اعتقاد العصمة، كما هو سيفسّره ويصرّح بذلك أيضاً .

(٣) صحاح اللغة ٥: ٣٥٠ .

(٤) والمؤلّف يعبّر في طيّ كتابه هذا عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام بالأولياء، لأنّهم عليهم السلام لهم الولاية العامّة والخاصّة على النفوس البشرية، وفي بيان الأحكام عن الله تبارك وتعالى، ووجوب موالاتهم ومحبّتهم، كما ورد في الآية الشريفة ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربىٰ﴾، وبحكم حديث الغدير .

وذرّيته بلا فاصلة، أنّ الحسن عليه السلام وأخاه الحسين عليه السلام من سادات الأولياء، بل ما يستفاد من آية التطهير[١] يكاد يقرّب العصمة[٢].

وقد مرّ قول ابن حجر في الصواعق: حيث ابتدأت بـ«إنّما» المفيدة لحصر إرادته تعالىٰ علىٰ إذهاب الرجس الذي هو الإثم أو الشكّ.

وقوله: وتطهيرهم من سائر الأخلاق والأحوال المذمومة[٣].

المفهم أنّ التعريف في الرجس يفيد العموم، وهو كذلك عند المحقّقين من الشافعية، إلاّ الفخر الرازي وعند الحنفية، إلاّ أنّه بطريق الإستلزام، حيث لا معهود أي من كذا.

وإنّ قوله «ويطهّركم» يفيد العموم؛ إذ تقدير خاصّ دون خاصّ آخر ترجيح بلا مرجّح، وقد حقّق ذلك السيد الشريف في حاشية المطوّل في بحث حذف المفعول، وردّ به على السعد، فراجعه إن شئت كلام يستفاد منه إفادة الآية ما يقارب معنى العصمة.

وكذلك أحاديث التمسّك بالعترة تفيد ذلك، لكن عن الخطأ والضلال في الأحكام، وهذا أنسب ما نحن بصدده.

ووجه الإفادة العموم في الأزمان والأحوال الذي يفيده قوله صلى الله عليه وآله «ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا»[٤] وقوله في بعض الروايات «أمرين لن تضلّوا إن اتّبعتموهما»

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢) بل هذه الآية الشريفة أحد الأدلّة علىٰ وجوب العصمة في الأئمة عليهم السلام.

(٣) الصواعق المحرقة ص ١٤٤ ـ ١٤٥.

(٤) الصواعق المحرقة ص ١٤٥ و ١٤٩.

لأنّه في قوّة أن يقول: لن تضلّوا ما دمتم متمسّكين به، لا يرتاب في ذلك من له فهم، ولأنّ هذا هو المراد قطعاً في التمسّك بالقرآن، فكذلك العترة؛ لأنّه فسّر «ما» من قوله «ما إن تمسّكتم به» بالكتاب والعترة في قوله «كتاب الله وعترتي» فكتاب الله بدل.

وفي بعض الروايات «وهما كتاب الله وعترتي»(١) وهو أوضح في التفسير.

ولا يجوز أن يكون المراد في أحد الإثنين المفسّر بهما غير المراد في الثاني؛ إذ يدخل الكلام بذلك في الإلغاز والمعمّيات، وهذا التقرير هو معنىٰ قوله فيما سلف في أحاديث التمسّك، كما هو قضية الشرط.

وأيضاً قوله صلى الله عليه وآله «لن يفترقا»(٢) ظاهره عموم الأحوال، أي: وجوه الإفتراق.

قال العضدي في شرح مختصر ابن الحاجب: نفي المساواة نحو قوله تعالىٰ ﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنّة﴾(٣) هل يقتضي العموم؟ أي: يدلّ علىٰ عدم جميع وجوه المساواة، فلا يقتل المسلم بالكافر ولو ذمّياً، المختار أنّه يقتضي العموم، وكذلك غير المساواة من الأفعال، فلا آكل عامّ في وجوه الأكل، ولا أضرب عامّ في وجوه الضرب، ثمّ احتجّ لذلك بأنّه نكرة في سياق النفي؛ لأنّ الجملة نكرة باتّفاق النحاة(٤). إنتهىٰ.

---

(١) راجع: الأحاديث الواردة عن طريق العامّة بهذه الوجوه التي ذكرها، إلىٰ إحقاق الحقّ ٩: ٣٠٩ ـ ٣٧٥.

(٢) الصواعق المحرقة ص ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٣) سورة الحشر: ٢٠.

(٤) شرح مختصر ابن الحاجب للعضدي.

ولا يخفىٰ أنّ النفي بـ«لن» أبلغ من النفي بـ«لا» في قوله «فلا آكل» وقوله «لا أضرب» وهذان العمومان اللذان دلّلنا عليهما يفيدان قريباً من معنى العصمة، بل يفيد ذلك الدلالة الإطلاقية في الأزمنة والأحوال والوجوه، ولابدّ منها إن تنزّلنا عن الدلالة العمومية، والتعبير بـ«لن يفترقا» جاء في عدّة الروايات.

قال السيد السمهودي في جواهر العقدين: وعن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّي تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدودة ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، إنّهما لن يفترقا حتّىٰ يردا عليّ الحوض. قال: أخرجه أحمد في مسنده[١]، وعنه ابن حميد بسند جيد[٢].

ولا يخفىٰ تأييد التعبير بـ«خليفتين» لما تقدّم من وجوب تقديمهم في الولايات.

وقال السيد أيضاً: وعن أبي الطفيل: إنّ علياً عليه السلام قام، فحمد الله فأثنىٰ عليه، ثمّ قال: أنشد الله من شهد يوم غدير خمّ إلاّ قام، إلىٰ قوله: فقام سبعة رجال. الحديث. وفي آخره: ثمّ قال ﷺ: أيّها الناس إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّىٰ يردا عليّ الحوض، نبأني بذلك اللطيف الخبير[٣].

وفي مصابيح البغوي: في الحسان نقلاً من الترمذي[٤]، عن زيد بن أرقم، قال: قال

---

(١) إحقاق الحقّ ٩: ٣٤٢ ـ ٣٤٤.

(٢) جواهر العقدين ٢: ١٧١.

(٣) جواهر العقدين ٢: ١٧٠ ـ ١٧١، المستدرك للحاكم ٣: ١٠٩ و ١٤٨، والحديث عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم.

(٤) صحيح الترمذي ٥: ٦٢٢ برقم: ٣٧٨٨.

رسول الله ﷺ: إنّي تارك ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدودة من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرّقا حتّىٰ يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما[١].

وذكرها ابن حجر في الصواعق من الترمذي، قال: حسن غريب[٢]. قال: وأخرجه أحمد في مسنده[٣] بمعناه، ولفظه: إنّي أُوشك أن أُدعىٰ فأُجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وانّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لم يفترقا حتّىٰ يردا عليّ الحوض، فانظروا بم تخلفوني فيهما، قال: وسنده لا بأس به.

إلىٰ أن قال ابن حجر: وذكر ابن الجوزي له في العلل المتناهية وهم أو غفلة عن استحضار باقي طرقه، بل في مسلم أنّه ﷺ قال ذلك يوم غدير خمّ، وهو ماء بالجحفة[٤]. إنتهىٰ كلام ابن حجر.

وقال مثله السيد السمهودي في جواهر العقدين[٥].

والحاصل أنّ أحاديث التمسّك بعترة أهل البيت عليهم السلام كثيرة، بحيث يبلغ مجموعها حدّ التواتر المعنوي، يعلم ذلك من الصواعق، وكتاب السخاوي الذي

---

(١) مصابيح السنّة للبغوي ٤: ١٩٠ برقم: ٤٨١٦. ورواه أحمد في المسند ٤: ٣٦٦ ـ ٣٦٧، والدارمي في السنن ٢: ٤٣١ ـ ٤٣٢، والحاكم في المستدرك ٣: ١٤٨.

(٢) صحيح الترمذي ٥: ٦٢٢ برقم: ٣٧٨٨.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٤: ٣٦٦ ـ ٣٦٧.

(٤) الصواعق المحرقة ص ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٥) جواهر العقدين ٢: ١٧٠ ـ ١٧١.

لخّصه في آخر الصواعق، وكتاب جواهر العقدين، وكتاب وسيلة المآل للشيخ أحمد بن الفضل باكثير [١].

وهؤلاء أعيان المتأخّرين، الذين غربلوا أسانيد الأحاديث، بل نخلوها ومنحوها التحقيق ونحلوها، وأضعفوا عصبية الوضع وأنحلوها، والقدر المشترك بينهما الأمر بالتمسّك عامّاً في الأزمان والأحوال، ووجوه التمسّك أعني ما يتمسّك بهم فيه، أو مطلقا في ذلك، وكلّ من العموم والإطلاق يفيد ما أفاد آية التطهير، أعني: وجود ما يقارب معنى العصمة فيهم، وذلك كاف في صحّة قول المرتضىٰ، فلابدّ من التسليم لجميع أفعاله إلىٰ آخره، بل يكفي في ذلك قوله «المؤيّد الموفّق» ولا يرتاب في ذلك مسلم.

وحسبك دليلاً عليه قول معاوية في رواية الذهبي التي تقدّم نقلها «فوالله لقد رأيت رسول الله ﷺ يمصّ لسانه وشفتيه، ولن يعي لسان مصّه رسول الله ﷺ» [٢].

تذييل فيه جمع دفع تخييل

قولي «يبلغ مجموعها حدّ التواتر المعنوي» يقرّبه فيذعن له الخصم، ويقرّبه إستدلال ابن الحاجب في مختصره، وشارحه العضد، وغيرهما من أئمّة أُصول الفقه، وهما ناقلان عنهم علىٰ حجّية الإجماع بقوله ﷺ «لا تجتمع أُمّتي على الضلالة» مدّعياً فيه التواتر المعنوي، وهو أنّه جاء بروايات كثيرة، نحو «لا تجتمع

(١) راجع: الروايات الواردة المتواترة المتضافرة عن طريق العامّة في وجوب التمسّك بعترة أهل البيت عليهم السلام، إلىٰ إحقاق الحقّ للقاضي الشهيد التستري، وملحقاته للسيد المرعشي النجفي.

(٢) تاريخ الإسلام ٤: ٣٩.

أمّتي على الضلالة» «لا تزال طائفة من أمّتي على الحقّ حتّىٰ تقوم الساعة»[١] «يد الله على الجماعة»[٢] «من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية»[٣] وغير ذلك[٤].

والحاصل أنّ الوارد في هذا المعنىٰ، ما ذكره شارح كتاب الورقات لإمام الحرمين، وهو الشيخ محمّد بن العزّ الحجازي الشافعي، واسم الشرح غاية المرام في شرح ورقات الإمام، ثلاثة أحاديث:

أحدها: قال فيه الجاحظ أبو عمرو بن الصلاح: إنّه أجود طريق لهذا الحديث، رواه أبو داود عن أبي مالك الأشعري: إنّ الله أجاركم من ثلاث خصال: أن لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا، وأن لا يظهر أهل الباطل علىٰ أهل الحقّ، وأن لا تجتمعوا علىٰ ظلالة[٥].

قال: وهذا خطاب للصحابة، لا يتناول من بعدهم، ويشكل متن هذا الحديث بالإجماع في علي عليه السلام ومعاوية، أنّ علياً عليه السلام المصيب، ومعاوية مجتهد مخطىء، وقد ظهر عليه معاوية.

حتّىٰ نقل ابن حجر في الصواعق، أنّه عليه السلام بعد أن خلعه أبو موسى الأشعري، وأقرّ

---

(١) كنز العمّال ١٤: ٥٥٥ برقم: ٣٩٥٨٧.

(٢) كنز العمّال ٧: ٥٥٨ برقم: ٢٠٢٤١.

(٣) كنز العمّال ١: ٢٠٨.

(٤) وحيث انّ الرسول صلى الله عليه وآله صرّح في مواطن كثيرة نقلها العامّة من طرقهم، أنّه صلى الله عليه وآله أمر بمتابعة علي عليه السلام، فعموم هذه الروايات مقيّدة باتّباع علي عليه السلام.

(٥) سنن أبي داود ٤: ٩٨ برقم: ٤٢٥٣.

عمرو بن العاص معاوية، وتفرّق الناس على ذلك، وصار علي عليه السلام في خلافٍ من أصحابه، حتّىٰ صار يعضّ علىٰ اصبعه، ويقول: أُعصي ويطاع معاوية[١]. إنتهىٰ.

والحديث الثاني: خرّجه الترمذي من حديث ابن عمر: إنّ الله لا يجمع أُمّتي ـ أو قال: أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ـ علىٰ ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذّ شذّ في النار. قال أبوعيسىٰ: هذا حديث غريب[٢].

وقال يحيى بن معين: في رواية إنّه ليس بشيء، وضعّفه أبوحاتم، وقال: إنّه يروي عن الثقات أحاديث منكرة، وقال أبوزرعة: إنّه منكر الحديث[٣].

والحديث الثالث: من طريق المسيّب بن واضح، من حديث ابن عمر: لا تجتمع أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم علىٰ ضلالة، وعليكم بالسواد الأعظم، ومن شذّ شذّ في النار[٤]. وفيه إنّ المسيّب مشهور وضعه.

وقد وافق شارح الورقات الإمام الرازي في المحصول.

وقال القطب العلاّمة في حاشيته على المحصول: كلّ خبر منه ضعيف المتن،

---

(١) الصواعق المحرقة ص ١١٩.

(٢) صحيح الترمذي ٤: ٤٠٥ برقم: ٢١٦٧. غريب من جهة سليمان المدني.

(٣) والكلام حول تضعيف سليمان المدني، راجع: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ٤: ١١٩، وتاريخ يحيى بن معين ١: ١٧٣، والضعفاء والمتروكين ص ١٢٠، والضعفاء والمتروكين للدارقطني ص ٩٨، والضعفاء لأبي‌زرعة ٢: ٥١٢، وتهذيب الكمال للمزّي ١١: ٤٣٦.

(٤) كنز العمّال ١: ١٨٠، ورواه ابن ماجة في سننه ٢: ١٣٠٣، وقال: في الزوائد: في إسناده أبوخلف الأعمىٰ، واسمه حازم بن عطاء، وهو ضعيف، وقد جاء الحديث بطرق في كلّها نظر، قاله شيخنا العراقي في تخريج أحاديث البيضاوي.

غير مستفيض ولا مشهور .

وقال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم في باب «لا تزال طائفة من أُمّتي ظاهر على الحقّ»: وفيه دليل لكون الإجماع حجّة، وهو أوضح ما يستدلّ به من الحديث. وأمّا حديث «لا تجتمع أُمّتي على ضلالة» فضعيف. إنتهى كلام النووي .

ووجه الدلالة من هذا الحديث، أنّه إذا تحقّق الإجماع من جميع الأُمّـة قـطع بدخول هذه الطائفة من الأمّة في الإجماع .

وهو في صحيح مسلم، وفي البخاري بعد باب قـوله تـعالىٰ ﴿يـعرفونه كـما يعرفون أبناءهم﴾[1] رواه معاوية، ولفظه: قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا تزال من أُمّتي أُمّة قائمة بأمر الله لا يضرّهم من خذلهم ولا من خالفهم حتّىٰ يأتي أمر الله وهم علىٰ ذلك[2] .

والقصد أنّه إذا ادّعىٰ جماعة من أئمّة الأُصول التواتر المعنوي في مثل هـذه الأحاديث مع حديث «لا تزال طائفة» بل مع خروجها؛ لأنّه ليس بمضمونها بل قد ينافيه؛ لأنّ كون الحقّ في بعض المجموع دائماً يستلزم ذلك الحقّ عمّن عدا ذلك البعض من المجموع دائماً، حتّىٰ يتّصفون بتقليد ذلك البعض، ولما ذكرناه لم يعضد النووي حديث «لا تجتمع أُمّتي» بـ«حديث لا تزال طائفة» بل جعله دليلاً برأسه .

فلا غرو أن يدّعى التواتر المعنوي في أحاديث التـمسّك التـي مـن جـملتها حديث الغدير، فإنّ أكثر طرقه وأصحّها يشتمل علىٰ مضمونها المنير، ومـجموع

---

(١) سورة البقرة: ١٤٦ .

(٢) صحيح مسلم ٣: ١٥٢٤ برقم: ١٠٣٧ .

تلك الطرق يحتاج إلىٰ مجلّد كبير (١).

بل قد نقل السيد في جواهر العقدين، والشيخ أحمد باكثير في وسيلة المآل، عن ابن حجر العسقلاني أنّ حديث «من كنت مولاه» أخرجه الترمذي والنسائي، وهو كثير الطرق جدّاً، وقد استوعب ابن عقدة في كتاب مفرد وكثير من أسانيدها صحاح وحسان (٢). إنتهىٰ.

---

(١) وقد صنّف علماء الشيعة والعامّة كتباً ورسائل في حديث الغدير، ومن أحسن من صنّف في ذلك العلاّمة الحجّة المجاهد الشيخ عبدالحسين الأميني، في كتابه القيم الغدير في عدّة مجلّدات، فراجعه إن كنت تريد الهداية والتبصّر في الدين.

(٢) قال العلاّمة السيد ابن طاووس في كتاب الطرائف ص ١٣٩ المطبوع بتحقيقي: وقد صنّف العلماء بالأخبار كتباً كثيرة في حديث يوم الغدير ووقائعه في الحروب، وذكر فضائل اختصّ بها من دون غيره.

وممّن صنّف تفصيل ما حقّقناه أبوالعبّاس أحمد بن محمّد بن سعيد الهمداني الحافظ المعروف بابن عقدة، وهو ثقة عند أرباب المذاهب، وجعل ذلك كتاباً محرّراً سمّاه حديث الولاية، وذكر الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله بذلك، وأسماء الرواة من الصحابة، وقد أثنىٰ على ابن عقدة الخطيب صاحب تاريخ بغداد وزكّاه.

وهذه أسماء من روي عنهم حديث يوم الغدير ونصّ النبي صلى الله عليه وآله علىٰ علي عليه السلام بالخلافة، وإظهار ذلك عند الكافّة، ومنهم من هنّأه بذلك: أبوبكر عبدالله بن عثمان، عمر بن الخطّاب، عثمان بن عفّان، علي بن أبي طالب عليه السلام، طلحة بن عبيدالله، الزبير بن العوّام، عبدالرحمن بن عوف، سعيد بن مالك، العبّاس بن عبدالمطّلب، الحسن بن علي عليه السلام، الحسين بن علي عليه السلام، عبدالله بن عبّاس.

عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، عبدالله بن مسعود، عمّار بن ياسر، أبوذرّ جندب ⇩

العلّة التي من أجلها صالح الإمام الحسن عليه السلام معاوية

قال المرتضىٰ رحمه الله: وبعد، فإنّ الذي جرىٰ منه ـ يعني: الحسن عليه السلام ـ كان السبب فيه ظاهراً، والحامل عليه بيّناً جليّاً؛ لأنّ المجتمعين له من الأصحاب وإن كانوا كثيري العدد، فقد كانت قلوب أكثرهم دغلة مغلّة غير صافية، وقد كانوا صبّوا إلىٰ

ـه بن جنادة الغفاري، سلمان الفارسي، أسعد بن زرارة الأنصاري، خزيمة بن ثابت الأنصاري، أبوأيّوب خالد بن زيد الأنصاري، سهل بن حنيف الأنصاري، حذيفة بن اليمان، عبدالله بن عمر بن الخطّاب، البراء بن عازب الأنصاري، رفاعة بن رافع، سمرة بن جندب، سلمة بن الأكوع الأسلمي، زيد بن ثابت الأنصاري، أبوليلى الأنصاري، أبوقدامة الأنصاري.

سهل بن سعد الأنصاري، عدي بن حاتم الطائي، ثابت بن زيد بن وديعة، كعب ابن عجرة الأنصاري، أبوالهيثم بن التيهان الأنصاري، هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص الزهري. وعدّ إلىٰ صفحتين من الكتاب أسامي جماعة كثيرة من الصحابة رووا حديث الغدير.

ثمّ قال: وقد روىٰ الحديث محمّد بن جرير الطبري صاحب التاريخ من خمس وسبعين طريقاً، وأفرد له كتاباً سمّاه حديث الولاية. ثمّ قال: قال ابن المغازلي الشافعي بعد رواياته خبر يوم الغدير: هذا حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد روىٰ حديث غدير خمّ نحو مائة نفس، منهم العشرة. وهو حديث ثابت لا أعرف له علّة، تفرّد علي عليه السلام بهذه الفضيلة لم يشركه فيها أحد.

أقول: ومع هذا التصريح البليغ، فلا يبقىٰ مجال للتشكيك في وجوب التمسّك بعترة النبي صلى الله عليه وآله، ولابدّ أن تكون الوحدة والاجتماع حول محور ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام، والإذعان بخلافته عليه السلام بلا فصل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله. فالذين غيّروا المسير، هم الذين اجتمعوا على الضلالة، وسبّبوا افتراق الأُمّة.

دنيا معاوية، وإمراحه من أحبّ في الأموال من غير مراقبة ولا مساترة، فأظهروا له عليه السلام النصرة، وحملوه على المحاربة والاستعداد لها، طمعاً في أن يورّطوه ويسلّموه، فأحسّ الحسن عليه السلام بهذا منهم قبل التولّج والتلبّس، فتخلّىٰ من الأمر، وتحرّز عن المكيدة التي كادت تتمّ عليه في سعة من الوقت.

وقد صرّح عليه السلام بهذه الجملة، وكان يكثر[1] من تفصيلها في مواقف كثيرة، وبألفاظ مختلفة، وقال: إنّما هادنت حقناً للدماء، وصيانة لها، وإشفاقاً علىٰ نفسي وأهلي والمخلصين من أصحابي.

فكيف لا يخاف أصحابه ويتّهمهم علىٰ نفسه وأهله، وهو عليه السلام لمّا كتب إلىٰ معاوية يعلمه أنّ الناس قد بايعوه بعد أبيه عليه السلام، ويدعوه إلىٰ طاعته. فأجابه معاوية بالجواب المعروف المتضمّن للمغالطة[2] منه والمواربة، وقال فيه: لو كنت أعلم أنّك أقوم بالأمر، وأضبط للناس، وأكيد للعدوّ، وأقوىٰ علىٰ جمع الأموال منّي لبايعتك؛ لأنّي أراك لكلّ خير أهلاً.

وقال في كتابه: إنّ أمري وأمرك شبيه بأمر أبي بكر وأمركم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، دعاه ذلك إلىٰ أن خطب الناس[3] بالكوفة، يحثّهم على الجهاد، ويعرّفهم فضله، وما في الصبر عليه من الأجر، وأمرهم أن يخرجوا إلىٰ معسكرهم، فما أجابه أحد.

فقال لهم عديّ بن حاتم: سبحان الله ألا تجيبون إمامكم؟ أين خطباء مضر؟

---

(١) في التنزيه: ويكثير.

(٢) في التنزيه: للمعاطفة.

(٣) في التنزيه: بأصحابه.

فقام قيس بن سعد وفلان وفلان، فبذلوا الجهاد، وأحسنوا القول .

ونحن نعلم أنّ من قصّر [١] بكلامه أولىٰ بأن يقصّر [٢] بفعاله، أوليس أحدهم قد جلس له عليه السلام في مظلم ساباط، وطعنه بمعول كان معه، أصاب فخذه وشقّه، حتّىٰ وصل إلى العظم، وانتزع من يده وحمل عليه السلام إلى المدائن، وعليها سعيد بن مسعود عمّ المختار، وكان أمير المؤمنين أبوه عليه السلام ولاّه إيّاها، فأدخله منزله، فأشار المختار علىٰ عمّه أن يوثّقه كتافاً، ويسير به إلىٰ معاوية، علىٰ أن يطعمه خراج جوخي سنة.

فأبىٰ عليه، وقال للمختار: قبّح الله رأيك أنا عامل أبيه، وقد ائتمنني وشرّفني ووهبني، نسيت بلاء أبيه، أنسىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ولا أحفظه في ابن بنته وحبيبه .

ثمّ إنّ سعيد بن مسعود أتاه عليه السلام بطبيب، وقام عليه حتّىٰ برىء، وحوّله إلىٰ بياض [٣] المدائن، فمن ذا الذي يرجو السلامة بالمقام بين هؤلاء القوم، فضلاً عن النصرة والمعونة .

ذيل: خلاصة هذا الكلام أنّ الحسن عليه السلام إنّما صالح ونزل عن الخلافة، وبايع من اعتقاده فيه اعتقاده، ويحكم بتضليله وتخطأة اجتهاده، ويرىٰ نفسه عليه السلام بل هو دونه من رجال قريش أحقّ منه بالإمامة، ويرىٰ أنّه يسير بسيرة الملوك، ويسلك مسلك طالبي الزعامة اضطراراً إلىٰ ذلك لا اختياراً منه عليه السلام .

وسبب الاضطرار اتّصاف أكثر أصحابه وأنصاره وأعوانه بما أطنب في بيانه .

وهذا مذهب من يقول من أهل السنّة بعدم ثبوت إمامة معاوية، ولا بعد صلح

---

(١) في التنزيه: ضنّ .

(٢) في التنزيه: يضنّ .

(٣) في التنزيه: بعض. والبياض إشارة إلى القصر الأبيض بالمدائن .

الحسن عليه السلام ومبايعته .

كما نقله ابن حجر في الصواعق بقوله في كلامه الذي سبق نقل أكثره: والمانعون لخلافته يقولون: لا يعتدّ بتلسيم الحسن عليه السلام الأمر إليه؛ لأنّه لم يسلّمه إلاّ للضرورة، لعلمه بأنّه ـ أعني معاوية ـ لا يسلّم الأمر للحسن عليه السلام، وأنّه قاصد للقتال والسفك إن لم يسلّم الحسن عليه السلام الأمر إليه، فلم يترك الأمر إليه إلاّ صوناً لدماء المسلمين (١).
إنتهى كلام ابن حجر .

ومرادهم سفك الدماء الذي يقرح القلوب، ثمّ لا يحصل بعده المطلوب، كما سنبيّنه، وما ذاك إلاّ لعدم وثوق الحسن عليه السلام بأصحابه لو قاتل، وخوفه أن يسلّموه إلى معاوية، أو يتخلّوا عنه ويفرّوا بعد ثوران الحرب، لإدغالهم وسوء نياتهم، أي أكثرهم، فيعجز المخلصون منهم عن نصرته لقلّتهم، وكثرة جيش أهل الشام، ولأنّه يصير حينئذ هو والمخلصون بين عدوّين: الجيش المقابل لهم، والمدغلين المخالطين لهم، ورئيس الجيش إذا وقع في مثل ذلك أسرعت إليه المهالك، وسدّت عليه دون النجاة المسالك .

والذي قاله المرتضى رضي الله عنه هو الذي ذكره الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام في أوّل الطبقة الخامسة سنة احدى وأربعين عام الجماعة؛ لاجتماع الأُمّة فيه على خليفة واحد، وهو معاوية، بقوله: وعن عوانة بن الحكم، قال: سار الحسن عليه السلام حتّى نزل المدائن، وبعث قيس بن سعد بن عبادة على المقدّمة في اثني عشر ألفاً. فبينا الحسن عليه السلام بالمدائن إذ نادى منادٍ: ألا إنّ قيساً قد قتل، فاختبط الناس، وانتهب الغوغاء سرادق الحسن عليه السلام، حتّى نازعوه بساطه تحته، وطعنه رجل من الخوارج

---

(١) الصواعق المحرقة ص ٢١٧ .

من بني أسد بخنجر، فوثب الناس على الرجل، فقتلوه لا رحمه الله، ونزل الحسن عليه السلام القصر الأبيض بالمدائن، وكاتب معاوية في الصلح.

وقال نحو هذا: أبوإسحاق، والشعبي.

وروي أنّه إنّما خلع نفسه لهذا، وهو أنّه قام فيهم، فقال: ما ثنانا عن أهل الشام شكّ ولا زيغ، ولكن كنتم في منتدبكم إلىٰ صفّين ودينكم أمام دنياكم، فأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم[1].

وهذا الذي ذكره الذهبي صريح في أنّ الصلح والنزول عن الخلافة كان اضطراريّاً بسبب الصادر من أصحابه، كما قاله المرتضىٰ، ومؤيّد لقول المرتضىٰ: إنّهم كانت قلوب أكثرهم دغلة مغلّة غير صافية. إلىٰ آخر ما قاله.

وأيّ غلّ ودغل وفساد دينية أعظم من أن يقع فيهم الاغتباط المفضي إلىٰ نهب سرادق إمامهم، وابن بنت نبيهم صلى الله عليه وآله وريحانته، وابن فاطمة الزهراء عليها السلام، وابن خليفتهم بالأمس أميرالمؤمنين عليه السلام أفضل الخلق في عصره، بل عند الشيعة منهم، وغالب أهل الكوفة شيعة، ثمّ يبلغ النهب والغارة إلىٰ منازعة بساطه من تحته.

كلّ ذلك بمجرّد الارجاف ـ في هذا الجيش العظيم الذي يبلغ أربعين ألفاً، كما ذكره ابن حجر والذهبي وغيرهما، وعبّر عنه الحسن البصري كما في الصواعق بأمثال الجبال ـ بأنّه قد قتل قيس بن سعد بن عبادة رئيس المقدّمة، وإنّما هي مقدّمة لهذا الجيش العظيم، ولم يقع الارجاف بأنّ المقدّمة قد انهزمت، وإنّما أرجف بقتل رئيسها.

ولئن كان هذا من الغوغاء، فالجيش كلّه أو غالبه غوغاء، فكيف يقاتل؟ بل

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٤: ٥ ـ ٦.

كيف يأمن علىٰ نفسه بجيش غالبه غوغاء؟ أو يعجز عن حمايته من الغوغاء؟ حتّىٰ بلغوا إلىٰ نهب خيمة الإمام، ومنازعة البساط من تحته .

ويصرّح بأنّ قلوب أكثر أصحابه كانت دغلة مغلّة، وأنّهم نياتهم فاسدة، وأديانهم رقيقة، وعدالتهم دقيقة، قوله عليه السلام «كنتم في منتدبكم إلىٰ صفّين» إلىٰ آخر ذلك الكلام .

ويصرّح بأنّ الصلح كان عن الضرورة الناشئة عن ذلك، قوله «ما ثنانا عن أهل الشام شكّ ولا زيغ لكن» الخ .

فأضف هذا إلىٰ ما ذكره المرتضىٰ من أنّ الحسن عليه السلام لمّا خطبهم في ابتداء المسير، وطلب نصرتهم، وحثّهم على الجهاد، تثاقلوا حتّىٰ لم يجبه أحد منهم، حتّىٰ قال عدي بن حاتم ذلك التأنيب العظيم لهم الشديد، ثمّ لم يفد ذلك حتّىٰ نهض بإجابته قيس بن سعد وأفراد معه من الرؤساء المخلصين، فأجابوا بالطاعة والحركة للمسير إلى الجهاد .

أفلا يدلّ ذلك العاقل أنّ ذلك الجيش إنّما تلفّق تبعاً لأُولئك الأفراد المخلصين تلفّقاً ناشئاً عن أغراض غير دينية، كالحياء والتذمّم من بعضهم، والتوصّل إلى العذر بالحسن عليه السلام، والخيانة حتّىٰ يتقرّبوا بذلك إلىٰ معاوية من بعض آخر، وكالنفاق بأن يكونوا إن غَلب الحسن عليه السلام قد تجمّلوا معه، وإن غُلب قلّبوا له ظهر المجن من أمارات الغلب، فكيف يقاتل الحسن عليه السلام بمن هذه صفتهم، أو يأمن أن يكون معهم .

وهذا الذي ذكره المرتضىٰ موجود في كتب السير والتاريخ المعتمدة، وكتب الأدب وأخبار العرب، وإنّما لم يذكره الذهبي اختصاراً؛ إذ لو بسط القصص والأخبار لبلغ تاريخه مضاعف حجمه الذي بلغ إليه، وهو مجموعات عديدة .

وقد لخّص الشيخ أحمد بن الفضل باكثير في كتابه وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل[١]،واسمه تاريخ عام تصنيفه،فأحسبه أكثر المروي في الكتب التي أشرنا إليها.

حيث قال: روي أنّه عليه السلام خطب الناس لمّا مات أبوه عليه السلام، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال: قبض هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون، ولم يدركه الآخرون، لقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فيقيه بنفسه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يوجّهه برايته، فيكتنفه جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، فلا يرجع حتّىٰ يفتح الله علىٰ يديه، ولقد مات في الليلة التي عرّج فيها بعيسى بن مريم عليه السلام، وما خلّف صفراء ولا بيضاء سوىٰ سبعمائة درهم فضلت عن عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله.

أقول: كيف تميل أكثر الناس إليه، وتصدّق الحرب معه، وهو يفهم هذا الإفلاس وحبّ المال حبّاً جمّا، كالطبيعي تنثني عليه الحقائب والأكياس.

عادت الخطبة، ثمّ خنقته العبرة، فبكىٰ وبكى الناس معه، ثمّ قال: أيّها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، أنا من الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، أنا من أهل بيت فرض الله مودّتهم في كتابه، فقال عزّ من قائل: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربىٰ ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا﴾ والحسنة مودّتنا أهل البيت، إلىٰ آخرها[٢].

وهذه الخطبة رواها عمرو بن ثابت، عن أبي إسحاق السبيعي[٣].

---

(١) وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل، مخطوط.

(٢) روىٰ هذه الخطبة بعين ما ذكر ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة ص١٤٢.

(٣) راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٣٠.

وفي الأغاني: أنّه لم يروها عن أبي إسحاق السبيعي إلاّ بعد أن تردّد عليه سنة[١].

رجع النقل، ثمّ جلس، فقام عبيدالله بن العبّاس بين يديه، فقال: معاشر الناس هذا ابن نبيكم، ووصي إمامكم، فبايعوه، فبادر الناس إلىٰ بيعته، وكان ذلك يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان، وقيل: اليوم الأحد الثالث والعشرين منه، وحينئذ رتّب الحسن عليه السلام العمّال، وأمّر الأمراء، وجنّد الجنود، وفرّق العطيات[٢].

أقول: لكنّه علىٰ منهج أبيه عليه السلام، ولا يتجاوز الاستحقاق الشرعي، كما ارتكبه غيره من الخلفاء.

وذكر أبوالفرج الاصبهاني في كتاب الأغاني فيما رأيته منقولاً منه: انّ أوّل شيء أحدثه الحسن عليه السلام أنّه زاد المقاتلة مائة مائة، وقد كان علي عليه السلام فعل ذلك يوم الجمل، وفعله الحسن عليه السلام حال الاستخلاف، وتبعه من بعده الخلفاء في ذلك[٣].

عاد النقل من وسيلة المآل: وبقي عليه السلام خليفة نحو سبعة أشهر بالحجاز واليمن والعراق وخراسان وغير ذلك، ولمّا بلغ معاوية أنفذ رجلاً من حمير إلى الكوفة، وآخر من بني القين إلى البصرة، ليطّلعاه على الأخبار، ويفسدا على الحسن عليه السلام الأمر، ويغيّرا عليه قلوب الناس، فعرّف الحسن عليه السلام بمكانهما، فأخذهما وقتلهما.

وكتب إلىٰ معاوية: أمّا بعد، فإنّك دسست الرجال للإحتيال، وأذكيت العيون،

---

(١) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني ص ٥١.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٦: ٣٠ ـ ٣١.

(٣) مقاتل الطالبيين ص ٥٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٣٣.

كأنّك تحبّ اللقاء، ولا تؤثر البقاء[١].

أقول: هذا من كتاب الأغاني فيما رأيته منقولاً منه، وفيه بعد قوله «كأنّك تحبّ اللقاء»: بل لا أشكّ في ذلك فتوقّعه، وبلغني أنّك شمتّ بما لم يشمت به ذوي الحجىٰ، وإنّما مثلك في ذلك كما قال:

فإنّا ومَن قد مات قبل[٢] لكالذي ... يروح فيُمسي في المبيت ليغتدي
فقل للذي يبغي خلاف الذي مضىٰ ... تجهّز لأُخرىٰ مثلها فكأن قد

قال: فكتب إليه معاوية: أمّا بعد، فقد وصل كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، ولقد علمت بما حدث، فلم أفرح ولم أحزن، ولم أشمت ولم آس، وإنّ علياً أباك لكما قال أعشى بن قيس بن ثعلبة:

فأنت الجواد وأنت الذي ... إذا ما القلوب ملأن الصدورا
جديرٌ بطعنة يوم اللقا ... أيضرب منها النساء الصدورا[٣]
وما مزيدٌ من خليج البحا ... ر يعلو الإكام ويعلو الجسورا
بأجود منه بما عنده ... فيعطى البدور ويعطى الألوفا[٤]

قال أبوالفرج: وكتب عبدالله بن عبّاس من البصرة إلىٰ معاوية: أمّا بعد، فإنّك ودسّك أخا بني القين إلى البصرة، تلتمس من غفلات قريش بمثل ما ظفرت به من يمانيّتك، لكما قال أُمية بن الصلت:

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ١٦: ٣١.

(٢) في الشرح: قد مات منّا.

(٣) في الشرح: النحورا.

(٤) في الشرح: فيعطى الألوف ويعطى البدورا

لعمرك إنّي والخزاعي طارقاً ... كنعجة عادٍ حتفها تتحفّر

أثارت عليها شفرةً بكراعها ... فظلّت بها من آخر الليل تنحر

شمتّ بقومٍ من صديقك أهلكوا ... أصابهم يومٌ من الدهر أصفر

فأجابه معاوية: أمّا بعد، فإنّ الحسن بن علي قد كتب إليّ بنحو ما كتبت، وأنبأني بما لم يحقّ سوء ظنّ ورأي فيّ، وإنّك لم تصب مثلي ومثلكم، وإنّما ومثلنا كما قال طارق الخزاعي يجيب أُميّة عن هذا الشعر :

فوالله ما أدري وانّي لصادقٌ ... إلىٰ أيّ مـن يظنّني أتعذّر

أعنّف إن كان زبينه أهلكت ... ونال بني لحيان شرّ فأنفر(١)

ذكرت هذا علىٰ طوله لما فيه من الأدب المستفاد، وتعليم الحلم من أُولئك الأمجاد، وإن كان في قوله «ولم أحزن ولم آس» ما يسأل عنه يوم المعاد؛ لأنّ الميت أكرم الناس عند ربّ العباد .

ولما في هذا المنقول من الاعتراف والفضل ما شهدت به الأضداد .

ولدلالته علىٰ أنّ ابن عبّاس كان حين موت علي عليه السلام بالبصرة والياً عليها، فبقي كذلك في استخلاف الحسن عليه السلام ، فيبيّن ذلك أنّ الذي قام بين يدي الحسن عليه السلام وطلب من الناس عبيدالله أخو عبدالله بن عبّاس .

ويبيّن أيضاً كذب المنقول عن ابن عبّاس أنّه في أواخر أيّام علي عليه السلام احتاز مال البصرة وفرّ به إلى الحجاز، وأقام بمكّة، فكتب إليه علي عليه السلام عتاباً خشناً، فأجاب بجواب فيه تعيير بما سفكه من الدماء(٢) .

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ٥٢ ـ ٥٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٣١ـ٣٢.

(٢) نهج البلاغة ص ٤١٢ رقم الكتاب: ٤١، وفيه: ومن كتاب له عليه السلام إلىٰ بعض

وذلك كلّه موجود في شرح النهج [١]، وابن أبي الحديد مصنّفه توقّف في قبول تلك النقول، وكذلك ابن المطهّر الحلّي [٢]، وغيره من علماء الإمامية في كتب رجالهم .

والراوندي منهم، وهو شارح نهج البلاغة قبل ابن أبي الحديد، نسب ذلك إلىٰ غير ابن عبّاس من أولاده [٣]، وغلّطه في ذلك ابن أبي الحديد [٤] .

وممّا يحقّق أنّ ابن عبّاس لم ينعزل عن البصرة، ولم يعزل إلىٰ وقت استخلاف الحسن عليه السلام، ما في كتاب أبي الحسن المدائني، وناهيك به فيما رأيته منقولاً منه وهو هذا: وحدّثنا أبوبكر بن الأسود، قال: كتب ابن عبّاس إلى الحسن عليه السلام: أمّا بعد، فإنّ المسلمين ولّوك أمرهم بعد علي عليه السلام، فشمّر للحرب، وجاهد عدوّك، وقارب أصحابك، واستر من الظنين دينه بما لا يثلم لك ديناً، ووال أهل البيوتات والشرف، تستصلح به عشائرهم، حتّىٰ تكون للناس جماعة .

فإنّ بعض ما يكره الناس ما لم يتعدّ الحقّ، وكانت عواقبه تؤدّي إلىٰ ظهور الحقّ والعدل، وعزّ الدين خير من كثير ممّا يحبّه الناس إذا كانت عواقبه تدعو إلىٰ ظهور الجور، وذلّ المؤمنين، وعزّ الفاجرين، واقتد بما جاء عن أئمّة العدل، فقد

← عمّاله. وليس فيه ما يدلّ علىٰ أنّ العامل المكتوب إليه الرسالة هو عبدالله بن عبّاس، فهو استنباط غير صحيح في كون المكتوب إليه هو ابن عبّاس .

(١) شرح نهج البلاغة ١٦: ١٦٩ .

(٢) خلاصة الأقوال للعلاّمة الحلّي ص ١٩٠ ـ ١٩١ .

(٣) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة للراوندي ٣: ١٣٤، قال: ويمكن أن يكون هذا العامل عبيدالله بن العبّاس، فنحو ذلك بهذا أليق .

(٤) شرح نهج البلاغة ١٦: ١٧١، قال: وليس ذلك بصحيح، فإنّ عبيدالله كان عامل علي عليه السلام على اليمن .

جاء عنهم أنّه لا يصلح الكذب إلاّ في حرب، أو إصلاح بين الناس، فإنّ الحرب خدعة، ولك في ذلك سعة؛ إذ كنت محارباً ما لم تبطل حقّاً.

واعلم أنّ أباك إنّما رغب الناس عنه إلىٰ معاوية أنّه أساء بينهم في الفيء، وسوّىٰ بينهم في العطاء، فثقل ذلك عليهم.

واعلم أنّك تحارب من حارب الله ورسوله في ابتداء الإسلام، حتّىٰ ظهر أمر الله، فلمّا وحّد الربّ، ومحق الشرك، وعزّ الدين، أظهروا الإيمان، وقرؤوا القرآن، مستهزئين بآياته، وقاموا إلى الصلاة وهم كسالىٰ، وأدّوا الفرائض، وهم لها كارهون.

فلمّا رأوا أنّه لا يعزّ في الدين إلاّ الأتقياء الأبرار، توسّموا بسيماء الصالحين، لتظنّ المسلمون بهم خيراً، فما زالوا بذلك حتّىٰ شركوهم في أماناتهم، وقالوا: حسابهم على الله، فإن كانوا صادقين فإخواننا في الدين، وإن كانوا كاذبين كانوا بما اقترفوا هم الأخسرين، وقد منيت بأولئك وبأبنائهم وأشباههم.

والله ما زادهم طول العمر إلاّ غيّاً، ولا زادهم ذلك لأهل الدين إلاّ مقتاً، فجاهدهم ولا ترض دنيّة، ولا تقبل خسفاً، فإنّ علياً لم يجب إلى الحكومة حتّىٰ غُلب علىٰ أمره فأجاب، وإنّهم يعلمون أنّه أولىٰ بالأمر إن حكموا بالعدل، فلمّا حكموا بالهوىٰ، رجع إلىٰ ما كان عليه حتّىٰ أتىٰ عليه أجله، ولا تخرجنّ من حقّ أنت أولىٰ به، حتّىٰ يحول الموت دون ذلك، والسلام[1].

وفي هذا الكتاب من ابن عبّاس بلاغة ونصيحة ودهىٰ، تنقطع دونها الأنفاس، وتأييد لما نسبه آنفاً إلى الحسن وأبيه عليهما السلام فاعرف القياس.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢٣ ـ ٢٤.

عاد النقل من وسيلة المآل حققها الله تعالىٰ في الآل، قال: فلمّا بلغ معاوية كتابه، وقتله الرجلين سار بنفسه إلى العراق، وتحرّك الحسن عليه السلام للخروج، وأمر حجر بن عدي بأن يستنفر الناس للخروج معه، فتثاقلوا عليه، ثمّ انّهم زحفوا معه وخرج معه أخلاط من الناس، ثمّ سار حتّىٰ نزل ساباط دون القنطرة، فبات هناك.

فلمّا أصبح أراد أن يمتحن أصحابه، ويستبرأ سوء أحوالهم في طاعته، ويتبيّن صديقه من عدوّه، ويكون علىٰ بصيرة من أمره في قتال معاوية، فأمر أن ينادىٰ في الناس الصلاة جامعة، فاجتمعوا، فصعد المنبر، فخطبهم، فقال وذكر الخطبة .

وفيها: إنّي لأرجو أن أكون قد أصبحت وأنا أنصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملاً علىٰ مسلم ضغينة، ولا مريداً له بسوء ولا غائلة، ألا وإنّ ما تكرهون في الجماعة لكم تحبّون في الفرقة، وانّي ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري. تمام الخطبة .

فنظر الناس بعضهم إلىٰ بعض، وقالوا: ما ترونه يريد؟ قالوا: نظنّ أنّه يريد أن يصالح معاوية، ويسلم الأمر إليه، فشدّوا علىٰ فسطاطه، فانتهبوه حتّىٰ أخذوا مصلاّه من تحته، ورداءه من عاتقه، فركب فرسه، وتقلّد سيفه، وأحدق به طوائف من خاصّته وشيعته، فمنعوه، وأطاف به ربيعة وهمدان وجماعة من غيرهم وساروا معه، فبدر إليه رجل من بني أسد اسمه جرّاح بن سنان في يده خنجر، فطعنه به في فخذه، فشقّه حتّىٰ بلغ العظم، فأكبّ عليه رجل من شيعته، فقتله وقتل آخر كان معه.

وحمل الحسن عليه السلام في محملٍ من ضربته تلك إلى المدائن، فنزل بها علىٰ سعيد ابن مسعود الثقفي، وكان عاملاً عليها من جهة أبيه عليه السلام، فأقرّه الحسن عليه السلام علىٰ

عمله، واشتغل بمعالجة جرحه[١].

فكتب جماعة من رؤساء القبائل إلىٰ معاوية بالطاعة سرّاً، واستحثّوه علىٰ سرعة المسير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن عليه السلام إليه عند دنوّه منهم، أو الفتك به. وبلغ الحسن عليه السلام ذلك، وتحقّق فساد نيّات أكثر أصحابه، وخذلانهم إيّاه، ولم يبق معه ممّن يأمن غائلته إلاّ خاصّة شيعته وشيعة أبيه، وهم جماعة لا يقومون بحرب أهل الشام.

ثمّ لمّا تراآى الجمعان بناحية الأنبار من أرض السواد، علم أن لن تغلب احدى الفئتين حتّىٰ يذهب أكثر الأُخرىٰ، فكتب إلىٰ معاوية في الهدنة والصلح، واشترط عليه أن يكون الأمر بعده للحسين عليه السلام، أو يكون شورىٰ بين المسلمين، وأن لا يطلب أحداً بما كان منه في زمن أبيه.

فأجابه معاوية إلىٰ ذلك، وأنفذ إليه كتب أصحابه الذين ضمنوا له الفتك به، أو تسليمه إليه. إلاّ أنّه قال: عشرة أنفس لا أُؤمنهم، فراجعه الحسن عليه السلام فيهم، فكتب إليه معاوية: إنّي قد آليت علىٰ نفسي أنّي متىٰ ظفرت بقيس بن سعد بن عبادة أن أقطع لسانه ويده[٢]، فراجعه الحسن عليه السلام، فقال: لا أُبايعك وأنت تطلب قيساً أو غيره

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٦: ٣٨ ـ ٤٢.

(٢) وذلك أنّه كتب قيس إلىٰ معاوية ـ كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٤٣ ـ أمّا بعد، فإنّك أنت وثن ابن وثن، دخلت في الإسلام كرهاً، وأقمت فيه فرقاً، وخرجت منه طوعاً، ولم يجعل الله لك فيه نصيباً، لم يقدم إسلامك، ولم يحدث نفاقك، ولم تزل حرباً لله ولرسوله، وحزباً من أحزاب المشركين، وعدوّاً لله ولنبيه وللمؤمنين من عباده الخ.

بشيء، فبعث إليه حينئذ معاوية برقّ أبيض، فقال له: أثبت ما شئت فإنّي ألتزمه. إلىٰ آخر ما ذكره الشيخ أحمد في وسيلة المآل (١).

وهو مطابق لما ذكره المرتضىٰ رحمه الله من أنّ أصحاب الحسن عليه السلام أكثرهم كانوا مغلّين فاسدي النيات، وما ذكره من مكاتبة بعضهم معاوية بأن يقتلوا له الحسن عليه السلام، أو يسلموه إليه، وانّ معاوية أنفذ إلى الحسن عليه السلام كتب أصحابه الذين ضمنوا له فيها الفتك بالحسن عليه السلام أبلغ ممّا نقله المرتضىٰ عن المختار بن عبيد الثقفي، ممّا قاله لعمّه سعيد بن مسعود.

وقول الشيخ أحمد باكثير «وأمر حجر بن عدي بأن يستنفر الناس فتثاقلوا» هو ما قاله المرتضىٰ: إنّه لمّا خطبهم في ابتداء المسير لم يجبه أحد، فقال لهم عدي بن حاتم: سبحان الله، إلىٰ آخر ذلك الكلام.

فإنّ مراد المرتضىٰ إثبات تثاقلهم، الدالّ علىٰ إدغالهم، وضعف نيّاتهم في نصر الحسن عليه السلام، وسكوتهم هذا إلىٰ أن قال عدي بن حاتم ما قال، قد نقله كثير من أهل التاريخ وكتب الأدب والسير، وذكره أبو الفرج الاصبهاني في كتاب الأغاني، وهو الكتاب المعتمد المرجوع إليه من عامّة العلماء والأُدباء، ونقلت أنا من كتب ناقلة من الأغاني.

قال أبو الفرج بعد أن ذكر كتاب الحسن عليه السلام إلىٰ معاوية، وجواب معاوية، وهما اللذان أشار إليهما المرتضىٰ، وروىٰ هذا الكتاب وجوابه أبو الحسن المدائني أيضاً، وهو من رجال الحديث وثقاتهم، وكتابه معروف معتمد، وأنا أذكر الكتاب والجواب عملاً بالمذهب، وهما موجودان من رواية أبي الفرج والمدائني معاً في

---

(١) وسيلة المآل في مناقب الآل، مخطوط.

شرح النهج لابن أبي الحديد، ما هذا لفظه:

قالوا: وكتب معاوية إلى الحسن عليه السلام، أي: بعد كتاب جوابه عن الكتاب الذي ابتدأ به الحسن عليه السلام: أمّا بعد، فإن الله يفعل في عباده ما يشاء، لا معقّب لحكمه، وهو سريع الحساب، فاحذر أن تكون منيتك على أيدي رعاع من الناس، وآيس من أن تجد فينا غميزة، وإن أنت أعرضت عمّا أنت فيه وبايعتني وفيت لك بما وعدت، وأجريت لك ما شرطت، وأكون في ذلك كما قال أعشى بن قيس بن ثعلبة:

وإن أحدٌ أسدىٰ إليك أمانة ... فأوف بها تدعىٰ إذا متّ وافيا

ولا تحسد المولىٰ إذا كان ذا غنىً ... ولا تجفه إن كان في المال فانيا

ثمّ الخلافة لك من بعدي، فأنت أولى الناس بها، والسلام.

فأجابه الحسن عليه السلام: أمّا بعد، فقد وصل إليّ كتابك، تذكر فيه ما ذكرت، فتركت جوابك خشية البغي عليك، وبالله أعوذ من ذلك، فاتّبع الحقّ تعلم أنّي من أهله، وعليّ إثم أن أقول فأكذب، والسلام.

فلمّا وصل كتاب الحسن عليه السلام إلىٰ معاوية، كتب إلىٰ عمّاله على النواحي: أمّا بعد، فالحمد لله الذي كفاكم مؤونة عدوّكم، وقتله خليفتكم، إنّ الله بلطفه، وحسن صنعه، أتاح لعلي بن أبي طالب رجلاً من عباده، فاغتاله فقتله، فترك أصحابه متفرّقين مختلفين، وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم، فاقبلوا إليّ حين يأتيكم كتابي هذا بجهدكم وجندكم وحسن عدتكم. تمام الكتاب[١].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٣٦ ـ ٣٨.

أقول: وفيه دلالة ظاهرة على الدغل[١]، وسوء الطوية في أكثر أصحاب الحسن عليه السلام من مبدأ الأمر، إذ لا يقول مثل هذا معاوية، فقد جاءه كتب أشرافهم من قبل أن يحرّكم الحسن عليه السلام للمسير. وكذلك في قوله للحسن عليه السلام في كتابه «فاحذر أن تكون منيتك» الخ، دلالة علىٰ ذلك غير خفية.

قال أبو الفرج: فاجتمعت العساكر إلىٰ معاوية، فسار بها قاصداً إلى العراق، وبلغ الحسن عليه السلام خبره ومسيره نحوه، وأنّه قد بلغ جسر منبج، فتحرّك عند ذلك، وبعث حجر بن عدي، فأمر العمّال والناس بالتهيّىء للمسير، ونادىٰ المنادي: الصلاة جامعة.

إلىٰ أن قال: فصعد المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّ الله كتب الجهاد علىٰ خلقه وسمّاه كرهاً، ثمّ قال لأهل الجهاد من المؤمنين: اصبروا إنّ الله مع الصابرين، فلستم أيّها الناس نائلين ما تحبّون إلاّ بالصبر علىٰ ما تكرهون، إنّه بلغني أنّ معاوية بلغه أنّا كنّا أزمعنا على المسير إليه، فتحرّك لذلك، أُخرجوا إلىٰ معسكركم بالنخيلة حتّىٰ ننظر وتنظرون، ونرىٰ وترون.

قال: وإنّه في كلامه ليتخوّف خذلان الناس له. قال: فسكتوا، فما تكلّم منهم أحد، ولا أجابه بحرف.

فلمّا رأىٰ ذلك عدي بن حاتم قام، فقال: أنا عدي بن حاتم، سبحان الله، ما أقبح هذا المقام، ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم، أين خطباء مضر الذين

---

(١) كما فيه دلالة ظاهرة علىٰ كفر معاوية، وخروجه عن الإسلام، وتجاسره على الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي‌طالب، وهناك روايات كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في كفر ونفاق من أبغض علياً عليه السلام وحاربه.

ألسنتهم كالمخاريق في الدعة، فإذا جدّ الجدّ فروّاغون كالثعالب، أما تخافون مقت الله تعالىٰ ولا عيبها وعارها .

ثمّ استقبل الحسن عليه السلام بوجهه، فقال: أصاب الله بك المراشد، وجنّبك المكاره، ووفّقك لما تحمد ورده وصدره، قد سمعنا مقالتك، وانتهينا إلىٰ أمرك، وسمعنا لك وأطعنا، وهذا وجهي إلىٰ معسكري، فمن أحبّ أن يوافي فليواف .

ثمّ مضىٰ لوجهه إلى النخيلة، وقام قيس بن سعد بن عبادة، ومعقل بن قيس الرياحي، وزياد بن حفصة[١] التيمي، فلاموا الناس وأنّبوهم وحرّضوهم، وكلّموا الحسن عليه السلام بمثل ما كلّمه عدي بن حاتم في الإجابة والقبول، فقال لهم الحسن عليه السلام: صدقتم ما زلت أعرفكم بصدق النية، والوفاء والقبول، والمودّة الصحيحة، فجزاكم الله خيراً، ثمّ نزل، وخرج الناس، فعسكروا ونشطوا للخروج، وخرج الحسن عليه السلام إلى المعسكر[٢] .

فهذا المنقول من كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني الأموي، فيه دلالة علىٰ خراب البواطن والإدغال أزيد ممّا استدلّ به المرتضىٰ من سكوتهم، وكلام عديّ وغيره، وهو قوله «وانّه في كلامه ليتخوّف خذلان الناس له» وقول الحسن عليه السلام «حتّىٰ ننظر وتنظرون» فإنّه إذا كانت هذه حالهم من السكوت والإبلاش وخمود الأنفاس، وهو يخاطبهم خطاباً فيه رجاء عدم وقوع القتال، فكيف لو خاطبهم بتصميم العزم ألبتّة، ووقوع الحرب والاستعداد للطعن والضرب .

هذا، ولم يذكر صاحب وسيلة المآل قضية المقدّمة التي سيّرها الحسن عليه السلام أمامه

(١) في الشرح: صعصعة .

(٢) شرح نهج البلاغة ١٦: ٣٨ ـ ٣٩، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج ص ٥٥ ـ ٦٠ .

من الجيش، وذكرها الحافظ الذهبي فيما نقلته من كلامه، وفيها من الدلالة على مقصود المرتضىٰ ما هو في غاية الوضوح، وإن لم يذكر ذلك في كلامه .

ففي كتاب أبي الحسن المدائني فيما رأيته منقولاً منه، قال بعد أن ذكر خطبة الحسن عليه السلام مختصرة، ومبايعة الناس إيّاه: ثمّ وجّه عبيدالله بن العبّاس ومعه قيس ابن سعد بن عبادة مقدّمة له في اثني عشر ألفاً إلى الشام، وخرج وهو يريد المدائن، فطعن بساباط، وانتهب متاعه، ودخل المدائن، وبلغ ذلك معاوية فأشاعه، وجعل أصحاب الحسن عليه السلام الذين وجّههم مع عبيدالله يتسلّلون إلىٰ معاوية الوجوه وأهل البيوتات .

فكتب عبيدالله بن العبّاس بذلك إلى الحسن عليه السلام، فخطب الناس ووبّخهم، وقال: خالفتم أبي حتّىٰ حُكّم وهو كاره، ثمّ دعاكم إلىٰ قتال أهل الشام بعد التحكيم، فأبيتم حتّىٰ صار إلىٰ كرامة الله تعالىٰ، ثمّ بايعتموني علىٰ أن تسالموا من سالمت[١]، وتحاربوا من حاربت[٢]، وقد أتاني أنّ أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية وبايعوه، فحسبي منكم، لا تغرّوني من ديني ونفسي .

وأرسل عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطّلب، وأُمّه هند بنت أبي سفيان بن حرب إلىٰ معاوية يسأله المسالمة .

إلىٰ أن قال المدائني: فأبى الحسين عليه السلام وامتنع، فكلّمه الحسن عليه السلام حتّىٰ رضي، وقدم معاوية الكوفة[٣] .

---

(١) في الشرح: سالمني .

(٢) في الشرح: حاربني .

(٣) شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٢ ـ ٢٣ .

هذا، وقول الشيخ أحمد بن الفضل باكثير «وبلغ الحسن عليه السلام ذلك، وتحقّق فساد نيّات أكثر أصحابه وخذلانهم له، ولم يبق ممّن يأمن غائلته» إلىٰ قوله: «فكتب إلىٰ معاوية بالصلح» الخ، هو عين ما حملنا عليه كلام أهل السنّة والجماعة القائلين، كما ذكر في الصواعق: لا يعتدّ بتسليم الحسن عليه السلام الأمر إليه؛ لأنّه لم يسلّمه إلا للضرورة، لعلمه بأنّه ـ أي: معاوية ـ لا يسلّم الأمر إليه، فلم يترك الحسن عليه السلام الأمر له إلاّ صوناً لدماء المسلمين[1].

وذلك أنّ مرادهم سفك الدماء الذي لا يحصل منه مطلوب الحسن عليه السلام؛ إذ لم يبق معه ممّن يثق به ـ كما ذكر الشيخ أحمد باكثير ـ إلاّ جمع لا يقاوم جيش أهل الشام ولا بعضه، فلو قاتل لقتل جمع عظيم مركّب من خلّص أصحابه وأهل بيته ومن أهل الشام، إذ لا يقتل الخلّص من أصحابه وأهل بيته إلاّ بعد أن يفتكوا الفتك العظيم، ويبيدوا العدد الكثير؛ لأنّهم شجعان مستميتون، ثمّ لا يحصل المطلوب، بل يؤول أمره إلى القتل أو الهرب إن تمّ له ورضي به، أو إلى البخوع بالطاعة وتسليم الأمر علىٰ ذلّة واستكانة شديدة، مع تحمّل دماء المسلمين.

هذا إن تمّ له ذلك، وإلاّ فالاحتمال الراجح أنّ أهل الدغل والخيانة الذين هم أكثر أصحابه يمنعونه هو وخلّص أصحابه وأهل بيته من صدق القتال، بأن يشغبوا ويوقعوا الهرج والارجاف، أو يصرّحوا بالمكافحة والمقاتلة منعاً من صدق القتال، فيبقىٰ حينئذ هو وخلّص أصحابه وأهل بيته بين نارين عدوّين: أحدهما معهم ومخالط لهم، والآخر مقابل، وهذا هو البلاء الأعظم، والهلاك الأشدّ، ويفضي في أسرع وقت إلى القبض عليه عليه السلام، وتسليمه لعدوّه، فقد كاتبوا معاوية من قبل أن

(١) الصواعق المحرقة ص ٢١٧.

يتقابل الجيشان بأنّهم يفعلونه له ذلك .

وهذا هو الذي يعتمد عليه في الفرق بين حاله وحال أخيه الحسين عليهما السلام، فإنّ جميع من كانوا معه مخلصون، فكان آمناً من الفساد الأعظم بمداخلة المدغلين .

فيجاب بذلك عن الإيراد: بأنّه لِمَ لَمْ يقاتل كما قاتل أخوه الحسين عليه السلام، وقد كان مع الحسن عليه السلام من المخلصين الذين يثق بهم أضعاف من كانوا مع الحسين عليه السلام، وفيهم قروم لم يكن مع الحسين عليه السلام مثلهم، كقيس بن سعد بن عبادة، وعديّ بن حاتم، وسعيد بن قيس، وبني عمّه العبّاس، وغيرهم، وسيأتي تقرير هذا الجواب وغيره من الأجوبة عن هذا الإيراد في فصل الحسين عليه السلام .

وإنّما قلنا إنّ ما ذكرناه هو مراد أهل السنّة المنقول في الصواعق[1]، بل مراد كلّ من يقول: إنّ صلحه ونزوله عن الخلافة لحقن دماء المسلمين، وكفّاً للفتنة، وإنّه علم أن لن تغلب إحدى الطائفتين حتّىٰ تذهب الأُخرىٰ، وهو المذهب؛ لأنّه إن لم يكن المراد ما ذكرناه ـ وهو في عبارة الشيخ أحمد باكثير كما رأيته ـ يلزم الطعن في الحسن عليه السلام، وفي أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وفي أخيه الحسين عليه السلام، وحاشاهم من ذلك .

فإنّ الحسن عليه السلام ابتدأ فخطب الناس، ودلّهم علىٰ أحقّيته بالخلافة، وأخذ بيعتهم بها، ثمّ كاتب معاوية يطلب منه البيعة كما بايعه الناس، ثمّ لمّا لم يفعل، حمل الناس على المسير لقتاله وسار بهم، فتحمّل المسلمون بذلك المشقّة العظيمة من صرف الأموال، ومفارقة الأولاد والعيال، والحطّ والترحال، وإعداد الأسلحة وحملها، وشدّ الخيل والرواحل، ونقل الرحال، وتعطّلت بذلك مصالحُ للمسلمين كثيرة،

---

(١) الصواعق المحرقة ص ٢١٧ .

وحصل باشتغال بعضهم ببعض واختلاف كلمتهم عن جهاد الكفّار وهن وضعف في الإسلام.

ومعاوية أيضاً بسبب ما فعله الحسن عليه السلام، حمل الناس على المسير لقتاله، فحصل عليهم مثل ذلك من المشقّة وأزيد، وعزم كلّ من الفريقين على القتل والنهب، وعداوة بعضهم بعضاً، وذلك محظور في الشرع.

ثمّ إنّ الحسن عليه السلام ندب تلك المقدّمة من جيشه، وكلّفها أن تقاتل أضعاف عددها من أبطال أهل الشام، الذين خال هو بارقهم وشام، فحملها على المخاطرة بالأرواح، بل قد وقع منها القتال والكفاح، كما نقله أبو الفرج في كتاب الأغاني، فراجع ذلك في شرح النهج لابن أبي الحديد[١].

ثمّ قد أوقع بين المؤمنين[٢] في تلك المدّة التهاجر والتقاطع والتعادي والتشاتم واتّباع العورات، وكلّ ذلك محظور شرعاً، وأحاديث النهي عنه من الصحاح معروفة.

وفي صحيح مسلم وغيره: تفتح أبواب الجنّة يوم الإثنين ويوم الخميس، فيغفر

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٣٨ ـ ٤٢.

(٢) المراد من المؤمن هنا هو المسلم، فإنّ أصحاب معاوية ما كانوا مؤمنين، بل كانوا مسلمين أسلموا بلسانهم، وخرجوا مع رئيسهم على إمام زمانهم، وهو يوجب الكفر والخروج عن الدين، وإنّما أُطلق عليهم الإسلام، لأنّهم أسلموا بلسانهم دون جوارحهم، وأمّا أصحاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فالمخلصون منهم كحجر بن عدي وميثم التمّار وصعصعة وكميل وأمثالهم أسلموا بلسانهم وجوارحهم، وهم المؤمنون حقّاً، فمن تابع عليّاً عليه السلام في السرّ والعلن، وأذعن له بالطاعة والولاية والمحبّة، فهو المؤمن صدقاً وعدلاً.

لكلّ عبد لا يشرك بالله، إلاّ رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال، أنظروا هذين حتّىٰ يصطلحا[١].

وفي الصحيحين حديث: ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً[٢].

أوردهما وغيرهما البغوي في المصابيح[٣].

فلِمَ لو كان رأي الحسن عليه السلام وما هو عنده الجميل الحسن، صون دماء المسلمين، ودفع الفتنة بالنزول عن الخلافة، وتسليم الأمر عجز أم لم يعجز، وقدر علىٰ مقاومة الخصم أم لم يقدر، فعل جميع ذلك وسلك تلك المسالك، ولا يفعل بعض ذلك مع الانطواء علىٰ هذا الرأي، والاشتمال علىٰ هذا الاعتقاد من له أدنىٰ دين وعقل وسداد، وهلاّ بدأ بما هو الرأي عنده وأراح نفسه والمسلمين.

فإن قيل: عرض له هذا الرأي، وحدث في اجتهاده بعد وقوع ما وقع.

قيل: هذا يستلزم ضعف الرويّة، وقلّة التأمّل والفهم، إذ يركب مثل هذا الأمر العظيم، ويفعل ذلك الشأن الخطير في الدين والدنيا بناءً علىٰ رأيٍ، بحيث يعرض له نقيضه في الأثناء، فيبني عليه ضدّ ذلك الأمر، وينقض ما بناه من المباني العظيمة.

ثمّ كيف رضيت تلك النفس الشريفة، والهمّة العُلوية النبوية العلوية، أن يظهر هذا الرأي، وقد التقت حلقتا البطان، وتقابل الفريقان، ومدّت الحرب الأشطان، فيتحقّق فيه أنّه كما قال بعض أصحابه جاهلين غير متأمّلين «يا عار المؤمنين،

---

(١) صحيح مسلم ٤: ١٩٨٧ برقم: ٢٥٦٥.

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٩٨٥، صحيح البخاري ١٠: ٤٨٤.

(٣) مصابيح السنّة للبغوي ٣: ٣٨٣.

ومذلّ المؤمنين».

أفما كان له في ذلك المقام لو عرض له فيه أو قبله هذا الرأي أن يعدل ـ مستنداً إلىٰ قوله تعالىٰ ﴿ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين﴾[١] ولا ريب أنّ عزّة الحسن عليه السلام من عزة الرسول صلى الله عليه وآله؛ لأنه ولده ومن أقربائه صلى الله عليه وآله ـ إلىٰ رأي أبيه، وهو الفتك الواقع منه يوم الجمل وصفّين والنهروان، فجرىٰ من دماء المسلمين نهر بل نهران، وبقي مصمّماً علىٰ قتال أهل الشام إلى الممات، لم يحل بينه وبينه إلاّ تواكل أصحابه وخورهم لضعف النيات.

قال ابن حجر في الصواعق بعد ذكر انفصال أمر الحكمين: وصار علي في خلاف من أصحابه، حتّىٰ صار يعضّ علىٰ اصبعه ويقول: أأُعصي ويطاع معاوية[٢]. إنتهىٰ.

أو عدل مثل رأي أخيه الحسين عليه السلام؛ إذ قاتل حتّىٰ قتل، وهو لم يصر خليفة نصف سنة، ويخطب على المنابر، وأصحابه لا نسبة لعددهم إلىٰ عدد أصحاب الحسن عليه السلام، ولو بايع يزيد من أوّل الأمر كفّاً للفتنة وحقناً لدماء المسلمين لكان له ذلك، كما فعل ذلك من كان في ذلك العصر.

وذكر الحافظ الذهبي في ترجمة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي: إن معاوية كتب إلىٰ مروان بالمدينة يبايع لابنه يزيد، فقال له رجل من أهل الشام: ما يحبسك؟ قال: حتّىٰ يجيء سعيد ين زيد فيبايع، فإنّه سيد أهل البلد،

---

(١) سورة المنافقون: ٨.

(٢) الصواعق المحرقة ص ١١٩.

إذا بايع بايع الناس[١]. إنتهىٰ.

ومن هنا يعلم أنّ القول بأنّ رأي الحسن عليه السلام كان حقن دماء المسلمين وكفّ الفتنة، سواء قدر علىٰ مقاومة الخصم أم لم يقدر، يستلزم القدح في أبيه عليه السلام وأخيه الحسين عليه السلام، فإنّ رأيه هذا نقيض رأيهما المتطابقين، فإن كان صواباً فرأيهما خطأ، ولا يقول بذلك في علي عليه السلام أحد من أهل الإسلام، بل ولا في الحسين عليه السلام.

كيف؟ وقد ارتكب علي عليه السلام بذلك الرأي عظائم الأُمور، وهي قتال يوم الجمل، فقتل فيه مثل طلحة والزبير، وخلق من الصحابة من الطرفين، ومن غير الصحابة، ثمّ حرب صفّين فقتل فيه من الطرفين من الصحابة وغيرهم أكثر وأكثر، وكانت الفتنة أعظم والفتنة أكبر، ثمّ يوم النهروان فأفناهم وأبادهم جميعاً إلاّ تسعة، ثمّ بقي علىٰ رأي السيف، واستمرّ الفتنة إلىٰ أن مات عليه السلام، وقتل في أثناء ذلك من رجالات الغارات التي كان يشنّها معاوية علىٰ أطراف مملكته عدداً كثيراً.

أفما كان علىٰ طول المدّة وكثرة ما حصدته السيوف من سنابل الرؤوس، وربما كان في كلّ سنبلة مائة حبّة من الذراري والنسل، يوفّق للرأي الذي وفّق له ولده الحسن عليه السلام من قبل أن يقع قتال وتطول فتنة أو جدال، وهذا قدح لو تفطّنت له الخوارج والنواصب تمسّكوا به التمسّك الواصب.

فظهر أنّه لابدّ أن يكون المراد ما ذكرته[٢]؛ إذ لا يرتضىٰ أحد من أهل السنّة

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٤: ٢٢٣.

(٢) وهو عصمة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والإمام الحسن والحسين عليهم السلام، وأنّهم لا يسألون عمّا يفعلون، ولا تقاس أعمالهم بالعقول البشرية ⇩

لغبار الذي آثرته، وبعض أهل السنّة في ولاء أهل البيت عليهم السلام وتعظيمهم ونسبتهم إلىٰ كلّ فضل وتقديمهم وتبرأتهم من كلّ النقائص، مع ما في الفرقة الشيعة من الخصائص(١)، وهم أهل الصراط المستقيم، وبمسك ذكرهم نختم هذا الرقيم، ونسأله تعالىٰ مسلك الصحيح ومهلك السقيم.

فصل

في الإمام الحسين عليه السلام

قال السيد المرتضىٰ رحمه الله: مسألة: فإن قيل: ما العذر في خروجه عليه السلام من مكّة بأهله وعياله إلى الكوفة، والمتولّي عليها أعداؤه، والمتأمّر فيها من قبل يزيد اللعين ـ يعني ابن زياد ـ منبسط الأمر والنهي، وقد رأىٰ صنيع أهل الكوفة بأبيه وأخيه عليهما السلام، وأنّهم غدّارون خوّانون؟ وكيف خالف ظنّه ظنّ جميع نصحائه في الخروج، وابن عبّاس يشير عليه بالعدول عن الخروج، ويقطع على العطب فيه، وابن عمر لمّا ودّعه يقول له: أستودعك الله من قتيل، إلىٰ غير ما ذكرناه ممّن تكلّم في هذا الباب.

ـه الضعيفة، وهم يستمدّون من النبي صلى الله عليه وآله، وهم معدن العلوم الإلٰهية، وحكّام الدين، ومخازن أسرار الرحمٰن، وهم بريئون من الخطأ والزلل، وهو كما قال في أوّل مبحثه معصومون مؤيّدون بتوفيق وتأييد من الله عزّوجلّ، وأعمالهم جميعاً عين المصلحة الإلٰهية، ليس فيه شائبة حبّ الملك والرئاسة.

(١) وذلك لتصريحهم واعتقادهم الحقّ الجميل بعصمة الأنبياء والأئمّة المعصومين عليهم السلام، واعتقادهم بخلافة بلا فصل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، وخلافة أولاده المعصومين عليهم السلام، وعدم الاعتقاد بمن خرج عليهم في أيّام إمامتهم، وأنّهم غاصبون لمنصبهم، المنصوص عليه من الربّ الكريم.

ثمّ لمّا علم بقتل مسلم بن عقيل ـ رضي الله عنهما ـ وقد أنفذه رائداً له، كيف لم يرجع لمّا علم الغرور من القوم، وتفطّن للحيلة والمكيدة؟ ثمّ كيف استجاز أن يحارب بنفر قليل لا مادّة لهم لجموع عظيمة خلفها موادّ لها كثيرة ؟

ثمّ لمّا عرض عليه ابن زياد الأمان وأن يبايع يزيد، كيف لم يستجب حقناً لدمه ودماء من معه من أهله وشيعته ومواليه؟ ولم ألقىٰ بيده إلى التهلكة؟ وبدون هذا الخوف سلّم أخوه الحسن عليه السلام الأمر إلىٰ معاوية، وكيف يجمع بين فعليهما في الصحّة ؟[1]

أقول: قوله «وبدون هذا» إلىٰ قوله «وكيف يجمع بين فعليهما في الصحّة» هو بيت القصيد، الذي لأجله جاءت في هذه الرسالة بحور الكلام البسيط المديد، وله أتينا بكلام المرتضىٰ بعد ما ذكرنا كلام ابن أبي‌الحديد، فإنّ كلامنا منذ شرعنا إنّما هو في فضل الحسنين عليهما السلام، مساواة أو مفاضلة، ونفرض أنّها إحدى الحسنيين .

وعلىٰ كلّ من المساواة والمفاضلة، لابدّ من النضح عنهما والمناضلة؛ لأنّ فعليهما ظاهراً كالمتناقضين، وفي حلبة العقل كالجوادين المتعارضين، وليس لأهله المفاضل أن يتعلّقوا بأحدى الفعلين، كما في قول ابن أبي‌الحديد «والذي خاضها مع فقد النصّار»[2] هو الحسين عليه السلام أو قول صاحب العمدة «كان الحسن إماماً على أخيه الحسين»[3] إلاّ بعد إزالة التناقض، ودفعه بالراحتين، وإلاّ ورد على الأوّل لو كان فعل الحسين عليه السلام من الحسن، لفعله أخوه الأكبر الحسن عليه السلام .

---

(١) تنزيه الأنبياء للشريف المرتضىٰ ص ١٧٥ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ١٦: ٦٥ .

(٣) عمدة الطالب ص ٢٣٦ .

وعلى الثاني لا أفضلية في خلافة خلعها وصار ما صار، ولم يقاتل عنها، كما قاتل الحسين عليه السلام مع فقد النصّار، كما أنّه ليس لأهل المساواة أن يساووا ما لم يدملوا كَلْم التناقض ويداووا.

إذ يقال: كيف يتساوىٰ اثنان أحدهما مخطىء والآخر مصيب؟ بل قد يقول الناصبي رماه الله في اليوم العصيب: لا يبقىٰ للمخطىء في الفضل نصيب، فإنّ فرضه الحسن عليه السلام ذكر في تسليمه الأمّة ما ذكره المرتضىٰ سابقاً وردّ خاسئات سهامه، وإن فرضه الحسين عليه السلام ذكر ما ذكره هنا المرتضىٰ.

ثمّ دفعه بحسام الدليل المنتضىٰ، فقطب أفلاك الفضلين إزالة التناقض عن الفعلين، ولذلك قلت فيما سبق من كلامي: إنّ أحسن من تكلّم في هذا المرتضىٰ ذو النسب السامي، ونقلت كلامه وجعلته في السير أمامي، وإن كان من الشرف أنّه شيعي إمامي.

علّة خروج الإمام الحسين عليه السلام

قال: والجواب: قلنا: قد علمنا أنّ الإمام متىٰ غلب علىٰ ظنّه أنّه يصل إلىٰ حقّه والقيام بما فوّض إليه بضرب من الفعل، وجب عليه ذلك، وإن كان فيه ضرب من المشقّة يتحمّل مثلها تحمّلها(١).

أقول: ظاهر هذه المقدّمة البناء علىٰ مذهب الشيعة الإمامية، من أنّ الحسين عليه السلام إمام بالنصّ.

وأمّا علىٰ أصول مذهب أهل السنّة والجماعة، فيقال ما قاله ابن حجر في شرح همزية الأبوصيري، حيث أورد قول ابن العربي المالكي بل الناصبي، فقد قال ابن

---

(١) تنزيه الأنبياء عليهم السلام ص ١٧٥.

حجر: إنّه يقشعرّ منه الجلد، لم يقتل يزيد الحسين إلاّ بسيف جدّه[١].

قال ابن حجر: هذا بحسب اعتقاده الباطل[٢] أنّه الخليفة، والحسين باغ عليه، وقرّر ثبوت خلافة يزيد ببيعة بعض أهل الحلّ والعقد له مع استخلاف أبيه إيّاه.

ثمّ قال ابن حجر ألقم الله في فم الناصبي الحجر: ويردّ بأنّ هذا إنّما هو بعد الاستقرار للأحكام، وانعقاد الاجماع علىٰ تحريم الخروج على الجائر، أمّا قبل ذلك فكان الأمر منوطاً بالاجتهاد، واجتهاد الحسين عليه السلام اقتضىٰ جوازاً، ووجوب

---

(١) وأنا أقول لهذا الناصبي المعاند: إنّ الأمام الحسين عليه السلام قتل بسيف السقيفة، وذلك أنّ يزيد نصبه معاوية علماً للأُمّة وخليفة للمسلمين، ومعاوية نصبه الخليفة الثاني، وأقرّه الخليفة الثالث، وعزله الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والخليفة الثاني نصبه الخليفة الأوّل، والخليفة الأوّل حصيلة المؤامرة الخبيثة في السقيفة، فالإمام الحسين عليه السلام وأولاده وأصحابه قتلوا بسيف المؤامرة السخيفة.

قال ابن حجر في الصواعق ص ٢٢٣: قال الغزالي وغيره: ويحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكاياته، وما جرىٰ بين الصحابة من التشاجر والتخاصم، فإنّه يهيج علىٰ بغض الصحابة والطعن فيهم.

وكلامه هذا أدلّ دليل علىٰ أحقّية الإمامية في مذهبهم، وأنّ شهادة الإمام الحسين عليه السلام وما جرىٰ على الخلّصين من الصحابة والتابعين، إنّما جرىٰ عليهم لاعوجاجهم مسير الأُمّة، ورفضهم الأوامر الإلٰهية في نصب الخليفة، وأنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بأمر صريح من الله تعالىٰ نصب علياً عليه السلام علماً وخليفة للمسلمين، وبما أنّهم اتّبعوا الأهواء والشهوات لنيل المناصب الدنيوية، سبّب ذلك قتل الإمام الحسين عليه السلام وذرّيته الطاهرة.

(٢) لا شكّ أنّ هذا الاعتقاد الباطل نشأ عن المذهب الباطل.

الخروج علىٰ يزيد لجوره وقبائحه التي تصمّ عنها الآذان، فهو ـ أي الحسين عليه السلام ـ محقّ بالنسبة إلىٰ ما عنده، ولاسيما أن رأىٰ ما رآه الإمام واجتهاد من كفّره. إنتهىٰ.

فثبت أنّ الحسين عليه السلام رأىٰ جواز الخروج على يزيد أو الوجوب، والأرجح بل المقطوع به أن كان يرى الوجوب. أمّا علىٰ مذهب الامام أحمد بن حنبل، فواضح.

وأمّا علىٰ مذهب الآخرين، فليس الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام بأدون رتبة في النهوض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة الأوسي الأنصاري، والأنصار وأهل المدينة أهل وقعة الحرّة، إذ خرجوا علىٰ يزيد وخلعوه، فأوقع بهم وقعة التي تحقّق كفره بعد قتله الحسين عليه السلام بالمرّة، فإنّهم رأوا وجوب الخروج عليه فخرجوا، ولولا أنّهم رأوا الوجوب لم يثبتوا علىٰ خلعه ونبذ ولايته حتّىٰ قتلوا، وجرت تلك المقتلة الرزيّة، والفتنة الفظيعة، والوقعة الشنيعة.

وقال الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام: وفد إلىٰ يزيد عبدالله بن حنظلة الغسيل الأوسي المدني، وله صحبة، وفد في ثمانية بنين له، فأعطاه يزيد مائة ألف، وأعطىٰ لكلّ ابن عشرة آلاف سوىٰ كسوتهم، فلمّا رجع إلى المدينة، قالوا: ما وراءك؟ قال: أتيتكم من عند رجل والله لولم أجد إلاّ بنيّ هؤلاء لجاهدته بهم، قالوا: إنّه قد أكرمك وأعطاك، قال: نعم وما قبلت ذلك منه إلاّ لأتقوّىٰ به عليه، ثمّ حضّ الناس فبايعوه. وقال خليفة بن خيّاط: قال أبو اليقظان: دعوا إلى الرضا والشورىٰ[١]. إنتهىٰ.

وهذا صريح في أنّ عبدالله بن حنظلة رأىٰ وجوب الخروج علىٰ يزيد، وأيضاً

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ٢٣ ـ ٢٤.

خلعه وقاتله بعد أن بايعه؛ إذ لا يتصوّر أن يعطيه ذلك العطاء ويكرمه بدون المبايعة؛ ولأنّ مروان كان قد أخذ البيعة من أهل المدينة ليزيد.

وهذا يدلّ علىٰ أنّه رأىٰ وجوب خلعه والخروج عليه، وإلاّ لم يقدم على النكث.

وأيضاً ذكر الذهبي في أثناء نقل قضيّة الحرّة: أنّه لمّا وثب أهل الحرّة، وأخرجوا بني أُمية من المدينة، واجتمعوا علىٰ عبدالله بن حنظلة، وبايعهم على الموت، قال: يا قوم اتّقوا الله، فوالله ما خرجنا علىٰ يزيد حتّىٰ خفنا أن نرمىٰ بحجارة من السماء، إنّه رجل ينكح أُمّهات الأولاد والبنات والأُخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة[1]. إنتهىٰ.

وهذا النقل يدلّ علىٰ أنّهم رأوا وجوب الخروج علىٰ يزيد لكفره؛ لأنّ هذه الصفات صفات كافر قطعاً.

وأيضاً ليس الحسين عليه السلام دون عبدالله بن الزبير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وابن الزبير كان يرىٰ وجوب الخروج علىٰ يزيد؛ لأنّه في خلافة يزيد خرج بمكّة وبايعه الناس، وجاءه جيش يزيد بعد أن أوقعوا وقعة الحرّة، فقاتلهم أشدّ قتال ولم يبايع ليزيد.

قال الذهبي في سنة أربع وستّين: قال محمّد بن جرير: لمّا فرغ مسلم بن عقبة المرّي من الحرّة، توجّه إلىٰ مكّة، فأدرك مسلماً الموت، وعهد بالأمر إلىٰ حصين ابن نمير.

إلىٰ أن قال: فقدم حصين على ابن الزبير، وقد بايعه أهل الحجاز، وقدم عليه وفد أهل المدينة، وقدم عليه نجدة بن عامر الحنفي الحروري في أُناس من

---

(١) تاريخ الإسلام ٥: ٢٧.

الخوارج، فجرّد أخاه المنذر لقتال أهل الشام.

إلىٰ أن قال: ثمّ صابرهم ابن الزبير على القتال إلى الليل، ثمّ حاصروه بمكّة شهر صفر، ورموه بالمنجنيق، وكانوا يوقدون حول الكعبة، وأقبلت شررة هبّت بها الريح، فأحرقت الأستار وخشب السقف، سقف الكعبة، واحترق قرنا الكبش الذي فدى الله به إسماعيل عليه السلام، وكانا في السقف.

قال: فبلغ عبدالله بن الزبير موت يزيد بن معاوية، فنادىٰ: يا أهل الشام إنّ طاغيتكم قد هلك. تمام النقل[1].

فلولا أنّ ابن الزبير كان لا يرىٰ وجوب الخروج علىٰ يزيد، لبايع ولم يرق دماء المسلمين، ولم يصبر علىٰ ما جرىٰ على الكعبة الشريفة ذلك ﴿ومن يعظّم حرمات الله فإنّها من تقوى القلوب﴾[2] وغيرها من الآيات الشريفة.

ثمّ يضاف إلىٰ ذلك أنّ الحسين عليه السلام إذ ذلك كان أحقّ قريش بالإمامة؛ لما قدّمناه في فضل الحسن عليه السلام من الدلالة علىٰ ذلك، ونصّ السخاوي وابن حجر وغيرهما علىٰ تقديم عترة أهل البيت عليهم السلام علىٰ غيرهم فيما يعمّ الإمامة وغيرها، وقد كان الأعيان المؤهلون للإمامة من قريش، كعبدالله بن العبّاس، وابن الزبير، وابن عمر، وغيرهم، يعترفون للحسين عليه السلام بذلك.

وقال الذهبي في أثناء نقل مقتل الحسين عليه السلام في سنة احدىٰ وستّين: ولزم ابن الزبير الحجر، فلبس المغافر، وجعل يحرّض علىٰ بني أُميّة، وكان يتردّد إلى الحسين عليه السلام، ويشير عليه أن يقدم العراق، وهو يقول: هم شيعتكم. وكان ابن عبّاس

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ٣٣ ـ ٣٤.

(٢) سورة الحجّ: ٣٢.

يقول له: لا تفعل[١].

إلىٰ أن قال الذهبي: ولم يقبل الحسين من أحد، وصمّم على المسير إلى العراق، فقال له ابن عبّاس: والله إنّي لأظنّك ستقتل غداً بين نسائك وبناتك، كما قتل عثمان[٢]، وانّي لأخاف أن تكون الذي يقاد به عثمان، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، فقال ـ أي الحسين عليه السلام ـ: يا أبا العبّاس إنّك شيخ قد كبرت، فبكىٰ ابن عبّاس، وقال: أقررت عين ابن الزبير، ولمّا رأىٰ ابن عبّاس ابن الزبير قال له: قد أتىٰ ما أحببت، هذا الحسين يخرج ويتركك والحجاز، ثمّ تمثّل:

يــا لك مـــن قـــبّرة بـــمعمر   خلا لك الجوّ فبيضي واصفري

ونقّري ما شئت أن تنقّري[٣]

فهذا يــدلّ دلالة ظـاهرة أنّ النـاس وأعـيان قـريش كـانوا إذ ذاك يـقدّمون الحسين عليه السلام في البيعة، وما ذاك إلاّ أنّهم يرونه أحقّ.

ثمّ إنّ اعتقاد علي والحسن والحسين عليهم السلام، بل بني هاشم، أنّهم أحـقّ قـريش بالإمامة، ظاهر بيّن من كلاماتهم وأفعالهم من مبدأ الأمر، ونقل ذلك يطول.

ولا ينافي اعتقادهم الأحقّية للـخلافة، وجـلوسهم فـي العـزلة، وذلك لعـدم مساعدة الناس، ورفضهم لآية تبليغ الناس، ومبايعتهم من لم يؤمروا بمبايعته.

وفي الصواعق: في الكتاب وهـو فـي الصـحيحين البـخاري ومسـلم، روىٰ البخاري عن عائشة، أنّ فاطمة عليها السلام أرسلت إلىٰ أبي بكر، إلىٰ قوله في الرواية: وكان

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ٧.

(٢) ولكن فرق واضح بين القتلين.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ٩.

لعلي عليه السلام وجهة من الناس حياة فاطمة، فلمّا توفّيت استنكر علي وجوه الناس. إلىٰ أن قال: فأرسل إلىٰ أبي‌بكر أن ائتنا ولا يأتينا معك أحد.

إلىٰ أن قال: فدخل عليهم أبوبكر، فتشهّد علي عليه السلام، فقال: إنّا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيراً ساقه الله إليك، ولكنّك استبددت بالأمر علينا، وكنّا نرىٰ لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ لنا نصيباً، حتّىٰ فاضت عينا أبي‌بكر، وذكر جواب أبي‌بكر. إلىٰ أن قال: فقال علي لأبي‌بكر: موعدك العشية للبيعة، وذكر المبايعة وتعظيم علي حقّ أبي‌بكر، ثمّ بايعه (١).

---

(١) الصواعق المحرقة ص ١٤ ـ ١٥. وفي الحديث مواضع يثير السؤال، ولابدّ من الجواب، وهو أنّ في الحديث: انّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي‌طالب، ما بايع أبابكر في تلك الفترة الستّة الأشهر التي عاش فيها مع فاطمة عليها السلام. فمن إمام علي وفاطمة عليهما السلام في تلك الفترة؟ فهل ماتت فاطمة عليها السلام وما كانت تعرف إمام زمانه؟ فهل يصحّ أن يقال: إنّها ماتت ميتة جاهلية؟ ومن كان إمام علي عليه السلام في تلك الفترة، ولماذا ما بايعا في تلك الفترة؟

والسؤال الثاني: كيف تطالب فاطمة الزهراء عليها السلام ميراثها؟ هل كانت المطالبة عن حقّ أو عن غير حقّ؟ هل يجسر أحد أن يقول: إنّها طالبت ميراثها عن غير حقّ؟ كيف لم يبيّن الرسول صلى الله عليه وآله لها أنّه ليس لها حقّ المطالبة وهي تطالب حقّاً ليس لها؟

السؤال الثالث: لماذا يقول علي عليه السلام: إئتنا ولا يأتنا معك أحد وهو عمر؟ وما هذه المطالبة من عدم حضوره؟ وهناك أسئلة أُخرىٰ في الحديث تبلغ إلىٰ خمسين سؤالاً.

والجواب: أنّ علياً عليه السلام كان هو الخليفة بالنصّ الصريح بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت فاطمة عليها السلام تذعن بإمامته وخلافته، وماتت وهي معترفة ومعتقدة وعارفة ⇩

والذي قاله ابن حجر في الصواعق في قوله «استبددت» انّ المراد بالأمر المشورة[١]، وذكر ما يدلّ علىٰ ذلك.

وقال الشيخ عبدالملك العصامي في تاريخ سمط النجوم العوالي، بعد أن ذكر الحديث: وفي الرياض ـ يعني الرياض النضرة للطبري ـ قوله «استبديتم أو استبددتم به» أي: أنفردتم به دوننا. وقوله «كنّا نرىٰ أنّ لنا في هذا الأمر حقّاً» المراد بالأمر الخلافة، ويؤيّده أنّ علياً بعث إلىٰ أبي‌بكر ليبايعه، فقدّم العذر في تخلّفه أوّلاً، فقال: لم نمتنع عليك نفاسة ولا كذا ولا كذا، ولكنّا نرىٰ أنّ لنا في هذا الأمر حقّاً، فعلم بالضرورة أنّ الأمر المشار إليه بلام العهد هو ما تضمّنه الكلام الأوّل.

فالمراد به حقّ في الخلافة: إمّا بمعنى الأحقّية، أي: كنّا نظنّ أنّا أحقّ منكم بهذا الأمر بقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وآله، مضافاً إلى ما اجتمع فينا من أهلية الإمامة ممّا يساوينا فيه غيرنا. وإمّا بمعنىٰ أنّي أستحقّ استحقاقاً مساوياً لاستحقاقكم علىٰ

ـه بإمامة زوجها أميرالمؤمنين عليه السلام.

ومع النصوص الكثيرة الواردة في فضل فاطمة عليها السلام من طرق العامّة لا يبقىٰ شكّ أنّ مطالبتها للإرث كانت عن علم وحقّ، وكانت عالمة بعلم من والدها وزوجها أنّها ترث رسول الله صلى الله عليه وآله، كما ترث البنات والداتها، وقد ورد نصّ القرآن المجيد والروايات علىٰ ذلك.

وأمّا مطالبة عدم حضور عمر، وذلك لما جرىٰ منه علىٰ فاطمة عليها السلام من إحراق بيتها وإسقاط جنينها وضربها وهتك بيتها وأُمور أُخر يطول ذكرها، وفي الصحيحين: إنّها ماتت وهي واجدة عليهما.

(١) وهو إشارة إلىٰ قول عمر: إنّ بيعة أبي‌بكر كانت فلتة وقى الله شرّها.

تقدير انضمام القرابة إليه، إذ القرابة معنىً يحصل به الراجحية وإنّه ليس بأحقّ[١]. إنتهىٰ.

وسواء كان المعنىٰ ما ذكره في الطواعق، أم كان ما ذكره المحبّ الطبري ممّا نقله الشيخ عبدالملك العصامي، فهذا الخطاب من عليّ عليه السلام لأبي‌بكر وهو الخليفة، وقد تمّت له البيعة، وعليّ عليه السلام بصدد البيعة له والمعذرة إليه، فيقول له مع ذلك مثل هذا الكلام، ويذكر القرابة، حتّىٰ فاضت عينا أبي‌بكر بالدمع، يدلّ دلالة ظاهرة علىٰ اعتقاد أنّهم أحقّ قريش بالإمامة والخلافة، ولكن الظروف والامتحان الإلٰهي وأسباب أُخر اقتضت ذلك.

والقصد ممّا قلناه إثبات أحقّية الحسين عليه السلام في عصره بالإمامة في اعتقاده، وفي الواقع كذلك، فإذا رأىٰ أنّه بويع بالخلافة مثل يزيد وتعدّىٰ وترشّح لها غيره من قريش كعبدالله بن الزبير، وجب عليه طلبها والسعي لنيلها؛ إذ قد شرع في ذلك من لا يستحقّها مادام الحسين عليه السلام موجوداً ولو في اعتقاد الحسين عليه السلام. فهذا وجوب آخر مضافٌ إلى الوجوب المرتّب علىٰ صفات يزيد المعلومة بالقطع.

فعلىٰ هذا الوجوب الحاصل من الجانبين، يترتّب قول المرتضىٰ «متىٰ غلب علىٰ ظنّه أنّه يصل إلىٰ حقّه» إلىٰ قوله «وجب عليه ذلك وإن كان» الخ.

وعلىٰ هذا يكون الذي فوّض إلى الحسين عليه السلام هو القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنّه أجلّ الأعيان الذين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفتهم بإجماع المسلمين.

والأحسن تبدّل الواو من قول المرتضىٰ «فوّض» بالراء. وقوله «إليه» بـ«عليه»

(١) سمط النجوم العوالي ٢: ٣٣٩.

فإنّ ذلك كان أمكن بصحّة قوله «وجب عليه ذلك» الخ، وأنسب بأُصول أهل السنّة.

وقوله «وجب عليه ذلك وإن كان» الخ، كلام حقّ وصدق علىٰ أُصول أهل السنّة والجماعة وغيرهم؛ لأنّ ذلك من باب مقدّمة الواجب المطلق، وهو ما لا يتمّ فعل الواجب المطلق عقلاً أو عادة، أو بأن جعله الشارع شرطاً إلاّ بفعله. ومثّلوا الأوّل بترك أضداد المأمور به، والثاني بغسل جزء من الرأس لغسل الوجه كلّه، والثالث بالوضوء للصلاة.

فالقسم الثالث الظاهر أنّه لا خلاف في أنّ إيجاب ذلك الفعل إيجاب له؛ لأنّ من يقول بذلك في القسمين يقول به، كما يظهر من كلام العضد، وإن كان ذكر خلافاً في الجميع، والقسمان الأوّلان خلافيان، وأكثر علماء أُصول الفقه من أهل السنّة والجماعة تقول بهما أيضاً.

قال العضد: ومختار المصنّف أنّ ما لا يتمّ الواجب إلاّ به إن كان مقدوراً فعله وتركه المكلّف بتأتّي الفعل بدونه عقلاً وعادةً، لكن الشرع جعله شرطاً للفعل فهو واجب، وإلاّ فلا.

وقال الأكثرون: وغير ما جعله الشارع شرطاً للفعل أيضاً واجب، ممّا يلزم فعله عقلاً أو عادة واجب، ومثلهما بما ذكرته من الأمثلة، وذكر في الاستدلال علىٰ ما اختاره من عدم الوجوب فيما يلزم فعله عقلاً أو عادة ستّة وجوه.

وقال السعد التفتازاني في شرح الشرح العضدي: واعترض الشارح العلاّمة أمّا إجمالاً، فبأنّه يرد علىٰ أكثرها النقض بالشرط. وأمّا تفصيلاً، فإنّه يرد على الأوّل منع الملازمة، وإنّما ذلك في الواجب بالأصالة، إلىٰ آخر كلامه في ردّ الوجوه الستّة، فراجعه هناك إن شئت.

وقال الفاضل عبدالرحيم الأسنوي في تمهيد الأمر بالشيء هل يكون أمراً بما لا يتمّ ذلك الشيء إلاّ به، وهو المسمّىٰ بالمقدّمة أم لا يكون أمراً به؟ فيه مذاهب، أصحّها عند الإمام فخرالدين وأتباعه، وكذا الآمدي، أنّه يجب مطلقا، ويعبّر عند الفقهاء بقولهم ما لا يتأتّى الواجب إلاّ به فهو واجب، سواء كان سبباً، وهو الذي يلزم من وجوده الوجود، ومن عدمه العدم، أم شرطاً وهو الذي يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده الوجود ولا العدم.

وسواء كان ذلك السبب شرعياً كالصيغة بالنسبة إلى العتق الواجب، أم عقلياً كالنظر المحصّل للعلم الواجب، أم عادياً كحزّ الرقبة في القتل إذا كان واجباً، وهكذا الشرط أيضاً. فالشرعي كالوضوء، والعقلي كترك أضداد المأمور به، والعادي كغسل جزء من الرأس في الوضوء ليعلم حصول غسل الوجه. إنتهى المراد من كلامه.

ثمّ فرّع الأسنوي الفروع الفقهية علىٰ هذا الأصحّ عند من ذكرهم، فدلّ علىٰ موافقته هو وأكثر الفقهاء لهم.

وممّا يدلّ علىٰ صحّته أنّ دأب الصحابة السعي في تحصيل مقدّمة الواجب، ولو ببذل الأرواح والأموال، كسعي عبدالله بن حنظلة وبقية الأنصار والمهاجرين في إزالة يزيد عن الخلافة بخلعه، والخروج من طاعته المفضي إلىٰ قتلهم وخراب ديارهم يوم الحرّة، وسفك دماء المسلمين، وانتهاك حرمة مدفن سيد المرسلين ﷺ(١).

وكسعي عبدالله بن الزبير في الاستيلاء على الإمامة؛ إذ علم أنّه أحقّ بها في

---

(١) وقد تقدّم الإشارة إلىٰ ذلك.

خلافة مروان وخلافة ابنه عبدالملك، حتّىٰ أفضىٰ ذلك السعي إلىٰ قتله علىٰ يد الحجّاج بعد انتهاك حرمة بيت الله تعالىٰ.

وكسعي أميرالمؤمنين عليه السلام في إزالة الخارجين عليه؛ إذ كان هو إمام الحقّ، حتّىٰ أفضى السعي إلىٰ حروب الجمل وصفّين والنهروان.

ومثله سعي الحسن عليه السلام حيث علم أنّه أحقّ الناس بالخلافة بعد أبيه في أخذ البيعة على الناس، بأن خطبهم وذكر فضائله وخصائصه، وقام بين يديه من حثّ الناس علىٰ بيعته، مع علمه وعلم الصحابة الذين كانوا معه أنّ ذلك يفضي إلىٰ محاربة معاوية، وإراقة دماء المسلمين.

ثمّ سعيه هو والصحابة الذين كانوا معه، ومنهم عبدالله بن العبّاس، وناهيك به في إزالة المنكر في اعتقادهم، وهو تغلّب معاوية، فجيّشوا الجيوش، وقدّموا تلك المقدمة للمحاربة، مع علمهم بأنّ في ذلك إراقة دماء المسلمين وإدامة الفتنة.

ومعاوية لمّا اعتقد حسب اجتهاده أنّ ابنه يزيد أحقّ بالإمامة، كما نقل الذهبي في أوّل الطبقة السادسة سنة احدىٰ وخمسين، قال: لمّا أجمع معاوية علىٰ أن يبايع لابنه حجّ، فقدم معه في نحوٍ من ألف رجل، فلمّا دنا من المدينة، خرج ابن عمر، وابن الزبير، وعبدالرحمٰن بن أبيبكر، فلمّا قدم معاوية المدينة صعد المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ ذكر ابنه يزيد، فقال: من أحقّ بهذا الأمر منه[(١)]. إنتهىٰ.

سعىٰ في استيلاء ولده على الإمامة، فتحرّك إلى المدينة، ثم إلىٰ مكّة، ومعه من الجيش نحو ألف رجل، وقال ما قال، وفعل ما فعل، ممّا نقلنا بعضه فيما سلف.

قال الذهبي في بيعة يزيد في سنة ستّين: قد مضىٰ أنّ معاوية جعل ابنه يزيد ولي

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٤: ١٤٨.

عهده بعده، وأكره الناس علىٰ ذلك[١]. إنتهىٰ.

وهو يعلم أنّ اجتهاد كثير من أعيان الصحابة تقتضي عدم الموافقة علىٰ تولّي يزيد الإمامة، فيفضي ذلك إلى حروب وفتن، وإراقة دماء المسلمين.

ومن تأمّل هذه المنقولات وغيرها من أمثالها علم قطعاً أنّه كان من دأب الصحابة إيجاب فعل مقدّمة الواجب؛ لأنّهم كانوا يثابرون ويرتكبون مشاقّ الأُمور وعظائمها في فعل ما يتوقّف عليه الواجب إجماعياً أم كان حسب الاجتهاد والاعتقاد، علىٰ أنّه يكفي عن جميع ما قلناه أن نقول: رأى الحسين عليه السلام كان هو وجوب ما يتوقّف عليه الواجب مطلقا، ثمّ نبني مقصودنا علىٰ ذلك.

فالحسين عليه السلام لمّا رأىٰ واعتقد وجوب استيلائه على الإمامة؛ لأنّه أحقّ الناس بها، ووجوب إزالة يزيد عن التلبّس بالخلافة؛ لأنّ ذلك من أعظم المنكرات.

وفي الصواعق، وفي شرح الهمزية أيضاً: إنّ رجلاً سمّىٰ يزيد بأمير المؤمنين، فأمر عمر بن عبدالعزيز بضربه عشرين سوطاً[٢].

قال ابن حجر: فهذا صريح في أنّه كان متقلّباً بالشوكة لا إماماً. إلىٰ آخر كلامه.

رأى الحسين عليه السلام وجوب ما يتوقّف عليه فعل الواجب، وهو كلّ ضرب ونوع من الفعل يتوصّل به إلىٰ حقّه في الإمامة؛ إذ ثبت ولو في اعتقاده أنّه أحقّ بها، فوجب عليه الاستيلاء عليها وإلىٰ ما فوّض إليه، أي: ساقه وقاده إليه الشرع، ولو بحسب اعتقاده من وجوب إزالة المنكر العظيم، وهو تلبّس يزيد بالخلافة، وإن كان في هذا التوصّل ضرب من المشقّة يتحمّل مثلها، بل وإن عظمت كالمشاقّ التي

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٤: ١٦٧.

(٢) الصواعق المحرقة ص ٢٢١.

تحمّلها من ذكرناهم من الصحابة في التوصّل إلىٰ فعل الواجب، أي: فعل مقدّمة الواجب، وممّا يتوقّف عليه فعل الواجب.

ولا ريب أنّ التكليف كلّه مشاقّ، وبعضها أعظم من بعض، وأفضل الأعمال أحمزها، وقال عزّوجلّ: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسىٰ أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾[1] والعادة حاكمة في مقدّمة الواجب التي عرضت للحسين عليه السلام بالانتهاء إلى القتال والقتل، كما في غيره من الصحابة الذين ذكرناهم، والله أعلم.

خروج الإمام الحسين عليه السلام بعد توثيق الأمور

قال السيد المرتضىٰ: وسيدنا الحسين عليه السلام لم يسر طالباً للكوفة إلاّ بعد توثّق من القوم، وعهود وعقود، وبعد أن كاتبوه طائعين غير مكرهين، ومبتدئين غير مجيبين، وقد كانت المكاتبة من وجوه أهل الكوفة وأشرافها وقرّاءها، تقدّمت إليه عليه السلام في أيّام معاوية، وبعد الصلح الواقع بينه وبين الحسن عليه السلام، فدفعهم وقال في الجواب ما وجب.

ثمّ كاتبوه بعد وفاة الحسن عليه السلام ومعاوية باقٍ، فوعدهم ومناهم، وكانت أيّام معاوية أيّاماً صعبة لا يطمع في مثلها، فلمّا مضىٰ معاوية عادوا المكاتبة، وبذلوا الطاعة، وكرّروا الطلب والرغبة، ورأىٰ عليه السلام من قوّتهم علىٰ من كان يليهم في الحال من قبل يزيد وتشحّنهم عليه وضعفه عنهم، ما قوّىٰ في ظنّه أنّ المسير إليهم هو الواجب، تعيّن عليه ما فعله من الاجتهاد والتسبّب[2].

أقول: القصد من هذا الكلام أنّ الحسين عليه السلام يجب أن يكون عند أهل العقل

---

(١) سورة البقرة: ٢١٦.

(٢) تنزيه الأنبياء عليهم السلام ص ١٧٥ ـ ١٧٦.

والدين في مسيره من مكّة ـ شرّفها الله تعالىٰ ـ إلى الكوفة مرتّباً ذلك علىٰ مكاتبة أهل الكوفة إليه، معذوراً مشكوراً محكوماً بسداد رأيه في الدين والدنيا، وإن أفضىٰ ذلك إلىٰ عدم حصول المقصود وخيبة الأمل، وتلك القتلة الشنعاء، لعن الله فاعليها ومستجيزها والمتسبّبين فيها .

وهذا الذي قاله المرتضىٰ ﷺ وافٍ بإثبات وجوب ذلك، سواء بنىٰ علىٰ رأي الشيعة، أم علىٰ ما قدّمناه، فعلىٰ كلا الطريقين قد ثبت بإجماع أهل الإسلام بل العقلاء، أنّ المكلّف متعبّد بظنّه حيث لا وصول إلى العلم، وإلاّ لبطل الفقه إلاّ الإجماعيات القطعية .

ومعنىٰ وجوب المقدّمة وجوب كلّ سبب وشرط للواجب، فمن الواجب ما يكون سببه واحداً، ومنه ما يكون متعدّداً، وهو الأكثر. وكذا الشرط، وذلك بحسب الوجود الخارجي حسبما يظهر للإنسان، وكلامنا في الأسباب والشروط العقلية والعادية، وكلّ هذا ممّا لا خلاف فيه .

فمتىٰ فرض في أمر أنّه سبب لفعل واجب، أو شرط له، كالمسير وقطع المسافة للحجّ الواجب، وكالسعي بالأفعال والأقوال لإزالة المنكر، فكلّ فرد من أفراد هذا الكلّي متىٰ غلب الظنّ بأنّه موصل للمطلوب وجب فعله؛ لأنّ الكلّي لا وجود له في الخارج إلاّ في ضمن جزئياته .

وعلىٰ هذا الذي قرّرناه، وهو ممّا لا خلاف فيه، يكفينا في دفع الإيرادات عن الحسين عليه السلام أهون وأيسر ممّا قاله المرتضىٰ، وما نقوله يصقل ويشحذ ذلك الحسام المنتضىٰ، ويؤيّد ذاك بجواب المرتضىٰ .

فنقول: يجوز أن يكون الحسين عليه السلام ظهر له في مسيره إلى الكوفة تعويلاً علىٰ مكاتبة أهلها إليه في ظنّه الغالب أنّ هذا المسير سبب موصل إلىٰ إزالة المنكر،

والاستيلاء على الإمامة التي هو أحقّ بها، بأمارات ودلالات يعرفها هو ولم يعرفها غيره من نصحائه وغيرهم.

فإنّ الظنون تختلف كثيراً وتتباين إلى الغاية، والأمارات المقتضية لها قد تظهر لواحد، وتخفىٰ علىٰ كثيرين، ولاسيّما في تدابير الممالك ومبادىء الاستيلاء عليها، وأسباب الخروج على السلطان، خصوصاً ومدار هذا الباب علىٰ أفعال القلوب وسرائرها، من قوّة المحبّة، وشدّة الصداقة، والولاء لمباشر هذا الباب.

ولما ذكرناه من كونها قد يظهر لواحد ويخفىٰ علىٰ كثيرين، حسن وكان من بليغ المدح للرئيس قول الشاعر:

ألا للمعالي ما تعيد وما تبدىء ... ولله ما تخفيه عنّا وما تبدىء

وهو لبعض فحول قلائد العقيان، يمدح ملكاً عظيماً من أهل البلاغة والبيان، واستعمل هذا المعنىٰ بلغاء وشعراء لا نطيل بذكر أقوالهم، فلمّا غلب ما ذكرناه علىٰ ظنّ الحسين عليه السلام، رأىٰ وجوب ذلك المسير عليه شرعاً لكونه مقدّمة الواجب كما علمت، ففعله، ولم يستجز أن يهمله.

كيف؟ ومن شأن المتديّنين الأقوياء في طاعة القوي المتين شدّة المثابرة والحرص على المساعي الموصلة لأداء الواجب.

ففي الحجّ مثلاً يكون على المسير إليه أحرص من غيرهم، وإن كان فيه مشقّة شديدة لئلاّ يتأخّر الحجّ إلىٰ سنة أُخرىٰ.

وفي الوضوء يكونون أشدّ سعياً في تحصيل الماء لئلاّ يعدلوا إلى التيمّم.

وفي الصلاة يتحمّلون أكثر من غيرهم المشقّة في الأسباب الموصلة إلىٰ أدائها على الوجه الأكمل، إلىٰ غير ذلك.

وهذا داخل في النشاط، بل هو فرده الأكمل من قول الأبوصيري:

وإذا حلّت العناية قلباً نشطت للعبادة الأعضاء

ثمّ عرض للحسين عليه السلام كما هو من خصوصيات أحد الثقلين بعد ذلك سوء الاتّفاق، ومقتضىٰ نكد الدنيا وشؤم الأيّام، ومعاكسة الأقدار، ومن شأنها العروض للأخيار، والعوق عن المساعي الأُخروية للأبرار، وقد كثر في هذا المعنىٰ نظم الأشعار:

إبليس والدنيا ونفسي والهوىٰ يا ربّ أنت على الخلاص قدير

وهذا داخل في قوله صلى الله عليه وآله: الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر [(١)].

وقوله صلى الله عليه وآله: أشدّكم بلاءً الأنبياء، ثمّ الأمثل فالأمثل [(٢)].

وقوله صلى الله عليه وآله إنّ البلوىٰ أسرع إلى المؤمن من الماء المحدور [(٣)].

والحديث المشهور: المؤمن ملقى والكافر موقى. وغير ذلك [(٤)].

وقد ورد في اختصاص العترة الطاهرة بهذه المزيّة الباهرة لقوّة كرامتهم الظاهرة من جعلهم سادات الدنيا والآخرة، أحاديث كثيرة وآثار شهيرة [(٥)].

---

(١) كنز العمّال ٣: ١٨٥ برقم: ٦٠٨١.

(٢) كنز العمّال ٣: ٣٢٧ برقم: ٦٧٨٣.

(٣) كنز العمّال ٣: ٣٣٩.

(٤) راجع: كنز العمّال ١: ١٤٦.

(٥) وقد عقد العلاّمة المجلسي رحمه الله في ذلك باباً مستقلاً في بحار الأنوار (٢٧: ٢٠٧) قال: باب شدّة محنهم وأنّهم أعظم الناس مصيبة، وأنّهم عليهم السلام لا يموتون إلاّ بالشهادة، ثمّ أورد عدّة روايات.

منها: ما رواه عن أمالي الشيخ الطوسي بإسناده، عن محمّد بن علي بن أبي طالب، ⇩

فهذا جواب مبني علىٰ جواز ما ادّعى المرتضىٰ وقوعه، وإجمال ما تولّىٰ تفصيله وتفريعه.

وما الذي يمنع هذا التجويز والحسينعليه السلام مؤيّد موفّق معصوم، أي: محفوظ بنصّ الكتاب العزيز، ونطق جدّهصلى الله عليه وآله البسيط والوجيز، فهوعليه السلام من خطأ الرأي في حرز حريز.

وإذا ثبت أنّ التجويز كاف في الجواب، فإثبات الوقوع يزيح عن دخول الإيراد أوثق الأبواب، وأنا أعضد ما ذكره في إثبات الوقوع المرتضىٰ، وأقويه بالنقل المرتضىٰ، والعقل الوافي المقتضىٰ.

فأقول: حاصل كلامه أنّ الواقع أنّ الحسينعليه السلام غلب علىٰ ظنّه حصول الظفر بيزيد وأنصاره، والفلج عليهم والاستيلاء على الإمامة بأهل الكوفة، فرأىٰ وجوب ذلك المسير إليهم، والتوصّل بهم إلىٰ فعل الواجب عليه، لما ذكره المرتضىٰ من أنّه المنصوص عليه بالخلافة، بناءً علىٰ مذهب الشيعة الحقّة، ولما ذكرته أنا بناءً علىٰ أُصول أهل السنّة، ففعل ما وجب عليه، فعاكس ظنّه، وأخلف أمله سوء الاتّفاق، ونكد الدنيا، ولا يلام المرء بعد الاجتهاد، على المرء أن يسعىٰ لتحصيل قصده،

ـه أنّه قال: أعظم الناس أجراً في الآخرة أعظمهم مصيبة في الدنيا، وانّ أهل البيت أعظم الناس مصيبة، مصيبتنا برسول اللهصلى الله عليه وآله قبل، ثمّ يشركنا فيه الناس.

وروىٰ أيضاً عن مناقب ابن شهرآشوب، عن أميرالمؤمنينعليه السلام. قال: بينا أنا وفاطمة والحسن والحسين عند رسول اللهصلى الله عليه وآله إذ التفت إليّ فبكىٰ، فقلت: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: أبكي من ضربتك على القرن، ولطم فاطمة خدّها، وطعنة الحسن في فخذه والسمّ الذي يسقاه، وقتل الحسين. إلىٰ غيرهما.

وليس عليه أن يساعده الدهر، والنظم والنثر في هذا المعنىٰ كثير.

وقد تضمّن هذا المعنىٰ وأشار إلىٰ معذرة الحسين عليه السلام عند الله تعالىٰ وعند الخلق، والثناء علىٰ مثل فعله، وتفضيله علىٰ من كان رأيه إذ ذاك القعود وإيثار العافية، حديث مسلم والنسائي، أورده البغوي في المصابيح في الصحاح، في باب التوكّل والصبر، وهو قوله صلى الله عليه وآله: المؤمن القويّ خير وأحبّ إلى الله تعالىٰ من المؤمن الضعيف. وفي كلّ خير أحرص علىٰ ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنّي فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدّر الله وما شاء فعل، فإنّ لو يفتح عمل الشيطان(١).

وآخر الحديث كقول العرب: إنّ لوّاً وإنّ ليتاً عناء.

فاستدلّ المرتضىٰ رحمه الله علىٰ أنّ مكاتبة أهل الكوفة كانت تقتضي وتؤثر غلبة الظنّ التي حصلت له عليه السلام بالتوثيق والعهود والعقود الأكيدة التي صارت من أهل الكوفة.

ففي تاريخ الإسلام للذهبي: وقال ابن عيينة: حدّثني بجير من أهل الثعلبية، قلت له: ابن كم كنت حين مرّ الحسين عليه السلام؟ قال: غلام قد أينعت، قال: كان في قلّة من الناس، وكان أخي أسنّ منّي، فقال له: يابن بنت رسول الله أراك في قلّة من الناس! فقال بالسوط وأشار إلىٰ حقيبة الرحل، وقال: هذه مملوءة كتباً.

وقال الذهبي قبل هذا بلا فصل: وقال الزبير بن الخريت: سمعت الفرزدق يقول: لقيت الحسين عليه السلام بذات عرق وهو يريد الكوفة، فقال لي: ما ترىٰ أهل كوفة

---

(١) صحيح مسلم ٤: ٢٠٥٢ برقم: ٢٦٦٤، مصابيح السنّة للبغوي ٣: ٤٤٥ برقم: ٤٠٩١.

صانعين؟ معي حمل بعير من كتبهم؟ قلت: لا شيء، يخذلونك، لا تذهب إليهم، فلم يطعني[(١)].

فأيّ دليل على العهود والعقود وتأكيدها أقوىٰ من كثرة هذه الكتب البالغة لهذه الغاية.

وفي هذين النقلين دليل علىٰ أنّه عليه السلام سار من مكّة ـ شرّفها الله ـ علىٰ غلبة الظنّ بالنصر، والفلح بمكاتبة أهل الكوفة، ألا تراه حين ذكر له ما ينافي انتصاره وفلحه، ويقتضي أن يكون مغلوباً من قلّة الناس معه، استند في الجواب إلىٰ تلك الكتب، وكذلك استناده إلى الكتب في خطابه للفرزدق، ومخالفته إيّاه في قوله «لا تذهب إليهم» يدلّ علىٰ غلبة الظنّ.

وتلك الكتب بتلك الكثرة وما فيها من العهود والعقود، والتهالك علىٰ وصوله إليهم ومبايعتهم إيّاه كافية في حصول الظنّ له عليه السلام، وإن لم ينضف إلىٰ ذلك ما سنذكره؛ لأنّهم مسلمون محبّون متشيّعون له ولأبيه وأخيه عليهما السلام، وقد بذلوا لهما في الحروب السابقة أرواحهم فما دونها.

وقد قال النبي صلى الله عليه وآله في حديث في الصحيحين وغيرهما من الستّة[(٢)]: آية النفاق ثلاث، وإن صام وصلّىٰ وزعم أنّه مسلم: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان[(٣)].

وفي الصحيحين أيضاً: قوله صلى الله عليه وآله أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ١٠ ـ ١١.

(٢) أي: الصحاح الستّة عندهم.

(٣) صحيح البخاري ١: ٨٩ كتاب الإيمان ح ٣٣، وصحيح مسلم ١: ٧٨ ح ١٠٧.

فيه خصلة منهنّ كانت فيه خصلة من النفاق حتّىٰ يدعها: إذا ائـتمن خـان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر[١]. نقلتها من مصابيح البغوي من باب الكبائر وعلامات النفاق[٢].

وهما وما في معناهما يوجبان تصديق المسلم في خبره وعهده ووعده وأمانته والتحرّز من تكذيب حديثه؛ لاستلزامه نسبته إلى النفاق.

فإن عارض ذلك في حال الحسين عليه السلام حديث الجزم سوء الظنّ، فقد قال فيه السيوطي في الدرر المنتثرة: أبو الشيخ بسند، وأحمد عن علي موقوفاً، والقضاعي في مسند الشهاب، عن عبدالرحمٰن بن عائذ مرفوعاً إلىٰ آخره، فلا يعارض مثل حديثي الصحيحين.

وعلىٰ تسليم ذلك لكون هذا مؤيّداً بدليل العقل، فالحسين عليه السلام قد عمل به أيضاً؛ لأنّه لم يثق بمكاتبة أهل الكوفة إلاّ وقد انضمّ إليها قرائن تقتضي حسن الظنّ وصرف سوء الظنّ، وإن كان أهل الكوفة قد صدر منهم مع أبيه وأخيه عليهما السلام ما صدر، وعهد منهم الغدر والخيانة، ونهاه نصحاؤه عن المسير إليهم، ما ذكره المرتضىٰ بقوله «كاتبوه طائعين غير مكرهين، ومبتدئين غير مجيبين» وهذا ممّا لا ريب في صحّته.

قال الشيخ أحمد بن الفضل في وسيلة المآل: وإنّ الحسين عليه السلام لمّا سار من مكّة اجتمعت في بيت سليمان بن صرد الخزاعي بالكوفة جماعة، وتذاكروا أمر الحسين عليه السلام وسيره إلىٰ مكّة، وقالوا: نكتب إليه يأتينا. فكتبوا إليه كتاباً من

---

(١) صحيح البخاري ١: ٨٩ كتاب الإيمان ح ٣٤، وصحيح مسلم ١: ٧٨ ح ١٠٦.
(٢) مصابيح السنّة للبغوي ١: ١٢٥ ـ ١٢٦ برقم: ٣٨ و ٣٩.

رؤسائهم: من سليمان بن صرد، وشبث بن ربعي، وحبيب بن مظاهر، وعروة بن قيس، وعمرو بن الحجّاج الزبيدي، وغيرهم من أكابر الشيعة، نحو مائة كتاب، وسيّروا الكتب مع عبدالله بن سبيع الهمداني، وعبدالله بن وال، وهم يحثّونه فيها، وكتاب واحد عامّ علىٰ لسان الجميع .

وصورته: بسم الله الرحمٰن الرحيم، للحسين بن علي أميرالمؤمنين من شيعة أبيه، أمّا بعد، فإنّ الناس منتظرون، لا رأي لهم مع غيرك، فالعجل العجل يابن رسول الله، لعلّ الله يجمعنا بك على الحقّ، ويؤيّد بك المسلمين والإسلام، والسلام. إنتهى المراد من النقل .

وقد كانوا مع أبيه وأخيه عليهما السلام مطلوبين مسؤولاً منهم النصر والنهوض للقتال، وهذا فرق يؤثر اطمئناناً إليهم وأمناً من غدرهم؛ لأنّ الابتداء بالطلب والتحريك للأمر يؤثر عند الطالب والمحرّك حياءً وتذمّماً من إسلام المطلوب، والتخلّي عنه، والقعود عن معونته فيما كان هو المبتدىء به والطالب له، والقوم وإن رقّت أديان أكثرهم، ووجد النفاق فيهم، فقد كان فيهم أخلاق العرب وشهامتها وأحسابها .

ومنها: ما ذكره بقوله «وقد كانت المكاتبة من وجوه أهل الكوفة تقدّمت» وهذا قد ذكره الذهبي، قال: لمّا أخذ البيعة معاوية لابنه يزيد، كان الحسين عليه السلام ممّن لم يبايع، وكان أهل الكوفة يكتبون إلى الحسين عليه السلام، يدعونه إلى الخروج إليهم زمن معاوية، وهو يأبىٰ ذلك .

إلىٰ أن قال الذهبي: وقدم المسيّب بن نجبة وعدّة معه إلى الحسين عليه السلام بعد وفاة الحسن عليه السلام، فدعوه إلىٰ خلع معاوية، وقالوا: قد علمنا رأيك ورأي أخيك، فقال: إنّي لأرجو أن يعطي الله أخي علىٰ نيته، وأن يعطيني علىٰ نيتي في حبّي جهاد

الظالمين[١]. إنتهى.

وأمّا وقوع ذلك في حياة الحسن عليه السلام، فلم يذكره الذهبي، لكنّه ذكره في الطبقة الخامسة سنة (٤١) إحدىٰ وأربعين عام الجماعة: إنّه كان أصحاب الحسن عليه السلام بعد الصلح يقولون له: يا عار المؤمنين، فيقول: العار خير من النار.

إلىٰ أن قال الذهبي: لمّا ورد الحسن إلى الكوفة وبايع معاوية، قال له رجل منّا: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين، فقال: لست بمذلّ المؤمنين، ولكنّي كرهت أن أقتلكم على الملك[٢].

وقد بيّنا فيما سلف في فصل الحسن عليه السلام أنّ قوله هذا نشأ عن جهل منهم، وقصور اطّلاع علىٰ حقيقة الحال، وربما كان منهم من ليس كذلك، لكن غلبت عليه الأنفة من الذلّ، حتّىٰ صار رأيه أن يقدم الحسن عليه السلام وخلّص أصحابه على الموت، فيقتلوا أو يسلموا إلىٰ معاوية خير من ذلك الصلح، فقال هذا الكلام من شدّة الأنفة؛ إذ لم يفعل الحسن عليه السلام ذلك، فأجابهم الحسن عليه السلام تارة بظاهر الشرع؛ إذ لم يرهم أهلاً لإفهام حقيقة الحال، أو لم ير من المصلحة إجابتهم بحقيقة الحال، وتارة بالإشارة إلىٰ حقيقة الحال، قوله «كرهت أن أقتلكم على الملك» معناه، ثمّ لا يحصل المقصود، كما عرفت بيانه ممّا سلف في فصل الحسن عليه السلام.

والقصد هنا أنّ من قال مثل هذا الكلام، وهم يرون أنّ الحسين عليه السلام مخالف لأخيه في الرأي، كما تدلّ عليه الرواية التي أوردناها أوّلاً، ينبغي أن يكونوا قد عرضوا على الحسين عليه السلام في حياة الحسن عليه السلام أن يبايعوه ويخلعوا معه معاوية.

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ٥ ـ ٦.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٤: ٥ ـ ٦.

وكيف كان فتقدّم المكاتبة إلى الحسين عليه السلام منهم من عهد معاوية ممّا يحصل به تقوية ظنّ نصرتهم لثباتهم علىٰ ذلك من عهد معاوية، ولكونه أشدّ وأقوىٰ في كونهم ابتدؤوه بالطلب ولم يبتدأهم، ولكونه دالاً علىٰ شدّة محبّتهم وولائهم إذ طلبوا منه عليه السلام، وأقدموا عليه في مثل ذلك الزمان، ودالاً علىٰ شدّة أنفتهم ونفورهم من تولّي يزيد، ولأنفتهم ونفورهم من تولّي أبيه من قبله حتّىٰ أقدموا علىٰ طلب مبايعة الحسين عليه السلام وخلعه.

ومنها: ما أشار إليه المرتضىٰ بقوله: وكانت ولاية معاوية صعبة، إلىٰ آخره.

وهذا من الأدلّة القويّة علىٰ مقصودنا، فإنّ بين أيّام يزيد وولايته وبين أيّام أبيه، فرقاً بقدر ما بين الأرض والسماء.

أين سياسة معاوية، وقوّة تدبيره، ومبلغ دهائه، وطول ممارسته للولايات والحروب، ومعاقد الأُمور العظام من عهد عمر بن الخطّاب[1] إلىٰ أن صار خليفة، وظهور علوّ جدّه وسعادة بخته في نيل الملك والاستيلاء عليه، حتّىٰ أنّه نقل سطيحاً الكاهن قال لأُمّه هند: وستلدين ملكاً اسمه معاوية.

من ولده يزيد الشابّ الغضّ الولاية الغرّ، الفاسق فسقاً فاحشاً، تفرّ منه القلوب، حتّىٰ خلعه كثير من الناس.

فبالحري أن يغلب الظنّ أنّ أهل الكوفة وإن استعملوا الغدر والخيانة والتواكل والخور مع علي والحسن عليهما السلام، لا يفعلون ذلك مع الحسين عليه السلام؛ لأنّ ذاك لعلّه كان

---

(١) إشارة إلىٰ أنّه هو الذي نصبه والياً على الشام، فجرىٰ على الإسلام وأهله ما جرىٰ، من نصبه يزيد خليفة للأُمّة، وترتّب علىٰ ذلك من شهادة الإمام الحسين عليه السلام، وهتك الحرمين الشريفين، وأُمور أُخر لا مجال هنا لذكرها.

منهم بسبب اتّصاف معاوية بما ذكرناه، فإنّه ممّا يرد السيل عن إدراجه، ويصدّ البحر عن تحرّك أمواجه، ويستزلّ العصم من الجبال، ويحلّها سهل الرمال، ولم يكن في يزيد شيء من ذلك.

ومنها: ما ذكره بقوله: ورأىٰ عليه السلام من قوّتهم علىٰ من كان يليهم في الحال من قبل يزيد، إلىٰ آخره.

وممّا يدلّ علىٰ ذلك تمكّنهم من الاجتماع في دار سليمان بن صرد الخزاعي، وتشاورهم وتحاورهم حتّىٰ كتبوا إلى الحسين عليه السلام تلك الكتب الكثيرة مع رجلين سارا بها إليه، ولم ينقل عنهم ولا عن الرسولين استخفاء ولا استكتام.

وأعظم من ذلك نزول مسلم بن عقيل عندهم ومبايعتهم إيّاه للحسين عليه السلام، بايعه خمس عشر ألفاً وأكثر فيما ذكره ابن حجر(١). وقال صاحب عمدة الطالب: بايعه ثمانية عشر ألفاً(٢). والقليل من هذه المساعي للخروج ما كانوا في أيّام معاوية وولاية زياد يستطيعون أن يفعلوه في المنام.

وقد تقدّم نقل ما أدّىٰ إلىٰ قتل عمرو بن الحمق الخزاعي رضي الله عنه، من قول عمارة بن عقبة بن أبي معيط: إنّ عمرو بن الحمق من شيعة علي عليه السلام(٣). وفيه كفاية.

ومنها: أنفتهم الشديدة من صلح الحسن عليه السلام، حتّىٰ خاطبوه بالخطابات الجارحة التي ذكرنا بعضها، وكانوا يعتقدون أنّ الحسين عليه السلام علىٰ خلاف رأيه، فيغلب الظنّ أنّهم يصدّقون معه، ويتعصّبون ويتصلّبون في نصرته؛ لجامعية تلك الأنفة التي

---

(١) الصواعق المحرقة ص ١٩٦.

(٢) عمدة الطالب ص ٢٣٤.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٣: ٨٧ ـ ٨٨.

عمّتهم، وحرارة القلوب التي ألهبتهم، وهم من صميم العرب أهل الأنساب، والقائلين النار ولا العار في المحاماة عن الأحساب، وهم شيعة أبيه وأخيه عليهما السلام تديّناً عالي المنار، فيبعد أن يجمعوا بخذلانه النار إلىٰ ذلك العار .

ومنها: أنّهم مرّ بهم في أيّام معاوية وعلىٰ يد زياد في ولايته من القتل الذريع، وأنواع السوء الشنيع لأجل ما فيهم من التشييع، ما حسبك دلالة عليه قتل الصحابي الصالح حجر بن عدي وأصحابه[1]، منهم شريك بن شدّاد .

وقال الذهبي: الحضرمي الشيعي أحد العشرة الذين قتلوا مع حجر بعذرا صبراً في سنة احدىٰ وخمسين، وهو من التابعين[2]. إنتهىٰ .

وكان قتلهم بعرض البراءة من علي عليه السلام ، فمن لم يفعل قتلوه، وقد سبق نقل ذلك من الذهبي، وذلك من بعد صلح الحسن عليه السلام إلىٰ أواخر أيّام معاوية، فيقوىٰ في الظنّ أنّ ما فيهم من العذر بأهل البيت النبوي والخيانة قد استتابهم عنه ونزعه من قلوبهم، وملأها صدقاً وديانة ما وقع بعد الصلح بهم من القتل والتشريد والإهانة .

ومنها: أنّه لا ريب أنّه كان مخلصون أخيار، ومتديّنون أبرار، برؤساء متبوعون فيهم، ورأسهم سليمان بن صرد الخزاعي الصحابي الذي قال فيه الذهبي في التاريخ: له صحبة ورواية وكان من صغار الصحابة .

إلىٰ أن قال: وكان صالحاً ديناً من أشراف قومه، خرج في جماعة تابوا إلى الله من خذلانهم الحسين عليه السلام ، وطلبوا بدمه، كما تقدّم في سنة خمس وستّين، وقتل رحمه الله هو وعامّة جموعه وسمّوا جيش التوّابين .

---

(١) تقدّم ترجمته، راجع: تاريخ الإسلام للذهبي ٣: ١٩٣ ـ ١٩٤ .

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٤: ٢٣٧ .

ونقل الذهبي عن ابن عبدالبرّ، قال: كان ممّن كاتب الحسين عليه السلام يسأله القدوم إلى الكوفة، فيبايعوه، فلمّا عجز عن نصره ندم وقيل: عاش ثلاثاً وتسعين سنة[١]. إنتهىٰ.

والمسيّب بن نجبة، وقد أثنىٰ عليه الذهبي[٢] وغيره، وذكروا قتله مع التوّابين، وكان فيهم رؤساء دهاة أبطال صارت منهم ومن الرؤساء الأخيار الأبرار بعد قتل الحسين عليه السلام حروب عظيمة، ومعارك كبيرة.

وقال الذهبي: في سنة خمس وستّين في قصّة المختار الثقفي: فقدم المختار الكوفة، والشيعة قد اجتمعت علىٰ سليمان بن صرد، فليس يعدلون به، فجعل المختار يدعوهم إلىٰ نفسه، فتقول الشيعة: هذا سليمان شيخنا، فأخذ المختار يقول لهم: قد جئتكم من قبل المهدي محمّد ابن الحنفية، فصار معه طائفة من الشيعة.

إلىٰ أن قال: فشرعوا يتجهّزون ـ يعني جماعة المختار ـ للخروج إلىٰ ملتقىٰ عبيدالله بن زياد[٣].

أي: قتاله، وهي وقعة الخازر التي ذكرها الذهبي[٤]، وذكر قتلهم عبيدالله بن زياد، ومن معه من رؤساء الشام وجنوده، وكانوا أربعين ألفاً ـ كما ذكر الذهبي ـ علىٰ يد إبراهيم بن الأشتر ومن معه من الشيعة الذين مالوا مع المختار أخذاً بثأر الحسين عليه السلام، فقتلوهم قتلاً ذريعاً، وكان من غرق منهم في الخازر أكثر ممّن قتل.

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ١٢٢ ـ ١٢٣ برقم: ٣٧.

(٢) تاريخ الإسلام ٥: ٤٦.

(٣) تاريخ الإسلام ٥: ٤٥ ـ ٤٦.

(٤) تاريخ الإسلام ٥: ٤٨ و ٥٥.

وذكر الذهبي أنّ المختار كان يرهط أصحابه بالكذب والمحال، ويتألّف الشيعة بقتل قتلة الحسين عليه‌السلام (١).

وذكر في ترجمة محمّد ابن الحنفية ابن أميرالمؤمنين علي عليه‌السلام، قضيته هو وابن عبّاس مع ابن الزبير، وهو أنّه دعاهما لبيعته، فأبيا ومعهما النساء والذرّية، فأساء ابن الزبير جوارهم، وأظهر شتم ابن الحنفية، وأمرهم وبني هاشم أن يلزموا شيعتهم بمكّة وجعل عليهم الرقبا، وقال: لتبايعنّ أو لأحرقنّكم بالنار، فخافوا (٢).

وذكر الذهبي أنّه همّ لذلك محمّد ابن الحنفية أن يقدم الكوفة، فثقل على المختار قدومه، فقال: وكان يدعو له أنّ في المهدي علامة يقدم بلدكم هذا، فيضربه رجل بالسيف، فلا يؤثر فيه، فبلغ ذلك ابن الحنفية فترك (٣).

قال الذهبي: فقيل له ـ يعني ابن الحنفية ـ لو بعثت إلىٰ شيعتك بالكوفة فأعلمتهم ما أنتم فيه، فبعث أباالطفيل عامر بن واثلة إلىٰ شيعتهم بالكوفة، فجهّز المختار جيشاً إلىٰ مكّة، فانتدب منه أربعة آلاف، فعقد لأبي عبدالله الجدلي عليهم، وقال له: سر، فإن وجدت بني هاشم في الحياة، فكن لهم أنت ومن معك عضداً، وأنفذ لما أمروك به، وإن وجدت ابن الزبير قد قتلهم، فاعترض أهل مكّة حتّىٰ تصل إلى ابن الزبير، ثمّ لا تدع من آل الزبير شعراً ولا ظفراً.

وذكر أنّهم دخلوا مكّة، فكبّروا تكبيرة واحدة، سمعها ابن الزبير، فانطلق هارباً وتعلّق بأستار الكعبة، ثمّ مالوا إلى ابن عبّاس وابن الحنفية وأصحابهما في دور

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ٥٢ و ٦٢.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٦: ١٨٥.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٦: ١٨٥.

وقد جمع لهم الحطب، فأُحيط بهم حتّىٰ بلغ رؤوس الجُدُر، لو أنّ ناراً تقع فيه ما بقي منهم أحد، فأخّره جماعة المختار عن الأبواب .

ثمّ تصافّوا هم وجماعة ابن الزبير، وقالوا لابن عبّاس وابن الحنفية: ذرونا نرح الناس من ابن الزبير، فقالا: هذا بلد حرّمه الله فامنعونا وأجيرونا، قال: فتحمّلوا فخرجوا بهم حتّىٰ أنزلوهم منىٰ، ثمّ انتقلوا إلى الطائف فأقاموا، وتوفّي ابن عبّاس، فصلّىٰ عليه ابن الحنفية، وبقي الجيش معه، وحجّ ابن الزبير وابن الحنفية في أصحابه إلىٰ عرفة، فوقف وحجّ نجدة بن عامر الحروري في أصحابه، فوقف ناحية، وحجّت بنو أُمية علىٰ لواء فوقفوا بعرفة(١) .

وذكر الذهبي أنّه حجّ بهم ابن الحنفية وهم أربعة آلاف، نزلوا في الشعب الأيسر من منىٰ، وأنّه سُعي في الهدنة والكفّ حتّىٰ حجّ كلّ طائفة من الطوائف الأربعة(٢) .

فهذا ما فعلته شيعة الحسين عليه السلام الذين مالوا مع المختار من الفتكات والبطشات الكبار نصرة للتشيّع، وقياماً مع أهل البيت، وأخذاً بثأرهم .

وأمّا الأخيار الأبرار الأتقياء منهم، وهم أتباع سليمان بن صرد الصحابي والمسيّب بن نجبة، قال الذهبي: وهما من شيعة علي، ومن كبار أصحابه، خرجا في ربيع الآخر يطلبون بدم الحسين عليه السلام بظاهر الكوفة في أربعة آلاف، فنادوا: يا لثارات الحسين، وتعبّدوا بذلك، وقام سليمان في أصحابه، فحضّ على الجهاد، وقال: من أراد الدنيا فلا يصحبنا، ومن أراد وجه الله والدار الآخرة فذلك منّا، وقام صخر بن حذيفة المزني، فقال: أتاك الله الرشد إنّما أخرجتنا التوبة في ديننا،

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٦: ١٨٥ ـ ١٨٦ .

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٦: ١٨٦ ـ ١٨٧ .

والطلب بدم ابن بنت نبينا. وساق الذهبي قصّة خروجهم[١].

وحاصلها: أنّه عبّأ سليمان بن صرد كتائبه، ثمّ قال: ان قتلت فأميركم المسيّب ابن نجبة، فإن أُصيب فالأمير عبدالله بن سعد بن نفيل، فإن قتل فالأمير عبدالله بن وال، فإن قتل فالأمير رفاعة بن شدّاد، ثمّ قاتلوا جيش شرحبيل بن ذي الكلاع، وهم غارّون فهزموهم، فجهّز عليهم عبيدالله بن زياد الحصين بن نمير في اثني عشر ألفاً، ثمّ ردفهم بشرحبيل في ثمانية آلاف، ثمّ أمدّهم بابن محرز في عشرة آلاف،فأكمله ثمانية وعشرون ألفاً غير جيش شرحبيل الأوّل[٢].

وذكر المؤرّخون أنّهم صاروا أكثر من ثلاثين ألفاً، وجيش التوّابين أقلّ من أربعة آلاف؛ لأنّه ذكر الذهبي أنّ المختار اختزل بعضهم فمالوا معه.

قال الذهبي: وقد وقع القتال، ودام الحرب ثلاثة أيّام قتالاً لم ير مثله، وقتل من الشاميين خلق كثير، وقتل كذلك من التوّابين، وكذا كانوا يسمّون؛ لأنّهم تابوا إلى الله من خذلان الحسين عليه السلام، فاستشهد أُمراؤهم الأربعة، ثمّ تحيّز رفاعة بمن بقي وردّ إلى الكوفة[٣]. هذا خلاصة ما ذكره الحافظ الذهبي وغيره.

فإذا كانت هذه أفاعيل أهل الكوفة من الفتكات العظيمة الهائلة التي أُتيحت ابن الزبير وبني أُمية، أفما كان في الحسين عليه السلام من قوّة الفراسية والانتخاب للرجال أن يعرف أنّهم يجيء منهم مثل ذلك، وأنّهم يخوضون غمار المهالك، فيرجّح المسير إليهم ظنّاً منهم أنّهم يتبعون ويطيعون أُولئك الرؤساء الأخيار الأبرار الشجعان،

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ٤٦.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ٤٨.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ٤٨.

وأُولئك الأمجاد الأبطال الدهاء، كإبراهيم الأشتر الذي كان عليه مدار حروب المختار، وهذا أخوه محمّد ابن الحنفية كان قد عزم على الوصول إليهم بالكوفة، ولم يصدّه إلاّ مكر المختار كما عرفت، وأتباعه إنّما كانوا بعض شيعة الحسين عليه السلام لا جميعهم، والله أعلم.

مجيء مسلم بن عقيل لأخذ البيعة للحسين عليه السلام

قال المرتضىٰ: ولم يكن في حسابه عليه السلام أنّ القوم يغدر بعضهم، ويضعف أهل الحقّ عن نصرته، ويتّفق ما اتّفق من الأُمور الغريبة، فإنّ مسلم بن عقيل رحمه الله لمّا دخل الكوفة أخذ البيعة علىٰ أكثر أهلها، ولمّا وردها عبيدالله بن زياد وقد سمع بخبر مسلم، ودخوله الكوفة، وحصوله في دار هاني بن عروة علىٰ ما شرح في السير، وحصل شريك بن الأعور بها جاءه ابن زياد عائداً.

وقد كان شريك وافق مسلم بن عقيل على قتل ابن زياد عند حضوره لعيادة شريك، وأمكنه من ذلك، وتيسّر له، فما فعل واعتذر بعد فوت الأمر إلىٰ شريك بأنّ ذلك فتك، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: إنّ الإيمان قيد الفتك.

ولو كان فعل مسلم من قتل ابن زياد ما تمكّن منه، ووافقه عليه شريك لبطل الأمر، ودخل الحسين عليه السلام الكوفة غير مدافع عنها، وحسر كلّ أحد قناعه في نصرته، واجتمع له كلّ من كان في قلبه نصرته وظاهره مع أعدائه[1].

أقول: قد نقلنا آنفاً من كلام ابن حجر وعمدة الطالب مبايعة خمسة عشر ألفاً، بل ثمانية عشر ألفاً لمسلم بن عقيل حين دخل الكوفة، وذلك من دلائل صدق ظنّ الحسين عليه السلام النصرة والظفر في أهل الكوفة؛ لأنّهم أقدموا بهذه البيعة وعليهم والٍ

(١) تنزيه الأنبياء عليهم السلام ص ١٧٦.

ضابطٌ جبّار ممارس للحروب، وهو ابن زياد عليه ما يستحقّه، من جانب يزيد الذي تمّت له البيعة، وراء ظهره جيوش أهل الشام وجيوش البصرة والمدائن والأهواز، والأقطار القريبة من الكوفة، فلولا قوّة المحبّة الصادقة والعزائم والتصميم على النصرة لم يركبوا هذا الأمر الكبير، والخطر المهلك المبير، ثمّ حاربوا بعد ذلك ابن زياد في قصره وتخت مملكته مع مسلم بن عقيل، كما سنذكره.

هذا، والحسين عليه السلام بمكّة في غاية البعد عنهم، ويزيد حاكم عليهم متمكّن منهم، أين هذا من حالهم مع أخيه الحسن عليه السلام، إذ تثاقلوا عن جوابه، حتّىٰ قال عدي بن حاتم ما قال، وخرج وحده إلى المعسكر .

هذا، وهم بعقب موت الأسد الكرّار، الحامي لهم الذمار، مع كثرتهم واجتماع قلوبهم إلى الغاية، ولم يتسلّط عليهم بعد حكم معاوية وأهل الشام، وهذا فرق عظيم يمنع قياس أصحابه علىٰ أصحاب أخيه عليهما السلام .

وهذا الذي ذكره من قضية شريك بن الأعور، وهو مذكور في أكثر كتب السير المبسوطة، يدلّ أيضاً علىٰ قوّة العزيمة في نصرة الحسين عليه السلام، والمحبّة له؛ لأنّه إقدام عظيم، وجرأة قويّة يبنىٰ ويعظم على الفتك بأمير البلاد، مع العلم بما ورائه من الإمداد، والناس تعدّ فتك عبدالملك بن مروان بعمرو بن سعيد الأشدق، والمنصور العبّاسي بأبي‌مسلم الخراساني، أمراً جليلاً، وخطباً مهيلاً، وهما إنّما فتكا وهما خليفتان في مقرّهما، وبين جنودهما وأعوانهما، فكيف بهذا العزم علىٰ هذا الفتك .

ثمّ إنّ هذا التقهقر والإحجام عن الفتك بابن زياد من مسلم بن عقيل، وهو البطل المقدام، والأسد الضرغام، أوّل دلائل سوء الاتّفاق، وانعكاس الأمل،

وإخلاف الظنّ بحكم القضاء والقدر؛ لأنّ تلك الفتكة النافعة، كانت فرصة واقعة، ولن يقع ثانية مثلها من مثل ذلك الباقعة، وتفويت الفرصة أقوىٰ دلائل الإدبـار، ولاسيّما ممّن يعلم أنّ بعدها القتل وخراب الدار، خصوصاً ولم يكن مسـلم بـن عقيل ممّن في أمثالهم قيل:

وعاجز الرأي مضياع لفـرصته حتّىٰ إذا فات أمر عاتب القدرا

وإنّما ثبّطه القضاء والقدر، وأنزل به نكولاً، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وممّا ينضمّ إلىٰ قضيـة هاني بن عروة وشريك بن الأعور في الدلالة علىٰ صدق المحبّة، وقوّة العزم علىٰ نصر الحسين عليه السلام، قول الذهبي: فلمّا قدم عبيدالله بن زياد من البصرة إلى الكوفة طلب هاني بن عروة، فقال: ما حملك علىٰ أن تجير عدوّي وتنطوي عليه، قال: يابن أخي انّه جاء حقّ هو أحقّ من حقّك، فوثب عـبيدالله بعنزة[1]، وطعن بها في رأس هاني رحمه الله حتّىٰ خرج الزجّ واغترز في الحـائط[2]. إنتهىٰ.

فمن الذي يشكّ في نهاية قوّة المحبّة، والنصرة في هذا الرئيس رحمه الله، وله من ذلك نظراء وأمثال؛ إذ لا يتصوّر أن يكون منفرداً في هذا المجال، فالظاهر أنّه لم يبادر بالبطش به لنقض جبال ابن زياد، وفتن هو وأمثاله عليه البلاد، وجعلوه في مربط أبي زياد، وتمّموا للحسين عليه السلام المراد، وهذه البطشة فـي اغـتنام الفـرصة نـقيض تفويت مسلم بن عقيل المجرّح للفُصّة، فكما دلّت تلك علىٰ ما بيّناه دلّت هذه علىٰ نقيض مبناه، فدليل الجدّ والإقبال فيها مبين، وأُملي لهم إنّ كيدي متين.

---

(١) العنزة بالتحريك: رميح بين العصىٰ والرمح فيه زجج.

(٢) تاريخ الإسلام ٤: ١٧٠ ـ ١٧١.

قال المرتضىٰ رحمه الله: وقد كان مسلم بن عقيل أيضاً لمّا حبس ابن زياد هانياً، سار إليه في جماعة من أهل الكوفة، حتّىٰ حصره في قصره، وأخذ يكظمه، وأغلق ابن زياد الأبواب دونه خوفاً وجبناً، حتّىٰ بثّ الناس في كلّ وجه يرغبون الناس ويرهبونهم، ويخذلونهم عن نصرة ابن عقيل، فتقاعدوا عنه، وتفرّق أكثرهم، حتّىٰ أمسىٰ في شرذمة وانصرف، وكان من أمره ما كان.

قال: وإنّما أردنا بذكر هذه الجملة أنّ أسباب الظفر بالأعداء كانت لائحة متوجّهة، وإنّ سوء الاتّفاق عكّس الأمر وقلّبه حتّىٰ تمّ فيه ما تمّ[١].

أقول: هذا موجود في كتب السير والتاريخ.

قال الحافظ الذهبي بعد أن ذكر قتل هاني بن عروة رحمه الله: وبلغ الخبر مسلم بن عقيل، فوثب بالكوفة، وخرج بمن خفّ معه، فاقتتلوا، فقتل مسلم رحمه الله، وذلك في سنة ستّين[٢]. إنتهىٰ.

أسباب الظفر بالأعداء كانت لائحة للحسين عليه السلام

وبيان قوله «إنّ أسباب الظفر» إلىٰ آخره، قد تكلّمنا فيه بما فيه الكفاية.

وحقيقة الحال: أنّ الكوفة كانت مشتملة علىٰ شيعة وأولياء للحسين عليه السلام، يدينون بولايته، ووجوب نصرته، وعلىٰ غيرهم حتّىٰ من النواصب أولياء يزيد، وإن كانوا أقلّ، والمتّصفون بالتشيّع والولاية، منهم مخلصون متديّنون متّقون، يؤثرون الآخرة على الدنيا.

ومنهم من ليس كذلك، والغالب عليهم إيثار الأغراض الدنيوية، والميل معها

---

(١) تنزيه الأنبياء عليهم السلام ص ١٧٦.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٤: ١٧١.

باستعمال النفاق والغدر والمكر، ونحو ذلك.

ومنهم ومن أولياء يزيد أيضاً همج رعاع، وناس في الدين والعقل كأنّهم فقعٌ بقاع، وإن كان فيهم البطل الشجاع، لكنّهم يحاربون على غير بصيرة، بل على مجرى الطباع، وكلّ مصر عظيم بل قرية من الأصقاع يوجد فيها هذه الأنواع.

ولقد كان حال رسول الله ﷺ مع أهل المدينة نظير هذا الحال، فإنّه كان في المدينة اليهود، ولم يسلم منهم إلاّ أفراد نادرة، فهم نظير أولياء يزيد في الكوفة، وإن كان أقلّ من اليهود بالنسبة إلى الأوس والخزرج.

وكان في الأوس والخزرج ومن حولهم أهل النفاق، الذي قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿وممّن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق﴾[1] وقال تعالىٰ: ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة﴾[2] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿سمّاعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين لم يأتوك﴾[3].

وكان فيهم أيضاً ضعفاء الفهوم والألباب، ومن لا يدرك المعجز بالنسبة إلىٰ غيره، كما بيّنه أبو حيّان في أوّل تفسيره البحر[4]، وإن كانوا دون من كان في الكوفة بهذا الوصف عدداً ووصفاً، وعنهم نشأ من نزل فيه قوله ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم علىٰ أعقابكم﴾[5] إذ من المحال أن ينشأ ذلك من أهل العقول والبصائر والرويّة

---

(١) سورة التوبة: ١٠١.

(٢) سورة الأحزاب: ٦٠.

(٣) سورة المائدة: ٤١.

(٤) البحر المحيط في التفسير لأبي حيّان ١: ١٣.

(٥) سورة آل عمران: ١٤٤.

والتأمّل .

وقد أجرى الله تعالىٰ العادة لانقسام الناس إلىٰ رئيس ومرؤوس، وأن يكون من لم يخلق فيهم رآسة، كالأذناب في التبع لأُولئك الرؤوس، وما قام نظام التمدّن البشري البدوي أو الحضري إلاّ بالرؤساء، وهم أهل العنان والزمام لمن عداهم من أنواع الأنام .

فالحسين عليه السلام لمّا غلب علىٰ ظنّه انقياد جميع الرؤساء إليه، وإطبقاهم عليه، للقرائن التي ذكرناها، والدلائل التي حرّرناها، فأهل الدين منهم والتقوىٰ والبصائر بمجرّد المكاتبة إليه عليه السلام، وإعطاء الأقوال والمعاهدة، ومن عداهم بالروابط والحوافظ التي ذكرناها في أثناء بيان القرائن والدلائل علىٰ غلبة الظنّ منه عليه السلام بالنصرة له، والنهوض معه حتّىٰ يبلغ المقصود .

ثمّ كان قد ظهر أثر لذلك الظنّ الغالب، وبارق من عارض حصول المطالب، بما ذكره المرتضىٰ وغيره، من متابعة أكثر أهل الكوفة لمسلم بن عقيل، ولم يحضر عندهم الحسين عليه السلام بنفسه بعد، فكيف لو كان حاضراً .

ثمّ وقد روىٰ أهل السير والتاريخ، ومنهم الحافظ الذهبي أنّ عبيدالله بن زياد لمّا بلغه مسير الحسين عليه السلام، فسار من البصرة إلى الكوفة، ودخلها وهو متلثّم، فجعلوا يقولون: مرحباً يابن بنت رسول الله[1] .

وهذا أيضاً من دلائل صدق ذلك الظنّ، ولو كان الداخل عليه السلام قبل ابن زياد لتمّ الدست، وانتظم له الأمر، بل وبعد دخول ابن زياد قبل قبض هاني بن عروة، كما لا يخفىٰ .

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ١٠ .

ومن دلائله: قضية شريك بن الأعور في بيت هاني بن عروة، وهي العزم على قتل ابن زياد، ثمّ جواب هاني بن عروة لابن زياد وهو موقوف للقتل، ثم خروج من خرج مع مسلم بن عقيل بالسيف، ومقاتلتهم ابن زياد يوماً إلى المساء .

وإذا كان الحال كما بيّناه، والأمر ما شرحناه، لا جرم يقال: إنّ أسباب الظفر بالأعداء كانت لائحة متوجّهة، وحيث لم يحصل الظفر، بل حصل ضدّه وصار على الحسين عليه السلام ما صار، يجزم العقلاء ويقطع ذوو البصائر والأنظار، بأنّ سوء الاتّفاق ونكد الدنيا، وأحكام القدر التي قد لا يطابقها التدبير، عكّس الأمر وقلّبه إلى الضدّ، وإن لم يعلم سبب ذلك، ولم تعرف كيفيته .

فكيف؟ وذلك يمكن أن يعلم، فيقال: لو تقدّم دخول الحسين عليه السلام على دخول ابن زياد الكوفة: إمّا بحسب الاتّفاق، وإمّا بمنع أهل الكوفة إيّاه من الدخول حتّى يدخل الحسين عليه السلام، وقد كان دخل بغتة ومستخفياً متلثّماً حتّى ظنّوه الحسين عليه السلام لتمّ الدست، وحيث لم يقدّر ذلك علمنا سوء الاتّفاق، وتأثير نكد الدنيا .

وبعد ذلك: فلو فتك مسلم بن عقيل بابن زياد لتمّ الدست، وحيث لم يفعل وهو البطل الضرغام، ويعتقد خروج ابن زياد عن الإسلام، وأنّه إذا ظفر به قتله شرّ قتلة، علمنا سوء الاتّفاق .

وبعد ذلك: لو تأتّى لمسلم بن عقيل حين خرج بالسيف أن يخرج بالمخلصين عن الكوفة إلى خارجها، ويظهر لابن زياد إعطاء الطاعة إذا جاء الحسين عليه السلام، ويمانعه ولا يحاجزه، ولا يكاشفه بالحرب، ويستعين في أثناء ذلك بالاستجارة بأعزّاء العرب، ويستحثّ الحسين عليه السلام بالقدوم، فلو قدم الحسين عليه السلام والحال هكذا لرجي أن يتمّ الدست .

ويا للعجب ممّن لا يظهر له صواب رأي الحسين عليه السلام في اعتماده على أهل

الكوفة شيعته وخاصّته، بناءً على غلبة الظنّ بوفائهم وثباتهم لقرائن ودلائل ظهرت له فيهم، وإن كانوا معهودين بالغدر والخيانة، مع القطع بوجود المخلصين الوافين المؤثرين للآخرة على الدنيا فيهم، وهم شجعان أبطال ورؤساء بل كالاقيال، وقد عهد أنّ من عداهم أتباع لهم يقفون إثرهم، ويسلكون سبلهم، هل قامت إلاّ بمثل فعل الحسين عليه السلام ورأيه الدول والممالك التي أسعفها الجدود، وخدمتها بحسن الاتّفاق السعود.

وانظر في ابتداء دولة العبيديين، وصاحب الزنج، وأئمّة الزيود بطبرستان واليمن، بل إلىٰ دولة العبّاسيين، هل نشأت تلك الدول وأمثالها إلاّ من غلبة الظنّ بالنصرة، والقيام معهم من أُناس يكون كلّ من عداهم إذا نهضوا مع الداعي خصوماً لهم وأضداداً عليهم، ومعلمين للسيف واللسان والفكر في معارضتهم، ومع ذلك قد لا يخلو أُولئك المجيبون للداعي من منافقين وهمج رعاع، وقد تعهّد منهم الخيانة وسوء الأتباع.

بل إذا قطعنا النظر عن آثار الوحي الإلٰهي، والإمداد الربّاني، قلنا: وكذلك منشأ ظهور كلمة النبوّة، ومبدأ علوّ دين الإسلام، فإنّ النبي صلى الله عليه وآله هاجر إلى المدينة عازماً على المقاومة والمحاربة لكلّ من علىٰ وجه الأرض إن لم يسلموا، ولم يصر ويقع ويبرز إلى الوجود الخارجي إلاّ مبايعة بعض الأوس والخزرج بمكّة ـ شرّفها الله تعالىٰ ـ ثمّ فشوا الإسلام وكثرته بالمدينة المنوّرة مع وجود المنافقين الذين قال فيهم الكتاب العزيز ما قال، فدلّ علىٰ أنّهم على الأرض أثقال ورئيسهم ابن أُبيّ الذي كاد يجعل ملكاً عليهم.

فانظر ما مقدار ما يجرّ من المكر والدغل إليهم، وفيهم أيضاً خلق فهمهم بعيد، وفكرهم بليد، بالنسبة إلى الأعيان الذين أدركوا المعجز، فأذعنوا بالإيمان، وقد

أشار إلىٰ ذلك في أوّل تفسيره البحر [١] أبو حيّان، ثمّ البلاد مشتركة بينهم وبين اليهود، وهم أهل الكفر المشهود، والمكر المعهود.

وما أدري حال الناس في عدم صدعهم بصواب رأي الحسين عليه السلام، وإغفال ترجيحه علىٰ نصحائه الذين اكتنفوه بالعدل من جميع أنحائه، وما وقع له علىٰ سوء الاتّفاق، وأسرار قدر الله وقضائه، إلاّ علىٰ قول الشاعر:

والناس من يلق خيراً قائلون به ... ما يشتهي ولرأس المخطىء الحجر
ومن يلق خيراً يحمد الناس أمره ... ومن يغل لا يعدم على الفيء لائماه
والناس إخوان من وافت له النعم ... والويل للمرء إن زلّت به القدم

ولو ظفر الحسين عليه السلام بمسيره إلى الكوفة، وبلغ البخت هدايا تدابيره المعكوفة، وقد كانت تدابيره وآراؤه بيّن كُسير وعُوير لأشاد الناس ذكر تدبيره، ولو بمثل سلطان ابن الزبير، ورجّحوه بنور البضعة النبوية علىٰ نصيحه ومشيره.

عدم إلقاء الإمام الحسين عليه السلام نفسه في التهلكة

قال المرتضىٰ: وقد همّ سيّدنا الحسين عليه السلام لمّا عرف بقتل مسلم بن عقيل، وأُشير عليه بالعود، فوثبوا إليه عليه السلام بنو عقيل، وقالوا: والله لا ننصرف حتّىٰ ندرك ثأرنا، أو نذوق كما ذاق أبونا. فقال عليه السلام: لا خير في العيش بعد هؤلاء [٢].

أقول: هذا أوّل الجواب عن قول السائل: إنّ الحسين عليه السلام ألقىٰ بيده إلى التهلكة، ولِمَ لَمْ يفعل كما فعل أخوه الحسن عليه السلام، فقد قطع حين بلغه قتل ابن عقيل بغدر أهل الكوفة، وإسلامهم إيّاه، وغلبة شرارهم علىٰ خيارهم، ولم يرجع أو يفعل كما فعل

---

(١) البحر المحيط لأبي حيّان الغرناطي ١: ١٧.

(٢) تنزيه الأنبياء عليهم السلام ص ١٧٦.

أخوه عليه السلام، وهذا غرور يفوّت شرط الشهادة.

وأنا أقول: قبل تقرير كلام المرتضىٰ، بل بدون التعويل عليه إلىٰ أن قاتل الحسين عليه السلام بنفسه وأصحابه تلك الجيوش الكثيرة، والجنود العظيمة.

وبعد قتالها لا نسلّم الإلقاء باليد إلى التهلكة، وتفويت شرط الشهادة، فإنّ قوله تعالىٰ ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾(١) يتناول صوراً وجزئيات لا تتناهىٰ، يترتّب علىٰ اختلاف كيفياتها اختلاف الظنون التي هي مناط تصحيح الشهادة، والإبعاد عن الإلقاء باليد إلى التهلكة، فمتىٰ لم يحصل القطع أو الظنّ الغالب بالهلاك صحّت الشهادة ولم يصدق الإلقاء.

فلو كان الحسين عليه السلام وأصحابه إلىٰ أن قاتلوا فقتلوا، قاطعين أو ظانّين الظنّ الغالب أنّهم مقتولون، لاستأمنوا ورضوا(٢) ببيعة يزيد وطاعة ابن زياد، ولا يموتون عاصين لله تعالىٰ بإلقاء اليد إلى التهلكة، ومنفين عن الشهادة؛ لأنّهم من أعلم الناس بالدين، وأفقههم وأحرصهم علىٰ ثواب الله تعالىٰ، والبعد عن عقابه.

ومن المحكوم به عند مسلم أنّ الحسين عليه السلام لم يخرج ويعزم على المجاهدة

---

(١) سورة البقرة: ٢٤٩.

(٢) هذا الكلام بحسب الظاهر، وإلاّ فالواقع أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان مأموراً من قبل الله تعالىٰ أن يذهب إلىٰ كربلاء، وهو قول جدّه صلى الله عليه وآله في المنام قبل خروجه من المدينة: إنّ الله شاء أن يراك قتيلا، ولابدّ من إهراق دمه الشريف ودم أهل بيته وأصحابه، ومن إسارة أهل بيته، وذلك حتّىٰ تحيي شريعة دين جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فإنّه في زمن يزيد ما كان بقي من الإسلام إلاّ اسمه، وحرّف الأحكام والشريعة الغرّاء، فالإمام الحسين عليه السلام بشهادته، أحيا هذه الشريعة الطيّبة، وبقي الدين ببركة شهادته خالداً إلىٰ يوم القيامة.

والمقاتلة، ويمتنع من بيعة يزيد إلاّ طلباً لمرضاة الله تعالىٰ وتقرّباً إليه[١]، وعملاً بقوله تعالىٰ ﴿يا أيّها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم﴾[٢] وكذلك أصحابه في خروجهم معه.

فالقطع حاصل بأنّهم لم يجهلوا، فيلقوا بأيديهم إلى التهلكة، ويموتوا عصاة، فإذا كان القطع بذلك حاصلاً، والقطع حاصل بأنّهم قاتلوا حتّىٰ قتلوا مع قلّة عددهم المعروفة، حصل القطع فيهم بأحد أمرين: إمّا انّهم علموا بأنّ الاستسلام لا يدفع عنهم القتل، بل هم مقتولون علىٰ كلّ حال[٣]، وإمّا أنّهم لم يزالوا غير قاطعين ولا ظنّهم غالب بأنّهم مقتولون ألبتّة، بل رجاء السلامة كان موجوداً إلىٰ أن قتلوا.

ولقد كان أقرب إلى الإلقاء باليد وفوت شرط الشهادة، مقتل عبدالله[٤] بن الزبير، فإنّه تخلّىٰ عنه جميع أصحابه وبقي وحده، ولم يسالم ويبايع، بل قاتل حتّىٰ قتل منفرداً، وعلىٰ ذلك حثّته وحملته أمّه أسماء ذات النطاقين بنت أبي‌بكر، كما هو المشهور.

---

(١) وقد تقدّم أنّ الإمام الحسين عليه السلام رأىٰ قبل خروجه من المدينة، في الرؤيا جدّه رسول‌الله صلى الله عليه وآله، وقال له: أُخرج إلى العراق، فإنّ الله شاء أن يراك قتيلا. فهو طلباً لمرضاة الله خرج من المدينة إلىٰ مكّة، ومن مكّة إلىٰ كربلاء، إلىٰ أن ناله الشهادة.

(٢) سورة محمّد صلى الله عليه وآله: ٧.

(٣) كما أشار الإمام الحسين عليه السلام في قوله لبعض نصحائه: إنّي لو بقيت في المدينة أو المكّة، واختفيت تحت كلّ حجر ومدر لاغتالوني وهتكوا حرمة الحرمين الشريفين.

(٤) فرق واضح وجليّ بين خروج الإمام الحسين عليه السلام وخروج عبدالله بن زبير، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام خرج لإصلاح دين جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وعبدالله بن زبير خرج وقاتل لأجل الملك والرئاسة.

وذكره الذهبي في ترجمة أسماء، وكلامها الذي نقله الذهبي، وقد جاءها قبل أن يقتل بعشرة أيّام: إمّا أن تقتل فأحتسبك، وإمّا أن تظفر فتقرّ عيني، وإيّـاك أن تعرض عليّ خطّة لا توافق، فتقبّلها كراهية الموت[١].

ولقد كانت مبايعته لعبد الملك بن مروان أقلّ شناعة من مبايعة الحسين عليه السلام ليزيد المهتوك ستره بالفسق الفاحش، بل الكفر، وقد رضي الحسين عليه السلام خوفاً من صدق الإلقاء باليد إلى التهلكة، وحرصاً علىٰ حصول شرط الشهادة، بأن يذهب إلىٰ يزيد فيضع يده في يده، كما سيأتي نقله، فما يجاب به عن ابن الزبير يجاب بـه عـن الحسين عليه السلام أيضاً، ولا جواب إلاّ ما ذكرناه.

وإذا تقرّر ذلك فنقول: الكيفية التي نقلها المرتضىٰ في بلوغ خبر قتل مسلم، تدلّ علىٰ أنّ الحسين عليه السلام ترك الرجوع لأجل بني عقيل، ولم يكن قطع الأمل من النجاة، ومن أن ينال من أهل الكوفة أنصاراً إذا انضمّوا إلىٰ من كانوا معه يقوّي أمره، فإنّ فيهم المخلصين المتديّنين، الذين يعلم أنّه جرح قلوبهم وفنت أكبادهم قتل مسلم بن عقيل، خصوصاً معه هاني بن عروة بتلك القتلة الشنيعة، وأنّـه جـرى الأمـر بخلاف دواعيهم، وعلىٰ عكس مساعيهم.

فبهذا استجاز أن يتقدّم ويسير إلى الكوفة، وإلاّ لم يكن يجوز له ذلك؛ لأنّه إلقاء باليد إلى التهلكة، فهذا من حيث التديّن وتحصيل شروط الشهادة، وإمّا من حيث الرأي والتدبير، فسنتكلّم في ذلك.

وممّا يدلّ علىٰ عدم انقطاع الأمل عزم بني عقيل عـلى المسـير إلى الكـوفة، وحملهم الحسين عليه السلام ومن معه علىٰ ذلك، وقوله «حتّىٰ ندرك تأرنا» إلىٰ آخره.

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ٣٥٧.

وأمّا الكيفية التي نقلها الحافظ الذهبي، وهي أنّه لمّا بلّغ الخبر له ولده علي الأكبر ـ وهو غير زين العابدين علي عليه السلام، فإنّه الأصغر، وذلك قتل مع أبيه عليه السلام ـ: يا أبة ارجع، فإنّهم أهل العراق، وغدرهم معروف، ولا يفون لك، فقال بنو عقيل: ليس هذا حين رجوع، وحرّضوه على المضي.

فقال الحسين عليه السلام لأصحابه: وقد ترون ما يأتينا، وما أرى القوم إلاّ سيخذلوننا، فمن أحبّ أن يرجع فليرجع، فانصرف عنه جماعة، وبقي في من خرج معه من مكّة، فكانت خيلهم اثنين وثلاثين فرساً[1]. إنتهىٰ.

ففيها دلالة علىٰ بقاء ظنّ في نصرة أهل العراق، وإن ضعف الظنّ الأوّل، وعلىٰ هذا الظنّ سار وخالف ولده، كما خالف كلّ من نهاه من قبل، إلاّ أنّ تعويله على الظنّ الأوّل كان اختيارياً، وتعويله علىٰ هذا إضطراري؛ للوجهين اللذين سنذكرهما.

ألا ترىٰ ولده ـ رضي الله عنه ـ يقول له: إنّهم أهل العراق الخ. فلو انقطع الأمل وذهب الظنّ بالكلّية، لقال له: قد بطل ظنّ النصرة في أهل العراق الذي سرنا عليه، وانقطع الرجاء فيهم، ونحو هذا الكلام.

وأيضاً قوله «وما أرى القوم» الخ، يدلّ علىٰ ذلك؛ إذ لو بطل الرجاء والظنّ بالكلّية، لقال: قد علمنا خذلان أهل العراق، ولم يبق رجاء فيهم، ونحو هذه العبارة.

وإنّما قال: فمن أحبّ أن يرجع؛ لأنّه عزم من ذلك الوقت علىٰ ملاقاة الجمع الكثير بالقليل: إمّا بمن معه فحسب، وبكون من يندب لحربه لا يبلغون الوفاء،

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ١١.

لرجائه أنّ أهل الكوفة إن لم ينصروه، فهم يثبّطون عن قتاله، أو يثبّطوا المخلصون منهم غيرهم، وإمّا بأن ينتدب لنصره منهم جمع ينضمّ إلىٰ من معه، فيحصل جمع يقاتل به وإن كان قليلاً.

وهذا هو الظنّ الذي بقي عنده في نصرة أهل الكوفة، وكذلك سمّيناه الظنّ الضعيف، وقلنا: لم يعوّل عليه إلاّ اضطراراً، ومعلوم أنّ مقاتلة الكثير بالقليل يحتاج إلىٰ رجال صدق وإخلاص عظيم، وثبات زائد، وإلاّ فرّوا، فكسروا الصادقين معه، وقد كان هؤلاء المجتمعون عليه أعراباً ونحوهم انضمّوا إليه بعد الخروج من مكّة، ذكر ذلك صاحب وسيلة المآل وغيره، فلذلك قال ما قال ليتميّز رجال هذه الحقيقة من غيرهم، ويذهب الجفاء، ويبقىٰ من ينفع لمثل هذا اللقاء.

كان خروج الإمام الحسين عليه السلام من صواب الرأي

وأمّا إنّ مسيره إلى الكوفة لم يكن من خطأ الرأي، فمن وجهين:

الأوّل: علمه بأنّ ابن زياد في العراق ويزيد بالشام، وكلّ الأقطار بيده وعمّاله فيها، وقد علم هو وابن زياد وغيره من عمّاله خروج الحسين عليه السلام بالسيف، ومكاشفته إيّاهم، وقد أفسد عليهم أهل الكوفة لولا تدارك ابن زياد اللعين لأمرهم، وهم شيعته وشيعة أبيه وجدّه الذين أشجوا معاوية بالحروب، وأشرقوه بالريق، والشيعة بالعراق وغيره من الأقطار في غاية الكثرة، بل كلّ المسلمين إلاّ الخوارج والنواصب على الاستثناء المنقطع شيعة وأولياء وأنصار لعترة النبي صلى الله عليه وآله وأقاربه ما لم يؤثروا الدنيا على الآخرة، وينبذوا الدين وراء ظهورهم.

فجزم الحسين عليه السلام بأنّ الطلب وراءه حيثما كان، وانّهم لا يعتنون بأحد اعتناءهم به حتّىٰ يهلكوه، ولعلّهم لا يطمئنّون إليه فيبقوه في الحياء، ولو بايعهم وأظهر طاعتهم فإلىٰ أين يتوجّه لو رجع عن وجهه ذلك، وهو حيث يستقرّ يدركه الطلب،

وتجهّز إليه الجيوش، وإلىٰ أن يحصل شيعةً وأنصاراً إن فرض حصولهم، مع علم الناس بأنّه مطلوب محارب يرهقه الطلب، فهو في ذلك لو رجع وحاول تجديد شيعة وأنصار، كما قال الشاعر:

فقلت إلىٰ أن يرجع الماء عائداً ... وتعشب شطآه تموت ضفادعه

كيف وخبر قتل مسلم بن عقيل جاءه وقد وصل إلى الثعلبية، فأين هو وأين الحجاز أو اليمن، فكان الرأي أن يسير لوجهه، ويرضىٰ بنحسه[١] لئلاّ يصادق أنحس منه، والرجاء في أهل الكوفة باقٍ وإن قتل ابن عقيل، فإنّهم شيعته تعطفهم عليه العواطف الدينية، والحياء من مكاتبتهم السابقة إليه والحمية، وفيهم المخلصون الأبرار، وإنّما غلب عليهم الأشرار، فعسىٰ ولعلّ الماء يخمد لهب النار.

ولقد كانت هذه الفراسة صادقة لولا أنّ القدر قد مدّ سرادقه، فإنّهم الذين قد قسمهم التشيّع بعد قتل الحسين عليه السلام إلىٰ قسمين: قسم شايع المختار فأخذوا بالثأر، وقتلوا ابن زياد وأشياعه الفجّار، وقسم خرجوا بالسيوف توّابين، وإلىٰ قتل أعداء العترة جوّابين، فقتلوا منهم مقتلة كبيرة، ثمّ قتلوا كراماً أوّابين.

والوجه الثاني: كيف يليق بسيد الأمجاد الأنجاد، وأيّد أباة الضيم وحماة الأحساب ورعاة العباد، أن يرجع وقد قتل ابن عمّه بسببه، وأولاد المقتول وهم خاصّة أهل نسبه تتلظّىٰ أكبادهم، والمسير ليدركوا ثأره أو يلحقوا به مرادهم، يا لها شينة لا يغسل عارها إلىٰ يوم القيامة، وخزية ينشد عندها، أذهب بها طوّقتها طوق الحمامة.

ولو كان الرجوع تحيّزاً إلىٰ فئة، ورجاء في حصول نصّار ولو مائة لهانت

---

(١) أي: بنحس هذا السير المشؤوم، وإن كان هذا السير بقضاء وقدر معلوم.

الشناعة، وسترت الذلّة والخناعة، ولكن الرجوع إلى اطّلاع الربوع، متىٰ يأتي غيائك من تغيث، والطلب وراءهم حثيث، فيصدق فيهم حيث لا يجدون ملاذاً، ولا يجدون معاذاً.

شملتنا المصيبتان جميعاً فقدنا ذاك ثمّ رؤية هذا

غدر الكوفيين ومناجزة الإمام الحسين عليه السلام معهم

قال المرتضىٰ رحمه الله: ثمّ لحقه الحرّ بن يزيد ومن معه من الرجال الذين أنفذهم ابن زياد، ومنعه من الانصراف، وسامه أن يقدمه على ابن زياد، نازلاً علىٰ حكمه فامتنع، فلمّا رأىٰ أن لا سبيل له إلى العهود، ولا إلىٰ دخول الكوفة، سلك طريق الشام، سائراً نحو يزيد بن معاوية، لعلمه عليه السلام بأنّه علىٰ ما به أرأف من ابن زياد وأصحابه، فسار عليه السلام حتىٰ قدم عليه عمر بن سعد في العسكر العظيم، وكان من أمره ما كان وسطر.

وكيف يقال: إنّه عليه السلام ألقىٰ بيده إلى التهلكة، وقد روي أنّه قال لعمر بن سعد: إختاروا منّي، إمّا الرجوع إلى المكان الذي أقبلت منه، أو أن أضع يدي في يد يزيد، فهو ابن عمّي ليرىٰ فيّ رأيه. وإمّا أن تسيّروني إلىٰ ثغر من ثغور المسلمين، فأكون رجلاً من أهله، لي ما له، وعليّ ما عليه، وانّ عمر كتب إلى ابن زياد بما سأل، فأبىٰ عليه، وكاتبه بالمناجزة، وتمثّل بالبيت المعروف:

الآن قد علقت مخالبنا به يرجو النجاة ولات حين مناص

فلمّا رأىٰ عليه السلام إقدام القوم عليه، وانّ الدين منبوذ وراء ظهورهم، وعلم أنّه دخل تحت حكم ابن زياد، تعجّل الذلّ والعار، وآل أمره من بعد إلى القتل، التجيء إلى المحاربة والمدافعة بنفسه وأهله، ومن صبر من شيعته، ووهب دمه له ووقاه بنفسه، وكان بين إحدى الحسنيين: إمّا الظفر وربّما ظفر الضعيف القليل، أو الشهادة

والميتة الكريمة.

إلىٰ أن قال: وأمّا محاربة القليل بالكثير[١]، فقد بيّنا أنّ الضرورة دعت إليها، وانّ الدين والحزم معاً ما اقتضىٰ في تلك الحال إلاّ ما فعله، ولم يبذل ابن زياد من الأمان ما يوثق بمثله، وإنّما أراد إذلاله والنقص من قدره بالنزول تحت حكمه، ثمّ يفضي الأمر إلىٰ ما جرىٰ من إتلاف النفس، ولو أراد به عليه السلام الخير علىٰ وجه لا يلحقه فيه تبعه من الطاغية يزيد، لكان قد مكّنه من التوجّه نحوه، واستظهر عليه بمن ينفذه معه، لكن الأظغان[٢] البدرية، والأحقاد الوثنوية، ظهرت في هذه الأحوال.

وليس يمتنع أن يكون الحسين عليه السلام في تلك الأحوال يجوّز أن يفيء إليه قوم ممّن بايعه وعاهده وقعد عنه، ويحملهم ما يرون من صبره واستسلامه وقلّة ناصره على الرجوع إلى الحقّ ديناً أو حميةً، فقد فعل ذلك نفر منهم حتّىٰ قتلوا بين يديه شهداء، ومثل هذا يطمع فيه ويتوقّع فيأحوال الشدّة[٣].

أقول: مراده بهذا الكلام دفع الإلقاء باليد إلى التهلكة، وتفويت شرط الشهادة، وحاصله الدلالة علىٰ أنّه عليه السلام لمّا علم بانعكاس الأمل، وخيبة الرجاء من نصرة أهل الكوفة، وبطل ظنّه الذي عليه سار من مكّة، وسار بعد أن بلغه قتل مسلم بن عقيل علىٰ أضعف من ذلك الظنّ اضطراراً كما عرفت، مال إلى المسالمة[٤]، وعدل عن

---

(١) في التنزيه: فأمّا محاربة الكثير بالنفر القليل.

(٢) في التنزيه: الترات.

(٣) تنزيه الأنبياء عليهم السلام ص ١٧٧ ـ ١٧٨.

(٤) ما مال عليه السلام إلى المسالمة والمصالحة أبداً، وما كان من سيرته، وإنّما أظهر هذه

المحاربة، حتّىٰ رضي أنه يصل إلىٰ يزيد، فسلك طريق الشام .

هذا حين وصل إليه الحرّ بن يزيد بمن معه وهم ألف فارس، ذكر ذلك الشيخ أحمد بن الفضل باكثير في وسيلة المآل، فلم يتمّ ذلك أيضاً للحسين عليه السلام؛ لأنّه وصل إليه عمر بن سعد بالجيش .

وذكر في وسيلة المآل أنّ الحرّ بن يزيد هو الذي منعه المسير بعد أن أذن له فيه، قال له أوّلاً: خذ طريقاً غير هذا، واذهب حيث شئت، وأنا أكتب إلى ابن زياد: إنّ الحسين خالفني الطريق ولم أظفر به، فسلك الحسين عليه السلام طريقاً غير الجادّة راجعاً إلى الحجاز، وساروا طول ليلتهم، فلمّا أصبحوا إذا الحرّ بن يزيد في جيش معهم، وقال لهم: سعي بي إلى ابن زياد، فكتب إليّ يؤنّبني ويقول: كن عيناً على الحسين إلىٰ أن تأتيك الجيوش، ولا بقي لي سبيل إلىٰ مفارقتكم، فلازمهم إلىٰ وصول جيش عمر بن سعد .

وقد كان الحسين عليه السلام قال للحرّ حين لقيه: إنّي لم أقدم هذا البلد حتّىٰ أتتني كتب أهله، وقدمت إليّ رسلهم يطلبوني وأنتم من أهل الكوفة، فإن دمتم علىٰ بيعتكم وقولكم في كتبكم دخلت مصركم، وإلاّ انصرفت من حيث جئت، فقال له الحرّ: والله لم أعلم بشيء ممّا ذكرت من الكتب والرسل، وأمّا أنا فلا يمكنني الرجوع إلى الكوفة في وقتي هذا، وأمّا أنت فخذ طريقاً غير هذا. إلىٰ آخر ما تقدّم نقله .

هذا ما في وسيلة المآل نقلاً من كتب السير والتأريخ، وهو يدلّ علىٰ ما قلته آنفاً، من بقاء ظنّ للحسين عليه السلام في نصرة أهل الكوفة بعد أن بلغه قتل مسلم بن

= المسالمة، ليبيّن للأُمّة وللتأريخ سوء سريرة أعدائه، وخبثهم وهتكهم لحرمة حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، ولئلاّ يقول مَن في قلبه مرض من بعد: لماذا ما سالم وصالح ؟

عقيل، لكنّه ضعيف بالنسبة إلىٰ ظنّه الأوّل، وهو ظنّ غير مخطىء.

ألا ترىٰ ما اعتمده عليه السلام في خطاب الحرّ؟ وكيف أثّر فيه الخطاب، حيث قال: اذهب حيث شئت. الخ، هذا وهو لم يكن ممّن كاتب الحسين عليه السلام، وأرسلوا إليه ووثّقوه.

وعلىٰ نقل المرتضىٰ، ونقل وسيلة المآل، قد منعوا الحسين عليه السلام أن يسير راجعاً حتّىٰ جاءه جيش عمر بن سعد، وحينئذ عليهم من المسالمة وكفّ المحاربة ثلاثة وجوه رضي فيها بطاعة يزيد، فأيّ إبعاد عن الإلقاء باليد إلى التهلكة أقوىٰ من هذا.

ولا ريب أنّ الحسين عليه السلام لم يقصد بعرض الخصال إلاّ هذا، ولا رضي بخطّة الخسف إلاّ توثيقاً لحصول شرط الشهادة، وإلاّ فقد علم من إقدامه ووروده حياض الموت، بعد أن أمن علىٰ شرط الشهادة من الفوت، أنّه الأسد الضرغام الذي لا يهاب الموت الزوام، وهذا هو العلم والفقه والدين، ويعزّ ذلك عند غير قرناء الكتاب المطهّرين.

ثمّ لمّا لم يقبلوا منه ما عرضه عليهم، وساقه تذلّلاً لله عزّوجلّ في الدين إليهم، وغلب علىٰ ظنّه أنّهم قاتلوه علىٰ كلّ حال بعد ذلّ الاستسلام وطاعة رأس الفسق والضلال، عزم علىٰ ورود منهل الحتوف، والموت علىٰ أرائك العزّ تحت ظلال السيوف، فكان هو وأهل بيته وأصحابه كما شوهدوا عياناً كأنّهم يردون الموت من ظمأ، وينشقون من الخطىٰ ريحاناً.

هذا ما قاله المرتضىٰ، ويستدلّ عليه بما ذكره الذهبي في تاريخ الاسلام، قال: فروى الزبير بن بكّار عن محمّد بن الحسين، قال: لمّا نزل عمر بن سعد بالحسين عليه السلام أيقن أنّهم قاتلوه، فقام في أصحابه، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال: قد

نزل بنا ما ترون، إنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت، وأدبر معروفها، واستمرّت حتىٰ لم يبق إلاّ صُبابة كصبابة الإناء، وإلاّ خسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون الحقّ لا يعمل به، والباطل لا يتناهىٰ عنه، ليرغب المؤمن في لقـاء الله، وإنّـي لا أرى الموت إلاّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ ندماً»(١).

وكذا ما ذكر بقوله: فبعث ابن زياد عمر بن سعد فقابلهم، فقال الحسين عليه السلام: إختر منّي إحدىٰ ثلاث خلال: إمّا تتركني أن أرجع، أو تسيّرني إلىٰ يزيد فأضع يدي في يده، أو يسيّرني إلى الترك فأُقاتلهم حتّىٰ أموت. فأرسل عمر إلى ابن زياد بذلك، فهمّ بأن يسيّره إلىٰ يزيد، فقال له شمر بن ذي الجوشن: لا أيّها الأمير إلاّ أن ينزل علىٰ حكمك، فأرسل إليه بذلك، فقال الحسين عليه السلام: والله لا أفعل(٢). إنتهىٰ.

وكذا ما ذكره الذهبي أيضاً أنّه عليه السلام لمّا أرهقه السلاح، قال: ألا تقبلون منّي ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقبله من المشركين؟ قيل: وما كان يقبل منهم؟ قال: كـان إذا جنح أحدهم للسلم قبل منه، قالوا: لا، قال: فدعوني أرجع، قالوا: لا، قال: فدعوني آتي أميرالمؤمنين يزيد، فأخذ له رجل السلاح، فقال له: أبشر بالنار، قال: بل إن شاء الله برحمة ربّي وشفاعة نبيّي، قال: فقتل سلام الله عليه ولعن قـاتله وانـتقم منه(٣).

ويبعد أن يكون نطق بأميرالمؤمنين، ولو كان قارب أن يشـرق بـدم الوتـير، فهؤلاء القاسية قلوبهم، الغاشية في الدين عيونهم، كيف لا يظنّ قـتلهم إيّـاه بـعد

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ١٢.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ١٣ ـ ١٤.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ١٢.

الإذلال، عليهم اللعنة وذلّ عذاب الله والنكال .

ويؤيّده ما ركبوه من منع الماء حتّىٰ قتل هو ومن معه ظمأً قتلاً تبكىٰ له الأرض والسماء، وهو كالمتواتر، نقله صاحب وسيلة المآل وغيره، ولا يجوز فعله في قتال المشركين، فمن ارتكبه مع سادة المسلمين، فهو بالقتل بعد الاستسلام قمين .

علىٰ أنّه يجوز للحسين عليه السلام أن يرد الموت ولا يحصل لشروط الشهادة فوت، إذا غلب علىٰ ظنّه حصول ذلّة وإهانة في الاستسلام، والنزول علىٰ حكم اللئام؛ لأنّها تلحق بجدّه النبي عليه الصلاة والسلام، وبدين الإسلام، لحصولها على ابن بنت الرسول وسيد المسلمين من ابن الزانية سميّة عامل الكافر المبين، أو القريب من الكفر بالفسق المهين .

ويدلّ على استجازة الحسين عليه السلام لذلك ما سلك من بعض المسالك، مع علمه بأنّه يورد المهالك .

ففي وسيلة المآل: وكتب الحرّ إلى ابن زياد كتاباً يخبره بنزول الحسين كربلاء، فكتب ابن زياد إلى الحسين عليه السلام: أمّا بعد، فإنّ يزيد بن معاوية كتب إليّ أن لا تغمض جفنك من المنام، ولا تشبع بطنك من الطعام، أو يرجع الحسين إلىٰ حكمي أو تقتله، والسلام .

فلمّا ورد على الحسين عليه السلام وقرأه ألقاه من يده، وقال للرسول: ما له عندي جواب. فلمّا رجع الرسول إلى ابن زياد وأخبره، اشتدّ غضبه، وجمع الجموع، وجيّش الجيوش. إنتهىٰ .

وهذا يخالف ما ذكره المرتضىٰ، وهو عندي المختار المرتضىٰ، فإنّه المطابق لهذا المنقول، ولمقتضىٰ شهامته الثابتة في العقول .

وذكر الذهبي في ترجمة المختار الثقفي الذي ملك الكوفة وقتل قتلة

الحسين عليه السلام: انّه لمّا أرهقه القتال، قال لهم: أتؤمنوني؟ قالوا: لا إلاّ على الحكم، فقال: لُحكّمكم في نفسي، ثمّ قاتل حتّىٰ قتل[١]. إنتهىٰ.

ففي التحكيم في النفس من الذلّ والإهانة ما اختار القتل دونها مثل المختار، وهو تحكيم لمثل مصعب بن الزبير، فكيف لا يكون في تحكيم مثل الحسين عليه السلام مثل يزيد، فضلاً عن ابن مرجانة وسميّة ذلّة وإهانة تبلغ ما ذكرناه.

ولك أن تقول: إنّه وأصحابه ـ رضي الله تعالىٰ عنهم ـ قاتلوا راجين للسلامة غير قاطعين بالموت، فقلّبوا وقتلوا، وذلك هو شرط الشهادة والإبعاد عن الإلقاء باليد إلى التهلكة، كما في كلّ مجاهد.

ويتمسّك في ذلك بأمرين:

أحدهما: ما ذكره بقوله «وليس يمتنع أن يكون الحسين عليه السلام في تلك الأحوال مجوّزاً» الخ. والذي أشار اليهم بقوله «فقد فعله نفر» منهم من ذكرهم الذهبي بقوله: وكان مع عمر بن سعد ثلاثون رجلاً من أهل الكوفة، فقالوا له: يعرض عليكم ابن بنت رسول الله ثلاث خصال، فلا تقبلون منه شيئاً، وتحوّلوا مع الحسين عليه السلام، فقاتلوا معه[٢]. ورجوع الحرّ بن يزيد إلى الحسين عليه السلام وتوبته وقتاله بين يديه حتّىٰ قتل مشهور، وفي غالب كتب السير مذكور.

والأمر الثاني: أنّ مقابلة الألوف بالعدد القليل، ومقاتلة الواحد للألف ونحوهما، كان دأب أبطال العرب، كعنترة، وعامر بن الطفيل، والحارث بن ظالم، وهو الذي ردّ كتيبة الملك النعمان المسمّاة بالدوسر وحده، وقصّته مذكورة في أمثال

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ٥٩.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ١٤.

الميداني، وملاقاة شبيب الخارجي لجيوش البصرة والكوفة بالعدد القليل جداً، فيكسرهم مراراً كثيرة، حتىٰ أعجز أهل المصرين وواليهما الحجّاج، حتّى استنجد بجيش من أهل الشام، وقايع مشهورة في كتب السير مسطورة .

وكذلك كانت الخوارج إذ كان رئيسهم قطري بن الفجاءة وقبل ذلك، وللحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام أن يعدّ نفسه فوق هؤلاء الرؤساء، ولأهل بيته وأصحابه أن يكونوا فوق أتباعهم في يوم البأساء، والمنقول عنه وعنهم في ذلك القتال يحقّق هذا المقال، فما كان إلاّ الرئبال وكانوا الأشبال .

وقال ابن حجر في الصواعق بعد أن ذكر عظيم سطوات الحسين عليه السلام وأصحابه، وما آثروه من البطش في ذلك الجيش: ولولا ما كادوه به من أنّهم حالوا بينه وبين الماء لم يقدروا عليه، إلىٰ آخر كلامه(١) .

واعتماد هذين الوجهين أنسب وأقرب إلىٰ مثل الحسين عليه السلام، فهو الأسد أخو الأسد ابن الأسد، وابن فاطمة الزهراء وفاطمة بنت أسد .

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج المجيد في علم الأدب السديد، عند تعداد أُباة الضيم الأمجاد، ما هذا لفظه: سيد أهل الإباء، الذي علّم الناس الحمية والموت تحت ظلال السيوف، إختياراً على الدنية، أبو عبدالله الحسين بن علي عليهما السلام، عرض عليه الأمان وأصحابه، وأن يستسلم، فأنف من الذلّ، وخاف أن يناله ابن زياد بنوع من الهوان، فاختار الموت علىٰ ذلك .

وسمعت النقيب أبازيد يحيى بن زيد العلوي البصري، يقول: كان أبيات أبي تمام حبيب الطائي ما قيلت إلاّ في الحسين عليه السلام :

---

(١) الصواعق المحرقة ص ١٩٧ .

وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه إليه الحفاظ المُرّ والخُلق الوعر
ونفسٌ تعاف الضيم حتّىٰ كأنّه هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر
فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخمصك الحشر
تردّىٰ ثياب الموت حمراً فما أتىٰ لها الليل إلاّ وهي من سندس خضر[1]

شهادة الإمام الحسين عليه السلام من المصالح الإلهية

قال المرتضىٰ رحمه الله: وأمّا مخالفة ظنّ الحسين عليه السلام لظنّ من أشار عليه من النصحاء، كابن عبّاس وغيره، فالظنون إنّما تختلف[2] بحسب الامارات، وقد تقوّىٰ عند واحد، وتضعف عند آخر. ولعلّ ابن عبّاس لم يقف علىٰ ما كوتب به من الكوفة، وما تردّد في ذلك من المكاتبات والمراسلات والمواثيق، وهذه أُمور تختلف أحوال الناس فيها، ولا يمكن الإشارة إلاّ إلىٰ جملتها دون تفصيلها[3].

أقول: قد تكلّمت في هذا فيما سبق بما فيه الكفاية، وذكرت القرائن والدلائل التي تصلح أن تكون منار الظنّ للحسين عليه السلام. وقد يجوز أن يكون منار ظنّه غيرها، فهو عليه السلام أعلىٰ إدراكاً، وأوسع فكراً، وأبعد غوراً.

ويجوز أن يكون نصحاؤه أدركوا القرائن والأمارات التي ظهرت له، ولم تقوّ عندهم كما قويت عنده، كما يجوز أن لا يكونوا أدركوها.

وهذا محصول قول المرتضىٰ «وهذه أُمور تختلف» الخ. إلاّ أنّا قاطعون بأنّه عليه السلام قوي عنده ظنّ خلاف ظنونهم، حتّىٰ أنّه لذلك قال لابن عبّاس وقد بالغ في الكلام

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٢٤٩.

(٢) في التنزيه: تغلب.

(٣) تنزيه الأنبياء عليهم السلام ص ١٧٧.

معه: يابن عبّاس انّك شيخ قد كبرت، فبكىٰ ابن عبّاس، وقال: قد أقررت عين ابن الزبير. تمام النقل ذكره الحافظ الذهبي [(١)].

وقاطعون أيضاً بأنّ ظنّه لم يكن خطأً وباطلاً، ورأيه لم يكن أفناً ولا فائلاً؛ لما ذكرناه من القرائن الوثيقة، والدلائل الأنيقة، وللقطع بأنّه موفّق مسدّد محفوظ ملحوظ لآية التطهير، وحديث الكساء، وحديث المباهة، وغير ذلك ممّا مرّ بعض منه، فما وقع عليه من المغلوبية حتّىٰ أفضىٰ إلى القتل والفوز بالشهادة وعظيم السعادة يجب أن ينسب إلىٰ مناكدة الدنيا، ومعاكسة الدهر، ومجاري الأقدار، وقد علم أنّ ذلك في هذه الدار من خصوصيات الأبرار، وكرامة اللطيف القهّار لعباده الأخيار.

علىٰ أنّه لا نسلّم أنّ جميع النصحاء وأهل الرأي بالاتّفاق منعوه من المسير إلىٰ شيعته بالعراق، فقد صوّب ذلك له وحسّنه ابن الزبير، وكونه كان يودّ مفارقته الحجاز؛ لأنّ وجوده دون مطلوب ابن الزبير حجاز، كما صرّح به ابن عبّاس، وأظهره بتصاعد الأنفاس، لا يستلزم غشّ ابن الزبير في النصيحة، وركوبه تلك الشناعة الصريحة؛ إذ يجوز أن يكون ذلك عنده هو الرأي، ووافق هواه وأدّىٰ النصح وفي ضمنه ما نواه.

ومثل ابن الزبير أعرف بنقد هذا الرأي، وما جرىٰ مجراه من أسباب الخلافة التي لم تزل هي معزاه، وإليها مقذاه وسراه، وقد بلغها ونالها وجرّها إليه ولم تأته منقادة تجرّ أذيالها، فمثل هذا أعرف بالأسباب الموصلة إليها من نصحاء الحسين عليه السلام الذين لم يستولوا عليها.

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ٩.

تصويب فعل الحسنين عليهما السلام في المهادنة والمناجزة

قال المرتضىٰ: فأمّا الجمع بين فعله عليه السلام وفعل أخيه الحسن عليه السلام، فواضح صحيح؛ لأنّ أخاه سلّم كفّاً للفتنة، وخوفاً علىٰ نفسه وأهله وشيعته، وإحساساً بالغدر من أصحابه، وهذا لمّا قوي في ظنّه النصرة ممّن كاتبه توثّق له، ورأىٰ من أسباب قوّة نصّار الحقّ وضعف نصّار الباطل ما وجب معه عليه الطلب والخروج، فلمّا انعكس ذلك وظهرت امارات الغدر فيه وسوء الاتّفاق رام الرجوع والمكافّة والتسليم، كما فعل أخوه عليه السلام، فمنع من ذلك، وحيل بينه وبينه، فالحالان متّفقان إلاّ أنّ التسليم والمكافّة عند ظهور أسباب الخوف لم يقبل[1] منه عليه السلام، ولم يجب إلى الموادعة وطلبت نفسه، فمنع منها بجهده حتّىٰ مضىٰ كريماً إلىٰ جنّة الله ورضوانه، وهذا واضح لمن تأمّله[2].

أقول: هذا الفصل هو المقصود بالذات من هذه الرسالة، كما عرفت من أوّل الشروع في المقالة، فالمقصود أن يثبت لأصلي فروع بيت الرسالة حقيقة الطهارة بماء ليس له غسالة، أعني: تصويب فعليهما مع التسوية بين فضليهما بواضح الدلالة، فيكونا إذ ثبت أنّهما نجمان للمهتدي والمقتدي، كالفرقدين إذا تأمّل ناظر لم يعل موضع فرقد عن فرقد.

وأنت إذا تأمّلت في فصل الحسن عليه السلام، ثمّ فصل الحسين عليه السلام، من بيان اعتدال الغصنين، وايناع ثمرة الحقّ والصواب في الغرسين، قادك ذلك وانتهيت بمسيرك تلك المسالك إلىٰ ما ذكره المرتضىٰ في الجمع بين فعليهما، وزال عندك التنافي

---

(١) في التنزيه: لم يقبلا.

(٢) تنزيه الأنبياء عليهم السلام ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

بينهما، فنسبت الصواب إلىٰ كليهما، وقد وضح الصبح لذي عينين، وحمدت السرىٰ، وزال الوصب والأين .

وليس يصحّ في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلىٰ دليل

وتلخيص ذلك وتوضيح ما هنالك: إنّ كلاًّ منهما قصد إقامة الحقّ، وإنارة سبل الدين، وإدالة المهتدين، وإزالة المعتدين، فعرض دون ذلك الاختلال والاعتلال، وضعف الإئتمان في النصّار والأعضاد والأعوان، حتّىٰ خشي علىٰ نور غرّة الإيمان، وبضعة المنزل عليه القرآن، أن يطمسه ظلام ذلك الشنآن، فاختار كلّ منهما المهادنة والمسالمة؛ إذ علم كلال سيوف المكالمة، بل ألسنة المكالمة، ولا يكلّف الله نفساً إلاّ وسعها، وتكليف ما لا يستطاع، يدفعه العقل ودليل السماع .

فكلّ منهما حين أُرتجت دون مرامه الأبواب، عدل إلىٰ ما هو الصواب، وإن كان فيه الغيظ المذهل للألباب، والحزن المنزل للشيب في عنفوان الشباب، لكن نزل ذلك وإن أعمىٰ وأصمىٰ بطود الحلم والصبر أجاء وسلمىٰ .

فهما فيما ذكرناه متّفقان، إلاّ أنّهما في قبول السلم والهدنة منهما مفترقان، فأحدهما تلقّىٰ ذلك منه بنسيم القبول وقبول العافية[1]، والآخر قوبل أعداؤه بالنكباء الصرصر العاتية، سخّرها عليهم حسوماً متوالية في نار حامية، ففعل ما يفعله اباة الضيم، ورعاة عزّة الإيمان، فكان سيّدهم وأيّدهم وأُستاذهم واستنادهم إلىٰ آخر الزمان .

---

(١) مرارة صلح الإمام الحسن عليه السلام تساوي حلاوة شهادة الإمام الحسين عليه السلام، فحيث كليهما إطاعة لأوامر الله تعالىٰ، فليس فيهما مزيّة علىٰ الآخر، فهما تكليفان مساويان من الله تعالىٰ، فليس في الحقيقة في صلح الإمام الحسن عليه السلام قبول للعافية .

ولو قوبلت مسالمة الحسن عليه السلام بما قوبل به الحسين عليه السلام لكان ضرغام اباة الضيم وكلّ من أتىٰ بعده أبو الحصين .

ولك أن تقول: إنّ الحسين عليه السلام لم يسالم قطّ، بل حارب مثل حرب أفراد الأبطال، الذين كانوا يقابلون بأقلّ عدد ألوف الرجال، كما أوضحناه آنفاً من المقال، ويدلّ عليه جوابه إذا وصل كتاب ابن زياد إليه، ولو تمكّن الحسين عليه السلام لفعل مثل ذلك، وكان فيه مضرب المثل «فتىً ولا كمالك لكن كان كابن الشريد[١]» إذا أنشد وهو وإن .

أهمّ بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان

فإنّ أصحابه كان أوشاباً[٢]، وطريق قدداً[٣]، وأكثرهم قدر أي: طريق الغدر والدغل والمكر نجداً وجدداً، فلو أقدم بأوليائه المخلصين وشيعته المختصّين خشي أن يثور نفاق الباقين، ويصيروا في درج التقرّب إلىٰ خصمه لينالوا من دنياه راقين، فيدوروا بكؤوس الشغب والصخب شاربين وساقين، ويوشك أن يقبضوا عليه ويتقرّبوا إلى الخصم بإسلامه إليه .

كيف؟ وقد ظهرت منهم امارات ذلك، وراموا تلك المسالك من قبل أن تلتقي حلقتا البطان، ويثور أثير المعارك، ويروا مخلصيه معه واردين وموردين حياض المهالك .

وهذا القول يعتقده ويراه أنسب وأصوب وأحقّ من يعلم قوّة صلابة

---

(١) ابن الشريد هو صخر أخو الخنساء «منه» عفي عنه .

(٢) الأوشاب: الأوباش، واحده وشب .

(٣) كنا طرائق قددا: أي: فرقاً مختلفة .

الحسنين عليهما السلام في الحقّ، وخوضهما الغمرات إليه، وروضهما النفس علىٰ جهاد المرابطة حواليه، فلذلك أظهر تأثير لإذهاب الرجس والتطهير، ومقارنة الكتاب العزيز المنير في نفي الظلال المبير، وكلّ قرين للقرين ظهير .

فصل

في أعقاب الإمام الحسن والحسين عليهما السلام

قال صاحب عمدة الطالب، وفي كلامه فتح كنوز المناقب والمطالب للبطنين من آل أبي طالب: أعقب من ولد الحسن عليه السلام أربعة: زيد، والحسن، والحسين الأثرم، وعمر، إلاّ أنّ الحسين الأثرم وعمر انقرضا سريعاً، وبقي عقب الحسن من رجلين لا غير: زيد، والحسن المثنّىٰ .

فعقب الحسنين عليهما السلام اثنا عشر سبطاً: ستّة من ولد الحسن عليه السلام، وستّة من ولد الحسين عليه السلام، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: سيكون من ولدي عدد نقباء بني إسرائيل، ونظم ذلك بعض الشعراء، فقال :

فموسىٰ بلا عقب وأحمد معقّب ... وناهيك بالعقب الكرام الأعاظم
فستّة أسباط الحسين وستّة ... من الحسن الهادي وكلّ لفاطم[1]

وأمّا مصنّف النفحة العنبرية في أنساب آل خير البرية، وهو السيد أبو فضيل محمّد[2] بن أبي الفتوح الأوسط بن أبي اليمن سليمان بن تاج الدين الشهير بصدر العالم، وهو ـ أي: السيد تاج الدين صدر العالم ـ أحد الأربعة السادة الأعاظم الذين دخلوا الهند بطلب من ملك الهند شمس الدين إلىٰ ملك غزنة نصير الدين أن

---

(١) عمدة الطالب ص ٧٥ ـ ٧٦ .

(٢) يقال له: محمّد الكاظم .

يرسل إليه من بيوت الطالبيين من يؤمّ بالأرض التي أمره النبي ﷺ في المنام بأن يجعلها للأشراف، فامتثل ذلك، وجعل لهم أرضاً بداوون، وأرضاً يقال لها: سُنَّام، وأرضاً يقال له: بَسَهِي.

وطلب من ملك غزنة أن يرسل إليه من السادة من يقوم بها، فدخل الهند بسبب ذلك السيد علي البخاري، والسيد ضياءالدين، والسيد محمّد الشهير بكيسودراز، والرابع السيد تاج الدين المذكور، قال: وزوّجه السلطان شمس الدين ملك الهند على ابنته، ولقّبه بملك العلماء، وتاج الملّة.

وأنهىٰ في الكتاب المذكور نسب جدّه هذا إلىٰ أبي عبدالله إسحاق بن إبراهيم العسكري بن موسى أبي‌سبحة بن إبراهيم المرتضى بن موسى الكاظم عليه السلام.

وهذا الكتاب صنّفه بعد عصر عمدة الطالب بنحو أربعين سنة، مشتملاً علىٰ أنساب الحسنيين والحسينيين، وغيرهم من الطالبيين والهاشميين والقرشيين من الأمويين والعبّاسيين، واستطرد إلىٰ أنساب جميع عدنان وقحطان، ولكن لا يخلو من أوهام وأغلاط وتشويش في مواضع واختباط[١].

وصنّفه لإمام اليمن المهدي محمّد بن الناصر أحمد بن المتوكّل علي بن المطهّر يحيىٰ، وساق نسبه إلى القاسم الرسّي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنّى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب[٢].

فإنّه قال ما هذا لفظه: ونبدأ بالحسن بن علي عليه السلام وولده، ونؤخّر ذكر عقبه إلىٰ

---

(١) وقد ذكرت جملة من أغلاطه النسبية الفاحشة في تعاليقي علىٰ كتاب النفحة العنبرية، عند تحقيقي للكتاب، والكتاب مطبوع بتحقيقي في سنة (١٤١٩) هـ.

(٢) النفحة العنبرية ص ٢٤.

ما بعد ذكر الحسين عليه السلام ومن أعقب من ولده، لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله: سيكون من ولدي عدد أسباط بني إسرائيل.

وروى الأشناني عن الأوزاعي، عن إبراهيم النخعي، قال: مرّ الحسن والحسين عليهما السلام بعد أيّام الجمل، وبينهما علي زين العابدين عليه السلام وهو صغير يومئذ، فقال علي عليه السلام: سيكون من ولدي هذا ـ وأشار إلى الحسين عليه السلام ـ تسعة كأسباط بني إسرائيل وهذا أوّلهم، والتتمّة منك يا حسن، فتبسّم الحسن عليه السلام، وقال: إنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء[١].

وهم الأئمّة الثمانية عليهم السلام المتّفق علىٰ حسن عقيدتهم وزهدهم وتقواهم، وكون المنتظر منهم، وهو التاسع، وبعلي والحسن والحسين عليهم السلام يكمل العدد الاثناعشري، وبثلاثة من ولد الحسين عليه السلام يكمل العدد السبطي، وسنذكر ذلك في محلّه[٢]. إنتهىٰ كلام مصنّف النفحة العنبرية بلفظه.

والذي أشار إليه بقوله «سنذكر ذلك في محلّه» هو قوله ـ لمّا ذكر في طرد الأنساب الحسن العسكري عليه السلام، وهو ثامن الثمانية الذين ذكرهم ووصفهم، وهم مرتّبون كذلك موصوفون بأشرف الأوصاف، في كتاب الصواعق لابن حجر[٣]، وسنذكر ذلك ـ: وله من الولد ـ يعني للحسن العسكري عليه السلام ـ المنتظر عند الإمامية، وهل هو المنتظر أو غيره[٤]، وسنورد من ذلك ما بلغ إليه الاجتهاد.

---

(١) راجع: إحقاق الحقّ ١٣: ١ ـ ٤٨، وبحار الأنوار ٣٦: ٣٢٦ ـ ٣٢٨.

(٢) النفحة العنبرية ص ٤٣.

(٣) الصواعق المحرقة ص ٢٠٠ ـ ٢٠٨.

(٤) هذا الترديد في غير محلّه، وذلك أنّه لا شكّ ولا شبهة عند الإمامية أنّه هو

ذكر محمّد بن الحسن العسكري عليه السلام

الملقّب بالمهدي المنتظر[1]، وهو تاسع سبط، وثاني عشر إمام عند الإمامية[2]، وقد أكثر الناس في ذلك، وروت الإمامية في ولادته وترتيبه روايات[3]، وذكر مؤرّخوا أهل السنّة نحو ذلك.

إلىٰ أن قال مصنّف النفحة العنبرية: قال ابن الأزرق في تأريخه: إنّ الحجّة المذكور ولد تاسع عشر ربيع الأوّل[4] سنة مائتين وثمانية وخمسين، وقيل: في ثامن شعبان سنة مائتين وستّة وخمسين، وهو الأصحّ.

أقول: واستنبطت الإمامية أنّ تأريخ ولادته مطابق عدد «نور» ونقل مصنّف النفحة العنبرية ما ذكره ابن خلّكان في وفيات الأعيان في ولادة الحجّة بن الحسن العسكري عليه السلام، ثمّ قال: وقال آخرون: سيولد ـ يعني المنتظر ـ فيكون من ولد الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام[5]. إنتهىٰ كلام مصنّف النفحة العنبرية.

وأقول: أمّا أنّه ولد للحسن العسكري عليه السلام ولد يسمّىٰ محمّداً ويلقّب بالحجّة في التأريخ الذي ذكره، نقلاً من تاريخ ابن خلّكان[6]، ولم يذكر وفاته.

= المنتظر، وذلك متواتر ومنصوص عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في أنّ الخلف التاسع من ولد الحسين عليه السلام هو المهدي المنتظر، عجّل الله تعالىٰ فرجه الشريف.

(١) في النفحة: المنتظر عند الإمامية.

(٢) في النفحة: عند الاثني عشرية.

(٣) في النفحة: وترتيبه وكيفية أمره روايات.

(٤) في النفحة: الآخر.

(٥) النفحة العنبرية ص ٦٩ ـ ٧٠.

(٦) الوافي بالوفيات لابن خلّكان ٤: ١٧٦.

فقد ذكر ذلك ولم يدفعه ابن حجر في الصواعق، حيث قال في آخر ترجمة الحسن العسكري عليه السلام، وسننقلها مع تراجم آبائه المكرّمين عليهم السلام، ما هذا لفظه: ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمّد الحجّة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن آتاه الله فيها الحكمة، ويسمّى القائم المنتظر، قيل: لأنّه تستّر بالمدينة وغاب، فلم يعرف أين ذهب، ومرّ في الآية الثاني عشر قول الرافضة فيه إنّه المهدي، وأوردت ذلك مبسوطاً، فراجعه فإنّه مهمّ[١].

وسواء قلنا: إنّ هذا هو المهدي، أو المهدي غيره، فالمهدي من أهل البيت. إلىٰ آخر كلامه الذي أورد فيه أحاديث المهدي، وهذا يقتضي إثبات الولادة والاسم والكنية واللقب.

وقال في كلامه في الآية الثانية عشر بعد أن نقل رواية كون المهدي منه ولد الحسن عليه السلام، ورواية كونه من ولد الحسين عليه السلام: ومع ذلك لا حجّة فيه لما زعمته الرافضة أنّ المهدي هو الإمام أبو القاسم محمّد الحجّة بن الحسن العسكري ثاني عشر الأئمّة الآتين. إلىٰ أن قال: وكثير علىٰ أنّ العسكري لم يكن له ولد[٢]. إلىٰ آخر كلامه.

وهذا الكلام يؤيّد ثبوت الولادة عنده باسمه ولقبه، وإن نفىٰ ذلك كثيرون.

وأمّا قول مصنّف النفحة العنبرية «وقال: آخرون سيولد يعني المنتظر» فهذا ما عليه أهل السنّة والجماعة والمعتزلة، وقد قرّر ذلك في الصواعق[٣]، وفي جواهر

---

(١) الصواعق المحرقة ص ٢٠٨.

(٢) الصواعق المحرقة ص ١٦٧ ـ ١٦٨.

(٣) الصواعق المحرقة ص ١٦٧.

العقدين للسيد علي السمهودي، بما لا مزيد فيه عليه .

إلاّ ما قاله مصنّف كتاب الفصول المهمّة[(١)] أبو الحسن علي السفاقسي المكّي المالكي، فإنّه مشىٰ علىٰ أنّه محمّد بن الحسن العسكري الحجّة عليه السلام ، ونقل ذلك في كتابه عن كتاب مطالب السؤول في مناقب آل الرسول[(٢)]، تصنيف الشيخ كمال الدين بن طلحة الشافعي، وعن كتاب البيان في أخبار صاحب الزمان[(٣)]، تصنيف أبي عبدالله محمّد بن يوسف الكنجي الشافعي .

وإلاّ ما قاله الشيخ عبدالوهّاب الشعراني في كتابه اليواقيت والجواهر .

ونقل مثله من الفتوحات المكّية للشيخ محي الدين ابن العربي، قال في المبحث الخامس والستّين، في بيان أنّ جميع أشراط الساعة حقّ، وذلك كخروج المهدي، ثمّ الدجّال، ثمّ نزول عيسى بن مريم عليه السلام ، وخروج الدابّة، وطلوع الشمس من مغربها .

إلىٰ أن قال: فهناك يترقّب خروج المهدي، وهو من أولاد الحسن العسكري عليه السلام ، ومولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، وهو باق إلىٰ أن يجتمع بعيسى بن مريم عليه السلام ، فيكون عمره إلىٰ وقتنا هذا وهو سنة ثمان وخمسين وتسعمائة، سبعمائة سنة وستّ سنين. هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كوم الريش المطلّ علىٰ بركة الرطلي بمصر المحروسة، عن الإمام المهدي وقد اجتمع به، ووافقه علىٰ ذلك شيخنا سيدي علي الخوّاص.

---

(١) الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي ص ٢٩٠ و ٢٩٢ .

(٢) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ص ١٥٢ .

(٣) البيان في أخبار صاحب الزمان ص ٤٨٢ المطبوع مع كفاية الطالب .

إنتهىٰ.

وقال قبل هذا الكلام في الباب المذكور، عبارة الشيخ محيالدين في البـاب السادس والستّين وثلاثمائة من الفتوحات: واعلموا أنّه لابدّ من خروج المهدي. إلىٰ أن قال: وهو من عترة رسول الله ﷺ من ولد فاطمة ؆، جدّه الحسـين بـن علي ؇، ووالده حسن العسكري بن الإمام علي النقي بن الإمام محمّد التقي بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي‌طالب ؈[١]. إنتهىٰ ما رأيته في كتاب اليواقيت والجواهر، للشيخ عبدالوهّاب الشعراني في نسخة ضخمة بخطّ المصنّف.

وأمّا قول مصنّف النفحة العنبرية «فيكون من ولد الحسين ؇» فهو كلام يفهم الاتّفاق ممّن لا يقول بأنّ المهدي هو محمّد الحجّة بن الحسن العسكري ؇، علىٰ أنّ المهدي ؇ من ولد الحسين ؇.

وقد نقل في الصواعق كلام من ادّعى الاجماع علىٰ أنّه من الخ. وزيّفه، وقال: إنّه نقل الاجماع بمجرّد التخمين والحدس[٢].

وقال قبل هذا: وروىٰ أبوداود في سننه أنّه من ولد الحسن، وكأنّ سرّه تـرك الحسن الخلافة لله عزّوجلّ شفقة على الأُمّة.

إلىٰ أن قال: ورواية كونه من ولد الحسين واهية، ومع ذلك لا حجّة فـيه لمـا زعمته الرافضة. إلىٰ آخر كلامه[٣].

---

(١) راجع: الفتوحات المكّية ٦: ٥٠.

(٢) الصواعق المحرقة ص ١٦٧.

(٣) الصواعق المحرقة ص ١٦٧.

لكنّه قال في شرح الهمزية: شرح هذا البيت «وبعميد نيّري فلك المجد» بعد أن أورد ما أخرجه الرافعي: ألا أُبشّرك يا عمّ إنّ من ذرّيتك الأصفياء، ومن عترتك الخلفاء، ومنك المهدي في آخر الزمان، ما هذا لفظه: وكون المهدي من ولده يحمل علىٰ أنّ فيه شعبة منه؛ لما صحّ أنّه من ولد فاطمة، وصحّ أنّه من ولد الحسن أيضاً، وجاء أنّه من ولد الحسين، ولا تعارض ؛ لأنّ فيه شعبة من ولد الحسين، فهو حسيني وفيه شعبة،وشعبة من العبّاس (١). إنتهىٰ .

وفي كتابه الفتاوي الحديثية وغيرها، وهو جواب مسائل سئل عنها من الحديث والعربية وغير ذلك، قال في جواب سؤاله عن طائفة يعتقدون في رجل مات منذ أربعين سنة أنّه المهدي: هذا اعتقاد باطل، وظلالة قبيحة، وجهالة شنيعة. أمّا الأوّل،فلمخالفته لصريح الأحاديث التي كانت تتواتر بخلافه، كما سيملىٰ عليك. وأمّا الثاني، فلأنّه يترتّب عليه تكفير الأئمّة المصرّحين في كتبهم بما يكذب هؤلاء في زعمهم .

إلىٰ أن قال: ويرد عليهم ما قال عبدالغافر الفارسي، وابن الجوزي، وابن الأثير: إنّ المهدي من ولد الحسين. انتهى المراد من كلام ابن حجر صاحب الصواعق في كتابه الفتاوي الحديثية وغيرها .

وعليه فيشكل قول صاحب عمدة الطالب في النفس الزكية أبي عبدالله محمّد ابن عبدالله المحض: وإنّما لقّب المهدي للحديث المشهور عن رسول الله ﷺ: إنّ المهدي من ولدي اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي (٢). إنتهىٰ، فتأمّل .

---

(١) شرح الهمزية لابن حجر .

(٢) عمدة الطالب ص ١٢٢ .

وكأنّ الحديث الذي أشار إليه في شرح الهمزية، وجاء أنّه من ولد الحسين عليه السلام، هو ما ذكره صاحب الفصول المهمّة أبو الحسن السفاقسي المالكي، بقوله: عن ابن هارون العبدي، قال: أتيت أباسعيد الخدري، فقلت له: ألا تحدّثني بما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله في علي وفاطمة عليهما السلام. فقال: بلىٰ أخبرك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مرض مرضة نقه منها، فدخلت عليه فاطمة تعوده، الحديث وطوله، فطالعه في الفصول المهمّة، فإنّه كتاب كثير الوجود.

وفي آخر الحديث: ومنّا مهدي هذه الأُمّة، الذي يصلّي خلفه عيسىٰ، ثمّ ضرب صلى الله عليه وآله علىٰ منكب الحسين عليه السلام، وقال: من هذا مهدي هذه الأُمّة. قال: هكذا أخرجه الدارقطني صاحب الجرح والتعديل [١].

تحقيق حول حديث النقباء والأسباط

وأمّا الحديث الذي توارد عليه صاحب العمدة وصاحب النفحة، فقد اختلفا في لفظه، كما اختلفا في معناه، ففي العمدة «عدد نقباء بني إسرائيل» وفي النفحة «عدد أسباط» ولم يبلغ اطّلاعي في الحديث الشريف إلى الوقوف علىٰ هذا الحديث لا بلفظ العمدة، ولا بلفظ النفحة.

نعم جاء لفظ الأسباط في حديث، وهو قوله صلى الله عليه وآله: حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط [٢].

قال صاحب وسيلة المآل: أخرجه أبو حاتم، وسعيد بن منصور [٣].

---

(١) الفصول المهمّة ص ٢٩٦.

(٢) إحقاق الحقّ ١١: ٢٦٥ ـ ٢٧٨ رواه عن جمع كثير من أعلام القوم.

(٣) وسيلة المآل ص ١٨١ نسخة مكتبة الظاهرية بدمشق.

وأورد هذا الحديث في الصواعق كما هو بلفظ «الحسن والحسين سبطان من الأسباط»[١].

وفي نهاية ابن الأثير: وفيه «الحسين سبط من الأسباط» أي: أمّة من الأمم في الخير. والأسباط في ولد[٢] إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام، بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل عليه السلام[٣].

وأمّا «الحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله» قال في النهاية: أي طائفتان وقطعتان منه. وقيل: الأسباط خاصّة الأولاد، إلىٰ آخر ما ذكره[٤].

فهذا بتثنية السبط، والأوّل بلفظ الجمع. مثله في الحديث الذي ذكره صاحب النفحة.

وجاء لفظ «النقباء» في حديث عن ابن مسعود: سئل كم يملك هذه الأُمّة من خليفة؟ فقال: سألنا عنها رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: اثناعشر كعدّة نقباء بني إسرائيل[٥].

ذكره في الصواعق، في سرد أحاديث الاثني عشر خليفة من قريش، وقال: سنده حسن. ومن تلك الأحاديث: إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّىٰ يمضي فيهم اثناعشر خليفة.

ومنها: لا يزال الاسلام عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة، قال: رواهما مسلم.

---

(١) الصواعق المحرقة ص ١٩٢.

(٢) في النهاية: أولاد.

(٣) نهاية ابن الأثير ٢: ٣٣٤.

(٤) نهاية ابن الأثير ٢: ٣٣٤.

(٥) راجع: إحقاق الحقّ ١٣: ٤٣ ـ ٤٥ رواه عن جمع من أعلام القوم.

قال: ومنها للبزّاز: لا يزال أمر أُمّتي قائماً حتّىٰ يمضي اثناعشر خليفة، كلّهم من قريش. قال: زاد أبو داود: فلمّا رجع ﷺ إلىٰ منزله أتته قريش، فقالوا: ثمّ يكون ماذا؟ قال: ثمّ يكون الهرج .

وقد تكلّم في الصواعق في المراد بالاثني عشر ما يطول المجال بنقله، فراجعه ثمّة إن شئت [١] .

فإن صحّ الحديث الذي توارد عليه صاحب العمدة وصاحب النفحة، فهو إنّما يدلّ علىٰ مراد صاحب العمدة إذا كان باللفظ الذي أورده صاحب النفحة .

وأمّا بلفظه، فمراده يكون من ولدي أشخاص عدد نقباء بني إسرائيل أشخاص، كما هو نصّ قوله عزّوجلّ ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً﴾ [٢] وإليهم الإشارة بقوله ﷺ في الحديث السالف «كعدّة نقباء بني إسرائيل» [٣] .

والأوثق والأسدّ إستدلال صاحب عمدة الطالب علىٰ ما هو بصدده بقوله عزّوجلّ ﴿إنّا أعطيناك الكوثر﴾ فإنّه الخير المفرط الكثير، كما في تفسير القاضي البيضاوي [٤] وغيره؛ لأنّه صيغة مبالغة من الكثرة علىٰ وزن فوعل، واستشهد علىٰ ذلك في الكشّاف بقول الشاعر :

---

(١) لم أعثر عليه في مظانّه. راجع: إحقاق الحقّ ١٣: ١ ـ ٤٨ .

(٢) سورة المائدة: ١٢ .

(٣) راجع: إحقاق الحقّ ١٣: ٤٣ ـ ٤٥ رواه عن جمع من أعلام القوم .

(٤) تفسير البيضاوي ٢: ٦٢٦ .

وأنت كثير يـابن مـروان طـيّب   وكان أبوك ابن العقائل كوثرا[١]

واستشهد الراغب بقول الآخر:

وقد ثار نقع الموت حتّىٰ تكوثرا[٢]

وكلا الشاهدين ذكرهما في الصحاح[٣].

وفي الكشّاف: قيل لأعرابية جاء ابنها من السفر: بـم آب ابـنك؟ قـالت: آب بكوثر[٤].

وهو يدلّ علىٰ غلبة استعماله في الخير، وإذا كان هذا معنى الكوثر، فأظهر أفراد الخير الكثير الذي أُعطي رسول الله ﷺ كثرة النسـل والأولاد، وامتداد وجودهم مع الكثرة، بقرينة قوله تعالىٰ ﴿إنّ شانئك هو الأبتر﴾ وهي قرينة في غاية القوّة.

قال القاضي: الذي لا عقب له، إذ لا يبقىٰ عنه[٥] نسل ولا ذكر، وأمّا أنت فتبقىٰ ذرّيتك وحسـن صيتك وآثار فضلك إلىٰ يوم القيامة[٦]. إنتهىٰ.

وقول الزمخشري: لا أنت؛ لأنّ كلّ من يولد إلىٰ يوم القـيامة مـن المـؤمنين أولادك[٧]. ساقط؛ لأنّه اعتماد مجاز، وعدول عن الحقيقة بغير دليل.

---

(١) الكشّاف ٤: ٢٩٠.

(٢) مفردات الراغب الاصفهاني ص ٤٢٦.

(٣) صحاح اللغة ٢: ٥٢٩ ـ ٥٣٠.

(٤) الكشّاف ٤: ٢٩٠.

(٥) في التفسير: له.

(٦) تفسير البيضاوي ٢: ٦٢٦.

(٧) الكشّاف ٤: ٢٩١.

وفي الصواعق في الآية التاسعة: قوله تعالىٰ ﴿فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم﴾[(١)] الآية، بعد أن ذكر دلالتها علىٰ أنّ أولاد فاطمة عليها السلام وذرّيتهم يسمّون أبناءه ﷺ، وينسبون إليه نسبة صحيحة، قال: ويوضح ذلك أحاديث نذكرها، وذكر منها: أخرج الطبراني قوله ﷺ: إنّ الله عزّوجلّ جعل ذرّية كلّ نبي في صلبه، وإنّ الله تعالىٰ جعل ذرّيتي في صلب علي بن أبي طالب.

وأخرج أبوالخير الحاكمي، وصاحب كنوز المطالب: أنّ علياً دخل على النبي ﷺ وعنده العبّاس، فسلّم عليه، فردّ عليه ﷺ وقام فعانقه وقبّل ما بين عينيه، إلىٰ قوله ﷺ: إنّ الله عزّوجلّ جعل ذرّية كلّ نبي في صلبه، وجعل ذرّيتي في صلب هذا.

قال أبويعلىٰ والطبراني: إنّه ﷺ قال: كلّ بني أُمّ ينتمون إلىٰ عصبة إلاّ ولد فاطمة، فأنا وليهم وأنا عصبتهم. قال: وله طرق يقوىٰ بعضها بعضاً[(٢)].

ويؤيّد مدلول آية الكوثر: انّ جبرئيل عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ، فقال له: إنّ الله يأمرك أن تزوّج فاطمة من علي، فدعا النبي ﷺ جماعة من أصحابه، فقال: الحمد لله المحمود بنعمته. الخطبة المشهورة، ثمّ زوّج علياً عليه السلام وكان غائباً، وفي آخرها: فجمع الله شملهما، وأطاب[(٣)] نسلهما، وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة، ومعادن الحكمة، وأمن الأمّة. فلمّا حضر علي عليه السلام تبسّم ﷺ وقال له: إنّ الله أمرني أن أُزوّجك علىٰ أربعمائة فضّة أرضيت بذلك؟ فقال: قد رضيتها يا رسول الله، ثمّ خرّ

---

(١) سورة آل عمران: ٦١.

(٢) الصواعق المحرقة ص ١٥٦.

(٣) في الصواعق: وطيّب.

علي ﷺ ساجداً لله شاكراً[١]، فلمّا رفع رأسه قال ﷺ: بـارك الله لكـما، وبـارك فيكما، وأعزّ جدّكما، وأخرج منكما الكثير الطيّب. قال أنس: والله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب[٢].

كذا في الصواعق في الآية الثانيةعشر: قوله تعالىٰ ﴿وإنّه لعلم للساعة﴾[٣].

قال مقاتل بن سليمان ومن تبعه مـن المـفسّرين: إنّ هـذه الآيـة نـزلت فـي المهدي[٤]. والله أعلم.

فصل

فضل العترة الطاهرة وتقديمهم في المناقب والفضائل

ولاختصاص من ذكرهم مصنّف النفحة العنبرية من أئمّة العلوم الدينية، والعقائد الحقّة اليقينية، والأعمال المقرّبة إلىٰ ربّ البرية، من بين أفـراد العـترة الفـاطمية العلوية، بزيادة في الفضيلة والمزية، راجعة إلى الزيادة العلمية والعملية، قدّم في تصنيفه السني ذووا النسب الحسيني علىٰ ذي النسب الحسني؛ لأنّ هولاء الثمانية صدور المناصب الحسينية وجراثيمهما، وأُصول قبائلها ولهاميمها، وإليهم ينتمي كلّ منتم إلىٰ ذوي القربىٰ، وبهم يتوسّل كلّ راج للسعادة العاجلة والعقبىٰ.

فأهل السنّة والجماعة يذكرونهم بالفضل المنيف في كـتب الجـمع والتأليـف والتصنيف، وينتفعون بكلامهم الشريف، ويتفيّئون في ظلّ سرّهم الوريف، جامعين

---

(١) في الصواعق: شكراً.

(٢) الصواعق المحرقة ص ١٦٢.

(٣) سورة الزخرف: ٦١.

(٤) الصواعق المحرقة ص ١٦٢.

إليهم: زيد بن علي بن الحسين.

وأعلاماً من بني الحسن عليه السلام، حازوا من العلم والعمل الحسنيين، كسيدنا الحسن المثنّىٰ حائز الفضل المجموع والمثنّىٰ، وابنه عبدالله المحض شيخ بني هاشم وصاحب التقديم، والشهيدين النفس الزكية وأخيه إبراهيم الملقّب بالغمر لفضله العميم، وفي نسله الكريم فرائد العلم والعمل في العقد النظيم، وكصاحب فخّ الشهيد الحسين بن علي العابد بن الحسن المثلّث بن الحسن المثنّىٰ، ومن ورد معه ذلك الورد المهنّا، ومن تعنىٰ نال ما تمنّىٰ.

وعليك بالكتب المشتملة علىٰ فضائل أهل البيت، تجد الثمانية في عرف البيت، ككتاب الصواعق، وجواهر العقدين، ووسيلة المآل، ودررالسمطين. وكذا كتب تواريخ الرجال وتراجمهم في العلوم والأعمال لهؤلاء الثمانية بل التسعة، منها صدور العبارات، وقلوب الأثنية والمحامد، وسويداوات الإشارات.

بل قد صنّف بخصوص هؤلاء الأئمّة من والدهم وعمّهم ووالدهما إمام الفضائل في الأمّة مصنّفات، نقل منها صاحب الفصول المهمّة، وهو المصنّف الشهير في هذا الشأن، الكثير الوجود في هذا الزمان، وقد لخّص ما فيه وما في غيره صاحب الصواعق المحرقة، وسأذكر الفصل الذي أفرده لهم وحقّقه.

وكذا المعتزلة في تصانيفهم يرون تعظيم هؤلاء الأئمّة من واجبات تكاليفهم، وهم بزيد بن علي، وابنه يحيىٰ، وبني الحسن الذين جلسوا بوارق السيوف في سمائها العليا، أقوىٰ اعتناء من أهل السنّة، لميلهم إلىٰ من استخدم منهم السيوف والأسنة.

وأمّا الشيعة، فالإمامية يوالون الإثناعشر، والزيدية نسبة إلىٰ زيد بن علي بن الحسين الأطهر، والإسماعيلية إلىٰ إسماعيل بن جعفر.

الصدر الأوّل من أعلام بني الحسن

ومن يقول من الإمامية بالنصّ والعصمة يخصّهما بهؤلاء الثمانية من ولد الحسين عليه السلام، ويبرّيهم من كلّ وصمة، وإن كان كلّ من الزيدية والإمامية في كتب رجالهم وكتبهم الكلامية يعدّون أئمّة السيف والعلم من بني الحسن، ويقتدون ويهتدون بهم في السنن، إلاّ أنّ الزيدية ينزلونهم في الإمامة منزلة زيد بن علي، والإمامية يرونهم أئمّة علم وهدىً.

وإن شئت فطالع كتاب البحر الزخّار في فصل تعداد الأئمّة أهل الفخار، وكتاب عمدة الطالب، فإنّهما ناهضان بهذه المطالب.

ومن مصنّفات الإمامية التي رأيتها: كتاب الخلاصة[(١)] في رجالهم لابن مطهّر الحلّي، ومثله كتاب أبي العبّاس النجاشي[(٢)]، وكان معاصراً وملازماً للشريف المرتضىٰ، وكتاب أبي عمرو الكشي[(٣)] وعصره متقدّم، والكتاب المسمّىٰ بالإرشاد[(٤)] إلىٰ معرفة حجج الله على العباد لمحمّد بن النعمان الملقّب بالمفيد، وقد ينقل من هذا الكتاب صاحب الفصول المهمّة.

فقد ذكروا في هذه الكتب الصدر الأوّل من أعلام بني الحسن، وكثير من التالين

---

(١) هو كتاب خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، للعلاّمة أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهّر الحلّي، المتوفىٰ سنة (٧٢٦) هـ.

(٢) ويعرف برجال النجاشي المطبوع.

(٣) ويعرف برجال الكشي، وقد لخّصه المحدّث الكبير الشيخ الطوسي رحمه الله، ويعرف بكتاب إختيار معرفة الرجال، وهو المتداول بين أيدي الباحثين.

(٤) وهو كتاب لطيف جليل في أحوال الحجج المعصومين عليهم السلام.

ممّن يرونهم قابلين بالإمامة علىٰ طريقتهم، كالحسين بن علي العابد بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صاحبُ فخّ، وهو عظيم القدر في تراجمهم[١].

وكالحسن بن إبراهيم بن عبدالله بن الحسن، وهو مذكور في رجالهم[٢].

وكذا داود بن الحسن بن المثنّىٰ، وهو معظّم الشأن عندهم، وإليه ينسبون دعاء أُمّ داود المشهور عندهم، وقد ذكر في عمدة الطالب هذا الدعاء، وأنّه علّمه جعفر الصادق عليه السلام أُمّ داود هذا، وبه أفلت داود من حبس المنصور العبّاسي[٣].

وكعبدالعظيم بن عبدالله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو من أعظم عظماء الرجال العلماء عندهم، وله مزار مشهور مقصود[٤].

وكالحسن المثلّث بن الحسن المثنّى بن الحسن بن علي بن أبي طالب، قالوا: هو تابعي، روىٰ عن جابر بن عبدالله الأنصاري، وروىٰ أيضاً عن الباقر عليه السلام، وعدّوه في أصحابه[٥].

وكالقاسم الرسّي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن

---

(١) وقد ذكرت تفصيل ترجمته وتراجم ما سيأتي ممّن عدّهم، في كتابنا الكواكب المشرقة في أنساب وتاريخ وتراجم الأُسرة العلوية الزاهرة، المطبوع في ثلاث مجلّدات، فراجع تفاصيل تراجمهم.

(٢) ذكره الشيخ الطوسي في رجال ص ١٧٩ برقم: ٢١٤٥.

(٣) عمدة الطالب ص ٢٣١.

(٤) الكواكب المشرقة ٢: ٢٥٠ ـ ٢٥٢ برقم: ٢٣٠٧.

(٥) رجال الشيخ الطوسي ص ١٧٩ برقم: ٢١٤٤، الكواكب المشرقة ١: ٤١٨ ـ ٤٢٤ برقم: ١٠٥٧.

الحسن المثنّىٰ، عظّمته الإمامية، وذكرته في رجالها، وقالوا: له كتاب يرويه عن أبيه وغيره عن جعفر الصادق عليه السلام، قالوا: وروىٰ هو عن موسى الكاظم عليه السلام[١].

وفي عمدة الطالب: إنّه دعا إلى الرضا من آل محمّد[٢].

وهو يؤيّد عدّ الإمامية إيّاه من رجالهم، كزيد بن علي إذ قالوا: دعا إلى الرضا من آل محمّد عليهم السلام. أي: لم يدّع الإمامة لنفسه لوجود من هو أحقّ منه.

وكموسى الجون بن عبدالله المحض، عدّته الإمامية من أصحاب جعفر الصادق عليه السلام، ورووا أنّه اختفىٰ إلىٰ أن نجا من المنصور، وأخذ الأمان من المهدي بإخبار سابق من جعفر الصادق عليه السلام[٣].

وكالشيخ تاج الدين محمّد بن القاسم بن الحسين بن الزكي الأوّل المعروف بابن معية الحسني، شيخ صاحب عمدة الطالب[٤] وصهره، وهو عظيم القدر في العلم وفي الدنيا، وهو من أعظم مشايخ الإجازات عند الإمامية. وكذلك والده أبو جعفر القاسم بن الحسين[٥].

وكابني طاووس الحسنيين، وهما: أبوالفضائل أحمد العالم الزاهد المصنّف، ورضي الدين أبوالقاسم علي السيد الزاهد صاحب الكرامات، كذا في عمدة

---

(١) رجال النجاشي ص ٣١٤ برقم: ٨٥٩، الكواكب المشرقة ٢: ٧٣٨ ـ ٧٤٠.

(٢) عمدة الطالب ص ٢١٣.

(٣) رجال الشيخ الطوسي ص ٣٠٠ برقم: ٤٤٠٦، الكواكب المشرقة ٣: ٥٨٠ ـ ٥٨٨ برقم: ٤٦٩٦.

(٤) عمدة الطالب ص ٢٠٧.

(٥) راجع كتابنا المحدّثون من آل أبي طالب ٣: ٣٠٩ ـ ٣١٤ برقم: ٥٥٨.

الطالب(١).

وهما كما فيها أبناء السيد الزاهد سعد الدين موسى بن جعفر بن محمّد بن أحمد ابن محمّد بن طاووس، ينتهي إلىٰ داود بن الحسن المثنّىٰ، وهما من أعاظم علماء الإمامية ومصنّفيهم، وأهل الأسرار والكرامات المنقولة عنهم(٢).

أمّا أصل هذه الجرثومة الطاهرة، ومنبع الأنوار الزاهرة، الحسن المثنّىٰ رضي الله عنه، فجلالته عندهم وعظم شأنه، ونقلهم حضوره الطفّ مع عمّه الحسين عليه السلام، ونجا بعد جراحات كثيرة من المعركة، ولم ينج بالحياة من تلك غيره وغير علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام؛ لأنّه كان مريضاً(٣)، معروف في كتبهم، فلا حاجة للتنبيه عليه.

وهذه جملة معترضة، وقد قلت في خطبة هذه الرسالة(٤): إنّها علىٰ وضع المجاميع، والقصد أنّ جميع فرق الشيعة إلاّ الكيسانية القائلين بإمامة محمّد ابن الحنفية وقد انقرضوا، منتسبون إلىٰ عقب الحسين عليه السلام.

والزيدية منهم يجرون أئمّة السيف من عقب الحسن عليه السلام مجرىٰ زيد بن علي الذي إليه انتسابهم، ولا يصفون بالإمامة من لم يقم بالدعوة من عقب الحسين عليه السلام، ولا من عقب الحسن عليه السلام، وإن وصفوهم بإمامة العلم والفضل في الدين، وجوّزوا

---

(١) عمدة الطالب ص ٢٣٣.

(٢) الكواكب المشرقة ٢: ٦٥٤، والأصيلي ص ١٣١ ـ ١٣٢، وغيرهما.

(٣) راجع تفصيل ترجمته: الكواكب المشرقة ١: ٤٢٥ ـ ٤٣٩ برقم: ١٠٦٢.

(٤) مع الأسف قد سقط خطبة هذه الرسالة من هذه النسخة التي نحن بصدد تحقيقها.

تقليدهم في الفقه، كما هو منصوص عليه في أوّل كتاب الأزهار وشرحه .

والإمامية يقصرون الإمامة الثابتة بالنصّ والعصمة على العدد المعروف من عقب الحسين عليه السلام، ولا يصفون بالإمامة بهذا المعنىٰ غيرهم من أولاد الحسن عليه السلام، ولا من أولاد الحسين عليه السلام، وإن وصفوهم بأئمّة العلم، وجوّزوا تقليدهم إذا كانوا آخذين من المتّصفين بالنصّ والعصمة. هكذا رأيت التصريح في بعض تصانيفهم، والله أعلم .

علىٰ أنّ الناهضين بالدعوة والقائمين بالسيف علىٰ غير وتيرة الإمامة أو الملك من أولاد الحسين عليه السلام بعد إمام المذهب زيد بن علي، وإن كانوا أقلّ عدداً من الناهضين من أولاد الحسن عليه السلام، فهم لا يقصرون عن المعادلة في الآثار وصفات العلماء الأبرار والأمجاد الأنجاد في ذلك النقع المثار .

ومنهم: من فاز بالشهادة، ولم ينل من الدولة والسلطان مراده، أو نال بقدر ما أعدّه قريب السفر زاده .

ومنهم: من نال المراد، وملك ووالىٰ في البلاد .

ومنهم: من تأطّد له الملك حتّىٰ ورثه الأولاد .

الفائزون بالشهادة من أعلام بني الحسين

فمن القسم الأوّل: يحيى بن زيد بن علي، وقصّة خروجه إلىٰ أن استشهد مشهورة، وفضائله ومناقبه مأثورة [١]، وعدّه صاحب البحر الزخّار في الأئمّة بعد أبيه زيد قبل كلّ داعي من بني الحسن عليه السلام [٢]، إلاّ أنّه ذكر في البحر الزخّار قيام

---

(١) راجع: الكواكب المشرقة ٣: ٦٥٣ ـ ٦٦٤ برقم: ٤٨٨١ .

(٢) البحر الزخّار ١: ٤٣٩ .

الحسن المثنىٰ قبل زيد، وأنّ ابن الأشعث في فتنته المشهورة كان داعياً إليه[١]، وذكر ذلك صاحب عمدة الطالب[٢]، والله أعلم.

قال: وقتل يحيىٰ في سنة ستّ وعشرين ومائتين، وهو ابن ثمان وعشرين سنة، في أيّام الوليد بن يزيد بن عبدالملك، ومشهده بأرغوى من خراسان، وهو سبب خروج الشيعة وتسويدهم عليه، ودعوا إلى بني هاشم، وخلعوا بني أُمية[٣].

أي: فقامت بدعوتهم دولة بني العبّاس، وهذه مزية عظيمة ليحيى بن زيد كما ترىٰ، ولا ريب أنّ الشيعة الذين أقاموا دولة بني العبّاس هم شيعة بني علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال الذهبي في ترجمة محمّد بن علي بن عبدالله بن عبّاس: كان عبدالله بن محمّد ابن الحنفية قد أوصىٰ إلىٰ محمّد، ودفع إليه كتبه، وألقىٰ إليه أنّ هذا الأمر في ولدك، وكان عبدالله قد قرأ الكتب وسمع، وكان ابتداء دعوة بني العبّاس إلىٰ محمّد، ولقّبوه بالإمام، وكاتبوه سرّاً بعد العشرين ومائة، فعاجلته المنيّة حين انتشرت دعوته بخراسان، فأوصىٰ بالأمر إلى ابنه إبراهيم، فلم تطل مدّته بعد أبيه، فعهد إلىٰ أخيه أبي العبّاس السفّاح[٤]. إنتهىٰ.

ومنهم: محمّد بن جعفر الصادق، قال: قام ودعا سنة، ومات بجرجان، ومشهده بها سنة نيّف ومائتين، قال: ولم يعدّه الحاكم في الأئمّة، لكنّه تسمّىٰ

---

(١) البحر الزخّار ١: ٤٣٨.

(٢) عمدة الطالب ص ٣١٨ ـ ٣١٩.

(٣) البحر الزخّار ١: ٤٣٩.

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي ٨: ٢٢٣.

بأميرالمؤمنين[١].

ومنهم: إبراهيم بن موسى الكاظم، وجعله بعد القاسم الرسّي[٢]، قال: خرج إلىٰ أرض اليمن، وله تأثيرات عظيمة، وقتل بخراسان، ومشهده بها سنة نيّف ومائتين[٣].

ومنهم: محمّد بن القاسم بن علي بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين، قال: هو صاحب الطالقان، قتل بواسط، إلىٰ أن قال: والأصحّ أنّه قتل في الكوفة، ومشهده فيها[٤].

وقال صاحب عمدة الطالب: ظهر بالطالقان في أيّام المعتصم، وأقام أربعة أشهر، ثمّ ذكر أنّه أخذه عبدالله بن طاهر، وضرب عنقه صبراً، وصلبه بباب الشماسية[٥].

وهو يخالف ما ذكره في البحر الزخّار، قال: وهو أحد أئمّة الزيدية وعلمائهم وزهّادهم[٦].

الذين تمّت لهم دولة من بني الحسين

ومن القسم الثاني، أعني الذين تمّت لهم دولة وقام لهم ملك وسلطان: الناصر

---

(١) البحر الزخّار ١: ٤٤١.

(٢) بل جعله قبل القاسم الرسّي.

(٣) البحر الزخّار ١: ٤٤١.

(٤) البحر الزخّار ١: ٤٤١.

(٥) عمدة الطالب ص ٣٧٢.

(٦) البحر الزخّار ١: ٤٤١.

الكبير الأُطروش الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين، ذكره بعد الهادي يحيى بن الحسين، قال: وقام ودعا سنة أربع وتسعين[١] ومائتين، ومات بطبرستان، ومشهده بها سنة أربع وثلاثمائة[٢].

وقال في عمدة الطالب: فأمّا أبو محمّد الحسن الناصر، وهو إمام الزيدية، ملك الديلم، صاحب المقالة، إليه ينتسب الناصرية من الزيدية، كان مع محمّد بن زيد الداعي الحسني بطبرستان، فلمّا غلب رافع علىٰ طبرستان أخذه وضربه ألف سوط، فصار أصمّ، وأقام بأرض الديلم يدعوهم إلى الله تعالىٰ والاسلام أربع عشر سنة، ودخل طبرستان سنة احدىٰ وثلاثمائة، فملكها ثلاث سنين وثلاثة شهور، ويلقّب «الناصر للحقّ» وعظم أمره، وتوفّي بآمل سنة ثلاثمائة وأربع[٣].

وقال ابن أبي‌الحديد في شرح نهج البلاغة: هو صاحب الديلم، شيخ الطالبيين، عالمهم، وأزهدهم، وأديبهم، وشاعرهم، ملك بلاد الديلم والجبل، وجرت له حروب عظيمة مع السامانية، وتوفّي سنة أربع وثلاثمائة[٤]. إنتهىٰ.

ولا يخفىٰ تقصير صاحب البحر الزخّار في ترجمته.

وذكر صاحب العمدة: أنّه لمّا مات أرادوا أن يبايعوا ابنه أحمد بن الحسن الناصر، فامتنع من ذلك، وبعث إلى الداعي الصغير الحسني الحسن بن القاسم، فاستقدمه وبايعه، فغضب أخوه جعفر ناصرك بن الحسن، وجمع عسكراً وقصد

---

(١) في البحر: وثمانين.

(٢) البحر الزخّار ١: ٤٤٢.

(٣) عمدة الطالب ص ٣٧٤.

(٤) شرح نهج البلاغة ١: ٣٢ - ٣٣.

طبرستان، فانهزم الداعي وملكها ابن الناصر سنة ستّ وثلاثمائة، وسمّي نفسه الناصر. إلىٰ آخر قصّته، فراجعها في عمدة الطالب[١].

ومنهم: جعفر بن محمّد بن الحسين بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين، ذكره صاحب البحر الزخّار بعد أحمد بن يحيى الهادي بن القاسم الرسّي الحسني، قال: الملقّب بالثائر المحدّث، ومات بطبرستان، ومشهده فيها سنة خمس وأربعين وثلاثمائة[٢].

وفي عمدة الطالب: وأمّا أبو عبدالله الحسين الشاعر المحدّث بن أبي الحسن علي العسكري بن الحسن بن علي الأصغر بن عمر الأشرف، فمن ولده أبو الفضل جعفر بن محمّد الثائر بن أبي عبدالله الحسين المذكور[٣].

وفي البحر الزخّار بعد أبي هاشم الحسن بن عبدالرحمٰن الرسّي: ثمّ الناصر الحسين بن جعفر بن الحسين بن الحسن بن علي الأديب بن الناصر الكبير، قام ودعىٰ بهوسم سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، ومات بهوسم سنة سبعين وأربعمائة[٤]. إنتهىٰ. فيكون قد ملك نحو ثمان وعشرين سنة.

قال: ثمّ أبو الفتح الديلمي الناصر بن الحسين بن محمّد بن عيسى بن محمّد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين[٥]، قام ودعا

---

(١) عمدة الطالب ص ٣٧٥.

(٢) البحر الزخّار ١: ٤٤٢.

(٣) عمدة الطالب ص ٣٧٧.

(٤) البحر الزخّار ١: ٤٤٣.

(٥) في البحر: عبدالله بن علي بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

بأرض اليمن سنة ثلاثين وأربعمائة، وقتل بردمان شرقي ذمار، وقتله الصليحي عند نجد الحاج في سنة أربعين وأربعمائة[١]. إنتهىٰ.

فيكون هذا الذي من ولد زيد بن علي[٢] قد استولىٰ عشر سنين.

قال: ثمّ الهادي الحقيني أبو الحسن علي بن جعفر بن الحسن بن عبدالله بن علي (بن الحسين بن علي)[٣] بن الحسن بن علي بن أحمد الحقيني بن علي بن الحسين بن علي زين العابدين، قام ودعا سنة ثلاثين وأربعمائة، ومات بالديلم سنة أربعين وأربعمائة[٤]. إنتهىٰ.

وهذا استولىٰ وملك عشر سنين، وهو من أولاد علي بن الحسين الأصغر بن زين العابدين علي بن الحسين.

ومنهم: كما في عمدة الطالب ممّن دعا وملك، ولم يذكره في البحر الزخّار؛ لأنّه ليس من الأئمّة: محمّد السليق، قال: لقّب بذلك لسلاقة لسانه وسيفه، مأخوذ من قوله تعالىٰ ﴿سلقوكم بألسنة حداد﴾[٥] وهو ابن عبدالله بن محمّد بن الحسن بن الحسين الأصغر بن زين العابدين علي بن الحسين، قال: وقد روىٰ محمّد هذا الحديث. قال ابن خرداذبة في التاريخ: في سنة تسع وتسعين ومائة وجّه محمّد بن

---

(١) البحر الزخّار ١: ٤٤٣ ـ ٤٤٤.

(٢) هذا علىٰ النسخة الموجودة عند المؤلّف، وأمّا على النسخة المطبوعة فهو من أولاد زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

(٣) ما بين الهلالين ساقط من الأصل.

(٤) البحر الزخّار ١: ٤٤٤.

(٥) سورة الأحزاب: ١٩.

محمّد بن زيد بن علي محمّداً السليق إلىٰ واسط، فغلب عليها، فوجّه الحسن بن سهل بن عبدالله الجوشني[١] إليه، فهزمه السليق، وقتل أصحابه[٢]. انتهىٰ.

ومنهم: الإمام الجليل الشأن، المعادل في العلم وغيره عند الزيدية للقاسم الرسّي وللهادي، وهو المؤيّد بالله يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن يوسف بن علي بن إبراهيم بن محمّد بن إدريس بن جعفر بن علي النقي بن محمّد التقي بن علي الرضا بن موسى الكاظم.

قال في البحر الزخّار: قام ودعا سنة سبعمائة وتسعة وعشرين، ولم تمكّن بسطته كغيره، ومحلّه في العلم والفضل مشهور، ومات في حصن هرّان قبلي ذمار، ثمّ نقل إليها سنة تسع وأربعين وسبعمائة، ومشهده فيها مشهور[٣]. إنتهىٰ.

فهؤلاء كلّهم من أولاد الحسين عليه السلام، دعوا علىٰ طريقة الزيدية، وصاروا أئمّة كالذين دعوا وصاروا أئمّة من ولد الحسن عليه السلام، وأكثرهم كان هو القائم والمجدّد لما لم يكن قبله من الأمر، ولم يستعن بدعواه داع قبله.

وأمّا الدعاة والأئمّة من ولد الحسن عليه السلام، فكان أكثرهم مسترسلين يقفوا التالي إثر السابق، ينتهون إلىٰ أولاد القاسم الرسّي المؤسّسين للدعوة والمملكة بأرض اليمن، ومن ملك منهم بطبرستان إنّما أسّس المملكة لهم، وابتداؤها الناصر الأُطروش الحسيني كما عرفت، وهذه مزية تعادل أكثر الداعين والمسؤولين علىٰ ممالك وبلدان من بني الحسن عليه السلام.

---

(١) في العمدة: الحرشي.

(٢) عمدة الطالب ص ٣٨٠.

(٣) البحر الزخّار ١: ٤٤٥ ـ ٤٤٦.

وممّن لم يذكره صاحب البحر الزخّار: جعفر الحجّة بن عبيدالله الأعرج بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين.

الأمراء والحكّام من نسل جعفر الحجّة

قال صاحب عمد الطالب: وفي ولده الإمرة بالمدينة الشريفة، ومنهم ملوك بلخ ونقباؤها، وجعفر بن عبيدالله من أئمّة الزيدية، وكان له شيعة يسمّونه «الحجّة» وكان القاسم الرسّي بن إبراهيم طباطبا يقول: جعفر بن عبيدالله إمام من أئمّة آل محمّد، وكان فصيحاً، وكان أبوالبختري وهب بن وهب قد حبسه بالمدينة ثمانية عشر شهراً، فما أفطر إلاّ في العيدين.

فأعقب جعفر من رجلين: الحسن، والحسين. أمّا الحسين بن جعفر الحجّة، فدخل بلخ وأعقب بها، وهم ملوك وسادة ونقباء.

إلىٰ أن قال: وأمّا الحسن بن جعفر الحجّة، فأعقب من يحيى النسّابة، يقال: إنّه أوّل من جمع كتاباً في علم النسب [١]، فأعقب يحيى النسّابة من سبعة رجال، ما بين مقلّ ومكثر، وهم: طاهر، وعلي، وأبوالعبّاس عبدالله، وأبوإسحاق إبراهيم، وأبوالحسن محمّد الأكبر العالم، وأحمد الأعرج، وأبو عبدالله جعفر [٢].

أقول: فأولاد جعفر الحجّة أحدثوا وأسّسوا مملكة في بلخ، وتداولوها وتوارثوها؛ لأنّه قال: منهم ملوك بلخ، قال: وهم ملوك وسادة ونقباء.

وأحدثوا وأسّسوا امارة المدينة المنوّرة، وهي الثابتة المستقرّة المستمرّة فيهم من عصر طاهر بن يحيى النسّابة من بني الحسن بن جعفر الحجّة، قال فيه صاحب

---

(١) في العمدة: كتاباً في نسب آل أبي طالب.

(٢) عمدة الطالب ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤.

عمدة الطالب: في ولده البيت والامارة بالمدينة، ويكنّىٰ أباالقاسم، وهو القاسم المحدّث له عقب كثير .

وكان من جلالة القدر بحيث انّ بني إخوته يعرف كلّ منهم بابن أخي طاهر[١]. وساق عقبه الإمرة أو غيرهم إلىٰ أن انتهىٰ إلى الأمير جمّاز بن الأمير شيحة[٢] .

وهو الذي ذكرناه في أوّل الرسالة، ونقلنا استيلاؤه علىٰ مكّة المشرّفة مدّة قليلة، من تاريخ الفيروزآبادي صاحب القاموس .

وناهيك بها من همّة عالية، وعزمة عن الجبن عارية، فقد أدخلته أجمّة الأُسود الضارية، وخرج بعافية، وإن كانت ولايته علىٰ مكّة ثوب عارية .

ولقد كانت إمارة المدينة الشريفة فيهم كالمملكة المستقلّة، وهم بدور ذلك القطر والأهلّة، والإمارة باقية فيهم إلى الآن، يذكر اسم الأمير منهم على المنبر المجاور لروضة الجنان .

لكن في هذا الزمان قد عادت الحال حويلة، ونضب البحر حتّىٰ صار دجيلة، وعلىٰ ذلك فقد استحدث أولاد جمّاز بن شيحة بالهمم المتيحة المشيحة، بنته الإمارة والمملكة في البداوة، فكانت علىٰ مجد إمارة المدينة علاوة، فهم الموقدون بنجد نار بادية، لا يحضرون وفقد العزّ في الحصينة .

وهم في هذه الأزمنة التالية بالمدينة والبادية، تحت أحكام بني عمّهم الحسنية القتادية، ملوك الحرمين الشريفين، وأقطار تهامة ونجد والحجاز على الحقيقة لا المجاز، منذ خمسمائة عام وثلاثين عاماً ولا مانع ولا حجاز .

---

(١) عمدة الطالب ص ٤٠٧ .

(٢) عمدة الطالب ص ٤٠٧ ـ ٤١٢ .

وسيرتهم في الحلم والكرم، وحفظ قوانين العقل والشرع المحترم، آية الله المتلوّة بلسان الحلّ والحرم، فقد نطق روح القدس علىٰ لسان نابغتهم في الأدب المفاد؛ إذ قال من قصيدة يمدح بها ملك العباد السلطان مراد :

بــرانــا الله للــدنيا سـناءً　　　　وللأخرىٰ إذا قامت سناما

لولا سرّ الصدق في وصفه، وعلم الممدوح به، لم يستحسن المادح في أدبه، أن يسمعه ذلك مثل الممدوح، وقد أخذ لنفسه من شخص الأوصاف الروح، وقد أنشد الفرزدق بعض خلفاء بني أُمية يفتخر فيها بجدّه غالب، فازورّ عنه وحرّمه الجوائز والمطالب، وفضّل نصيباً فيما أنشده عليه، وهو الذي لا نسب له إليه، فخرج الفرزدق وهو ينشد :

وخير الشعر أكرمه رجالاً　　　　وسرّ الشعر ما قال العبيد

وهذا الممدوح وهو السلطان مراد، قد أقبل على المادح وبلّغه المراد، وذلك برهان الصدق الجلي في وصف أهل البيت، وأنّهم أهله في فروع الجرثوم الطاهرة أهل البيت، مدّ الله ظلال دولتهم مكاناً وزماناً حتّىٰ تخرق العادة، وأمضىٰ نصال صولتهم حساماً وسناناً، والضارب يمين الجدّ والسعادة .

ولا غضاضة علىٰ بني الحسين من بني عمّهم في دخولهم تحت حكمهم، بل ذلك من مفاخرهم المستطابة، وقد وقع مثله في عهد الصحابة .

وهذا فصل استطردت إليه، وأصل عوّلت في شكر نعمتهم عندي عليه .

ومن الممالك التي أثبتتها السادة الحسينية، ماذكره القلقشندي في كتابه نهاية الأرب في أنساب العرب في الحسينيين، قال: ومنهم بنو الأُخيضر القائمون

باليمانة، وبنو صالح ملوك غانة[١].

الأمراء والحكّام من نسل عمر الأشرف

ومن ممالكهم: ما ذكره مصنّف النفحة العنبرية بقوله: ومن ولده ـ يعني عمر الأشرف بن علي بن الحسين ـ الأشراف ملوك مازندران، مدينة من مدائن فارس، محاذّة لتخوم جيلان، منهم: المستولي الآن السيد زين العابدين بن المرتضىٰ، وساق نسبه إلىٰ عمر الأشرف[٢].

لكنّه خبط في سياقه وتعجرف، وقد نبّهت علىٰ ذلك وعلىٰ غيره من غلطاته وسقطاته فيما كتبته علىٰ هوامش عمدة الطالب من الحواشي، وقد كان مصنّف النفحة في أواخر القرن التاسع، وكان في زمنه ملك هؤلاء السادة.

فالظاهر أنّه أزال ملكهم شاه إسماعيل ولد بنت الشيخ صفي الدين المذكور في الأعلام بإعلام بلد الله الحرام، تاريخ العلاّمة القطب النهرواني.

فإنّ دولة شاه إسماعيل المذكور قامت في سنة ستّ وتسعمائة تقريباً، وقد أخذ ممالك وأزال ملوكاً من فارس وجيلان وخراسان وعراق العجم وآذربيجان، وغير ذلك، وهي باقية بأيدي المتولّين من عقبه إلىٰ هذا الزمان.

وهم كما يذكرون سادة حسينية، يرون أنّ الشيخ صفي زوّج ابنته بسيد حسيني موسوي، فولدت جدّ شاه إسماعيل، فعلىٰ هذه المملكة الكبيرة الممتدّة إلىٰ هذا الآن ممّا ملكه بنو الحسين من ممالك الزمان، والله أعلم.

---

(١) نهاية الأرب للقلقشندي ص ١٢٥ ـ ١٢٦.

(٢) النفحة العنبرية ص ٤٨ ـ ٤٩، ونبّهت في الهامش على الخبط الواقع في نسبه، وما أدري من أين كان يأتي صاحب النفحة بهذه الأنساب المشوّشة.

الأمراء والحكّام من المشعشعيين

ومن الممالك الحسينية: مملكة المشعشع، قال مصنّف النفحة العنبرية: بضمّ الميم وفتح الشين المعجمتين، ذكرهم في عقب إسماعيل بن جعفر الصادق، وقال: ومن ولد محمّد بن إسماعيل: السيد علي الفلاّح، وهو أوّل من ملك البصرة من جدود المشعشع، وساق نسبه إلىٰ إسماعيل بن جعفر الصادق (١).

وفيه خبط نبّهت عليه في حواشي العمدة، وكلامه يقتضي وجود ملوك عدّة منهم، وانّ مملكتهم بالبصرة.

والذي في زماننا وما قبله إلىٰ ما قبل تسعمائة استقرار مملكتهم في حوزستان بضمّ الحاء المهملة وكسر الزاي وسكون السين المهملة، كذا ضبط ابن خلّكان (٢)، قال: وهي بلاد بين البصرة وفارس، قال: والنسبة إليها حوزي، وقد فات هذا صاحب القاموس فلم يذكره، إنّما ذكر الحويزة كدويرة، وقال: قصبة بخوزستان (٣).

والحويزة في هذا الزمان مقرّ ملك هؤلاء السادة، مع تملّكهم لقطر خوزستان وغيره، وهم الآن تحت الطاعة لملوك العجم السادة الصفوية الذين مرّ ذكرهم، علىٰ أنّ ملكهم سابق علىٰ ملك أوّلهم شاه إسماعيل الذي تقدّم ذكره، كذا أخبرني بمكّة المشرّفة ملكهم الآن السيد الجليل علي بن عبدالله (٤).

---

(١) النفحة العنبرية ص ٥٣. وقد أشرت في الهامش على الخبط الواقع في نسبه.

(٢) الوافي بالوفيات ٢: ٣٦٥

(٣) القاموس المحيط ٢: ١٧٤.

(٤) هو السيد علي خان بن السيد عبدالله بن السيد علي خان الموسوي ⇩

وذلك هو مقتضىٰ كلام صاحب النفحة العنبرية، وهم عرب كرام أمجاد أبطال أنجاد، وتحت حكمهم وطاعتهم من عرب جهتهم أُلوف كثيرة فوارس شجعان، للنقع مثيرة، وقد أخذوا البصرة في حدود عشر ومائة بعد الألف لملك العجم الذي هم في طاعته، ثمّ ردّ على السلطان الأعظم ملك الروم والحرمين الشريفين للمعاهدة والمهادنة التي بينهما، والله تعالىٰ أعلم.

الممالك الحسينية بأرض الهند

ومن الممالك الحسينية بأرض الهند: ما ذكره مصنّف النفحة بقوله في ذكر عقب أبي عبدالله إسحاق بن إبراهيم العسكري بن موسى أبي‌سبحة بن إبراهيم المرتضى بن موسى الكاظم، قال: فتوجّه إسحاق إلىٰ بلخ وتوطّنها، وولّد أربعة: صفي‌الدين أحمد، وداود، وجعفر، وإبراهيم.

فمن ولد إبراهيم: مبارك خان نائب تمرلنك وخليفته علىٰ دلّي ـ بكسر الدال واللام المشدّدة وبعدها ياء ـ مدينة بأقصىٰ تخوم السند، ومبدأ أرض الهند، وأطال في الوصف، ثمّ ساق نسب السيد مبارك‌خان المذكور إلىٰ إبراهيم بن إسحاق.

ثمّ قال: ومن ولد إبراهيم: السلطان عالم شاه، بغىٰ عليه طائفة من الأوغان ـ بفتح الهمزة وسكون الواو وفتح الغين المعجمة والنون أخيراً ـ وهم طائفة من الططر بفتح الطائين المهملتين من الترك من ولد يافث، فملكوا عليه دلّي، وهم مالكوها إلىٰ يومنا هذا.

وخرج السلطان عالم شاه إلىٰ مدينة من مدائن الهند تسمّىٰ بدوون بضمّ الباء

ــ المشعشعي، له كتاب رحلته إلى الحجّ، ذكر فيه تراجم أجداده المشعشعيين حكّام الحويزة، ولد سنة (١٠٨٠).

الموحّدة وفتح الدال المهملة ونون بعد الواوين، وتوفّي بها سنة احدىٰ وثمانين وثمانمائة .

وخلّفه فيها أبوه السيد أبو الفتوح خان يركب في أربعين ألف فارس، وهو مع ذلك ليس كفوأ لملوك الهند، وهو مستقرّ بصاحب جونافور بفتح الجيم وسكون الواو وفتح النون وضمّ الفاء وراء بعد الواو الساكنة، وملكها أكبر ملوك الهند، قيل: يركب في ثلاثمائة ألف فارس، وهو صهر للسيد المذكور، وولد السيد ختن له[١]. إنتهىٰ كلامه .

ولعلّ من نسل السيد أبي الفتوح هذا، أو نسل السيد مبارك خان، أو كليهما: سادات بالهند حسينية في هذا الزمان يقال لهم: سادات بارهة، بالباء الموحّدة والراء المهملة بعد الألف وبعدها هاء مفتوحة، وهم في غاية الشجاعة والفروسية والكثرة، يقال: يبلغون أربعين ألفاً، والظاهر مع أتباعهم وجنودهم، وهم مستولون علىٰ جهتهم ومالكوها، لكنّهم مستقرّون لملك الهند التيموري .

وفي هذا العصر قد استولىٰ علىٰ ملك الهند التيموري إثنان منهم: أحدهما وزيره الأعظم، والآخر أمير الجيوش، وقد ولاّه الملك أحبّ أم كره مملكة الدكن ـ بفتح الدال المهملة والكاف ـ بأسرها، وهي أعظم ممالك الهند وأحسنها، فاستقلّ هناك وإن كان مظهراً لطاعة الملك، ولم يبق للملك تصرّف مع هذين السيدين، وأهل الهند تخشىٰ استيلاؤهما على الملك، وأن يزيلا ملك التيمورية، والله أعلم .

الخلفاء الفاطميون العبيديون بالمغرب ومصر

هذا، والخلفاء الفاطميون العبيديون المنتسبون إلىٰ إسماعيل بن جعفر الصادق

---

(١) النفحة العنبرية ص ٨١ ـ ٨٢.

قد ملكوا بالمغرب ومصر وغير ذلك نحو مائتي وسبعين عاماً، وملكوا الحرمين الشريفين عدّة سنين، وأشجوا بني العبّاس، وقعدوا لهم في ممرّ الأنفاس.

وقد رجّح صاحب عمدة الطالب صحّة نسبهم، وقال: والشريف الرضي الموسوي مع جلالة قدره صحّح في شعره نسبهم ونقل الأبيات[1]، قال: وقال الشريف ابن طباطبا[2]: جعفر بن محمّد بن إسماعيل بن الصادق عقبه من محمّد يقال له: الحبيب، وعقبه من الحسن المعروف بالبغيض، وعبدالله بالمغرب، وجعفر بالمغرب، وهم من أنساب القطع في صحّ.

وأوّل الخلفاء العبيديين عبيدالله، وأحد الروايات أنّه ابن محمّد الحبيب بن جعفر بن محمّد بن إسماعيل بن جعفر الصادق.

إلىٰ أن قال: وفي بعض الروايات أنّه ابن جعفر بن الحسن بن الحسن بن محمّد ابن جعفر الشاعر بن محمّد بن إسماعيل، قال: وهو جعفر البغيض[3]. إنتهىٰ.

والرواية الأُولىٰ اعتمدها ولم يذكر غيرها، الحافظ تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر المقريزي في كتابه خطط مصر المسمّىٰ بكتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، وقد جزم بصحّة نسبهم، واستدلّ عليه بأنّ بني علي بن

---

(١) وهي:

ما مقامي على الهوان وعندي ... مقول صارمٍ وأنف حمي

أحمل الضيم في بلاد الأعادي ... وبمصر الخليفة العلوي

من أبوه أبي ومن جدّه جدّ ... ي إذا ضامني البعيد القصي

(٢) قاله في تهذيب الأنساب ص ١٧٣.

(٣) عمدة الطالب ص ٢٩٠.

أبي طالب عليه السلام قد كانوا إذ ذاك علىٰ غاية من وفور العدد، وجلالة القدر عند الشيعة، فما الحامل لشيعتهم على الإعراض عنهم، والدعاء لابن مجوسية أو ابن يهودية، فهذا ما لا يفعله أحد ولو بلغ الغاية في السخف والجهل .

وإنّما جاء ذلك من قبل ضعفة خلفاء بني العبّاس عند ما غضبوا[(١)] لمكان الفاطميين، فإنّهم كانوا قد اتّصلت دولتهم نحواً من مائتين وسبعين سنة .

إلىٰ أن قال: وكفاك بكتاب المعتضد من خلفاء بني العبّاس حجّة، فإنّه كتب في شأن عبيدالله إلى ابن الأغلب بالقيروان وابن مدرك[(٢)] بسجلماسة بالقبض علىٰ عبيدالله، فتفطّن لصحّة هذا الشأن، فإنّ المعتضد لولا صحّة نسب عبيدالله عنده ما كتب لمن ذكرنا بالقبض عليه؛ إذ القوم حينئذ لا يدعون لمدّعٍ ألبتّة، ولا يذعنون له بوجه، وإنّما ينقادون لمن كان علوياً، فخاف المعتضد ممّا وقع، ولو كان عبيدالله من الأدعياء عنده لما مرّ له بفكر، إلىٰ آخر كلامه[(٣)]. والله أعلم .

المملكة المعنوية لبني الحسين

هذا، ولبعض بني الحسين مملكة معنوية هي في الظاهر مجازية، وفي الباطن حقيقية، وهي مملكة الولاية المتصرّفة في القلوب، فالأجساد تابعة لها وخادمة في كلّ مطلوب، عن الكمال في رتب العلم والعمل، والتحقّق بإخلاص المبلغ للأمل .

ففي بعض بيوتات الحسينيين اتّصال رجال بعلوم الظاهر مليين، وعن علوم

---

(١) في المصدر: غضّوا .

(٢) في المصدر: وابن مدرار .

(٣) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ٢: ١٧٤ ـ ١٧٥ .

الباطن غير خليين، ورجال بعلوم الباطن غنيين، وكلا القسمين استمرّ صيتهم على ممرّ السنين، وأكسبوا بركاتهم الأعقاب والبنين، بل العشيرة الأدنين، والمقلّدين والمريدين والمذعنين، ولهذه المملكة تخضع الملوك والأمراء، وفيها قالت البلغاء والشعراء :

ملوك الناس حكّامٌ عليم ... وأهل العلم حكّام الملوك

آخر :

ما لذّة العيش إلاّ صحبة الفقراء ... هم الملوك وهم ساداتنا الكبراء

آخر :

ملوكٌ على التحقيق ليس يفوتهم ... من الملك إلاّ إثمه وعقابه

ومن هنا كان من أبلغ مدائح الملوك قولي من قصيدة كلّها درر وسلوك :

وأولاك أسرار القلوب بودّها ... فأجسادها ما من إطاعتها بدٌّ
إذا ما رآك العارفون أولو النهىٰ ... رأوا ملكاً كلّ القلوب له جند
وإن فتحوا عينا هناك وحقّقوا ... رأوا ملكاً من قدسه النور يمتدّ

والأخير من البيت المشهور :

سما فأصبح تدعوه الورىٰ ملكاً ... وعند ما فتحوا عيناً رأوا ملكا

وقولي :

قالوا نرى الإنسان عبد المحسن ... فجميعهم رقّ لعبد المحسن
ملكٌ غدا إحسانه ملكاً على ... كلّ القلوب وذلك الملك السني
كلّ القلوب جنوده وسلاحها ... من حمدها ودعائها في الألسن
فسهامها تسري إلى السبع العلا ... وسيوفها تفري رقاب الأزمن

وهؤلاء الملوك موجودون علىٰ كرّ الجديدين، وتعاقب الملوين في آل الحسن

وآل الحسين، لكن في آل الحسين أكثر في الأعداد، وأنشر في أقطار البلاد، كما أنّ ملوك السيف من آل الحسن أسدّ وأظهر، وممالكهم أمدّ وأشهر، أدام الله تعالىٰ دول الفريقين إلى إشراط المحشر .

ومن طالع كتب تراجم علماء الظاهر، وتراجم علماء الباطن، وتراجم الملوك ولاة المساكن والمقاطن، وحماة الشرع والمعاطن، علم صدق قولي ولا أنفع من الصدق في كلّ المواطن، ولوثوقي بصدق هذا المقال كتبت علىٰ هامش عمدة الطالب إذ بالغ وأطال في ترجمة من ذكرت في النظم من الرجال، فسما ذكر غيرهم وطال، هذه الأبيات بقلم الارتجال :

إنّ الحسينيين أن يفخروا ... فخراً له في الدين وجهٌ رضي
عدّوا من السجّاد ما قد رأىٰ ... يوسف من عدّ نجوم تُضي
فيهم أخو الباقر زيدٌ كذا ... يحيى ابنه العضبان للمنتضي
ثمّ يثنّوا بأبي أحمدٍ ... وابنيه أعني المرتضىٰ والرضي
ثمّ بسادات جلا زُهْرَهم ... أُفقُ اعتراف الضدّ والمعرض
مثل بني زهرة فارجع إلى ... القاموس تعرف جهة المعرض
فذلك الفخر الجليل الذي ... ما فيه للسبطين من مغمض
ولم تفضّل واحداً منهما ... فضلاً لتفضيل بنيه قضي
كصاحب ......(١) ... تطلّب الفخر إلى المجرض

وفيما أثبتّه هنا من هذه الأبيات تغيير وزيادة وحذف ممّا أثبتّه علىٰ هامش العمدة، وعلى اعتراف الضدّ في افتخارها العمدة؛ لأنّ المقام مقام مقارنة على

---

(١) بياض في الأصل .

الأحساب مع صاحب الكتاب، وإلاّ فالعلماء الرؤساء الأتقياء، والمشايخ الأولياء والأصفياء من بني الحسين، البريئين عن التشنيع، من الشين كان أم من الزين، في غاية الكثرة والانتشار على كرّ الأزمنة في الأقطار، وآثارهم في العلوم والكرامات كقطار الأمطار، ومن طالع التواريخ وكتب تراجم الرجال، تعرّف فرسان هذا المجال، وتغترف من البحور بأكبر السجال .

فصل

في تراجم أهل الصدر الأوّل من بني السبطين

وهم فرائد جواهر السمطين، وفي الفرائد النظيمة الدرّة الثمينة، والفاخرة العظيمة، والقصد حصول الخير واليمن والبركة بهم، والتعلّق في التوسّل إلى الله عزّوجلّ بسببهم .

قد قلت فيما سلف: إنّ الحافظ ابن حجر في الصواعق لخّص تراجم الأئمّة الثمانية عليهم السلام بعد ذكر الحسن والحسين عليهما السلام، وجمع خلاصة ما في كتب السير وكتب الرجال وما صنّف بخصوصهم، ككتاب الفصول المهمّة، ومطالب السؤول الذي ينقل منه صاحب الفصول المهمّة، وكتاب تذكرة الخواصّ من الأمّة بخصائص الأئمّة لسبط ابن الجوزي مصنّف مرآة الزمان، وذكروا أنّه في أربعين مجلّداً وغير ذلك .

فأنا أورد ما ذكره مع بعض زيادة مختصرة، ثمّ أذكر ما قاله في بعض المواضع من كتابه في زيد بن علي زين العابدين، وفي إسحاق بن جعفر الصادق وزيادة، ثمّ أذكر أهل الصدر الأوّل من أولاد الحسن عليه السلام .

ترجمة الإمام زين العابدين عليه السلام

قال في أواخر الكتاب في الفصل الثاني في الأحاديث الواردة في بعض أهل

البيت، بعد ذكر مقتل الحسين عليه السلام: وزين العابدين عليه السلام هذا هو الذي خلّف أباه ـ أي: الحسين عليه السلام ـ علماً وزهداً وعبادة، وكان إذا توضّأ للصلاة اصفرّ لونه، فقيل له في ذلك، فقال: ألا تدرون بين يدي من أقف.

وحكي أنّه كان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة.

وحكى ابن حمدون عن الزهري: أنّ عبدالملك حمله مقيّداً من المدينة بأثقل حديد[1]، ووكّل به حفظة، فدخل عليه الزهري لوداعه، فبكىٰ وقال: وددت أنّي مكانك، فقال: أتظنّ أن هذا يكربني لو شئت لما كان، وإنّه ليذكرني عذاب الآخرة، ثمّ أخرج يديه من الغلّ، ورجليه من القيد، ثمّ قال: لا جزت معهم علىٰ هذا يومين من المدينة، فما مضىٰ يومان إلاّ وفقدوه حين طلع الفجر وهم يرصدونه، فطلبوه فلم يجدوه.

قال الزهري: فقدمت علىٰ عبدالملك، فسألني عنه فأخبرته، فقال: قد جاء في يوم فقده الأعوان، فدخل عليّ، فقال: ما أنا وأنت، فقلت له: أقم عندي، فقال: لا أُحبّ، ثمّ خرج، فوالله لقد امتلأ قلبي منه خيفة.

ومن ثَمّ كتب عبدالملك إلى الحجّاج: أن يجتنب دماء بني عبدالمطّلب، وأمره بكتم ذلك، فكوشف به علي بن الحسين زين العابدين، فكتب اليه: إنّك كتبت إلى الحجّاج يوم كذا سرّاً في حقّنا بني عبدالمطّلب بكذا وكذا، وقد شكر الله تعالىٰ لك ذلك وأرسل به إليه.

فلمّا وقف عليه وجد تأريخه موافقاً لتأريخ كتابه إلى الحجّاج، ووجد مخرج

---

(١) في الصواعق: بأثقلة من حديد.

الغلام موافقاً لمخرج رسوله للحجّاج، فعلم أنّ زين العابدين كوشف بسرّه[١]، فسرّ به وأرسل إليه مع غلامه بوقر راحلة دراهم وكسوة، وسأله أن لا يخليه من صالح دعائه.

وأخرج أبونعيم والسلفي أنّه لمّا حجّ هشام بن عبدالملك في حياة أبيه أو الوليد، لم يمكنه أن يصل إلى الحجر من الزحام، فنصب له منبر إلىٰ جانب زمزم، وجلس ينظر إلى الناس، وحوله جماعة من أعيان أهل الشام، فبينا هو كذلك إذ أقبل زين العابدين عليه السلام، فلمّا انتهىٰ إلى الحجر تنحّىٰ له الناس حتّىٰ استلم.

أقول: وهذا من مصداق ما ذكرته آنفاً من أنّ الملوك على القلوب أقوىٰ تأثيراً في الأجساد من الملوك على الأجساد.

قال: فقال أهل الشام لهشام: من هذا؟ قال: لا أعرفه، مخافة أن يرغب أهل الشام في زين العابدين عليه السلام، فقال الفرزدق: أنا أعرفه، ثمّ أنشد:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته   والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلّهم   هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها   إلىٰ مكارم هذا ينتهي الكرم
ينمي إلىٰ ذروة العزّ التي قصرت   عن نيلها عرب الاسلام والعجم

والقصيدة مشهورة، ومنها:

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله   بجدّه أنبياء الله قد ختموا
فليس قولك من هذا بضائرة   العرب تعرف من أنكرت والعجم
من معشر حبّهم دين وبغضهم   كفر وقربهم منجىٰ ومعتصم

---

(١) في الصواعق: بأمره.

أقول: قف من القصيدة علىٰ هذا البيت الأخير؛ إذ قد تقدّم في هـذه الرسالة إشارة إلىٰ بعض مضمونه. فلولا أنّ مضمونه كان مسلّم الثبوت عند الأُمّة لما أقدم عليه الفرزدق، ولكان هشام استباح به دمه، ولم يقتصر علىٰ حبسه.

قـال: فـلمّا سمعها هشـام غـضب، وحـبس الفـرزدق بعسفان، فأمـر له زين العابدين عليه السلام باثني عشر ألف درهم. وقال: اعذر لو كان عندنا أكثر لوصلناك به. فقال: إنّما امتدحته لله لا للعطاء. فقال زين العابدين عليه السلام: إنّا أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لا نستعيده. فقبلها الفرزدق، ثمّ هجا هشاماً في الحبس، فبعث فأخرجه.

أقول: وأورد الشيخ أحمد بن الفضل باكثير في وسيلة المآل هذه القصيدة ثمانية وعشرين بيتاً، وختم بها كتابه توسّلاً إلى حسن الخاتمة في المآب.

وقال عند إيرادها في أثناء النهي والتحذير عن الإستخفاف بأهل البيت: ولذلك لمّا فهم الفرزدق من هشام بن عبدالملك ذلك أخذته غيرة الإسـلام، فـقام إليـه يلومه، وأنشده القصيدة التي هي من غرر القصائد، وبأمثالها يرغم أنف كلّ عدوّ وحاسد ومعاند، ثمّ أورد القصيدة[1].

---

(١) وأورد العلاّمة ابن شهرآشوب المازندراني المتوفّىٰ سنة (٥٨٨) في مناقبه (٤: ١٦٩ ـ ١٧٢) القصيدة بتمامها، وهي:

يا سائلي أين حلّ الجود والكرم ... عندي بيانٌ إذا طلاّبه قدموا
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلّهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا الذي أحمد المختار والده ... صلّىٰ عليه الإلٰه ما جرى القلم
لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه ... لخرّ يلثم منه ما وطى القدم

⇩

▲ هذا علي رسول الله والده ... أمست بنور هداه تهتدي الأُمم
هذا الذي عمّه الطيّار جعفر ... والمقتول حمزة ليث حبّه قسم
هذا ابن سيّدة النسوان فاطمة ... وابن الوصي الذي في سيفه نقم
إذا رأته قريشٌ قال قائلها ... إلىٰ مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
وليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم
ينمي إلىٰ ذروة العزّ التي قصرت ... عن نيلها عرب الإسلام والعجم
يغضي حياءً ويغضى من مهابته ... فما يكلّم إلاّ حين يبتسم
ينجاب نور الدجىٰ عن نور غرّته ... كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلم
بكفّه خيزران ريحه عبق ... من كفّ أروع في عرنينه شمم
ما قال لا قطّ إلاّ في تشهّده ... لولا التشهّد كانت لاءه نعم
مشتقّة من رسول الله نبعته ... طابت عناصره والخيم والشيم
حمّال أثقال أقوام إذا قدحوا ... حلو الشمائل تحلو عنده نعم
إن قال قال بما يهوي جميعهم ... وإن تكلّم يوماً زانه الكلم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجدّه أنبياء الله قد ختموا
الله فضّله قدماً وشرّفه ... جرىٰ بذاك له في لوحه القلم
من جدّه دان فضل الأنبياء له ... وفضل أُمّته دانت له الأُمم
عمّ البرية بالإحسان وانقشعت ... عنها العماية والإملاق والظلم
كلتا يديه غياثٌ عمّ نفعهما ... تستوكفان ولا يعروهما عدم
سهل الخليقة لا تخشىٰ بوادره ... يزينه خصلتان الحلم والكرم

⇩

قال ابن حجر: وكان زين العابدينعليه السلام عظيم التجاوز والعفو والصفح، حتّىٰ أنّه سبّه رجل فتغافل عنه، فقال له ذلك الرجل: إيّاك أعني، فقال: وعنك أعرض، وأشار إلىٰ قوله ﴿خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض الجاهلين﴾(١) وكان يقول: ما يسرّني بنصيبي من الذلّ حمر النعم.

توفّي وعمره سبع وخمسون سنة، سنتان مع جدّه عليعليه السلام، ثمّ عشرة مع عمّه

ـه لا يخلف الوعد ميموناً نقيبته   رحب الفناء أريبٌ حين يعترم
من معشرٍ حبّهم دينٌ وبغضهم   كفرٌ وقربهم منجىٰ ومعتصم
يستدفع السوء والبلوىٰ بحبّهم   ويستزاد به الإحسان والنعم
مقدّمٌ بعد ذكر الله ذكرهم   في كلّ فرضٍ ومختومٍ به الكلم
إن عدّ أهل التقىٰ كانوا أئمّتهم   أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
لا يستطيع جوادٌ بعد غايتهم   ولا يدانيهم قومٌ وإن كرموا
هم الغيوث إذا ما أزمةٌ أزمت   والأُسد أُسد الشرىٰ والبأس محتدم
يأبىٰ لهم أن يحلّ الذمّ ساحتهم   خيمٌ كريمٌ وأيد بالندىٰ هضم
لا يقبض العسر بسطاً من أكفّهم   سيّان ذلك إن أثروا وإن عدموا
إنّ القبائل ليست في رقابهم   لأوّليــة هــذا أوله نـعم
من يعرف الله يعرف أوّلية ذا   فالدين من بيت هذا ناله الأُمم
بيوتهم في قريشٍ يستضاء بها   في النائبات وعند الحلم إن حلموا
فجدّه من قريشٍ في أزمّتها   محمّدٌ وعليٌّ بعده علم
بدرٌ له شاهدٌ والشعب من أحدٍ   والخندقان ويوم الفتح قد علموا
وخيبر وحنين يشهدان له   وفي قريضه يومٍ صيلمٍ قتم
مواطن قد علت في كلّ نائبةٍ   على الصحابة لم أكتم كما كتموا

(١) سورة الأعراف: ١٩٩.

الحسن عليه السلام، ثمّ أحد عشر مع أبيه الحسين عليه السلام. يقال: سمّه الوليد بن عبدالملك، ودفن بالبقيع عند عمّه الحسن عليه السلام [١].

أقول: وله عليه السلام في تاريخ الإسلام للذهبي ترجمة طويلة، قال: من جملتها كان يلبس كساء خزّ بخمسين ديناراً، يلبسه في الشتاء، فإذا كان في الصيف تصدّق بثمنه، ويلبس في الصيف ثوبين ممشّقين من ثياب مصر، ويقرأ ﴿قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيّبات من الرزق﴾ [٢].

وذكر قضية الفرزدق كما في الصواعق، وستّة أبيات من القصيدة، وهي طويلة مشهورة. وذكر أنّ الصحيح وفاته عليه السلام سنة ثنتين وتسعين، وأنّها في رابع عشر ربيع الأوّل ليلة الثلاثاء [٣].

وذكر الذهبي في ترجمة كميت الشاعر أنّه يروي الحديث عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، وعن الفرزدق، وعن والبة بن الحباب، وجعفر بن سليمان الغاضري، وأبان بن تغلب، وآخرين.

وقال أبوعكرمة الضبّي: لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان.

وعنه عن أبيه، قال: كان يقال ما جمع أحد من علم العرب ومناقبها ومعرفة أنسابها ما جمع الكميت.

إلى أن قال: وكان الكميت شيعياً، قيل: إنّه لمّا مدح علي بن الحسين عليهما السلام، قال: إنّي قد مدحتك بما أرجو أن يكون وسيلة عند رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة. ثمّ أنشده

---

(١) الصواعق المحرقة ص ٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٦: ٤٣٧.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٦: ٤٣٨ ـ ٤٣٩.

قصيدة له، فلمّا فرغ منهما قال: ثوابك نعجز عنه ولكن ما عجزنا عنه، فإنّ الله لن يعجز عن مكافأتك، وقسّط علىٰ نفسه وأهله أربعمائة ألف درهم، فقال له: خذ هذه ياأبا المستهلّ، فقال: لو وصلتني بدانق لكان شرفاً، ولكن إن أحببت أن تحسن إليّ فادفع إليّ بعض ثيابك التي تلي جسدك أتبرّك بها، فقام فنزع ثيابه فدفعها إليه كلّها، ثمّ قال: اللّهمّ إنّ الكميت جاد في آل رسولك وذرّية نبيك بنفسه حين ضنّ الناس، وأظهر ما كتمه غيره من الحقّ، فأمته شهيداً، وأحيه سعيداً، وأره الجزاء عاجلاً، وأجر له جزيل المثوبة عاجلاً، فإنّا قد عجزنا عن مكافأته .

قال الكميت: ما زلت أعرف بركة دعائه .

وأورد له الذهبي من قصيدته الطويلة المشهورة :

ولكن إلىٰ أهل الفضائل والنُهىٰ وخير بني حوّاء والخير يطلب
إلى النفر البيض الذين بحبّهم إلى الله فيما نابني أتقرّب
بني هاشمٍ رهط الرسول فإنّني بهم ولهم أرضىٰ مراراً وأغضب

منها :

فطائفة قد أكفرتني بحبّهم وطائفة قالت مسيءٌ ومذنب

قال: توفّي عليه السلام سنة ستّ وعشرين ومائة[1]. إنتهىٰ .

وفي عمدة الطالب في ترجمته عليه السلام: قال أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ في رسالة صنّفها في فضائل بني هاشم: وأمّا علي بن الحسين عليهما السلام، فلم أر الخارجي في أمره إلاّ كالشيعي، ولم أر الشيعي إلاّ كالمعتزلي، ولم أر المعتزلي إلاّ كالعامي، ولم أر العامي إلاّ كالخاصي، ولم أجد أحداً يماري في فضله أو يشكّ في

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٨: ٢١٠ ـ ٢١٣.

تقديمه[١]. إنتهىٰ.

وفي شرح ألفية العراقي في مصطلح أهل الأثر لشيخ الاسلام زكريا: قول عبدالرزّاق: إنّ أصحّ الأسانيد على الإطلاق، ابن شهاب الزهري، أو ابن سيرين عن زين العابدين علي بن الحسين، عن أبيه الحسين، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام.

رجعنا إلىٰ ترجمة الصواعق، قال: ومات عن أحد عشر ذكراً وأربع إناث[٢].

أقول: في عمدة الطالب: إنّ عقب الحسين عليه السلام منحصر فيه، وانّ المعقبين من أولاده ستّة: محمّدالباقر عليه السلام، وعبدالله الباهر، وزيد الشهيد، وعمر الأشرف، والحسين الأصغر، وعلي الأصغر. وذكر عقبهم في ستّة مقاصد[٣].

ومنهم: عبدالله الباهر الذي ذكر ترجمته الذهبي في تاريخ الإسلام بقوله: روىٰ عن جدّه الحسين عليه السلام مرسلاً، وعن جدّه لأُمّه الحسن عليه السلام، وعن أبيه. وعنه عمارة ابن غزية، وموسى بن عقبة، ويزيد بن أبي‌زياد، وغيرهم، ذكره ابن حبّان في الثقات[٤]. وأعلم عليه الذهبي علامة الترمذي والنسائي، فهو من رجال الكتابين.

ترجمة الإمام محمّدالباقر عليه السلام

قال في الصواعق: وأورثهم منه عبادة وعلماً وزهادة محمّد الباقر عليه السلام، سمّي

---

(١) عمدة الطالب ص ٢٣٧.

(٢) الصواعق المحرقة ص ٢٠١.

(٣) عمدة الطالب ص ٢٣٧.

(٤) تاريخ الإسلام ٧: ٤٠٢ برقم: ٤٥٩.

بذلك من بقر الأرض، أي: شقّها وأثار مخفياتها[(١)] ومكامنها، فلذلك هو أظهر من مخبآت كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحكم واللطائف ما لا يخفىٰ إلاّ علىٰ منطمس البصيرة، وفاسد الطوية والسريرة.

ومن ثمّ قيل فيه: هو باقر العلوم[(٢)]، وشاهرها، ورافعها بصفاء قلبه، وزكا علمه وعمله، وطهارة نفسه، وشرف خلقه، وعمّرت أوقاته بطاعة الله تعالىٰ، وله من الرسوخ في مقامات العارفين ما تكلّ عنه ألسنة الواصفين، وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة.

وكفاه شرفاً أنّ ابن المديني روىٰ عن جابر رضي الله عنه، أنّه قال له وهو صغير: رسول الله ﷺ يسلّم عليك، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: كنت جالساً عنده ﷺ والحسين عليه السلام في حجره وهو يلاعبه[(٣)]، فقال: يا جابر يولد له مولود إسمه علي إذا كان يوم القيامة نادىٰ مناد: ليقم سيد العابدين، فيقوم ولده، ثمّ يولد له ولد اسمه محمّد، فإن أدركته فاقرأه منّي السلام[(٤)].

أقول: وقال الذهبي في ترجمة جابر بن عبدالله الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: يا جابر تلحق بولد لي من ولد الحسين اسمه اسمي، يبقر العلم بقراً، أي: يفجره تفجيراً، فإذا رأيته فاقرأه منّي السلام، فأخّر الله عمري حتّىٰ رأيت

---

(١) في الصواعق: مخبآتها.

(٢) في الصواعق: باقر العلم وجامعه.

(٣) في الصواعق: يداعبه.

(٤) الصواعق المحرقة ص ٢٠١.

الباقر، فأقرأته السلام[(١)].

قال الذهبي: وروي أنّ محمّدالباقر عليه السلام سأل جابر بن عبدالله عن عائشة وما جرىٰ بينها وبين علي عليه السلام، فقال له جابر: فقلت لها: ما تقولين في علي بن أبي طالب؟ فأطرقت رأسها ثمّ رفعته، وقالت:

إذا ما التبر حُكّ علىٰ محكّ تبين غشّه من غير شكّ

وفينا الغشّ والذهب المصفّىٰ علي بيننا شبه المحكّ[(٢)]

وفي القاموس: والباقر محمّد بن علي بن الحسين لتبحّره في العلم[(٣)]. إنتهىٰ.

وفي ترجمة الذهبي له: سيد بني هاشم في زمانه، روىٰ عن جدّيه الحسن والحسين عليهما السلام، وأُمّ سلمة، وابن عبّاس، وابن عمر، وأبي سعيد الخدري، وجابر، وسمرة بن جندب، وعبدالله بن جعفر، وأبيه، وسعيد بن المسيب. وعنه: ابنه جعفر الصادق عليه السلام، وعمرو بن دينار، والأعمش، وربيعة الرأي، وابن جريج، والأوزاعي، ومرّة بن خالد، ومحمود[(٤)] بن راشد، وحرب بن شريح[(٥)]، والقاسم بن الفضل الحرّاني، وآخرون.

وذكر أنّه عدّه النسائي وغيره في فقهاء التابعين بالمدينة.

فقال: وكان أحد من جمع العلم، والفقه، والشرف، والديانة، والثقة، والسؤدد،

(١) الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي ص ٢١١.

(٢) الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي ص ٢١١.

(٣) القاموس المحيط ١: ٣٧٦.

(٤) في المصدر: ومخوّل.

(٥) في المصدر: سريج.

وكان يصلح للخلافة، وهو أحد الاثني عشر الذين تعتقد الرافضة(١) عصمتهم، ولا عصمة إلاّ لنبي؛ لأنّ النبي إذا أخطأ يقرّ على الزلّة، بل يعاتب بالوحي علىٰ هفوة إن ندر وقعها منه ويتوب إلى الله(٢). إنتهىٰ.

أقول: الصحيح في تفسير العصمة قول ابن حجر في شرح الهمزية في قول الأبوصيري: كلّ حزم وعزم ووقار وعصمة. أي: حفظ يستحيل شرعاً وقوع خلافه من سائر الذنوب صغيرها وكبيرها، عمدها وسهوها، قبل النبوّة وبعدها، في سائر حركاتها وسكناته، في باطنه وظاهره سرّه وعلنه، جدّه ومزحه، ورضاه وغضبه، والخلاف لا يعوّل عليه.

كيف؟ وقد أجمع الصحابة على اتّباعه والتأسّي به في كلّ ما يفعله من قليل

---

(١) وإنّما قيل للشيعة الرافضة: لأنّهم رفضوا الباطل وأهله، واتّبعوا الحقّ وأهله، وهو الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، المنصوب للإمامة والخلافة الإلٰهية الحقّة صريحاً ونصّاً في مواطن كثيرة عن قبل رسول الله صلى الله عليه وآله. فإن كان محبّة علي وأولاده عليهم السلام رفضاً، فهو فضيلة ليس وراءه فضيلة أكبر منها.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٧: ٤٦٢ ـ ٤٦٣ برقم: ٥٤٩.

أقول: كما أنّه تجب العصمة في النبي صلى الله عليه وآله، كذلك تجب العصمة في خلفائه المنصوبين من قبله صلى الله عليه وآله. فإنّ إمامة علي وأولاده المعصومين عليهم السلام إمتداد لإجراء أحكام النبوّة، وهو إبلاغ أحكام الله تعالىٰ. فكما لابدّ من العصمة في النبي صلى الله عليه وآله لئلاّ يبلّغ الأحكام عن خطأ وزلل، فكذلك من يقوم مقامه ممّن نصبه الرسول صلى الله عليه وآله علماً للأُمّة، لابدّ أنّ يكون معصوماً؛ لئلاّ يبيّن للناس الأحكام علىٰ حسب أهوائه، أو عن خطأ وزلل. فالنبي والإمام في مسألة التبليغ في مرتبة واحدة. فكلاهما لابدّ فيهما من العصمة، وإبطالها في أحدهما يستلزم الابطال في الآخر، لانتفاء فائدة التبليغ.

وكثير، وصغير وكبير، لم يكن في ذلك عندهم توقّف حتّىٰ أعماله في السرّ والخلوة. إلىٰ آخر كلامه.

وقال الإمام السبكي في جمع الجوامع وشارحه المحلّىٰ: والصواب أنّ اجتهاده ﷺ لا يخطىء تنزيهاً لمنصب النبوّة عن الخطأ في الاجتهاد. وقيل: قد يخطىء لكن ينبّه عليه سريعاً؛ لما مرّ في الآيتين، ولبشاعة هذا القول عبّر المصنّف بالصواب. إنتهىٰ.

وما ذكره الذهبي ممّا يشمت الرافضة بمذهب أهل السنّة؛ لأنّ مذهبهم في تفسير العصمة طبق ما قرّره ابن حجر، كما ذكر في الكتب الكلامية، وهم يشنعون علىٰ من يتساهل في عصمة الأنبياء عليهم السلام، فما كان ينبغي للذهبي أن يذكر ما ذكره من القول الضعيف حسبما قاله ابن حجر.

وقوله «كان يصلح للخلافة» كأنّه يريد الخلافة الراشدة التي ورد فيها حديث الخلافة ثلاثون سنة، وإلاّ فقد صلح للخلافة مثل عبدالملك وبنيه والسفاح والمنصور وأولاده؛ إذ لو لم يصلحوا لها لم يتّصفوا بها، فأيّ مزية لمثل محمّد الباقر عليه السلام في الصلاحية للخلافة[1].

---

(١) في هذا تعريض بأنّ خلافة هؤلاء الغاصبين لمنصب الإمامة، ليس فيها فائدة يعتدّ بها، فإنّه لابد من الصلاحية للخلافة الحقّة الإلٰهية، وإلاّ فأمثال هؤلاء الذين لعبوا بالملك وبالأحكام الإلٰهية، نصبوا نفوسهم للخلافة، والناس تبعوهم في أقاويلهم وأعمالهم، لأنّهم علىٰ دين ملوكهم، والخلافة الصالحة في الإمام محمّد الباقر عليه السلام هي الخلافة الحقّة الإلٰهية، وهي الخلافة التي إرادة الربّ في مقادير أُموره تهبط إليهم، ⇩

وقد قال ابن حجر في الصواعق وشرح الهمزية ما معناه: إنّ الخلافة لمّا صارت ملكاً كما في الحديث، نزّه عنها أهل البيت، فنزل عنها الحسن عليه السلام ولم ينلها الحسين عليه السلام، وعوّضوا عنها بالخلافة الباطنة وهي القطبية[1].

وقد نقلنا هذا فيما سلف من هذه الرسالة، فكان اللايق من الذهبي والمطابق لمقتضىٰ حديث «الخلافة بعدي ثلاثون ثمّ تصير ملكاً» وفي رواية «ملكاً عضوضاً» أن يصف محمّد الباقر عليه السلام بهذه الخلافة الباطنة؛ إذ لا أحد في عصره يكون أولىٰ بها منه؛ لأنّه وصفه بأنّه سيد بني هاشم، وهم الذين فيهم هذه الخلافة، وبأنّه جمع العلم والفقه الخ.

وله كرامات باهرة تدلّ على القطبية، كما لأبيه وابنه جعفر الصادق وابنه موسى الكاظم، وهكذا إلى الحسن العسكري عليهم السلام، كما رأيته وستراه في كلام ابن حجر الذي نقلناه وماسننقله، وذكر طرفاً من ذلك صاحب الفصول المهمّة وغيره.

من ذلك: قوله وهو في مجلس عام ذات يوم: يا قوم أنتم إذا جاءكم رجل يدخل عليكم مدينتكم هذه في أربعة آلاف يستعرضكم على السيف ثلاثة أيّام متوالية، فيقتل مقاتلتكم، وتلقون منه بلاءً لا تقدرون عليه ولا علىٰ دفعه، وذلك من قابل، فخذوا حذركم، واعلموا أنّ الذي قلت لكم هو كائن لابدّ منه، فلم يلتفت أهل المدينة إلىٰ كلامه، وقالوا: لا يكون هذا أبداً.

فلمّا كان من قابل ارتحل أبو جعفر الباقر عليه السلام من المدينة بعياله هو وجماعة من

ــه وتصدر من بيوتهم، وهم خزّان العلم ومعادنه، لا يصدر عنهم زلل وخطأ من ولادتهم إلىٰ حين وفاتهم.

(١) الصواعق المحرقة ص ١٤٥.

بني هاشم وخرجوا منها، فجاء نافع بن الأزرق، فدخلها في أربعة آلاف، واستباحها ثلاثة أيّام، وقتل فيها خلقاً كثيراً، وكان الأمر على ما قال(١).

ومن ذلك قوله في أخيه زيد بن علي: ليخرجنّ بالكوفة وليقتلنّ، فكان كما قال(٢)، وسنذكر ذلك في ترجمة زيد.

ومن ذلك في أبي جعفر المنصور: إنّه يلي أمر هذه الخلائق، فيطأ أعناق الرجال، ويملك شرقها وغربها، ويطول عمره فيها(٣). وقد ذكره ابن حجر في ترجمة الصادق عليه السلام، وغير ذلك ممّا نقله صاحب الفصول المهمّة(٤) وغيره، والله أعلم.

رجعنا إلى النقل من الصواعق، قال: توفّي سنة سبع عشرة ومائة، عن ثمان وخمسين سنة مسموماً كأبيه، وهو علوي من جهة أُمّه وأبيه، ودفن أيضاً في قبّة الحسن عليه السلام والعبّاس بالبقيع، وخلّف ستّة أولاد(٥).

أقول: في عمدة الطالب: وأُمّه أُمّ عبدالله فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو أوّل من اجتمعت له ولادة الحسن والحسين عليهما السلام، وفيه يقول الشاعر:

يا باقر العلم لأهل التقىٰ ... وخير من لبّىٰ على الأجبل

---

(١) الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي ص ٢٨١.

(٢) الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي ص ٢٨١.

(٣) الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي ص ٢٧١.

(٤) راجع الفصول المهمّة ص ٢١٦ ـ ٢٢٠.

(٥) الصواعق المحرقة ص ٢٠١.

وفيه:

إذا طلب الناس علم القرآن فكانت قريش عليه عيالا
وإن قيل هذا ابن بنت النبي نال بذاك فروعاً طوالا
نجوم تهلّل للمدلجين جبالاً تورّث علماً جبالا

وكان واسع العلم، وافر الحلم، وجلالة قدره أشهر من أن ينبّه عليها، ولد سنة تسع وخمسين بالمدينة في حياة جدّه الحسين عليه السلام، وتوفّي في ربيع الآخر سنة أربع عشرة ومائة في أيّام هشام بن عبدالملك، وأعقب من أبي عبدالله جعفر الصادق عليه السلام وحده[١]. إنتهىٰ.

وأولاده الستّة كما في الفصول المهمّة: جعفر الصادق عليه السلام وكان يكنّىٰ به، وعبدالله، وأُمّهما أمّ فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي‌بكر، وإبراهيم، وعبدالله درجا في حياته، وأُمّهما ثقفية، وعلي وزينب لأُمّ ولد. قال: وكان أخوه عبدالله يشار إليه بالفضل والصلاح، يقال: إنّ بعض بني أُمية سقاه السمّ فمات[٢]. إنتهىٰ.

فكلّ من ولّده محمّد الباقر عليه السلام من ولد الحسين عليه السلام، وهم جمهورهم فهو حسيني وحسني، وكذلك كلّ من ولّده عبدالله المحض والحسن المثلّث وإبراهيم الغمر من بني الحسن عليه السلام، وهم الجمهور أيضاً فهو حسني وحسيني؛ لأنّ أُمّهم فاطمة بنت الحسين، وسيذكر في ترجمته.

ترجمة الإمام جعفر الصادق عليه السلام

رجعنا إلىٰ نقل الصواعق، قال: أفضلهم وأكملهم جعفر الصادق عليه السلام، ومن ثمّة

---

(١) عمدة الطالب ص ٢٣٨

(٢) الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي ص ٢٢١.

كان خليفته ووصيه، ونقل عنه الناس من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان، وروىٰ عنه الأئمّة الأكابر، كيحيى بن سعيد، وابن جريج، ومالك، وسفيان[١]، وأبي حنيفة، وشعبة، وأيّوب السجستاني، وأُمّه أُمّ فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر، كما مرّ[٢].

قال في عمدة الطالب: وأُمّها أسماء بنت عبدالرحمٰن بن أبي بكر، ولهذا كان الصادق عليه السلام يقول: ولّدني أبوبكر مرّتين، ويقال له: عمود الشرف[٣]. إنتهىٰ.

قال: وسعي به عند المنصور لمّا حجّ، فلمّا حضر الساعي ليشهد، قال له: أتحلف؟ قال: نعم، فحلف بالله العظيم إلىٰ آخره، فقال: يا أميرالمؤمنين أحلفه بما أراه، فقال له: حلّفه، فقال له: قل برأت من حول الله وقوّته والتجأت إلىٰ حولي وقوّتي لقد فعل جعفر كذا وكذا وقال كذا وكذا، فامتنع الرجل، ثمّ حلف، فما أتمّ حتّىٰ مات مكانه، فقال المنصور لجعفر: لا بأس عليك أنت المبرىء الساحة المأمون الغائلة، ثمّ انصرف، فلحقه الربيع بجائزة حسنة وكسوة سنية. وللحكاية تتمّة.

وقد وقع نظير ذلك ليحيى بن عبدالله المحض بن الحسن المثنّىٰ.

أقول: ونقل ابن حجر الكيفية، وقال: وذكر المسعودي أنّ هذه القضية كانت مع أخي يحيىٰ هذا، وهو موسى الجون إلىٰ آخر ما ذكره[٤].

---

(١) في الصواعق: والسفيانين.

(٢) الصواعق المحرقة ص ٢٠١.

(٣) عمدة الطالب ص ٢٣٨.

(٤) الصواعق المحرقة ص ٢٠١ ـ ٢٠٢.

وسأذكر ذلك في ترجمة يحيى بن عبدالله المحض، وهو صاحب الديلم؛ لأنّ صاحب عمدة الطالب[١] نسب هذه الحكاية إليه، وهو أعرف بأخبار عشيرته من المسعودي.

ومن عرف جلالة قدر جعفر الصادق عليه السلام في العلم، ورجوع عشيرته من بني الحسين عليه السلام وبني الحسن عليه السلام إليه في ذلك، قطع بأنّ أصل الإفادة في هذه اليمين نشأت من جعفر الصادق عليه السلام، وأخذها عنه يحيى بن عبدالله المحض.

رجع النقل، قال: وقتل بعض الطغاة مولىً له، فلم يزل ليلته يصلّي، ثمّ دعا عليه عند السحر، فسمعت الأصوات بموته[٢].

أقول: مولاه هو المعلّى بن خنيس، وقاتله هو داود بن علي العبّاسي، ذكر ذلك صاحب الفصول المهمّة[٣]، وذكر الدعاء الذي دعا به وقت السحر، وكذلك ذكر الدعاء الذي دعا به عند دخوله على الرشيد[٤]، فأنجاه الله منه وأكرمه.

قال: قال الربيع: فما نزلت بي شدّة قطّ ودعوت به إلاّ فرّج عنّي، وذكر أنّه قال: إنّه دعاء جدّه الحسين عليه السلام، فارجع في الدعائين إلى الفصول المهمّة[٥] إن شئت.

رجع النقل، قال: ولمّا بلغه قول الحكم بن عبّاس الكلبي في عمّه زيد رضي الله عنه:

---

(١) عمدة الطالب ص ١٨٥ ـ ١٨٦.

(٢) الصواعق المحرقة ص ٢٠٢.

(٣) الفصول المهمّة ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٤) كذا، ولعلّ الصحيح: المنصور.

(٥) الفصول المهمّة ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يصلب

قال: اللّهمّ سلّط عليه من كلابك، فافترسه الأسد.

ومن مكاشفاته: أنّ ابن عمّه عبدالله المحض كان شيخ بني هاشم، وهو والد محمّد الملقّب بـ«النفس الزكية» ففي أواخر دولة بني أُمية وضعفهم، أراد بنو هاشم مبايعة محمّد وأخيه، فأرسل إلى جعفر الصادق عليه السلام ليبايعهما، فامتنع، فاتّهم بأنّه يحسدهما، فقال: والله ليست لي ولا لهما، إنّها لصاحب القباء الأصفر، ليلعبنّ بها صبيانهم وغلمانهم، وكان المنصور العبّاسي يومئذ حاضراً وعليه قباء أصفر، فما زالت كلمة جعفر عليه السلام تعمل فيه حتّى ملكوا.

وسبق جعفراً عليه السلام إلى ذلك والده الباقر عليه السلام، فإنّه أخبر المنصور يملك الأرض شرقها وغربها، وتطول مدّته، فقال له: وملكنا قبل ملككم؟ قال: نعم، قال: ويملك أحد من ولدي؟ قال: نعم، قال: فمدّة بني أُمية أطول أم مدّتنا؟ قال: مدّتكم وليلعبنّ بهذا الملك صبيانكم كما يلعب بالأكرة، هذا ما عهد إليّ أبي، فلمّا أفضت الخلافة إلى المنصور تعجّب من قول الباقر عليه السلام(١).

أقول: وإلى جعفر الصادق عليه السلام ينسب الجفر والجامعة المذكوران فيما كتبه ولد ولده علي الرضا عليه السلام على كتاب العهد الذي كتبه المأمون في قوله «والجفر والجامعة يدلاّن على ضدّ ذلك» وسأذكر هذا العهد نقلاً من الفصول المهمّة(٢) وغيره.

وذكر الجفر ونسبته إليه عليه السلام الدميري في حياة الحيوان، وابن قتيبة في كتاب

---

(١) الصواعق المحرقة ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

(٢) الفصول المهمّة ص ٢٥٩.

المعارف، وصاحب الفصول المهمّة[١].

وأذعن لصدق أخبار الجفر الصادر عن جعفر الصادق عليه السلام وبنيه اللاحقين بدرجته عن المغيبات، ولي الدين ابن خلدون في مقدّمة تاريخه العبر[٢]، والمقدّمة في مجلّد كبير مع إبطاله علم أحكام النجوم والزايرجة وشبه ذلك من العلوم، وسأذكر كلامه في ترجمة علي الرضا عليه السلام.

وذكروا في نسبة الجفر إليه سلام الله عليه وعلىٰ آبائه بيتي أبو العلاء المعرّي وهما:

لقد عجبوا لأهل البيت لمّا — أتاهم علمهم في جلد جفر

ومرآة المنجّم وهي صغرىٰ — أرته كلّ عامرةٍ وقفر

فلا يستنكر ما ذكر، وغيره من أخباره وأخبار بنيه من الأعلام عن علم الغيب بتعليم جدّهم عليه الصلاة والسلام عن وحي الله العلاّم.

وكذلك ينسب إليه ما ظهر من علم الكيميا في أهل الإسلام، وقد ذكر ابن خلّكان في وفيات الأعيان في ترجمته، عن تلميذه جابر بن حيّان شيخ هذا العلم على الاطلاق ما يحقّق نسبته إليه، فراجع كلامه إن شئت[٣].

وفي ديوان ابن أرفع رأس البليغ المشهور هذان البيتان من قصيدة:

حكـمة أورثـناها جـابرٌ — عن إمامٍ صادق القول وفيّ

---

(١) الفصول المهمّة ص ٢٢٣.

(٢) تاريخ ابن خلدون المسمّىٰ بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ١: ٣٥٥.

(٣) وفيات الأعيان لابن خلّكان ١: ٣٢٧.

عن إمامٍ طاب مـن مـدفنه فهو كالمسك تراب النـجف

وفي الديوان غير ذلك ممّا يدلّ علىٰ إسناد العلم إلىٰ جعفر الصادقعليه السلام .

وقال الذهبي: جعفر بن محمّد الصادق الإمام العلم، أبو عبدالله الهاشمي العلوي الحسيني المدني، وهو سبط القاسم بن محمّد، إلىٰ آخر ما ذكره في عمدة الطالب. يقال: مولده في سنة ثمانين، والظاهر أنّه رأىٰ سهل بن سعد، وغيره من الصحابة[١].

أقول: أي مثل أبي‌الطفيل عامر بن واثلة، فإنّه آخر من مات من الصحابة بلا خلاف سنة سنتين أو سبع أو عشر ومائة[٢]. فيكون عمر الصادقعليه السلام عند موته عشرين سنة، أو اثنتين وعشرين، أو سبعاً وعشرين.

ومحمّد بن الربيع، ذكروا أنّ موته بالمدينة سنة تسع وتسعين بتقدّم التاء، فيكون عمر الصادقعليه السلام عند موته تسع عشرة سنة.

ومحمّد بن لبيد الأشهلي، موته سنة خمس أو ستّ وتسعين بالمدينة أيضاً، فيكون عمر الصادقعليه السلام خمس عشرة أو ستّ عشرة.

وأنس بن مالك، موته سنة تسعين أو احدىٰ أو اثنتين أو ثلاث وتسعين، فيكون عمر الصادقعليه السلام عشراً أو احدىٰ عشرة، أو اثنتي‌عشرة، أو ثلاث عشرة، وهو أيضاً بالمدينة.

والهرماس بن زياد الباهلي، قالوا: مات سنة ثنتين ومائة باليمامة[٣]. فعمر

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٩: ٨٨.

(٢) تهذيب الكمال للمزّي ٥: ١٥٩ برقم: ٣٠٧٢.

(٣) تهذيب الكمال للمزّي ١٠: ٤٠٩ برقم: ٧١٩٣.

الصادق عليه السلام عند موته ثنتين وعشرين سنة .

فالقطع حاصل بعدّ الصادق عليه السلام في التابعين .

قال الذهبي: وروىٰ عن جدّه القاسم بن محمّد بن أبي‌بكر، ولم أر له عن جدّه زين العابدين شيئاً، وقد أدركه وهو مراهق، وروىٰ عن أبيه الباقر، وعروة بن الزبير، وعطاء، ونافع، والزهري، وابن المنكدر. حدّث عنه أبوحنيفة، وابن جريج، وشعبة، والسفيانان، وسليمان بن بلال، والدراوردي، وابن أبي‌حازم، وابن إسحاق، ومالك، ووهيب، وحاتم، ويحيى القطّان، وخلق كثير، آخرهم وفاةً أبوعاصم النبيل .

ومن جملة من روىٰ عنه ولده موسى الكاظم عليه السلام ، وقد حدّث عنه من التابعين يحيى بن سعيد الأنصاري، وثّقه يحيى بن معين، والشافعي، وجماعة، وروىٰ عبّاس الدوري عن ابن معين، قال: جعفر بن محمّد ثقة مأمون، وعن أبي‌حنيفة قال: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمّد .

وقال هياج بن بسطام: كان جعفر بن محمّد يطعم حتّىٰ لا يبقي لعياله شيء .

إلىٰ أن قال: عن صالح بن الأسود أنّه سمع جعفر بن محمّد يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنّه لا يحدّثكم بعدي بمثل حديثي أحد .

إلىٰ أن قال: عن الحسن بن زياد الفقيه، سمعت أباحنيفة وسئل من أفقه من رأيت؟ فقال: ما رأيت أحداً أفقه من جعفر، لمّا أقدمه المنصور بعث إليّ، فقال: يا أباحنيفة إنّ الناس قد فتنوا بجعفر بن محمّد، فهيّئ له مسائلك الصعاب، فهيّأت له أربعين مسألة، ثمّ بعث إليّ المنصور فأتيته، فدخلت وجعفر جالس عن يمينه، فلمّا بصرت بهما دخلني لجعفر من الهيبة ما لم يدخلني للمنصور .

ثمّ التفت إلىٰ جعفر، فقال: يا أبا عبدالله أتعرف هذا؟ قال: نعم، هذا أبوحنيفة، ثمّ

أتبعها: قد أتانا، ثمّ قال: يا أباحنيفة هات من مسائلك فاسأل أبا عبدالله، فابتدأت أسأله، فكان يقول في المسألة: أنتم تقولون فيها كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون كذا وكذا، ونحن ـ يريد أهل البيت ـ نقول كذا وكذا، فربنا تابعنا، وربما تابع أهل المدينة، وربما خالفنا معاً، حتّىٰ أتيت علىٰ أربعين مسألة، ما أخرم منها مسألة.

إلىٰ أن قال: مصعب عن الدراوردي: لم يرو مالك عن جعفر حتّىٰ أظهر أمر بني العبّاس، ثمّ قال مصعب: كان مالك لا يروي عن جعفر بن محمّد حتّىٰ يضمّه إلىٰ آخر من أُولئك الرقعاء.

إلىٰ أن قال: عن زهير بن محمّد، قال: قال أبي لجعفر بن محمّد: إنّ لي جاراً يزعم أنّك تبرأ من أبيبكر وعمر، فقال جعفر: برىء الله من جارك، والله إنّي لأرجوا أن ينفعني[1] الله بقرابتي من أبيبكر، ولقد اشتكيت شكاية فأوصيت إلىٰ خالي عبدالرحمٰن بن القاسم، وأورد روايات في هذا المعنىٰ.

وأورد عنه أنّه سئل جعفر: لم حرّم الله الربا؟ فقال: لئلاّ يتمانع الناس المعروف.

وأنّه سأله سفيان الثوري، فقال: يابن رسول الله لم جعل الموقف من وراء الحرم ولم يصر في المشعر الحرام؟ فقال: الكعبة بيت الله، والحرم حجابه، والموقف بابه، فلمّا قصدوه أوقفهم بالباب يتضرّعون، فلمّا أذن لهم بالدخول أدناهم من الباب الثاني وهو المزدلفة، فلمّا نظر إلىٰ كثرة تضرّعهم وطول اجتهادهم رحمهم، فلمّا رحمهم أمرهم بتقريب قربانهم، فلمّا قرّبوا قربانهم، وقضوا تفثهم، وتطهّروا من الذنوب، أمرهم بالزيارة لبيته.

---

(١) أي: منفعة دنيوية، ويدلّ عليه قوله عليه السلام «ولقد اشتكيت» فاستفاد من القرابة دفع الشكاية عنه.

فقال له سفيان: فلم كره الصوم أيّام التشريق، قال: لأنّهم في ضيافة الله ولا يحبّ للضيف أن يصوم.

قال سفيان: جعلت فداك فما بال الناس يتعلّقون بأستار الكعبة وهي خرقٌ لا تنفع شيئاً؟ فقال: ذلك مثل رجل بينه وبين آخر جرم، فهو يتعلّق به ويطوف حوله رجاء أن يهب له جرمه[1].

رجعنا إلى النقل من الصواعق، قال: وأخرج أبو القاسم الطبري من طريق ابن وهب، قال: سمعت الليث بن سعد يقول: حججت سنة ثلاث عشرة ومائة، فلمّا صلّيت العصر رقيت أباقبيس، فإذا رجل جالس يدعو، فقال: يا ربّ يا ربّ حتّى انقطع نفسه، ثمّ قال: إلهي إنّي اشتهيت العنب فأطعمنيه، اللّهمّ وإنّ برداي قد خلق فاكسني.

قال الليث: فوالله ما استتمّ كلامه حتّىٰ نظرت إلىٰ سلّة مملوءة عنباً، وليس علىٰ وجه الأرض يومئذ عنب، وإذا ببردين موضوعين لم أر في الدنيا مثلهما، فأراد أن يأكل، فقلت: أنا شريكك، فقال: ولم؟ فقلت: لأنّك دعوت وكنت أُؤمّن، فقال: تقدّم وكل، فتقدّمت وأكلت عنباً لم آكل مثله قطّ ما كان له عجم، فأكلنا حتّىٰ شبعنا ولم تتغيّر السلّة، فقال: لا تدّخروا ولا تخبأ منه شيئاً، ثمّ أخذ أحد البردين ودفع إليّ الآخر، فقلت: أنا في غنىً عنه، فائتزر بأحدهما وارتدي بالآخر، ثمّ أخذ برديه الخلقين فنزل وهما بيده، فلقيه رجل بالمسعىٰ، فقال: أكسني يابن رسول الله فإنّني عريان، فدفعهما إليه، فقلت له: من هذا؟ فقال: جعفر الصادق، فطلبته بعد ذلك لأسمع منه شيئاً فلم أقدر عليه.

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٩: ٨٨ ـ ٩٢.

توفّي سنة أربع وثمانين ومائة مسموماً أيضاً على ما حكي، وعمره ثمان وستّون سنة، ودفن بالقبّة السابقة عند أهله عليهم السلام عن ستّة ذكور وبنت[١].

أقول: وكأنّ في النسخة تحريفاً، فإنّ ولادته سنة ثمانين، ووفاته سنة ثمان وأربعين، كما في تاريخ الذهبي[٢] وغيره.

وأمّا أولاده، فالمعقبون منهم خمسة: موسى الكاظم عليه السلام، وإسماعيل، وعلي العريضي، ومحمّد المأمون، وإسحاق.

قال في عمدة الطالب: وليس له ولد اسمه ناصر معقب بإجماع علماء النسب[٣].

فالسادس من أولاده عبدالله لم يعقب، وهو الأفطح الذي اعتقدت فيه الإمامة الفطحية، وهي فرقة انقرضت.

ترجمة الإمام موسى الكاظم عليه السلام

قال في الصواعق: منهم موسى الكاظم عليه السلام، وهو وارثه علماً ومعرفة وكمالاً وفضلاً، سمّي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم.

وسأله الرشيد كيف قلتم إنّا ذرّية رسول الله صلى الله عليه وآله وأنتم أبناء علي؟ فتلا قوله تعالىٰ ﴿ومن ذرّيته داود﴾ إلىٰ أن قال: ﴿وعيسىٰ﴾[٤] ثمّ قال: وليس له أب.

---

(١) الصواعق المحرقة ص ٢٠٣.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٩: ٩٣.

(٣) عمدة الطالب ص ٢٣٩.

(٤) سورة الأنعام: ٨٤.

وأيضاً قال تعالىٰ ﴿فمن حاجّك فيه﴾ إلىٰ قوله ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾[١] ولم يدع النبي ﷺ عند مباهلته النصارىٰ غير علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ، فهما الأبناء.

ومن بديع كراماته: ما حكاه ابن الجوزي والرامهرمزي وغيرهما عن شقيق البلخي، أنّه خرج حاجّاً سنة تسع وأربعين ومائة، فرآه بالقادسية منفرداً عن الناس، فقال في نفسه: هذا فتىً من الصوفية يريد أن يكون كلاًّ على الناس لأمضينّ إليه ولأوبّخنّه، فمضىٰ إليه، فقال: يا شقيق ﴿اجتنبوا كثيراً من الظنّ﴾[٢] الآية، فأراد أن يصافحه[٣] فغاب، فما رآه إلاّ بواقصة يصلّي وأعضاؤه تضطرب، ودموعه تتحادر، فجاء إليه ليعتذر، فخفّف في صلاته، وقال له: ﴿وإنّي لغفّار لمن تاب وآمن﴾[٤] الآية.

فلمّا نزلوا زبالة علىٰ بئر، وقد سقطت ركوته فيها، فدعا فطفّ له الماء[٥] حتّىٰ أخذها، فتوضّأ وصلّىٰ أربع ركعات، ثمّ مال إلىٰ كثيب رملٍ فطرح فيها وشرب، فقال له: أطعمني من فضل ما رزقك الله، فقال: يا شقيق لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة، فأحسن ظنّك بربّك، فناولنيها فشربت منها، فإذا سويق وسكّر ما شربت والله ألذّ منه ولا أطيب ريحاً، فشبعت ورويت، وأقمت أيّاماً لا أشتهي شراباً ولا

---

(١) سورة: آل عمران: ٦١.

(٢) سورة الحجرات: ١٢.

(٣) في الصواعق: أن يحالله.

(٤) سورة طه: ٨٢.

(٥) في الصواعق: فطغى الماء له.

طعاماً، ثمّ لم أره إلاّ بمكّة، وهو بغلمان وحاشية وأُمور علىٰ خلاف ما كان عليه بالطريق[١].

قال صاحب الفصول المهمّة: هذه الحكاية رواها جماعة من أهل التأليف والمحدّثين، رواها ابن الجوزي في كتابه مثير الغرام[٢] الساكن إلىٰ أشرف الأماكن، ورواها الحافظ عبدالعزيز الجنابذي في كتابه معالم العترة النبوية، ورواها الرامهرمزي قاضي القضاة في كتابه كرامات الأولياء[٣]. إنتهىٰ كلامه.

وقال الذهبي: هو الإمام أبوالحسن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب العلوي الحسيني، والد علي بن موسى الرضا، وببغداد مشهد موسىٰ والجواد. روىٰ عن أبيه، وعن عبدالملك بن قدامة الجمحي. روىٰ عنه بنوه: علي، وإبراهيم، وإسماعيل، وحسين، وأخواه محمّد وعلي إبنا جعفر. مولده في سنة ثمان وعشرين ومائة. قال أبوحاتم: ثقة إمام.

وقال غيره: حجّ الرشيد، فحمل موسىٰ معه من المدينة إلىٰ بغداد، وحبسه إلىٰ أن توفّي غير مضيّق عليه، وكان صالحاً عالماً عابداً متألّهاً.

بلغنا أنّه بعث إلى الرشيد برسالة، يقول: إنّه لن ينقضي عنّي يوم من البلاء إلاّ انقضىٰ عنك يوم من الرخاء، حتّىٰ نقضي جميعاً إلىٰ يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون.

قال عبدالرحمٰن بن صالح الأزدي: زار الرشيد قبر النبي صلى الله عليه وآله، فقال: السلام

(١) الصواعق المحرقة ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٢) في الفصول: مسير العزم.

(٣) الفصول المهمّة ص ٢٣٤.

عليك يا رسول الله، يابن عمّ، يفتخر بذلك. فتقدّم موسى بن جعفر، فقال: السلام عليك يا أبه. فتغيّر وجه الرشيد، وقال: هذا الفخر حقّاً يا أباالحسن.

إلىٰ أن قال: كان موسىٰ يدعىٰ العبد الصالح من عبادته واجتهاده، وكان سخياً، كان يبلغه عن الرجل أنّه يؤذيه، فيبعث إليه بصرّة فيها ألف دينار، وكان يصرّر الصرر مائتي دينار وأكثر ويرسل بها، فمن جاءته صرّة استغني[١].

أقول: لعلّ الرشيد ما حبسه إلاّ لقوله تلك «السلام عليك يا أبه» فإنّ الخلفاء لا يحتملون مثل هذا.

وروى الفضل بن الربيع عن أبيه، أنّ المهدي حبس موسى بن جعفر، فرأىٰ في المنام علياًعليه السلام وهو يقول: ﴿فهل عسيتم أن تولّيتم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم﴾[ج] قال: فأرسل إليّ ليلاً، فراعني ذلك، فقال: عليّ بموسىٰ، فجئت به، فعانقه وقصّ عليه الرؤيا، وقال: تؤمنّني أن تخرج عليّ أو علىٰ ولدي، فقال: والله لا فعلت ذلك، ولا هو من شأني، قال: صدقت وأعطاه ثلاثة آلاف دينار، وجهّزه إلى المدينة[٢].

رجع النقل من الصواعق، قال: ولمّا حجّ الرشيد وشُعي به إليه، وقيل له: إنّ الأموال تحمل إليه من كلّ جانب حتّى اشترىٰ ضيعة بثلاثين ألف دينار، فقبض عليه وأنفذه إلى الأمير بالبصرة عيسى بن جعفر بن المنصور، فحبسه سنة، ثمّ كتب له الرشيد في دمه، فاستعفىٰ وأخبر أنّه لم يدع على الرشيد قطّ، وأنّه إن لم يرسل

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ١٢: ٤١٧ ـ ٤١٨.

(ج) سورة محمّدﷺ: ٢٢.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ١٢: ٤١٨.

من يتسلّمه وإلاّ خلّي سبيله، فبلغ الرشيد كتابه، فكتب إلى السندي بن شاهك بتسليمه وأمره فيه، فجعل له سمّاً في طعامه وقيل في رطب فتوعّك، فمات بعد ثلاثة أيّام، وعمره خمس وستّون سنة .

وذكر المسعودي أنّ الرشيد رأىٰ علياً عليه السلام في النوم معه حربه، وهو يقول: إن تخلّ عن الكاظم، وإلاّ نحرتك بهذه، فاستيقظ فزعاً وأرسل في الحال إليه وإلىٰ شرطته بإطلاقه وإعطائه ثلاثين ألف درهم، وأنّه يخيّره بين المقام فيكرمه، أو الذهاب إلى المدينة، ولمّا ذهب إليه قال له الرسول: رأيت منك عجباً، فأخبره أنّه رأى النبي صلى الله عليه وآله وعلّمه كلمات قالها، فما فرغ منها إلاّ وأُطلق .

قيل: وكان موسى الهادي حبسه أوّلاً ثمّ أطلقه؛ لأنّه رأىٰ علياً عليه السلام يقول، إلىٰ آخر القضية التي ذكرها الذهبي إلىٰ حبس المهدي إيّاه مع بعض تغيير [(١)] .

والذي يتعلّق بالهادي من حال الكاظم عليه السلام، ما في الفصول المهمّة، نقلاً من كتاب نثر الدرر، من أنّه قيل له: إنّ الهادي قد همّ بك، فقال لأهل بيته ومن يليه: ما تشيرون به عليّ من الرأي؟ قالوا: نرىٰ أن تتباعد عنه وأن تغيب شخصك عنه، فإنّه لا يؤمن من شرّه، فتبسّم، ثمّ قال :

زعمت سخينة أن ستغلب ربّها ... وليغلبنّ مغالب الغلاّب

ثمّ إنّه رفع يديه إلى السماء، فقال: إلٰهي كم من عدوّ شحذ لي ظبية مديته. وذكر الدعاء وهو طويل من أراده أخذه من مكانه .

قال: ثمّ إنّ أهل بيته انصرفوا عنه، فما كان بعد مدّة يسيرة حتّىٰ اجتمعوا لقراءة

---

(١) الصواعق المحرقة ص ٢٠٤ .

الكتاب الوارد بموت الهادي[١].

وفي عمدة الطالب نسب الحبس ورؤية علي عليه السلام في المنام تالياً للآية إلى موسى الهادي، كما في الصواعق، قال: ثمّ تنكّر له من بعد ذلك، فهلك قبل أن يوصل إلى الكاظم أذىً[٢]. إنتهىٰ.

وقال ابن خلّكان نقلاً من تاريخ الخطيب[٣]: وكان يسكن المدينة، فأقدمه المهدي بغداد وحبسه، فرأىٰ في النوم علي بن أبي طالب عليه السلام، وذكر الآية، ونقل الحكاية نحو ما حكى الذهبي[٤].

رجع النقل من الصواعق، ولمّا قال الرشيد له حين رآه جالساً عند الكعبة: أنت الذي تبايعك الناس سرّاً؟ قال: أنا إمام القلوب، وأنت إمام الجسوم، ولمّا اجتمعا أمام الوجه الشريف علىٰ صاحبه أفضل الصلاة والسلام، قال الرشيد: السلام عليك يابن عمّ مسمعاً من حوله، فقال الكاظم عليه السلام: السلام عليك يا أبه، فلم يحتملها وكانت سبباً لإمساكه وحمله إيّاه معه إلىٰ بغداد وحبسه، فلم يخرج من حبسه إلاّ ميتاً مقيّداً، ودفن جانب غربي بغداد.

وظاهر هذه الحكايات التنافي، إلاّ أن يحمل علىٰ تعدّد الحبس[٥].

وما ذكره عن المسعودي، ذكره ابن خلّكان وصورته: وقال المسعودي في

---

(١) عمدة الطالب ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

(٢) عمدة الطالب ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣: ٢٧.

(٤) وفيات الأعيان ٥: ٣٠٨.

(٥) الصواعق المحرقة ص ٢٠٤.

مروج الذهب في أخبار هارون الرشيد: إنّ عبدالله بن مالك الخزاعي كان علىٰ دار هارون الرشيد وشرطته، فقال: أتاني رسول الرشيد في وقت ما جاءني فيه قطّ، فانتزعني من موضعي، ومنعني من تغيير ثيابي، فارتعت[1].

إلىٰ أن قال: فوجدته قاعداً علىٰ فراشه، فسلّمت عليه، فسكت ساعة، فطار عقلي وتضاعف الجزع عليّ، ثمّ قال: يا عبدالله أتدري لم طلبتك في هذا الوقت؟ إنّي رأيت الساعة في منامي كأنّ حبشياً قد أتاني ومعه حربة، فقال: إن خلّيت عن موسى بن جعفر الساعة، وإلاّ نحرتك بهذه الحربة، فاذهب وخلّ عنه، قال: فقلت: يا أميرالمؤمنين أطلق موسى بن جعفر ثلاثاً؟ قال: نعم، وأعطه ثلاثين ألف درهم، وقل له: إن أحببت المقام عندنا ولك ما تحبّ، وإن أردت المضي إلى المدينة فالاذن لك في ذلك.

وذكر ابن خلّكان إطلاقه وإعطاء الثلاثين ألفاً له، وقال له عبدالله: لقد رأيت من أمرك عجباً، فقال الكاظم: وإنّي مخبرك، بينما أنا نائم إذ أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا موسىٰ حبست مظلوماً، فقل هذه الكلمات، فإنّك لا تبيت هذه الليلة في الحبس، قلت: بأبي أنت وأُمّي ما أقول؟ قال: قل «يا سامع كلّ صوت، يا سابق الفوت، ويا كاسي العظام لحماً، ومنشرها بعد الموت، أسألك بأسمائك الحسنىٰ، وباسمك العظيم[2] الأكبر المخزون المكنون، الذي لم يطّلع عليه أحد من المخلوقين، يا حليماً ذا أناة لا يقوىٰ علىٰ أناته، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ولا يحصي عدداً، فرّج عنّي» فكان ما ترىٰ.

---

(١) في الوفيات: فراعني ذلك.

(٢) في الوفيات: الأعظم.

ثمّ قال ابن خلّكان: وله ـ يعني موسى الكاظم عليه السلام ـ أخبار ونوادر كثيرة، وكانت ولادته سنة تسع وعشرين ومائة، وتوفّي خامس وعشرين رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة[1]. إنتهىٰ.

أقول: إنّ مقتضى النقلين أنّ الرشيد حبسه مرّتين، أطلقه في الأُولىٰ، لما ذكر في الرواية من الرؤيا، وفي الثانية سمّه في حبس السندي بن شاهك، كما ذكر في الصواعق.

وذكر ابن خلّكان أنّ السندي بن شاهك هذا جدّ كشاجم الشاعر المشهور[2].

ومقتضىٰ عبارة الصواعق[3] أنّ الرشيد أمر السندي بن شاهك بسمّه.

وقال صاحب عمدة الطالب: ولمّا ولي هارون الرشيد الخلافة أكرمه وأعظمه، ثمّ قبض عليه، وحبسه عند الفضل بن يحيىٰ، ثمّ أخرجه من عنده فسلّمه إلى السندي بن شاهك، ومضى الرشيد إلى الشام، فأمر يحيى بن خالد السندي بن شاهك بقتله، فقيل: إنّه سمّه. وقيل: بل غمّ في بساط ولفّ حتّىٰ مات، ثمّ أُخرج إلى الناس وعمل محضراً أنّه مات حتف أنفه، وترك ثلاثة أيّام على الطريق يأتي من يأتي فينظر إليه، ثمّ يكتب في المحضر، ودفن بمقابر قريش[4].

أقول: ومع ذلك ادّعت الواقفة، وهي فرقة من الشيعة القائلين بإمامته، أنّه لم يمت، وأنّه حيّ باقٍ إلىٰ أن يكون هو المهدي، ولهم في ذلك حجج وكلامات،

---

(١) وفيات الأعيان ٥: ٣٠٩ ـ ٣١٠.

(٢) وفيات الأعيان ٥: ٣١٠.

(٣) الصواعق المحرقة ص ٢٠٤.

(٤) عمدة الطالب ص ٢٤٠.

ينقلها عنهم الإمامية الإثناعشرية، وهم الذين قطعوا بموت موسى الكاظم عليه السلام، وكذلك يسمّون بالقطعية، كما ذكره صاحب البحر الزخّار [١] وغيره، وقالوا بإمامة علي الرضا بن موسى الكاظم عليه السلام؛ كما عرفت، وهم يبطلون حجج الواقفة بالقطع بموت موسى الكاظم عليه السلام، إذ لا ريب في ذلك، قالوا بخلاف محمّد بن الحسن العسكري عليه السلام الثاني عشر عندهم، فإنّ من أثبت ولادته من المؤرّخين، كابن خلّكان وابن الأزرق، وقد تقدّم ذكر ذلك، لم يذكروا له وفاة ولا أرّخوها.

وفي الصواعق قيل: تستّر بالمدينة، فلم يعرف له خبر [٢]. والله أعلم.

والواقفة من الفرق التي انقرضت، وهي داخلة في قول شارح المواقف في آخره في ذكر فرق الشيعة: ولهم في كلّ من المراتب التي بعد جعفر اختلافات أوردها الإمام في آخر المحصّل.

ثمّ قال: وكانت الإمامية أوّلاً على مذهب أئمّتهم حتى تمادى بهم الزمان، فاختلفوا إلى آخر ذلك الكلام، فراجعه في شرح المواقف.

وقد ذكر الواقفة صاحب الفصول المهمّة، بقوله: وقد كان قوم زعموا في أيّام موسى الكاظم عليه السلام أنّه هو القائم المنتظر، وأنّ حبسه [٣] هو الغيبة المذكورة للقائم، فأمر يحيى بن خالد أن يوضع على الجسر ببغداد، وأن ينادى هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنّه لا يموت، إلى آخر كلامه [٤].

---

(١) البحر الزخّار ١: ٣٥.

(٢) الصواعق المحرقة ص ٢٠٨.

(٣) في الفصول: وجعلوا حبسه.

(٤) الفصول المهمّة ص ٢٤٠.

وقال صاحب عمدة الطالب في ذكر إسماعيل بن جعفر الصادق: فأعقب إسماعيل من محمّد وعلي ابني إسماعيل، أمّا محمّد بن إسماعيل، فقال شيخ الشرف العبيدلي: هو إمام الميمونية يعني الإسماعيلية، وقبره ببغداد. وقال ابن خداع: كان موسى الكاظم عليه السلام يخاف ابن أخيه محمّد بن إسماعيل ويبرّه، وهو لا يترك السعي به إلى السلطان من بني العبّاس.

وقال أبونصر البخاري: كان محمّد بن إسماعيل مع عمّه الكاظم عليه السلام يكتب له السرّ إلىٰ شيعته في الآفاق، فلمّا ورد الرشيد الحجاز سعى بعمّه إلى الرشيد، فقال: أعلمت أنّ في الأرض خليفتين يجبىٰ إليهما الخراج؟ فقال الرشيد: ويلك أنا ومن؟ قال: موسى بن جعفر، وأظهر له أسراره، فقبض الرشيد علىٰ موسى الكاظم عليه السلام وحبسه، وكان سبب هلاكه، وحظي محمّد بن إسماعيل عند الرشيد وخرج معه إلى العراق، ومات ببغداد، ودعا عليه موسى الكاظم عليه السلام بدعاء استجاب الله فيه وفي أولاده.

ولمّا ليم موسى الكاظم عليه السلام في صلته محمّد بن إسماعيل مع سعيه به، قال: إنّ أبي حدّثني، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وآله: الرحم إذا قطعت فوصلت، ثمّ قطعت فوصلت، ثمّ قطعت فوصلت، ثمّ قطعت قطعها الله، وإنّما أردت أن يقطع الله رحمه من رحمي[(١)]. إنتهىٰ.

وقول ابن حجر: ولمّا حجّ الرشيد وسعي به إليه، وقيل له: إنّ الأموال تحمل إليه الخ[(٢)]. ولنقله بسطٌ، ذكره صاحب الفصول المهمّة فيه كرامات ومآثر لسيدنا

---

(١) عمدة الطالب ص ٢٨٨.

(٢) الصواعق المحرقة ص ٢٠٤.

موسى الكاظم عليه السلام، وأوّله وروىٰ أحمد بن عبدالله بن عمّار، عن محمّد بن علي النوفلي إلىٰ آخره[١]. فراجعه ثمّة إن شئت.

ومن هذه المنقولات يعلم قصور اطّلاع الذهبي عمّا اطّلع عليه ابن حجر، فذكره في الصواعق، وكذا غيره من علماء أهل السنّة ومؤرّخيهم، فلذلك قال الذهبي: وحبسه إلىٰ أن توفّي غير مضيّق عليه، وقال: يدلّ علىٰ كثرة إعطاء الخلفاء العبّاسيين له، وقال: ولعلّ الرشيد ما حبسه إلاّ لقوله تلك[٢]. فهذه الكلمات من الذهبي لا تلائم المنقولات التي ذكرناها، فتأمّل.

رجع النقل من الصواعق، قال: وكانت أولاده حين وفاته سبعة وثلاثين ذكراً وأُنثىٰ[٣].

أقول: المعقبون منهم بغير خلاف عشرة: علي عليه السلام، وإبراهيم الأصغر، والعبّاس، وإسماعيل، ومحمّد، وإسحاق، وحمزة، وعبدالله، وعبيدالله، وجعفر. وخمسة في أعقابهم خلاف، وهم: الحسين، وإبراهيم الأكبر، وهارون، وزيد، والحسن.

كذا في عمدة الطالب، وقال الشيخ تاج الدين: أعقب موسى الكاظم عليه السلام من ثلاثة عشر رجلاً، منهم أربعة مكثرون، وهم: علي الرضا عليه السلام، وإبراهيم المرتضىٰ، ومحمّد العابد، وجعفر. وأربعة متوسّطون، وهم: زيد النار، وعبدالله، وعبيدالله، وحمزة. وخمسة مقلّون، وهم: العبّاس، وهارون، وإسحاق، والحسين، والحسن. وقد كان للحسين بن الكاظم عقب في قول الشيخ العمري، ثمّ انقرض. إلىٰ آخر ما

---

(١) الفصول المهمّة ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩.
(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ١٢: ٤١٧ ـ ٤١٨.
(٣) الصواعق المحرقة ص ٢٠٤.

ذكره صاحب عمدة الطالب[(١)]. فراجعه إن شئت .

ترجمة الإمام علي الرضا عليه السلام

رجع النقل، قال: منهم: علي الرضا عليه السلام، وهو أنبههم ذكراً، وأجلّهم قدراً، ومن ثمّ أحلّه المأمون محلّ مهجته، وأشركه في مملكته، وفوّض إليه أمر خلافته، فإنّه كتب بيده سنة إحدىٰ ومائتين بأنّ علي الرضا ولي عهدي، وأشهد عليه جمعاً كثيرين، لكنّه توفّي قبله، فأسف عليه كثيراً، وأخبر قبل موته بأنّه يأكل عنباً ورمّاناً مفتوتاً[(٢)] ويموت، وأنّ المأمون يريد دفنه خلف الرشيد فلا يستطيع، فكان ذلك كلّه كما أخبر به .

ومن مواليه: معروف الكرخي، اُستاد السري السقطي؛ لأنّه أسلم علىٰ يديه[(٣)].

أقول: قال القاضي ابن خلّكان في وفيات الأعيان: أبومحفوظ معروف بن فيروز الكرخي الصالح، وهو من موالي علي بن موسى الرضا، وكان أبواه نصرانيين. إلىٰ أن قال: ثمّ إنّه أسلم علىٰ يد علي بن موسى الرضا، وذكر إسلام أبويه علىٰ يديه، وقال: وكان معروفاً بإجابة الدعوة، وأهل بغداد يستسقون بقبره ويقولون: قبر معروف ترياق مجرّب، وكان سري السقطي تلميذه[(٤)].

وقال ابن خلّكان في ترجمة سري السقطي: أحد رجال الطريقة، وأرباب الحقيقة، كان أوحد زمانه في الورع وعلوم التوحيد، وهو خال أبي القاسم الجنيد

---

(١) عمدة الطالب ص ٢٤٠ ـ ٢٤١ .

(٢) في الصواعق: مبثوثاً .

(٣) الصواعق المحرقة ص ٢٠٤ .

(٤) وفيات الأعيان لابن خلّكان ٥: ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

وأُستاذه، وكان تلميذ معروف الكرخي[١]. إنتهىٰ.

فأبوالقاسم الجنيد شيخ مشايخ الطريقة، والمعتقد المسدّد عند فقهاء الشريعة، وراجع كلام السبكي في أواخر جمع الجوامع فيه تعلم ذلك تنتهي طريقته وعلومه إلى الإمام علي الرضاؑ: لأنّه تلميذ سري تلميذ معروف تلميذ علي الرضاؑ ومولاه.

رجع النقل، وقال لرجل: يا عبدالله إرض بما يريد، واستعدّ لما لابدّ منه، فمات الرجل بعد ثلاثة أيّام.

وروى الحاكم عن محمّد بن عيسىٰ، عن ابن حبيب[٢]، قال: رأيت النبيﷺ في المنام في المنزل الذي ينزله الحجّاج ببلدنا، فسلّمت عليه، فوجدت عنده طبقاً من خوص المدينة فيه تمر صيحاني، فناولني منه ثماني عشرة تمرة، فتأوّلت أنّي أعيش عدّتها، فلمّا كان بعد عشرين يوماً قدم أبوالحسن علي الرضا من المدينة ودخل[٣] ذلك المسجد، وهرع الناس بالسلام عليه، فمضيت نحوه، فإذا هو جالس في الموضع الذي رأيت فيه رسول اللهﷺ جالساً فيه وبين يديه طبقاً من خوص المدينة فيه تمر صيحاني، فسلّمت عليه، فاستدناني وناولني قبضة من ذلك التمر، فإذا عدّتها بعدد ما ناولني النبيﷺ في النوم، فقلت: زدني، فقال: لو زادك رسول اللهﷺ لزدناك[٤].

---

(١) وفيات الأعيان ٢: ٣٥٧.

(٢) في الصواعق: أبي حبيب.

(٣) في الصواعق: ونزل.

(٤) الصواعق المحرقة ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

أقول: ولعلّ اختصاص وجه هذه الكرامة النيّرة بالتمر الصيحاني ما في خلاصة تاريخ المدينة المنوّرة لفاضل الشافعية السيد علي السمهودي في فصل الكلام في تمر المدينة، قال: وأنواع تمر المدينة كثيرة استقصيناها في الأصل الأوّل، فبلغت ثلاثين نوعاً، منها الصيحاني [١].

وفي فضل أهل البيت لابن المؤيّد الحموي، عن جابر رضي الله عنه، قال: كنت مع النبي ﷺ يوماً في بعض حيطان المدينة ويد علي عليه السلام في يده، قال: فمررنا بنخل فصاح النخل: هذا محمّد سيد الأنبياء، وهذا علي سيد الأولياء أبو الأئمّة الطاهرين، ثمّ مررنا بنخل آخر، فصاح النخل: هذا محمّد رسول الله، وهذا علي سيف الله، قال: فالتفت النبي ﷺ إلىٰ علي، فقال له: يا علي سمّه الصيحاني، فسمّي من ذلك اليوم الصيحاني، وكان هذا سبب تسمية هذا النوع بذلك [٢].

رجع النقل، ولمّا دخل نيسابور كما في تاريخها، وشقّ سوقها وعليه مظلّة لا يرىٰ من ورائها، تعرّض له الحافظان: أبو زرعة الرازي، ومحمّد بن أسلم الطوسي، ومعهما من طلبة العلم والحديث ما لا يحصىٰ، فتضرّعا إليه أن يريهم وجهه، ويروي لهم حديثاً عن آبائه، فاستوقف البغلة، وأمر غلمانه بكشف المظلّة، وأقرّ عيون أُولئك الخلائق برؤية طلعته المباركة، فكانت له ذؤابتان مدليتان علىٰ عاتقه، والناس بين صارخ وباكٍ، ومتمرّغ في التراب، ومقبّل لحافر بغلته، فصاحت العلماء معاشر الناس أنصتوا، فأنصتوا واستملىٰ منه الحافظان المذكوران.

---

(١) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفىٰ للسمهودي ١: ١٦٣.

(٢) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفىٰ للسمهودي ١: ١٦٣ ـ ١٦٤، عن كتاب فضل أهل البيت للحموي.

فقال: حدّثني أبي موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمّد الباقر، عن أبيه زين العابدين، عن أبيه الحسين، عن أبيه علي بن أبـي طالبعليهم السلام، قال: حدّثني حبيبي وقرّة عيني رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: حدّثني جبرئيلعليه السلام، قال: سمعت ربّ العزّة يقول: لا إله إلاّ الله حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي.

ثمّ أرخى الستر وسار، فعدّ أهل المحابر والدوي الذين كانوا يكتبون، فأنافوا علىٰ عشرين ألفاً.

وفي رواية: إنّ الحديث المروي: الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان. ولعلّهما واقعتان، قال أحمد: لو قرأت هذا الإسناد علىٰ مجنون لبرىء من حينه[(١)(٢)].

أقول: وللإمام علي الرضاعليه السلام مسند صغير[(٣)]، ينقل منه الشيخ أحمد بن الفضل باكثير في وسيلة المآل، وقد ينقل منه السيد السمهودي في جواهر العقدين.

قال: ونقل بعض الحفّاظ أنّ امرأة زعمت أنّها شريفة بحضرة المتوكّل، فسئل عمّن يخبره بذلك، فدلّ علىٰ علي الرضاعليه السلام، فجاء فأجلسه معه على السرير وسأله، فقال: إنّ الله تعالىٰ حرّم أولاد الحسنينعليهما السلام على السباع، فلتلق للسباع، فعرض ذلك عليها، فاعترفت بكذبها.

---

(١) في الصواعق: جنّته.

(٢) الصواعق المحرقة ص ٢٠٥.

(٣) يعرف بصحيفة الإمام الرضاعليه السلام، وقد طبع عدّة طبعات، ومن أحسنها طبعة مؤسسة الإمام المهديعليه السلام سنة (١٤٠٨) هـ.

ثمّ قيل للمتوكّل: ألا تجرّب ذلك فيه بأمر بثلاثة من السباع، فجيء بها في صحن قصره، ثمّ دعاه، فلمّا دخل بابه أغلق عليه والسباع قد أصمّت الأسماع من زئيرها، فلمّا مشىٰ في الصحن يريد الدرجة مشت إليه وقد سكتت، فتمسّحت به، ودارت حوله، وهو يمسحها بكمّه، ثمّ ربضت، فصعد للمتوكّل وتحدّث معه ساعة، ثمّ نزل ففعلت معه كفعلها الأوّل حتّىٰ خرج، فأتبعه المتوكّل بجائزة عظيمة.

فقيل للمتوكّل: افعل كما فعل ابن عمّك، فلم يجسر، وقال: أتريدون قتلي، ثمّ أمرهم أن لا يفشوا ذلك.

ونقل المسعودي أنّ صاحب هذه القصّة هو ابن ابن علي الرضا عليه السلام، وهو علي العسكري عليه السلام وصوّب[1]؛ لأنّ الرضا عليه السلام مات في خلافة المأمون اتّفاقاً ولم يدرك المتوكّل، وتوفّي عليه السلام وعمره خمس وخمسون سنة عن خمس ذكور وبنت[2].

أقول: ومن كراماته ومكاشفاته وعلمه بعلوم آبائه، ما كتبه علىٰ كتاب العهد الذي كتبه له المأمون، وصورته كما في الفصول المهمّة، وذكره أيضاً في ظنّي ابن عبدربّه في كتاب العقد وهو مشهور.

بعد الحمد والثناء على الله، والصلاة علىٰ رسوله، أقول: وأنا علي بن موسى بن جعفر، إنّ أميرالمؤمنين عضده الله بالسداد، ووفّقه للرشاد، عرف من حقّنا ما جهله غيره.

---

(١) ورواه العلاّمة ابن شهرآشوب في مناقبه ٤: ٤١٦ في معجزات الإمام أبي الحسن علي العسكري عليه السلام، عن جماعة من الأعلام، منهم أبوالهلقام، وعبدالله بن جعفر الحميري، والصقر الجبلي، وأبوشعيب الحنّاط، وعلي بن مهزيار، ثمّ ذكر القصّة.

(٢) الصواعق المحرقة ص ٢٠٥.

إلىٰ أن قال: وإنّه جعل إليّ عهده والإمارة[١] الكبرىٰ إن بقيت بعده.

إلىٰ أن قال: وجعلت لله علىٰ نفسي عهداً إن استرعاني أمر المسلمين وقلّدني خلافة، العمل فيهم عامّة، وفي بني العبّاس خاصّة، أن أعمل فيهم بطاعة الله تعالىٰ وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله، ولا أسفك دماً حراماً، ولا أُبيح فرجاً ولا مالاً إلاّ ما سفكته حدوده وأباحته فرائضه، وأن أتخيّر الكفاة جهدي وطاقتي، وجعلت بذلك علىٰ نفسي عهداً مؤكّداً يسألني الله عنه، فإنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿وأوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسؤولاً﴾[٢].

وإن أحدثت أو غيّرت أو بدّلت كنت للعزل مستحقّاً، وللنكال متعرّضاً، وأعوذ بالله من سخطه، وإليه أرغب في التوفيق لطاعته، والحول بيني وبين معصيته في عافية لي وللمسلمين، والجامعة والجفر يدلاّن علىٰ ضدّ ذلك، وما أدري ما يفعل بي ولا بكم، إلىٰ آخره[٣].

فأخبر بقوله «والجامعة والجفر» الخ، بعدم تولية الخلافة، فكان كما قال.

وقوله «وما أدري ما يفعل بي ولا بكم» إقتباس[٤] برّأ به نفسه من ادّعاء علم الغيب[٥].

---

(١) في الفصول: الإمرة.

(٢) سورة الإسراء: ٣٤.

(٣) الفصول المهمّة ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

(٤) سورة الأحقاف: ٩، قوله تعالىٰ ﴿قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتّبع إلاّ ما يوحىٰ إليّ وما أنا إلاّ نذير مبين﴾.

(٥) النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومون عليهم السلام يعلمون الغيب بتوفيق من الله تعالىٰ.

وقد وعدت فيما سبق بذكر كلام ابن خلدون في الجفر، وهو مثبت للفضيلة العظيمة، والكرامة الجليلة لهؤلاء المترجمين من أعيان أهل البيت عليهم السلام.

قال وليّ الدين ابن خلدون في المقدّمة، وهي مجلّد كبير، في قوله: فصل في حدثان الدول والأُمم، وفيه الكلام على الملاحم، والكشف عن مسمّى الجفر: إعلم أنّ من خواصّ النفوس البشرية التشوّف إلىٰ عواقب أُمورهم، وعلىٰ ما يحدث لهم من حياة أو موت أو خير أو شرّ، ولاسيّما الحوادث العامّة.

إلىٰ أن قال: وانّ البشر محجوبون عن علم الغيب إلاّ من أطلعه الله عليه من عنده في نوم أو ولاية[١].

أقول: وهذا الحصر مبطل: للإطّلاع علىٰ علم الغيب يعلم من العلوم، كأحكام النجوم والرمل وغيرهما، إلاّ أن كان في النفس البشرية شعبة ممّا سمّاه بالولاية، فيحصل الإخبار عن الغيب بها متلبّساً ومتشبّثاً بشيء من تلك العلوم، ومتوجّهاً به إلىٰ حصول تلك النفس البشرية، وحينئذ يكفيه القليل من تلك العلوم.

وقد أشار ابن خلدون إلىٰ ما ذكرته في كلامه في علم الرمل وفي غير موضع، وإلىٰ ذلك يشير كلام الحكماء في قولهم في أوّل كلمة من المائة المشهورة المنسوبة لبطليموس المشروحة علم النجوم منك ومنها، وبيّن ذلك شارحها بنحو ما ذكرته، فاعرف ذلك واحتفظ به.

قال: وكان في العرب الكهان والعرّافون يرجعون إليهم في ذلك، وقد أخبروا بما سيكون للعرب من الملك والدولة.

إلىٰ أن قال: وأمّا في الدولة الإسلامية، فقد وقع منه كثير فيما يرجع إلىٰ بقاء

---

(١) تاريخ ابن خلدون ١: ٣٥٠ ـ ٣٥١.

الدنيا ومدّتها على العموم، وفيما يرجع إلى الدول وأعمارها على الخصوص، وكان المعتمد في ذلك صدر الإسلام آثار منقولة عن الصحابة، وخصوصاً مسلمة بني إسرائيل.

إلىٰ أن قال: ووقع لجعفر الصادق عليه السلام وأمثاله من أهل البيت كثير من ذلك، مستندهم كثير، مستندهم فيه ـ والله أعلم ـ الكشف بما كانوا عليه من الولاية، وإذا كان مثله لا ينكر من غيرهم من الأولياء في ذويهم وأعقابهم، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: إنّ فيكم محدثين، فهم أولى الناس بمثل هذه الرتب الشريفة والكرامات الموهوبة[1].

إلىٰ أن قال بعد كلام طويل: وقد يستندون في حدثان الدول على الخصوص إلىٰ كتاب الجفر، ويزعمون أنّ فيه ذلك من طريق الآثار أو النجوم، لا يزيدون علىٰ ذلك، ولا يعرفون أصل ذلك ولا مستنده.

واعلم أنّ كتاب الجفر كان أصله أنّ هارون بن سعيد العجلي وهو رأس الزيدية، كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق عليه السلام، وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم، ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص، وقع ذلك لجعفر عليه السلام ونظائره من رجالاتهم علىٰ طريق الكرامة والكشف الذي يقع لمثلهم من الأولياء، وكان مكتوباً عند جعفر عليه السلام في جلد ثور صغير، فرواه عنه هارون العجلي وكتبه، وسمّاه الجفر باسم الجلد الذي كتب عليه؛ لأنّ الجفر في اللغة هو الصغير، فصار هذا الإسم علماً علىٰ هذا الكتاب عندهم[2].

---

(١) تاريخ ابن خلدون ١: ٣٥١ ـ ٣٥٢.

(٢) تاريخ ابن خلدون ١: ٣٥٥.

أقول: فمن العجب قول الذهبي في ترجمة جعفر الصادقﷺ: وقد كذبت عليه الرافضة، ونسبت إليه أشياء لم يسمع بمثلها، كمثل كتاب الجفر، إلىٰ آخر كلامه[١].

فإنّ ابن خلدون نسب كتاب الجفر إلىٰ رأس الزيدية، والرافضة غيرهم، فإنّهم الذين رفضوا زيد بن علي أي تركوه، كما في القاموس[٢] والصواعق وغيرهما.

وأعجب من ذلك أبيات أوردها ابن قتيبة لبعض الزيدية، ونقلتها أنا من خطّ الشيخ صالح اليمني المغيلي[٣]، عاصرناه وأخذنا عنه، وتوفّي سنة (١١٠٣) وأوّل الأبيات:

ألم تر أنّ الرافضين تشعّبوا فكلّهم في جعفر قال منكرا

منها:

ومن عجب لم أقضه جلد جفرهم برأت إلى الرحمٰن ممّن تجفّرا

ووجه العجب نسبة الجفر إلى الرافضة المبائنين لأهل دينه الزيدية، والحال أنّ الجفر إنّما ظهر عن هارون بن سعيد العجلي رأس الزيدية، كما ذكر ابن خلدون، وهو بريء من الميل إلى احدى الطائفتين.

قال ابن خلدون: فكان فيه من تفسير القرآن وما في بطنه من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادقﷺ، وهذا الكتاب لم تتّصل روايته ولا عرف عينه، وإنّما يظهر منه شواذّ من الكلمات لا يصحبها دليل، ولو صحّ السند إلىٰ جعفر الصادقﷺ، لكان فيه نعم المستند من نفسه، أو من رجال قومه، فهم أهل

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٩: ٩٣.

(٢) القاموس المحيط ٢: ٣٣٢.

(٣) المقبلي ـ خ ل.

الكرامات. وقد صحّ عنه أنّه كان يحذّر بعض قرابته بوقائع تكون لهم، فتصحّ كما يقول، وقد حذّر يحيىٰ ابن عمّه زيد من مصرعه وعصاه، فخرج وقتل بالجوزجان، كما هو معروف .

وإذا كانت الكرامات تقع لغيرهم، فما ظنّك بهم علماً وديناً وآثاراً من النبوّة، وعناية من الله تعالىٰ بالأصل الكريم تشهد لفروعه الطيبة(١). إنتهىٰ كلام ابن خلدون .

هذا، وفي الفصول المهمّة: إنّ أولاده عليه السلام خمسة: محمّد القانع، والحسن، وجعفر، وإبراهيم، والحسين، وبنت اسمها عائشة(٢). إنتهىٰ .

قال: وكانت وفاته بطوس من خراسان في آخر صفر سنة ثلاث ومائتين، وله من العمر يومئذ خمس وخمسون سنة(٣). إنتهىٰ .

وذكر من كراماته: إخباره قبل موته بأنّه يدفن بجنب قبر هارون الرشيد، كقوله وأعجب من هذا: أنا وهارون كهاتين، وضمّ بين اصبعيه، فما عرف معنىٰ ذلك إلاّ بعد موته(٤) .

وقوله في مسجد المدينة والرشيد يخطب: تروننى وإيّاه. وفي رواية أُخرىٰ: يا طوس ستجمعينني وإيّاه(٥)، وغير ذلك .

---

(١) تاريخ ابن خلدون ١: ٣٥٥.
(٢) الفصول المهمّة ص ٢٦٤ .
(٣) الفصول المهمّة ص ٢٦٤ .
(٤) الفصول المهمّة ص ٢٤٦ .
(٥) الفصول المهمّة ص ٢٤٦ .

وذكر هو وغيره مدح دعبل الخزاعي بقصيدته التائية المشهورة، وقضيّة جبّة الخزّ التي كساه إيّاها، وقوله في الجائزة التي أعطاه إيّاها: ستتصرفها أحوج ما تكون إليها، فكان كما قال، وذكر قضيّة الجبّة وهي كرامات ظاهرة[1].

---

(١) رواه العلامة الإربلي في كشف الغمة ص ٣١٨ قال: عن أبي الصلت الهروي، قال: دخل دعبل بن علي الخزاعي على الرضا عليه السلام بمرو، فقال له: يابن رسول اللّه إنّي قد قلت فيكم قصيدة، وآليت على نفسي ألاّ أنشدها أحداً قبلك، فقال الرضا عليه السلام: هاتها يا دعبل، فأنشد:

تجاوبن بالأرنان والزفرات ... نوائح عجم اللفظ والنطقات
يخبّرن بالأنفاس عن سرّ أنفس ... أسارىٰ هوىً ماضٍ وآخر آت
فأسعدن أو أسعفن حتّىٰ تقوّضت ... صفوف الدجىٰ بالفجر منهزمات
على العرصات الخاليات من المها ... سلامٌ شجٍ صبّ على العرصات
فعهدي بها خضر المعاهد مألفا ... من العطرات البيض والخفرات
ليالي يعدين الوصال على القلىٰ ... ويعدي تدانينا على الغربات
وإذ هنّ يلحظن العيون سوافرا ... ويسترن بالأيدي على الوجنات
وإذ كلّ يومٍ لي بلحظي نشوة ... يبيت بها قلبي علىٰ نشوات
فكم حسرات هاجها بمحسّرٍ ... وقوفي يوم الجمع من عرفات
ألم تر للأيّام ما جرّ جورها ... على الناس من نقصٍ وطول شتات
ومن دول المستهزئين ومن غدا ... بهم طالباً للنور في الظلمات
فكيف ومن أنّىٰ بطالب زلفةٍ ... إلى اللّه بعد الصوم والصلوات
سوىٰ حبّ أبناء النبي ورهطه ... وبغض بني الزرقاء والعبلات
وهند وما أدّت سمية وابنها ... أُولو الكفر في الإسلام والفجرات

⇩

هم نقضوا عهد الكتاب وفرضه ... ومحكمه بالزور والشبهات
ولم تك إلاّ محنةً كشفتهم ... بدعوى ضلالٍ من هنٍ وهنات
تراثٌ بلا قربى وملكٌ بلا هدى ... وحكمٌ بلا شورى بغير هدات
رزايا أرتنا خضرة الأُفق حمرة ... وردّت أُجاجاً طعم كلّ فرات
وما سهلت تلك المذاهب فيهم ... على الناس إلاّ بيعة الفلتات
وما قيل أصحاب السقيفة جهرة ... بدعوى تراثٍ في الضلال بنات
ولو قلّدوا الموصى إليه أُمورها ... لزمت بمأمونٍ على العثرات
أخي خاتم الرسل المصفّى من القذى ... ومفترس الأبطال في الغمرات
فإن جحدوا كان الغدير شهيده ... وبدر وأُحد شامخ الهضبات
وآي من القرآن تتلى بفضله ... وإيثاره بالقوت في اللزبات
وعزّ خلال أدركته بسبقها ... مناقب كانت فيه مؤتنفات
مناقب لم تدرك بخيرٍ ولم تنل ... بشيء سوى حدّ القنا الذربات
نجيّ لجبريل الأمين وأنتم ... عكوفٌ على العزّى معاً ومنات
بكيت لرسم الدار من عرفات ... وأجريت دمع العين بالعبرات
وبان عرا صبري وهاجت صبابتي ... رسوم ديارٍ قد عفت وعرات
مدارس آياتٍ خلت من تلاوة ... ومنزل وحيٍ مقفر العرصات
لآل رسول اللّه بالخيف من منى ... وبالبيت والتعريف والجمرات
ديار لعبد اللّه بالخيف من منى ... وللسيد الداعي إلى الصلوات
ديار علي والحسين وجعفر ... وحمزة والسجّاد ذي الثفنات
ديار لعبد اللّه والفضل صنوه ... نجي رسول اللّه في الخلوات

⇩

ـه وسبطي رسول اللّه وابني وصيه	ووارث علم اللّه والحسنات
منازل وحي اللّه ينزل بينها	علىٰ أحمد المذكور في السورات
منازل قوم يهتدىٰ بهداهم	وتؤمن منهم زلّة العثرات
منازل كانت للصلاة وللتقىٰ	وللصوم والتطهير والحسنات
منازل لا تيم يحلّ بربعها	ولا ابن صهّاك فاتك الحرمات
ديار عفاها جور كلّ منابذٍ	ولم تعف للأيّام والسنوات
قفا نسأل الدار التي خفّ أهلها	متىٰ عهدها بالصوم والصلوات
وأين الأُولىٰ شطّت بهم غربة النوىٰ	أفانين في الأطراف مفترقات
هم أهل ميراث النبي إذا اعتروا	وهم خير سادات وخير حمات
إذا لم نناج اللّه في صلواتنا	بأسمائهم لم يقبل الصلوات
مطاعيم في الأقطار في كلّ مشهدٍ	لقد شرفوا بالفضل والبركات
وما الناس إلاّ غاصبٌ ومكذّب	ومضطغنٌ ذو إحنةٍ وترات
إذا ذكروا قتلىٰ ببدرٍ وخيبر	ويوم حنينٍ أسبلوا العبرات
فكيف يحبّون النبي ورهطه	وهم تركوا أحشاءها وغرات
لقد لاينوه في المقال وأضمروا	قلوباً على الأحقاد منطويات
فإن لم تكن إلاّ بقربىٰ محمّد	فهاشم أولىٰ من هن وهنات
سقى اللّه قبراً بالمدينة غيثه	فقد حلّ فيه الأمن بالبركات
نبي الهدىٰ صلّىٰ عليه مليكه	وبلّغ عنا روحه التحفات
وصلّىٰ عليه اللّه ما ذرّ شارق	ولاحت نجوم الليل مستدرات
أفاطم لو خلت الحسين مجدّلاً	وقد مات عطشاناً بشطّ فرات

⇩

ﻫ إذاً للطمت الخدّ فاطم عنده | وأجريت دمع العين في الوجنات
أفاطم قومي يا ابنة الخير فاندبي | نجوم سماوات بأرض فلات
قبورٌ بكوفان وأُخرىٰ بطيبة | وأُخرىٰ بفخّ نالها صلوات
وأخرىٰ بأرض الجوزجان محلّها | وقبر بباخمرىٰ لدى الغربات
وقبرٌ ببغداد لنفسٍ زكيةٍ | تضمّنها الرحمٰن في الغرفات
وقبرٌ بطوس يا لها من مصيبةٍ | ألحّت على الأحشاء بالزفرات
إلى الحشر حتّىٰ يبعث اللّه قائماً | يفرّج عنّا الغمّ والكربات
علي بن موسىٰ أرشد اللّه أمره | وصلّىٰ عليه أفضل الصلوات
فأمّا الممضات التي لست بالغاً | مبالغها منّي بكنه صفات
قبورٌ ببطن النهر من جنب كربلاء | معرّسهم منها بشطّ فرات
توفّوا عطاشاً بالفرات فليتني | توفّيت فيهم قبل حين وفاتي
إلى اللّه أشكو لوعةً عند ذكرهم | سقتني بكأس الذلّ والقصعات
أخاف بأن أزدادهم فتشوقني | مصارعهم بالجزع والنخلات
تقسّمهم ريب المنون فما ترىٰ | لهم عقرةً مغشية الحجرات
خلا أنّ منهم بالمدينة عصبة | مدينين أنضاءً من اللزبات
قليلة زوّار سوىٰ أن زوّرا | من الضبع والعقبان والرخمات
لهم كلّ يومٍ تربة بمضاجع | ثوت في نواحي الأرض مفترقات
تنكّب لأواء السنين جوارهم | ولا تصطليهم جمرة الجمرات
وقد كان منهم بالحجاز وأرضها | مغاوير نحّارون في الأزمات
حمى لم تزره المذنبات وأوجه | تضيء لدى الأستار والظلمات

⇩

إذا وردوا خيلاً بسمرٍ من القنا مساعير حربٍ أقحموا الغمرات
فإن فخروا يوماً أتوا بمحمّدٍ وجبريل والفرقان والسورات
وعدّوا علياً ذا المناقب والعلى وفاطمة الزهراء خير بنات
وحمزة والعبّاس ذا الهدى والتقى وجعفرها الطيّار في الحجبات
أُولئك لا منتوج هندٍ وحزبها سميّة من نوكى ومن قذرات
ستسأل تيم عنهم وعديّها وبيعتهم من أفجر الفجرات
هم منعوا الآباء عن أخذ حقّهم وهم تركوا الأبناء رهن شتات
وهم عدلوها عن وصي محمّد فبيعتهم جاءت على الغدرات
وليّهم صنو النبي محمّد أبوالحسن الفرّاج للغمرات
ملامك في آل النبي فإنّهم أحبّاي ماداموا وأهل ثقاتي
تخيّرتهم رشداً لنفسي وإنّهم على كلّ حالٍ خيرة الخيرات
نبذت إليهم بالمودّة صادقاً وسلّمت نفسي طائعاً لولاتي
فيا ربّ زدني في هواي بصيرةً وزد حبّهم يا ربّ في حسناتي
سأبكيهم ما حجّ للّه راكب وما ناح قمريّ على الشجرات
وإنّي لمولاهم وقال عدوّهم وإنّي لمحزون بطول حياتي
بنفسي أنتم من كهولٍ وفتيةٍ لفكّ عناةٍ أو لحمل ديات
وللخيل لمّا قيّد الموت خطوها فأطلقتهم منهنّ بالذربات
أحبّ قصيّ الرحم من أجل حبّكم وأهجر فيكم زوجتي وبناتي
وأكتم حبّيكم مخافة كاشحٍ عنيدٍ لأهل الحقّ غير موات
فيا عين بكّيهم وجودي بعبرةٍ فقد آن للتسكاب والهملات

⇩

لقد خفت في الدنيا وأيّام سعيها — وإنّي لأرجو الأمن عند وفاتي
ألم تر أنّي مذ ثلاثون حجّة — أروح وأغدو دائم الحسرات
أرىٰ فيئهم في غيرهم متقسّماً — وأيديهم من فيئهم صفرات
وكيف أداوي من جوى بي والجوى — أميّة أهل الكفر واللعنات
وآل زيادٍ في الحرير مصونة — وآل رسول اللّه منهتكات
سأبكيهم ما ذرّ في الأفق شارقاً — ونادىٰ منادي الخير بالصلوات
وما طلعت شمسٌ وحان غروبها — وبالليل أبكيهم وبالغدوات
ديار رسول اللّه أصبحن بلقعا — وآل زيادٍ تسكن الحجرات
وآل رسول اللّه تدمىٰ نحورهم — وآل زياد ربّة الحجلات
وآل رسول اللّه تسبىٰ حريمهم — وآل زيادٍ آمنوا السربات
وآل زيادٍ في القصور مصونة — وآل رسول اللّه في الفلوات
إذا وتروا مدّوا إلىٰ واتريهم — أكفّاً عن الأوتار منقبضات
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غدٍ — تقطّع نفسي أثرهم حسرات
خروج إمامٍ لا محالة خارج — يقوم على اسم اللّه والبركات
يميّز فينا كلّ حقٍّ وباطل — ويجزي على النعماء والنقمات
فيا نفس طيبي ثمّ يا نفس فابشري — فغير بعيدٍ كلّما هو آت
ولا تجزعي من مدّة الجور إنّني — أرىٰ قوّتي قد آذنت بثبات
فإنّ قرب الرحمٰن من تلك مدّتي — وأخّر من عمري ووقت وفاتي
شفيت ولم أترك لنفسي غصّةً — ورويّت منهم منصلي وقناتي
فإنّي من الرحمٰن أرجو بحبّهم — حياة لدى الفردوس غير تبات

⇩

ﻫ عسى اللّه أن يرتاح للخلق إنّه ... إلىٰ كلّ قومٍ دائم اللحظات
فإن قلت عرفاً أنكروه بمنكر ... وغطّوا على التحقيق بالشبهات
تقاصر نفسي دائماً عن جدالهم ... كفاني ما ألقىٰ من العبرات
أحاول نقل الصمّ عن مستقرّها ... وأسماء أحجارٍ من الصلدات
فحسبي منهم أن أبوء بغصّةٍ ... تردّد في صدري وفي لهواتي
فمن عارفٍ لم ينتفع ومعاندٍ ... تميل به الأهواء للشهوات
كأنّك بالأضلاع قد ضاق ذرعها ... لما حملت من شدّة الزفرات

فقال دعبل يابن رسول اللّه لمن هذا القبر بطوس؟ فقال عليه السلام: قبري، ولا تنقضي الأيّام والسنون حتّىٰ تصير طوس مختلف شيعتي، فمن زارني في غربتي كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً له.

ونهض الرضا عليه السلام، وقال: لا تبرح، وأنفذ إليه صرّة فيها مائة دينار، فردّها وقال: ما لهذا جئت، وطلب شيئاً من ثيابه، فأعطاه جبّة من خزّ والصرّة، وقال للخادم: قل له خذها، فإنّك ستحتاج إليها ولا تعاودني، فأخذها وسار من مرو في قافلة، فوقع عليهم اللصوص وأخذوهم، وجعلوا يقسّمون ما أخذوا من أموالهم، فتمثّل رجل منهم بقوله:

أرىٰ فيئهم في غيرهم متقسّماً

البيت، فقال دعبل: لمن هذا البيت؟ فقال: لرجل من خزاعة يقال له: دعبل، فقال: فأنا دعبل قائل هذه القصيدة، فحلّوا كتافه، وكتاف جميع من في القافلة، وردّوا إليهم جميع ما أُخذ منهم، وسار دعبل حتّىٰ وصل إلىٰ قم، فأنشدهم القصيدة، فوصلوه بمال كثير، وسألوه أن يبيع الجبّة منهم بألف دينار، فأبىٰ وسار عن قم، فلحقه قوم من
⇩

وقال صاحب عمدة الطالب: وعقبه من ابنه محمّد الجواد[1]. أي: ولم يعقّب غيره من أولاده، وهو محمّد القانع.

ترجمة الإمام محمّد الجوادعليه السلام

رجع النقل من الصواعق، قال: أجلّهم محمّد الجوادعليه السلام، لكنّه لم تطل حياته. وممّا اتّفق بعد موت أبيه بسنة، كان واقفاً والصبيان يلعبون في أزقّة بغداد، إذ مرّ

ه‍ أحداثهم، وأخذوا الجبّة منه، فرجع وسألهم ردّها، فقالوا: لا سبيل إلىٰ ذلك، فخذ ثمنها ألف دينار، فقال: علىٰ أن تدفعوا إليّ شيئاً منها، فأعطوه بعضها وألف دينار.

وعاد إلىٰ وطنه، فوجد اللصوص قد أخذوا جميع ما في منزله، فباع المائة دينار التي وصله بها الرضاعليه السلام من الشيعة كلّ دينار بمائة درهم، وتذكّر قول الرضاعليه السلام «انّك ستحتاج إليها».

وعن أبي الصلت الهروي، قال: سمعت دعبلاً قال: لمّا أنشدت مولانا الرضاعليه السلام القصيدة، وانتهيت إلىٰ قولي:

خروج إمام لا محالة خارج ... يقوم على اسم اللّه بالبركات
يميّز فينا كلّ حقّ وباطل ... ويجزي على النعماء والنقمات

بكى الرضاعليه السلام بكاءً شديداً، ثمّ رفع رأسه إليّ وقال: يا خزاعي نطق روح القدس علىٰ لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا الإمام؟ ومتىٰ يقوم؟ قلت: لا، إلاّ أنّي سمعت يا مولاي بخروج إمام منكم يملأ الأرض عدلاً، فقال: يا دعبل الإمام بعدي محمّد ابني، ومن بعد محمّد ابنه علي، وبعد علي ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، ولو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل اللّه ذلك اليوم حتّىٰ يخرج، فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

(١) عمدة الطالب ص ٢٤١.

المأمون ففرّوا، ووقف محمّد وعمره تسع سنين، فألقى الله تعالىٰ محبّته في قلبه، فقال له: يا غلام ما منعك من الإنصراف؟ فقال له مسرعاً: يا أميرالمؤمنين لم يكن بالطريق ضيّق فأوسعه لك، وليس لي جرم فأخشاك، والظنّ بك حسن، إنّك لا تضرّ من لا ذنب له. فأعجبه كلامه وحسن صورته، فقال: ما اسمك واسم أبيك؟ فقال: محمّد بن علي الرضا، فترحّم علىٰ أبيه، وساق جواده.

وكان معه بزاة للصيد، فلمّا بعد عن الامارة[١] أرسل بازاً علىٰ درّاجة، فغاب عنه، ثمّ عاد من الجوّ وفي منقاره سمكة صغيرة وبها بقايا الحياة، فتعجّب من ذلك غاية العجب، وعاد فرأىٰ الصبيان علىٰ حالهم ومحمّد عندهم، ففرّوا إلاّ محمّداً، فدنا منه وقال له: ما في يدي؟ فقال: يا أميرالمؤمنين إنّ الله تعالىٰ خلق في بحر قدرته سمكاً صغاراً يصيدها بازات الملوك، فيختبرون بها سلالة أهل بيت المصطفىٰ ﷺ، فقال له: أنت ابن الرضا حقّاً، وأخذه معه وأحسن إليه، وبالغ في إكرامه.

ولم يزل مشفقاً به لما ظهر له بعد ذلك من فضله وعلمه وكمال عظمته، وظهور برهانه مع صغر سنّه، وعزم علىٰ تزويجه بابنته أُمّ الفضل، وصمّم علىٰ ذلك، فمنعه العبّاسيون من ذلك خوفاً من أن يعهد إليه كما عهد لأبيه[٢]، فلمّا ذكر لهم أنّه انّما اختاره لتميّزه علىٰ كافّة أهل الفضل علماً ومعرفة وحلماً مع صغر سنّه، فنازعوه في اتّصاف محمّد بذلك.

ثمّ تواعدوا علىٰ أن يرسلوا إليه من يختبره، فأرسلوا إليه يحيى بن أكثم،

---

(١) في الصواعق: عن العمار.

(٢) في الصواعق: إلىٰ أبيه.

ووعدوه بشيء كثير إن قطع لهم محمّداً، فحضروا عند الخليفة، ومعهم ابن أكثم وخواصّ الدولة، فأمر المأمون بفرش حسن لمحمّد فجلس عليه، فسأله يحيىٰ مسائل أجاب عنها بأحسن جواب وأوضحه، فقال له الخليفة: أحسنت، يا أباجعفر، فإن أردت أن تسأل يحيىٰ ولو مسألة واحدة.

فقال له: ما تقول في رجل نظر إلىٰ امرأة أوّل النهار حراماً، ثمّ حلّت له ارتفاعه، ثمّ حرمت عليه عند الظهر، ثمّ حلّت له عند العصر، ثمّ حرمت عليه المغرب، ثمّ حلّت له العشاء، ثمّ حرمت عليه نصف الليل، ثمّ حلّت له الفجر، فقال يحيىٰ: لا أدري.

فقال محمّد: هي أمة نظرها أجنبي بشهوة وهي حرام، ثمّ اشتراها ارتفاع النهار، فأعتقها الظهر، وتزوّجها العصر، وظاهر منها المغرب، وكفّر العشاء، وطلّقها رجعياً نصف الليل، وراجعها الفجر.

فعند ذلك قال المأمون للعبّاسيين: قد عرفتم ما كنتم تنكرون، ثمّ زوّجه في ذلك المجلس ابنته أُمّ الفضل، ثمّ توجّه بها إلى المدينة، فأرسلت تشتكي منه لأبيها أنّه تسرّىٰ عليها، فأرسل إليها أبوها إنّا لم نزوّجك إليه لنحرّم عليه حلالاً، فلا تعودي لمثله.

فلمّا قدم بها بطلب من المعتصم إلىٰ بغداد لليلتين بقيتا من المحرّم سنة عشرين ومائتين، وتوفّي بها في آخر ذي القعدة، ودفن في مقابر قريش في ظهر جدّه الكاظم عليه السلام، وعمره خمس وعشرون سنة، ويقال: إنّه أعقب عن ذكرين وبنتين [١].

---

(١) الصواعق المحرقة ص ٢٠٦.

أقول: قضية أبي جعفر محمّد الهادي عليه السلام[١] مع المأمون إلىٰ أن زوّجه ابنته وما بعد ذلك، نقلها صاحب الفصول المهمّة[٢] من كتاب الشيخ كمال الدين طلحة الشافعي المسمّىٰ مطالب السؤول في مناقب آل الرسول[٣]، ببسط اختصره في الصواعق[٤].

ثمّ روىٰ أنّه لمّا توجّه أبو جعفر الجواد عليه السلام منصرفاً من بغداد ـ أي: بزوجته ـ إلى المدينة، خرج معه اناس يشيّعونه، فوصل إلىٰ باب الكوفة عند دار المسيّب، فنزل هناك غروب الشمس، ودخل إلىٰ مسجد قديم هناك ليصلّي فيه المغرب، وكان في صحن المسجد شجرة نبق لم تثمر[٥] قطّ، فدعا بكوز فيه ماء، فتوضّأ في أصل الشجرة، وقام فصلّىٰ وصلّى الناس معه المغرب.

إلىٰ أن قال: فودّع الناس وانصرف، فأصبحت الشجرة وقد حملت من ليلتها حملاً حسناً، فرآها الناس، وعجبوا من ذلك، ثمّ كان ما هو أعجب من ذلك، وذلك أنّ نبق تلك الشجرة لم يكن له عجم، فزاد تعجّبهم من ذلك، وذكر غير ذلك من كراماته عليه السلام، فراجعه في الفصول المهمّة[٦].

وقال ابن خلّكان في وفيات الأعيان في ترجمته: وكان يروي مسنداً عن آبائه

---

(١) كذا، والصحيح: محمّد الجواد عليه السلام.

(٢) الفصول المهمّة ص ٢٦٦ ـ ٢٧٠.

(٣) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ٢: ١٤١ ـ ١٤٢.

(٤) الصواعق المحرقة ص ٢٠٦.

(٥) في الفصول: لم تحمل.

(٦) الفصول المهمّة ص ٢٧٠ ـ ٢٧١.

إلىٰ علي بن أبي طالب عليه السلام، أنّه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن، فقال لي وهو يوصيني: يا علي ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، يا علي عليك بالدلجة، فإنّ الأرض تطوي بالليل ما لا تطوي بالنهار، يا علي أُغد بسم الله، فإنّ الله بارك لأُمّتي في بكورها، وكان عليه السلام يقول: من استفاد أخاً في الله، فقد استفاد بيتاً في الجنّة.

وقال جعفر بن محمّد بن مزيد: كنت ببغداد، فقال لي محمّد بن مندة: هل لك أن أدخلك علىٰ محمّد بن علي الرضا؟ قلت: نعم، قال: فأدخلني عليه، فسلّمنا وجلسنا، فقال له: حدّثت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ فاطمة عليها السلام أحصنت فرجها، فحرّم الله ذرّيتها على النار، قال: خاصّ بالحسن والحسين عليهما السلام. وله روايات وأخبار كثيرة.

وكانت ولادته يوم الثلاثاء خامس شهر رمضان، وقيل: منتصفه، سنة خمس وتسعين ومائة، وتوفّي يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي الحجّة سنة عشرين ومائتين، وقيل: تسع عشرة ومائتين ببغداد، ودفن عند جدّه موسى بن جعفر الكاظم سلام الله عليهم أجمعين[(١)].

وأمّا ولداه، فهما: علي العسكري الهادي عليه السلام الذي سيذكر، وموسى المبرقع، وكلاهما معقبان، كما فصّل في عمدة الطالب.

قال: ويقال لولد المبرقع: الرضويون وهم بقم إلاّ من شذّ منهم إلىٰ غيرها[(٢)]. انتهىٰ.

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلّكان ٤: ١٧٥.

(٢) عمدة الطالب ص ٢٤٤.

ترجمة الإمام علي الهادي عليه السلام

رجع النقل من الصواعق، قال: أجلّهم علي العسكري عليه السلام، سمّي بذلك لأنّه لمّا وجّه لإشخاصه من المدينة النبوية إلىٰ سرّ من رأىٰ أسكنه بها، وكانت تسمّىٰ العسكر، فعرف بالعسكري، وكان وارث أبيه علماً وسخاءً.

وجاء أعرابي من أعراب الكوفة، وقال: إنّي من المتمسّكين بولاء جدّك، وقد ركبني دين أثقلني حمله، ولم قصد لقضائه سواك. فقال: كم دينك؟ فقال: عشرة آلاف درهم، فقال: طب نفساً بقضائه إن شاء الله تعالىٰ، ثمّ كتب له ورقة فيها ذلك المبلغ ديناً عليه، وقال له: إئتني بها في المجلس العامّ وطالبني بها، وأغلظ في الطلب، ففعل، فاستمهله ثلاثة أيّام، فبلغ ذلك المتوكّل، فأمر له بثلاثين ألفاً.

فلمّا وصلته أعطاها الأعرابي، فقال: يابن رسول الله إنّ العشرة آلاف أقضي بها أربي، فأبىٰ أن يستردّ منه من الثلاثين ألفاً شيئاً، فولي الأعرابي وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

ومرّ أنّ الصواب في قضية السباع الواقعة في خلافة المتوكّل أنّه هو الممتحن بها، وأنّها لم تقربه بل خضعت واطمأنّت لمّا رأته.

ويوافقه ما حكاه المسعودي وغيره أنّ يحيى بن عبدالله المحض بن الحسن المثنّى بن الحسن السبط لمّا هرب إلى الديلم، ثمّ أُتي به الرشيد وأمر بقتله، أُلقي في بركة فيها سباع قد جوّعت، فأمسكت عن أكله ولاذت بجانبه، وهابت الدنوّ منه، فبنىٰ عليه ركن بالجصّ والآجر وهو حيّ[1].

أقول: وكلاهما فضيلة عظيمة، ومأثرة كريمة، وعناية من الله تعالىٰ، وعين

---

(١) الصواعق المحرقة ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

رحيمة، لكن علي العسكري عليه السلام هو المفيد للأثر المسند إلىٰ سيّد البشر صلى الله عليه وآله؛ إذ لا يقول مثله مثل ذلك من تلقاء نفسه، كما أفاده الفاضل السيد علي السمهودي في جواهر العقدين لمّا ذكر الثقلين، وهو المقدّم أقدام السباع، إذ أخبر بذلك في حضرة الخليفة المطاع، وهو عالم بأنّ عداوته للعلوية ربما حملته على إلقائه في تلك الهوية، فيكون قد قتله بسيف سلّه بيده، ورماه بسهمه في كبده.

كيف؟ والظاهر أن يكون المتوكّل لم يصدّق ذلك الخبر لعداوته لذلك المخبر الأبرّ، وإقدامه أيضاً على السباع باختياره، فليس كالملقىٰ باضطراره، فهو صاحب قائم السيف ومعمل غراره.

ومن كراماته: ما في الفصول المهمّة، عن خيران الأمشاطي[1]، قال: قدمت المدينة علىٰ أبي‌الحسن علي بن محمّد من العراق، فقال لي: ما خبر الواثق عندك؟ فقلت: خليفة ابن خليفة في عافية[2]، وأنا من أقرب الناس به عهداً، وهذا مقدمي من عنده، وتركته صحيحاً سوياً، قال: إنّ الناس يقولون إنّه قد مات، فلمّا قال لي إنّ الناس يقولون، علمت أنّه يعني نفسه، فسكتّ، فقال لي: ما فعل ابن الزيّات، قلت: الناس معه والأمر أمره، فقال: أما أنّه شؤم عليه، ثمّ قال: لابدّ أن تجري مقادير الله تعالىٰ، يا خيران[3] أنّه مات الواثق وقعد جعفر المتوكّل، وقتل ابن الزيّات، فقلت: متىٰ جعلت فداك؟ قال: بعد مخرجك بستّة أيّام، فما كانت إلاّ أيّام

---

(١) في الفصول: جبران الأسباطي.

(٢) في الفصول: قلت خلّفته في عافية.

(٣) في الفصول: يا جبران.

قلائل حتّىٰ وصل قاصد المتوكّل إلى المدينة فكان كما قال ﷺ[١].

ومنها: أنّه مرض المتوكّل من خراج خرج بحلقه، فأشرف على الموت، ولم يجسر أحد أن يمسّه بحديد، فنذرت أُمّه لأبي الحسن علي بن محمّد إن عوفي ولدها من هذه العلّة لتعطيه مالاً جزيلاً، فقال الفتح بن خاقان للمتوكّل: لو بعثت إلىٰ هذا الرجل ـ يعني: أبا الحسن ـ فسألته، فربما كان علىٰ يديه فرج.

فمضىٰ إليه رسول المتوكّل، فقال: خذوا كسب الغنم، ودبّغوه بماء الورد، وضعوه على الخراج، يفتح بإذن الله تعالىٰ من ليلته، فجعل من في حضرة المتوكّل يهزأ من هذا الكلام.

فقال الفتح: وما يضرّك من تجربته، والله لأرجو به الصلاح، فوضعوه على الخراج، فانفتح من ليلته، وشفي المتوكّل، فأخذت أُمّه عشرة آلاف ذهب في كيس وختمته وبعثت به إلىٰ أبي الحسن العسكري، وبعث إليه المتوكّل بفضلة كيس فيه خمسمائة دينار.

ثمّ بعد مدّة طويلة سعى به إلى المتوكّل رجل يقال له: البطحاني، وقال: عنده أموال تحمل إليه، ولا يؤمن خروجه عليك، فندب المتوكّل من يهجم داره ويأخذ جميع ما يجده من السلاح والأموال، ففعلوا ذلك، فلم يجدوا غير كيسين، أحدهما كبير ملآن مختوم، والآخر صغير فيه فضلة، وسيف واحد في جفير، فأتوا بذلك، فوجد المتوكّل على الكيس ختم أُمّه، فسألها، فأخبرته بنذرها وإرسالها الكيس.

فأضاف المتوكّل إلى الخمسمائة التي في الكيس خمسمائة أُخرىٰ، وقال لسعيد الحاجب وكان هو الذي سار إلى داره وحمل ما فيها: أُردد الكيسين

---

(١) الفصول المهمّة ص ٢٧٩.

والسيف واعتذر إليه، ففعل واعتذر لنفسه أيضاً، وقال: إنّي عبد مأمور، فقال: يا سعيد وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون[(١)].

قال في الفصول المهمّة: قبض أبوالحسن علي الهادي المعروف بالعسكري بسرّمن رأىٰ في يوم الإثنين لخمس بقين من جمادي الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين، ودفن بداره في سرّ من رأىٰ، وله من العمر يومئذ أربعون سنة، وذكر أنّه استشهد في آخر خلافة المعتزّ، وهوالزبير بن المتوكّل؛ لأنّه يقال: مات مسموما[(٢)].

رجع النقل من الصواعق، قال كما في الفصول المهمّة من تاريخ وفاته ومدّة عمره ودفن بسرّمن رأىٰ، قال: وكان المتوكّل أشخصه من المدينة إليها سنة ثلاث وأربعين، وأقام بها إلىٰ أن قضىٰ، عن أربع ذكور وأنثىٰ[(٣)].

أقول: هم كما في الفصول المهمّة: الحسن العسكري عليه السلام، والحسين، ومحمّد، وجعفر، وعائشة[(٤)].

والمعقب كما في عمدة الطالب الحسن العسكري عليه السلام، وسيأتي ذكر ولده محمّد الحجّة عليه السلام، وجعفر قال في عمدة الطالب: الملقّب بـ«الكذّاب» لادّعائه الإمامة بعد أخيه الحسن، ويدعىٰ أباكرّين؛ لأنّه أولد مائة وعشرين ولداً، ويقال لولده: الرضويون نسبة إلىٰ جدّهم الرضا عليه السلام، وأعقب من جماعة انتشر منهم عقب ستّة

---

(١) الفصول المهمّة ص ٢٨١ ـ ٢٨٢.

(٢) الفصول المهمّة ص ٢٨٣.

(٣) الفصول المهمّة ص ٢٠٧.

(٤) الفصول المهمّة ص ٢٨٣.

بين مقلّ ومكثر. إلى آخر ما ذكر في نسله(١).

ترجمة الإمام الحسن العسكري عليه السلام

رجع النقل، قال: أجلّهم أبومحمّد الحسن الخالص، وجعل ابن خلّكان هذا هو العسكري، ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين.

ووقع لبهلول معه، أنّه رآه وهو صبي يبكي والصبيان يلعبون، فظنّ أنّه يتحسّر على ما أيديهم، فقال: أشتري لك ما تلعب به، فقال له: يا قليل العقل ما للعب خلقنا، فقال له: فلماذا خلقنا؟ قال: للعلم والعبادة، فقال له: من أين لك ذلك؟ قال: من قول الله تعالى ﴿أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً وأنّكم إلينا لا ترجعون﴾(٢) ثمّ سأله أن يعظه، فوعظه بأبيات.

ثمّ خرّ الحسن مغشياً عليه، فلمّا أفاق قال له: ما نزل بك وأنت صغير لا ذنب لك، فقال: إليك عنّي يا بهلول، إنّي رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار، فلا تتّقد إلاّ بالصغار، وإنّي أخشى أن أكون من صغار حطب نار جهنّم(٣).

أقول: يتصوّر بأن يكون ذلك في أوائل بلوغ سنّ التكليف، أو يكون قد قضى عليه بسوء الخاتمة والعياذ بالله، أو يصدر منه في المدّة القليلة من الأعمال الوبيلة ما يستحقّ به عقوبة طويلة(٤)، وحينئذ يصدق عليه أنّه من صغار حطب جهنّم،

---

(١) عمدة الطالب ص ٢٤٢.

(٢) سورة المؤمنون: ١١٥.

(٣) الصواعق المحرقة ص ٢٠٧.

(٤) والصحيح أنّه عليه السلام يعلّمنا كيفية الخوف من الله تعالى، وإلاّ فهو عليه السلام معصوم عن ⇩

والأبيات التي وعظ بها بهلولاً مقطوعان، أوّل أحدهما:

غفلت وحادي الموت في إثري يحدو   وإن لم أرح يوماً فلابدّ أن أغدو

وآخر ولله درّه:

أنا الفرد عند الموت والفرد في البلىٰ   وأبعث فرداً فارحم الفرد يا فرد

والآخر:

أرى الدنيا تجهّز بانطلاق   مشمّرة علىٰ قدمٍ وساق
فما الدنيا بباقيةٍ لحيّ   ولا حيّ على الدنيا بباق
كأنّ الموت والحدثان فيها   إلىٰ نفس الفتىٰ فرسا سباق
فيا مغرور بالدنيا رويداً   ومنها خذ لنفسك بالوثاق

رجع النقل، قال: ولمّا حبس عليه السلام قحط الناس بسرّ من رأىٰ قحطاً شديداً، فأمر الخليفة المعتمد بن المتوكّل بالخروج للإستسقاء ثلاثة أيّام، ففعلوا، فلم يسقوا، فخرج النصارىٰ ومعهم راهب، فكان كلّما مدّ يده إلى السماء هطلت، ثمّ في اليوم الثاني كذلك. فشكّ بعض الجهلة وارتدّ بعضهم، فشقّ ذلك على الخليفة، فأمر بإحضار الحسن الخالص، وقال له: أدرك أُمّة جدّك قبل أن يهلكوا.

فقال الحسن عليه السلام: يخرجون غداً وأنا أُزيل الشكّ إن شاء الله، وكلّم الخليفة في إطلاق أصحاب له من السجن، فأطلقهم له، فلمّا خرج الناس للإستسقاء ورفع الراهب يده مع النصارىٰ غيّمت السماء، فأمر الحسن عليه السلام بالقبض علىٰ يده، فإذا

الخطأ والمعصية، ويدلّ هذا علىٰ نهاية خوفه عليه السلام من الله تعالىٰ، كما في سائر الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، فنراهم في أدعيتهم ومناجاتهم يتضرّعون ويبتهلون إلى الله تعالىٰ، لمعرفتهم بالله حقّ المعرفة.

فيها عظم آدمي فأخذه من يده، وقال: إستسق، فرفع يده، فـزال الغـيم وطـلعت الشمس، فعجب الناس من ذلك، فقال الخليفة للحسن عليه السلام: ما هذا يا أبامحمّد ؟

فقال: هذا عظم نبي ظفر به هذا الراهب من بعض القبور، وما كشف عن عظم نبي تحت السماء إلاّ هطلت بالمطر، فامتحنوا ذلك العظم فكان كما قـال، وزالت الشبهة عن الناس، ورجع الحسن إلىٰ داره، وأقام عزيزاً مكرّماً، وصلات الخليفة تصل إليه كلّ وقت، إلىٰ أن مات بسرّ من رأىٰ، فدفن عند أبيه وعمّه، وعمره ثمان وعشرون سنة، ويقال: إنّه سمّ أيضاً[١].

أقول: ومن كراماته ما في الفصول المهمّة، نقلاً من كتاب الشيخ كمال الدين بن طلحة الشافعي، عن أبي الهيثم بن عدي، قال: لمّا أمـر المـعتزّ بـحمل أبـي محمّد الحسن عليه السلام إلى الكوفة، كتبت إليه: ما هذا الخبر الذي بلغنا فأقلقنا وغمّنا، فكتب: بعد ذلك يأتيكم الفرج إن شاء الله، فقتل المعتزّ في اليوم الثالث.

وعن أبي هاشم، قال: سمعت الحسن عليه السلام يقول: إنّ في الجنّة باباً يقال له: باب المعروف، لا يدخل منه إلاّ أهل المعروف، فحمدت الله في نفسي، وفرحت بـما أتكلّف به من حوائج الناس، فنظر إليّ وقال: يا أباهاشم دم علىٰ ما أنت عليه، فإنّ أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة.

وعنه أيضاً، قال: سمعت أبامحمّد الحسن عليه السلام يقول: بسم الله الرحمٰن الرحـيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلىٰ بياضها.

وعنه أيضاً، قال: سمعت أبامحمّد الحسن عليه السلام يقول: من الذنوب التي يـخشىٰ على الرجل أن لا يغفر له، قوله ليتني لم أوخذ إلاّ بهذا الذنب، فقلت في نفسي: إنّ

---

(١) الصواعق المحرقة ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

هذا النظر دقيق قد ينبغي أن يتفقّد الرجل من نفسه كلّ شيء، قال: فأقبل عليّ وقال: صدقت يا أباهاشم.

وعن محمّد بن حمزة الدوري، قال: كتبت على يدي أبي‌هاشم داود بن القاسم وكان مؤاخياً لي إلى أبي‌محمّد الحسن عليه السلام أسأله أن يدعو لي بالغنى، وكنت قد أتلفت (١) وقلّت ذات يدي، وخفت الفضيحة، فخرج الجواب على يده: أبشر فقد أتاك الغنى من الله تعالى، مات ابن عمّك يحيى بن عمر، وخلّف مائة ألف درهم، ولم يترك وارثاً سواك، وهي واردة عليك عن قريب، واشكر الله تعالى، وعليك بالاقتصاد، وإيّاك والإسراف، فورد عليّ المال والخبر بموت ابن عمّي كما قال بعد أيّام قلائل (٢).

رجع النقل من الصواعق، قال: ولم يخلّف غير ولده أبي‌القايم محمّد الحجّة عليه السلام، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن آتاه الله تعالى فيها الحكمة، ويسمّى القائم المنتظر، قيل: لأنّه تستّر بالمدينة وغاب فلم يعرف له خبر (٣).

إنتهى ما أردت نقله من الصواعق للحافظ ابن حجر الهيتمي.

وقد انتهت ترجمة أعيان بني‌الحسين عليه السلام الذين قال فيهم مصنّف النفحة العنبرية: وهم الأئمّة الثمانية المتّفق على حسن عقيدتهم وتقواهم (٤).

---

(١) في الفصول: بلغت.

(٢) الفصول المهمّة ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

(٣) الصواعق المحرقة ص ٢٠٨.

(٤) النفحة العنبرية ص ٤٣.

ترجمة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

وهو الذي إليه تنسب الزيدية من فرق الشيعة .

قال في عمدة الطالب: ويكنّىٰ أباالحسين، وأمّه أمّ ولد، ومناقبه أجلّ من أن تحصىٰ، وفضائله أكثر من أن يوصف، ويقال له: حليف القرآن .

ويروىٰ أنّ زيداً دخل علىٰ هشام بن عبدالملك، فقال له: ليس من عباد الله أحد دون من أن يوصي بتقوى الله، ولا أحد فوق أن يوصي بتقوى الله سبحانه، وأنا أُوصيك بتقوى الله تعالىٰ .

فقال هشام: أنت زيد المؤمّل للخلافة الراجي لها، ومن أنت والخلافة لا أُمّ لك وأنت ابن أمة، فقال زيد: لا أعرف أحداً أعظم منزلة عند الله تعالىٰ من نبي بعثه الله تعالىٰ وهو ابن أمة إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، وما يقصرك برجل أبوه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن علي بن أبي‌طالب، فوثب هشام ووثب الشاميون ودعىٰ قهرمانة، وقال: لا يبيتنّ هذا في عسكري الليلة .

فخرج زيد يقول: لم يكره قوم قطّ حرّ السيوف إلاّ ذلّوا، فحملت كلمته إلىٰ هشام، فعرف أنّه يخرج عليه، ثمّ قال هشام: ألستم تزعمون أنّ أهل هذا البيت قد بادوا، ولعمري ما انقرض من مثل هذا خلفهم .

إلىٰ أن قال بعد نقل آخر: فخرجت الشيعة خلف زيد بن علي إلى القادسية، فردّوه وبايعوه، فمن ثبت معه نسب إلى الزيدية، ومن تفرّق عنه نسب إلى الرافضة.

قال أبومخنف لوط بن يحيى الأزدي: إنّ زيداً لمّا رجع إلى الكوفة، أقبلت الشيعة تختلف إليه وغيرهم من المحكّمة .

أقول: يعني الخوارج .

قال: فبايعوه حتّىٰ أُحصي ديوانه خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة

خاصّة، سوىٰ أهل المدائن والبصرة وواسط والموصل وخراسان والري وجرجان والجزيرة.

إلىٰ أن قال: وخرج سنة احدىٰ وعشرين ومائة، فلمّا خفقت الراية علىٰ رأسه، قال: الحمد لله الذي أكمل لي ديني، والله إنّي كنت أستحيي من رسول الله ﷺ أن أرد عليه الحوض غداً ولم آمر في أُمّته بمعروف ولم أنه[(١)] عن منكر.

وكان أصحابه لمّا خرج سألوه ما تقول في أبيبكر وعمر؟ فقال: ما أقول فيهما إلاّ الخير، وما سمعت من أهلي فيهما إلاّ الخير، فقالوا: لست بصاحبنا ذهب الإمام ـ يعنون محمّد الباقر عليه السلام ـ وتفرّقوا عنه، فقال: رفضونا القوم، فسمّوا الرافضة.

قال سعيد بن حنتم[(٢)]: تفرّق أصحاب زيد عنه حتّىٰ بقي في ثلاثمائة رجل.

وقيل: جاء يوسف بن عمر الثقفي في عشرة آلاف، فصفّ أصحابه صفّاً بعد صفّ، حتّىٰ لا يستطيع أحدهم أن يلوي عنقه، فجعلنا نضرب فلا نرىٰ إلاّ النار تخرج من الحديد، فجاء سهم فأصاب جبين زيد بن علي.

ثمّ ذكر صاحب العمدة موته ـ رضي الله عنه ـ وقول أصحابه: فجئنا به إلىٰ ساقية تجري في بستان، فحبسنا الماء من هاهنا وهاهنا، ثمّ حفرنا له ودفنّاه وأجرينا الماء عليه، وكان معنا غلام سندي، فذهب إلىٰ يوسف بن عمر فأخبره، فأخرجه يوسف من الغد، فصلبه في الكناسة، فمكث أربع سنين مصلوباً.

ومضىٰ هشام، وكتب الوليد بن يزيد إلىٰ يوسف بن عمر: أمّا بعد، فإذا أتاك كتابي هذا، فاعمد إلىٰ عجل أهل العراق فحرّقه، ثمّ انسفه في اليمّ نسفاً، فأنزله

---

(١) في العمدة: ولا أنهي.

(٢) في العمدة: خثيم.

وحرّقه، ثمّ ذراه في الهواء.

إلىٰ أن قال: وقال الزبير بن بكّار: قتل سنة اثنتين وعشرين ومائة، وهو ابن اثنتين وأربعين سنة، وقيل: ابن ثمان وأربعين سنة[١].

وقال ابن حجر في أواخر الصواعق: فائدة، دخل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي‌طالب علىٰ هشام بن عبدالملك، فسلّم عليه، فتكلّم فخشي منه، فقال: أنت الراجي للخلافة المنتظر لها؟ وكيف ترجوها وأنت ابن أمة ؟

فقال: يا أميرالمؤمنين إنّ لتعييرك إيّاي جوابا[٢]، فإن شئت أجبتك، وإن شئت أمسكت، قال: بل أجب فما أنت وجوابك، ثمّ ذكر نحو الجواب الذي ذكره في عمدة الطالب.

ثمّ قال: ولمّا ولي السفّاح ورد عليه رأس مروان بن محمّد بمصر، وأنّ عبدالحميد الطائي نبش هشاماً بالرصافة وصلبه وأحرقه بالنار، خرّ لله تعالىٰ ساجداً، وقال: الحمد لله الذي قتل بالحسين بن علي بن أبي‌طالب عليه السلام مائتين من بني أُمية، وصلب هشاماً بزيد بن علي، وقتل مروان بأخي إبراهيم[٣].

وقال الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام: زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي‌طالب، أبوالحسين الهاشمي العلوي أخو أبي‌جعفر محمّد، وعبدالله، وعمر، وعلي، والحسين، وهو ابن أمة، روىٰ عن أبيه، وأخيه أبي‌جعفر الباقر، وعروة، وعنه: ابن أخيه جعفر بن محمّد، وشعبة، وفضيل بن مرزوق، والمطّلب بن زياد،

---

(١) عمدة الطالب ص ٣١٤ ـ ٣١٧.

(٢) في الصواعق: إيّاي بأُمّي ليس صواباً.

(٣) الصواعق المحرقة ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

وسعيد بن خثيم الهلالي، وعبدالرحمٰن بن أبي‌الزناد، وآخرون وكان أحد العلماء الصلحاء بدت منه هفوة فاستشهد، فكانت سبباً لرفع درجته في الآخرة[١].

أقول: إن كان يعني بالهفوة، خروجه بناءً علىٰ تحريم الخروج على الجائر، فقد أجاب ابن حجر عن قول ابن العربي المالكي «لم يقتل يزيد الحسين إلاّ بسيف جدّه»[٢] جواباً يدفع كون خروج زيد هفوة، بل أدّاه إجتهاده إلىٰ ذلك آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، وكان في ذلك العصر له ولأمثاله مثل ذلك.

وقد ذكرنا جواب ابن حجر هذا في فضل الحسين عليه السلام، فراجعه هناك إن شئت.

ولا يخفىٰ أنّ نسبة الهفوة إلىٰ زيد من مسلك قول ابن العربي المالكي في الحسين عليه السلام، وقد قال ابن حجر: إنّه يقشعرّ منه الجلد، والله المستعان.

ثمّ ذكر الذهبي نحو ما نقلناه من عمدة الطالب، إلاّ أنّه ذكر خلاف ذلك وخلاف ما نقله ابن حجر في الصواعق من سبب خروج زيد، وخلاف المشهور.

فذكر أنّ زيد بن علي وفد علىٰ يوسف بن عمر الثقفي، فأحسن جائزته، ثمّ رجع إلى المدينة، فأتاه ناس من أهل الكوفة، فقالوا: ارجع ليس يوسف بشيء

---

(١) تاريخ الإسلام ٨: ١٠٥.

(٢) وقد مرّ هذا الكلام سابقاً، وكتبنا تعليقة مفصّلة في الجواب عن هذا الناصبي، وقلنا: إنّ الحسين عليه السلام قتل في الحقيقة بسيف السقيفة، وذلك أنّ الإمام الحسين عليه السلام قتل بأمر من يزيد بن معاوية، وهو ممّن نصبه والده معاوية حاكماً وخليفة للأُمّة، ومعاوية نصبه عمر أميراً وحاكماً على الشام، وأقرّه عثمان علىٰ ذلك، وعزله الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي‌طالب عليه السلام عن الإمرة وحاربه، وعمر نصبه أبوبكر أميراً وخليفة للأُمّة، وخلافة أبي‌بكر حصيلة المؤامرة في السقيفة.

نحن نأخذ لك الكوفة، فرجع فبايعه ناس كثير، إلىٰ آخر خبر مقتله وصلبه أربع سنين، ثمّ أحرقه بالنار.

قال: وقال يعقوب الفسوي: كان قدم الكوفة وخرج بها، لكونه كلّم هشام بن عبدالملك في دين ومعونة[١]، فأبىٰ عليه وأغلظ له[٢]. إنتهىٰ.

وهذا خلاف المعتمد في النقل، وما هو اللايق بزيد بن علي بن الحسين رضي الله عنه، فتأمّل.

وذكر الذهبي وابن حجر وغيرهم رؤية بعضهم بعد مقتل زيد وصلبه للنبي ﷺ في المنام كأنّه متساند إلىٰ خشبة زيد بن علي، وهو يقول: أهكذا تفعلون بولدي[٣].

وذكر الذهبي أنّه سئل عيسى بن يونس عن الرافضة والزيدية، فقال: أمّا الرافضة، فإنّهم جاؤوا إلىٰ زيد بن علي حين خرج، فقالوا: أتبرأ من أبيبكر وعمر نكن معك، فقال: لا بل أتولاّهما، قالوا: إذاً نرفضك، فسمّيت الرافضة. وأمّا الزيدية، فقالوا بقوله وحاربوا معه، فنسبوا إليه.

وقال إسماعيل السدّي: عن زيد بن علي، أنّه قال: الرافضة حربي وحرب أبي في الدنيا والآخرة، مرقوا علينا كما مرق الخوارج علىٰ علي عليه السلام[٤].

أقول: هذا يقتضي أنّ الإمامية الإثناعشرية المسمّين في كتب الملل والنحل

---

(١) في التاريخ: في دين معاوية. وهذا من الأغلاط والتحريفات الفاحشة.

(٢) تاريخ الإسلام ٨: ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٣) تاريخ الإسلام ٨: ١٠٥.

(٤) تاريخ الإسلام ٨: ١٠٦.

بالقطعية، وذكرهم ابن الأثير في جامع الأُصول في كلامه في حديث يبعث الله لهذه الأمّة على رأس كلّ مائة من يجدّد لها، وذكر المجدّدين، منهم أوّلهم علي الرضا بن موسى الكاظم عليهما السلام، ثمّ محمّد بن يعقوب الكليني، ثمّ السيد المرتضى (١).

غير الرافضة الذين رفضوا زيداً وخذلوه وقلّوه وقلاهم، وأسلموه للقتل، وذمّهم هذا الذمّ؛ لأنّ هؤلاء يجب أن يكونوا متبرّئين من زيد بن علي غير موالين له، والإمامية الإثناعشرية ليسوا كذلك، بل هم يوالونه، ويثنون عليه، ويعظّمونه، ويروون عن أئمّتهم، كعلي الرضا وموسى الكاظم عليهما السلام ومن قبلهما في مدحه والثناء عليه روايات كثيرة.

رأيت جانباً منها في كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام الذي صنّفه محمّد بن علي بن بابويه شيخ الإمامية وكبيرهم للصاحب بن عبّاد، وذكر في خطبة الكتاب قصيدتي الصاحب السينية والضادية في مدح علي الرضا عليه السلام الذي ولاّه المأمون العهد (٢).

---

(١) جامع الأُصول ١٢: ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٢) أمّا القصيدتان فهما قال: قال الصاحب الجليل إسماعيل بن عبّاد ـ رضي اللّه عنه ـ في إهداء السلام إلى الرضا عليه أفضل الصلوات والسلام:

يا سائراً زائراً إلى طوس ... مشهد طهرٍ وأرض تقديس
أبلغ سلامي الرضا وحطّ على ... أكرم رمسٍ لخير مرموس
واللّه واللّه حلفة صدرت ... من مخلص في الولاء مغموس
إنّي لو كنت مالكاً إربي ... كان بطوس الفناء تعريس
وكنت أمضي العزيم مرتحلاً ... مستنسفاً فيه قوّة العيس
لمشهد بالذكاء ملتحف ... وبالسناء والثناء مأنوس

⇩

يا سيّدي وابن سادتي ضحكت وجوه دهري بعقب تعبيس

لمّا رأيت النواصب انتكست رايـاتها في زمان تنكيس

صدعت بالحقّ في ولائكم والحقّ مذ كان غير منحوس

يابن النبي الذي به قمع اللّـ ـه ظهور الجبابر الشوس

وابن الوصي الذي تقدم في الفضـ ـل على البزل القناعيس

وحائز الفخر غير منتقصٍ ولابس المجد غير تلبيس

إنّ بني النصب كاليهود وقد يخلط تهويدهم بتمجيس

كم دفنوا في القبور من نجسٍ أولىٰ به الطرح في النواويس

عالمهم عند ما أُباحثه في جلد ثورٍ ومسك جاموس

إذا تأمّلت شوم جبهته عرفت فيها اشتراك إبليس

لم يعلموا والأذان يرفعكم صوت أذانٍ أم قرع ناقوس

أنتم حبال اليقين أعلقها ما وصل العمر حبل تنفيس

كم فرقة فيكم تكفّرني ذلّلت هاماتها بفطيس

قمعتها بالحجاج فانخذلت تجفل عنّي بطير منحوس

إنّ ابن عبّاد استجار بكم فما يخاف الليوث في الخيس

كونوا أيا سادتي وسائله يفسح له اللّه في الفراديس

كم مدحة فيكم يحبّرها كأنّها حلّة الطواويس

وهذه كم يقول قارئها قد نشر الدرّ في القراطيس

يملك رقّ القريض قائلها ملك سليمان عرش بلقيس

بلّغه اللّه ما يؤمّله حتّىٰ يزور الإمام في طوس

⇩

ـه ولهُ أيضاً في إهداء السلام إلى الرضاﷺ :

يا زائراً قد نهضا		مبتدراً قد ركضا
وقد مضىٰ كأنّه		البرق إذا ما أومضا
أبلغ سلامي زاكياً		بطوس مولاي الرضا
سبط النبي المصطفىٰ		وابن الوصي المرتضىٰ
من حاز عزّاً أقعسا		وشاد مجداً أبيضا
وقل له من مخلصٍ		يرى الولا مفترضا
في الصدر لفح حرقةٍ		نترك قلبي حرضا
من ناصبين غادروا		قلب الموالي ممرضا
صرحت عنهم معرضاً		ولم أكن معرضا
نابذتهم ولم أبل		إن قيل قد ترفّضا
يا حبّذا رفضي لمن		نابذكم وأبغضا
ولو قدرت زرته		ولو علىٰ جمر الغضا
لكنّني معتقل		بقيد خطبٍ عرضا
جعلت مدحي بدلا		من قصده وعوّضا
أمانة موردة		على الرضا ليرتضىٰ
رام ابن عبّاد بها		شفاعة لن تدحضا

وأمّا الروايات الواردة في فضل زيد الشهيد فقال في عيون أخبار الرضا ١: ١٤٨:

باب ما جاء عن الرضاﷺ في زيد بن علي

١ - حدّثنا أحمد بن يحيى المكتّب، قال: أخبرنا محمّد بن يحيى الصولي، قال:
⇩

۸ ـ حدّثنا محمّد بن يزيد النحوي، قال: حدّثني ابن أبي عبدون، عن أبيه، قال: لمّا حمل زيد بن موسى بن جعفر إلى المأمون، وقد كان خرج بالبصرة، وأحرق دور ولد العبّاس، وهب المأمون جرمه لأخيه علي بن موسى الرضا عليه السلام، وقال له: يا أباالحسن لئن خرج أخوك وفعل ما فعل، لقد خرج قبله زيد بن علي فقتل، ولولا مكانك منّي لقتلته، فليس ما أتاه بصغير.

فقال الرضا عليه السلام: يا أميرالمؤمنين لا تقس أخي زيداً إلىٰ زيد بن علي، فإنّه كان من علماء آل محمّد، غضب للّه عزّوجلّ، فجاهد أعداءه حتّىٰ قتل في سبيله، ولقد حدّثني أبي موسى بن جعفر عليه السلام أنّه سمع أباه جعفر بن محمّد بن علي عليهم السلام، يقول: رحم اللّه عمّي زيداً، إنّه دعا إلى الرضا من آل محمّد، ولو ظفر لوفىٰ بما دعا إليه، ولقد استشارني في خروجه، فقلت له: يا عمّ إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك، فلمّا ولي قال جعفر بن محمّد عليه السلام: ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه.

فقال المأمون: يا أباالحسن أليس قد جاء فيمن ادّعى الإمامة بغير حقّها ما جاء؟

فقال الرضا عليه السلام: إنّ زيد بن علي لم يدّع ما ليس له بحقّ، وإنّه كان أتقىٰ للّه من ذلك، إنّه قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام، وإنّما جاء ما جاء فيمن يدّعي أنّ اللّه تعالىٰ نصّ عليه، ثمّ يدعو إلىٰ غير دين اللّه، ويضلّ عن سبيله بغير علم، وكان زيد واللّه ممّن خوطب بهذه الآية ﴿وَجاهِدُوا فِي اللّهِ حَقَّ جِهادِهِ هُوَ اجْتَبٰاكُمْ﴾.

قال محمّد بن علي بن الحسين مصنّف هذا الكتاب ـ أي: عيون أخبار الرضا عليه السلام ـ رضي اللّه عنه: لزيد بن علي فضائل كثيرة عن غير الرضا عليه السلام، أحببت إيراد بعضها علىٰ إثر هذا الحديث، ليعلم من ينظر في كتابنا هذا إعتقاد الإمامية فيه.

⇩

⇐ ٢ - حدّثنا أحمد بن هارون الفامي في مسجد الكوفة سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، قال: حدّثنا محمّد بن عبدالله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن الحسين بن علوان، عن عمر بن ثابت، عن داود بن عبدالجبّار، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر، عن آبائه عليهم السلام، عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله للحسين عليه السلام: يا حسين يخرج من صلبك رجل يقال له: زيد، يتخطّىٰ هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس غرّاً محجّلين، يدخلون الجنّة بلا حساب.

٣ - حدّثنا أحمد بن محمّد بن رزمة القزويني، قال: حدّثنا أحمد بن عيسى العلوي الحسيني، قال: حدّثنا عبّاد بن يعقوب الأسدي، قال: حدّثنا حبيب بن أرطاة، عن محمّد بن ذكوان، عن عمرو بن خالد، قال: حدّثني زيد بن علي بن الحسين وهو آخذ بشعره، قال: حدّثني أبي علي بن الحسين عليهما السلام وهو آخذ بشعره، قال: حدّثني الحسين بن علي عليهما السلام وهو آخذ بشعره، قال: حدّثني علي بن أبي طالب عليه السلام وهو آخذ بشعره، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو آخذ بشعره، قال: من آذىٰ شعرة منّي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله عزّوجلّ، ومن آذى الله عزّوجلّ لعنه الله ملأ السماء والأرض.

٤ - حدّثنا علي بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقّاق رضي الله عنه، قال: حدّثنا علي بن الحسين العلوي، قال: حدّثني الحسين بن علي الناصري قدّس الله روحه، قال: حدّثني أحمد بن رشيد، عن عمّه أبي معمّر سعيد بن خيثم، عن أخيه معمّر، قال: كنت جالساً عند الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام، فجاء زيد بن علي بن الحسين، فأخذ بعضادتي الباب، فقال له الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام: يا عمّ أُعيذك بالله أن تكون ⇩

﴿ المصلوب بالكناسة. فقالت أمّ زيد: والله لا يحملك على هذا القول غير الحسد لابني، فقال عليه السلام: يا ليته حسداً، يا ليته حسداً ثلاثاً، حدّثني أبي عن جدّي عليهما السلام، أنّه قال: يخرج من ولده رجل يقال له: زيد، يقتل بالكوفة، ويصلب بالكناسة، يخرج من قبره حين ينشر، تفتح لروحه أبواب السماء، يبتهج به أهل السماوات والأرض، يجعل روحه في حوصلة طير أخضر، يسرح في الجنّة حيث يشاء.

٥ - حدّثنا الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري، قال: حدّثنا عبدالعزيز بن يحيى، قال: حدّثنا الأشعث بن محمّد الضبّي، قال: حدّثني شعيب بن عمرو، عن أبيه، عن جابر الجعفي، قال: دخلت على أبي جعفر محمّد بن علي عليهما السلام، وعنده زيد أخوه، فدخل عليه معروف بن خرّبوذ المكّي، قال له أبوجعفر عليه السلام: يا معروف أنشدني من طرائف ما عندك، فأنشده:

لعمرك ما إن أبو مالك ... بوان ولا بضعيف قواه
ولا بألدّ لدى قوله ... يعادي الحكيم إذا ما نهاه
ولكنّه سيّدٌ بارع ... كريم الطبائع حلو ثناه
إذا سدته سدت مطواعة ... ومهما وكلت إليه كفاه

قال: فوضع محمّد بن علي عليهما السلام يده على كتفي زيد، وقال: هذه صفتك يا أباالحسن.

٦ - حدّثنا أحمد بن الحسين القطّان، قال: حدّثنا الحسن بن علي السكري، قال: حدّثنا محمّد بن زكريا الجوهري، عن جعفر بن محمّد بن عمارة، عن أبيه، عن عمرو ابن خالد، قال: حدّثني عبدالله بن سيابة، قال: خرجنا ونحن سبعة نفر، فأتينا المدينة، فدخلنا على أبي عبدالله الصادق عليه السلام، فقال لنا: أعندكم خبر عمّي زيد؟ ⇩

﴿ فقلنا: قد خرج أو هو خارج، قال: فإن أتاكم خبر فأخبروني.

فمكثنا أيّاماً، فأتى رسول بسّام الصيرفي بكتاب فيه: أمّا بعد، فإنّ زيد بن علي قد خرج يوم الأربعاء غرّة صفر، فمكث الأربعاء والخميس، وقتل يوم الجمعة، وقتل معه فلان وفلان، فدخلنا على الصادق عليه السلام، فدفعنا إليه الكتابة، فقرأه وبكى، ثمّ قال: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، عند اللّه تعالى أحتسب عمّي إنّه كان نعم العمّ، إنّ عمّي كان رجلاً لدنيانا وآخرتنا، مضى واللّه عمّي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله وعلي والحسن والحسين عليهم السلام.

٧ - حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي اللّه عنه. قال: حدّثنا محمّد ابن الحسن الصفّار، عن أحمد بن أبي عبداللّه البرقي، عن أبيه، عن محمّد بن الحسن ابن شمون، عن عبد اللّه بن سنان، عن الفضيل بن يسار، قال: انتهيت إلى زيد بن علي بن الحسين صبيحة يوم خرج بالكوفة، فسمعته يقول: من يعينني منكم على قتال أنباط أهل الشام، فوالذي بعث محمّداً بالحقّ بشيراً ونذيراً لا يعينني منكم على قتالهم أحد إلاّ أخذت بيده يوم القيامة، فأدخلته الجنّة بإذن اللّه عزّوجلّ.

فلمّا قتل اكتريت راحلة وتوجّهت نحو المدينة، فدخلت على أبي عبداللّه عليه السلام، فقلت في نفسي: واللّه لأخبرنّه بقتل زيد بن علي فيجزع عليه، فلمّا دخلت عليه، قال: ما فعل عمّي زيد؟ فخنقتني العبرة، فقال: قتلوه؟ قلت: إي واللّه قتلوه، قال: فصلبوه؟ قلت: إي واللّه فصلبوه.

قال: فأقبل يبكي ودموعه تنحدر عن جانبي خدّه كأنّها الجمان، ثمّ قال: يا فضيل شهدت مع عمّي زيد قتال أهل الشام؟ قلت: نعم، فقال: فكم قتلت منهم؟ قلت: ستّة، قال: فلعلّك شاكّ في دمائهم؟ قلت: لو كنت شاكّاً ما قتلتهم، فسمعته وهو يقول: ⇩

وكذلك في كتاب الإرشاد لمعرفة حجج الله على العباد[١]، تصنيف عظيم الإمامية على الإطلاق محمّد بن محمّد بن النعمان الملقّب بالمفيد، وهذا الكتاب ينقل منه كثيراً صاحب الفصول المهمّة أبو الحسن السفاقسي المالكي المكّي.

وكذلك في كتبهم في رجالهم الموضوعة للجرح والتعديل الثناء على زيد بن علي ـ رضي الله عنه ـ والتعديل له، والتعظيم لشأنه.

وهذه عبارة ما وقفت عليه من كتب رجالهم في كتاب جمع فيه مصنّفه ما في كتبهم القديمة: زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين أخو الباقر عليه السلام، قتل سنة احدى وعشرين ومائة، وله اثنان وأربعون سنة، وكان عين إخوته بعد أبي جعفر الباقر عليه السلام، وأفضلهم ورعاً عابداً فقيهاً سخياً شجاعاً، ظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، ويطلب بثارات الحسين عليه السلام، وهو جليل القدر، عظيم الشأن، قتل في سبيل الله وطاعته، وقد ورد في علوّ قدره روايات يضيق المقام عن إيرادها[٢]. إنتهىٰ.

هذا ما وقفت عليه، والعلم أمانة، والله أعلم بحقائق هذه الفرقة من فرق الشيعة

ﻫ أشركني الله في تلك الدماء، ما مضىٰ والله زيد عمّي وأصحابه إلاّ شهداء مثل ما مضىٰ عليه علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه.

أقول: وقد أوردت جملة وافية من الروايات الواردة في فضائل زيد الشهيد في كتابنا المحدّثون من آل أبي طالب ٢: ١٥ ـ ١١١ برقم: ٢٦٧.

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ٢: ١٧١ ـ ١٧٤. راجع تفصيل كلامه، كتابنا المحدّثون من آل أبي طالب ٢: ٢٧ ـ ٢٩.

(٢) الإرشاد ٢: ١٧١.

وغيرها، وتجازىٰ بشرّها وخيرها .

ترجمة يحيى بن زيد بن علي بن الحسين

عالم فاضل، صالح تقي، بطل شجاع، مذكور في أكثر التواريخ .

قال في عمدة الطالب: أمّه ريطة بنت أبي‌هاشم عبدالله بن محمّد ابن الحنفية وهو ابن أميرالمؤمنين علي عليه السلام، وذكره في ترجمة زيد: إنّه لمّا أصابه السهم أكبّ عليه، فقال: يا أبتاه أبشر ترد علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة وعلى الحسن وعلى الحسين، قال: أجل يا بنيّ ولكن أيّ شيء تريد أن تصنع؟ قال: أُقاتلهم والله ولولم أجد إلاّ نفسي، فقال: افعل يا بنيّ، إنّك على الحقّ، وإنّهم على الباطل، وإنّ قتلاك في الجنّة، وقتلاهم في النار[١]. إنتهىٰ .

وذكر أنّه لمّا قتل أبوه نزل المدائن، فبعث يوسف بن عمر في طلبه، فخرج إلى الري، ثمّ إلىٰ نيسابور، فسألوه المقام بها، فأبىٰ وقال: بلدة لا يرتفع فيها لعلي راية، ثمّ خرج إلىٰ سرخس، فلم يزل حتّىٰ مضىٰ هشام، ثمّ اطّرد حكايته .

إلىٰ أن قال: فخرج حتّىٰ نزل الجوزجان، فلحق به قوم من أهل جوزجان والطالقان قدر خمسمائة رجل، فبعث إليه نصر بن سيّار سالم بن أجرد[٢]، فقاتلوا أشدّ القتال ثلاثة أيّام، حتّىٰ قتل جميع أصحابه، وبقي هو وحده، فقتل رضي الله عنه يوم الجمعة وقت العصر، في قرية يقال لها: أرغوىٰ، سنة خمس وعشرين ومائة، وعمره ثمان عشرة سنة[٣]. إنتهىٰ .

---

(١) عمدة الطالب ص ٣١٦ .

(٢) في العمدة: أحور .

(٣) عمدة الطالب ص ٣١٨ ـ ٣١٩ .

ويحيى بن زيد مترجم أيضاً، مثنئ عليه في كتب الإمامية، عدّوه في أصحاب جعفر الصادق[١]، وموسى الكاظم عليهما السلام[٢].

وأمّا عند الزيدية، فجلالة قدر زيد وابنه يحيى ـ رضي الله عنهما وعظم شأنهما ـ أبين من أن يبيّن، والله أعلم[٣].

تراجم أعيان من الصدر الأوّل من بني الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، الحسن المثنّى بن الحسن بن علي بن أبي طالب

قال الذهبي في تاريخ الإسلام: روى عن أبيه، وعبدالله بن جعفر، وعنه: ابنه عبدالله، وابن عمّه الحسن بن محمّد ابن الحنفية، وسهيل بن أبي صالح، وإسحاق بن يسار، والوليد بن كثير، وفضيل بن مرزوق.

قال الليث بن سعد: حدّثني ابن عجلان، عن سهيل، وسعيد بن أبي سعيد مولى المهدي[٤]، عن حسن بن حسن بن علي، أنّه رأى رجلاً وقف على البيت الذي فيه قبر رسول الله صلى الله عليه وآله يدعو له ويصلّي عليه، فقال للرجل: لا تفعل، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا تتّخذوا بيتي عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وصلّوا عليّ حيثما كنتم، فإنّ صلاتكم تبلغني. هذا حديث مرسل[٥].

قال الزبير: أمّ الحسن هذا هي خولة بنت منظور الفزاري، وهي أمّ إبراهيم

---

(١) رجال الشيخ الطوسي ص ٣٢٠ برقم: ٤٧٨٤.

(٢) رجال الشيخ الطوسي ص ٣٤٦ برقم: ٥١٦٩.

(٣) راجع: كتابنا المحدّثون من آل أبي طالب ٣: ٤٤١ ـ ٤٤٨ برقم: ٦١٢.

(٤) في التاريخ: المهري.

(٥) أي حديث مرسل ضعيف ليس بحجّة.

وداود، وأُمّ القاسم بنت محمّد بن طلحة بن عبيدالله التيمي.

قال: وكان الحسن وصيّ أبيه، وولي صدقة علي عليه السلام، قال له الحجّاج يوماً وهو يسايره في موكبه بالمدينة إذ كان أميرالمؤمنين: أدخل عمّك عمر بن علي معك في صدقة علي، فإنّه عمّك وبقية أهلك. فقال: لا أُغيّر شرط علي، فقال الحجّاج: إذاً أدخله معك، فسافر إلىٰ عبدالملك بن مروان، فرحّب به ووصله، وكتب له كتاباً إلى الحجّاج لا يجاوزه [١].

أقول: وقال الشيخ أحمد بن الفضل باكثير في وسيلة المآل: وكان هذا الحسن جليلاً مهيباً فاضلاً رئيساً ورعاً زاهداً، وكان يلي صدقات جدّه أميرالمؤمنين عليه السلام بالمدينة، حكي عنه أنّه سائر الحجّاج وهو يومئذ أمير المدينة، فقال له، وذكر ما ذكره الذهبي.

إلىٰ أن قال: فأمسك الحسن عنه، ثمّ ما كان إلاّ أن فارق وتوجّه من المدينة إلى الشام لعبدالملك بن مروان، فلمّا أتى الشام وقف بباب عبدالملك يطلب الإذن شهراً ولم يؤذن له، فوافاه يحيى بن أُمّ الحكم وهو على الباب، فسلّم عليه وقال له: ما جاء بك، فأخبره بخبره مع الحجّاج، فقال له: أسبقك بالدخول إلىٰ عبدالملك، ثمّ ادخل فتكلّم وأذكر قصّتك، فترىٰ ما أفعل معك وأنفعك به عنده.

وكان يحيىٰ قد خرج من عند عبدالملك، فكرّ راجعاً، فقال: يا يحيىٰ لم رجعت وقد خرجت آنفاً؟ قال: أمر لم يسعني تأخيره دون أن أخبر به أميرالمؤمنين، قال: وما هو؟ قال: هذا الحسن بن الحسن بالباب له مدّة شهر لا يؤذن له، وأنّه لأبيه وجدّه شيعة يرون أن يموتوا عن آخرهم ولا ينال أحداً منهم ضرر ولا أذىً.

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٦: ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

فأمر عبدالملك بإدخاله، فدخل فأعظمه وأكرمه، وأجلسه معه علىٰ سريره، وكان الحسن قد أسرع إليه الشيب، فقال له عبدالملك: لقد أسرع الشيب إليك يا أبامحمّد، فبدر يحيى بن أمّ الحكم، فقال: وما يمنعه يا أميرالمؤمنين شيّبه أماني أهل العراق، يفد عليه الركب بعد الركب يمنّونه الخلافة.

فقال الحسن: بئس والله الرفد رفدت، وليس الأمر كما قلت، ولكنّا أهل بيت يسرع إلينا الشيب، وعبدالملك يسمع كلامه، فأقبل عبدالملك على الحسن، وقال: لا عليك هلمّ حاجتك يا أبامحمّد، فأخبره بقول الحجّاج له، فقال عبدالملك: ليس له ذلك، فكتب إلى الحجّاج يتهدّده ويمنعه من ذلك، وكتب في آخر الكتاب:

إنّا إذا مالت دواعي الهوىٰ ... وأنصت السامع للقائل
واضطرب القوم بأحلامهم ... نقضي بحكم فاصل عادل
لا تجعل الباطل حقّاً ولا ... نُلِطّ[1] دون الحقّ بالباطل
نخاف أن تسفه أحلامنا ... فنخمل الدهر مع الخامل

ثمّ ختم الكتاب وسلّمه إلى الحسن، وأجازه بأحسن جائزة، وجهّزه إلى المدينة، فجاءه يحيى بن أمّ الحكم بعد خروجه من عبدالملك، فقال: كيف رأيت ما فعلت معك؟ فقال: والله إنّي أعاتب عليك فيما فعلت، فقال: والله ما ألوتك نفعاً، ولا ذخرت عنك جهداً، ولولا كلمتي هذه ما هابك، ولا قضىٰ لك حاجة، فاعرف لي ذلك.

قال الشيخ أحمد بن الفضل: وكان قد خطب إلىٰ عمّه الحسين عليه السلام احدى ابنتيه، فأبرز إليه فاطمة وسكينة، وقال له: يا بنيّ اختر أحبّهما إليك، فاستحيا الحسن ولم

(١) لطّ السرىٰ: أرخاه، وفي العمدة: نلفظ.

يحر جواباً، فقال له الحسين عليه السلام: قد اخترت لك ابنتي فاطمة، فهي أكثر شبهاً بأُمّي فاطمة عليها السلام، فزوّجها منه.

قال: ومات الحسن المثنّىٰ وله من العمر خمس وثمانون سنة، ودفن بالبقيع، وضربت زوجته فاطمة بنت الحسين علىٰ قبره فسطاطاً، وكانت تقوم الليل وتصوم النهار، وتشبه بالحور العين لجمالها، فلمّا كانت رأس السنة قالت لمواليها: قوّضوا هذا الفسطاط، فلمّا أظلم الليل وقوّضوه، سمعت قائلاً يقول: هل وجدوا ما فقدوا، فأجابه آخر: بل يئسوا فانقلبوا.

قال: وأُمّ الحسن خولة بنت منظور بن زيان، وكانت تحت محمّد بن طلحة بن عبدالله، فقتل عنها يوم الجمل، ولها منه إبراهيم وداود، فتزوّجها الحسن بن علي عليهما السلام، وذكر قصّة مجيء أبيها وأخذها، ثمّ قولها: يا أبت أين تذهب لي انّه الحسن بن علي أميرالمؤمنين وابن رسول الله صلى الله عليه وآله، ولحوق الحسن والحسين عليهما السلام وعبدالله بن جعفر به، فردّها إلى الحسن عليه السلام.

قال: ويحكىٰ أنّ جدّه منظور بن زيان زاره، فقال له: بمن تزوّجت؟ قال: بابنة عمّي الحسين، فقال له: هلاّ أغربت فإنّه أنجب للولد، ثمّ إنّه أخرج إليه ابنه عبدالله وهو المحض، فلمّا رآه قال: هذا سيد نجيب سيسود قومه، ثمّ إبراهيم، فقال: وهذا والله سيدّ إلاّ أنّه دون الأوّل، ثمّ الحسن المثلّث، فلمّا رآه قال: لا تقربها بعد هذا.

قال: ومات الحسن المثنّىٰ وله من الولد: عبدالله، وإبراهيم، والحسن المذكورون، وزينب، وأُمّ كلثوم، أُمّهم فاطمة بنت الحسين عليه السلام، وداود، وجعفر، أُمّهما أُمّ ولد رومية تدعىٰ حبيبة، ومحمّد أُمّه رملة بنت سعيد بن زيد العدوي (١).

---

(١) راجع: المحدّثون من آل أبي طالب ١: ٢٤٤ ـ ٢٦٣ برقم: ١٥١.

وما ذكره الشيخ أحمد نقله من عمدة الطالب، وفيها نسب أُمّ الحسن، هي خولة بنت منظور بن زيان بن سيار بن عمرو بن جابر بن عقيل بن سميّ بن مازن بن فزارة(١).

أقول: وهو ابن ذبيان(٢)، وهو أخو عبس وسعد، والثلاثة أولاد بغيض بفتح الباء الموحّدة وكسر الغين المعجمة، وهو ابن الريث بن غطفان.

وقال في عمدة الطالب: إنّ يحيى بن أُمّ الحكم أبوه ثقفي، وأُمّه بنت مروان بن الحكم.

وقال أيضاً: وكان الحسن شهد الطفّ مع عمّه الحسين عليه السلام، وأُثخن بالجراح، فلمّا أرادوا أخذ الرؤوس وجدوا به رمقاً، فقال أسماء بن خارجة بن عيينة بن حصن(٣) بن حذيفة بن بدر الفزاري: دعوه لي، فإن وهبه الأمير عبيدالله بن زياد لي، وإلاّ رأىٰ فيه رأيه، فتركوه له، فحمله إلى الكوفة، وحكوا ذلك لابن زياد، فقال: دعوا لأبي حسّان ابن أُخته، وعالجه أسماء حتّىٰ برىء، ثمّ لحق بالمدينة(٤).

أقول: كان ينبغي لصاحب وسيلة المآل أن يذكر ذلك، فإنّه شرف عظيم، وفضيلة دينية، ومزية له ــ رضي الله عنه ــ علىٰ أخيه زيد بن الحسن بن علي، فإنّه لم يسر مع عمّه الحسين عليه السلام.

قال في عمدة الطالب: وتخلّف عن عمّه الحسين عليه السلام، فلم يخرج معه إلى

(١) عمدة الطالب ص ١١٥ ـ ١١٨.

(٢) في العمدة: زيان.

(٣) في العمدة: خضر.

(٤) عمدة الطالب ص ١١٨.

العراق، وبايع بعد قتل عمّه عليه السلام عبدالله بن الزبير؛ لأنّ أُخته لأُمّه وأبيه كان تحت عبدالله بن الزبير (١).

رجعنا إلى النقل من تاريخ الإسلام للذهبي، قال: وقال زائدة: عن عبدالملك ابن عمير، حدّثني أبومصعب، أنّ عبدالملك كتب إلىٰ هشام بن إسماعيل عامل المدينة: بلغني أنّ الحسن بن الحسن يكاتب أهل العراق، فإذا جاءك كتابي هذا فاستحضره، قال: فجيء به، فقال له علي بن الحسين: يابن عمّ قل كلمات الفرج «لا إله إلاّ الله الحليم الكريم، لا إله إلاّ الله العلي العظيم، لا إله إلاّ الله ربّ السماوات السبع، وربّ الأرض، ربّ العرش الكريم» قال: فخلّي عنه.

ورويت من وجه آخر عن عبدالملك بن عمير، لكن قال: كتب الوليد إلىٰ عثمان المرّي: أُنظر الحسن بن الحسن، فاجلده مائة ضربة، وقفه للناس يوماً، ولا أراني إلاّ قاتله، قال: فعلّمه علي بن الحسين عليه السلام كلمات الفرج (٢).

أقول: فهذه من كراماته تضاف إلىٰ ما سبق نقله من الصواعق وغيره، ممّا وقع له مع عبدالملك بن مروان من الكرامات النيّرة.

وذكر الذهبي وفاة الحسن المثنّىٰ ـ رضي الله عنه ـ سنة سبع وتسعين (٣).

والمعقبون من أولاده الذين تقدّم ذكرهم، كما في عمدة الطالب وغيره خمسة رجال: عبدالله المحض، وإبراهيم الغمر، والحسن المثلّث، وأُمّهم فاطمة بنت الحسين كما تقدّم، فكلّ أولاد هؤلاء يقال لهم: حسني حسيني بتقديم النسب إلى

---

(١) عمدة الطالب ص ٧٦.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٦: ٣٢٩ ـ ٣٣٠.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٦: ٣٣٠.

الأب. وداود وجعفر، اُمّهما اُمّ ولد رومية، كما تقدّم[١].

ترجمة

عبدالله المحض بن الحسن المثنّىٰ

أجلّهم وأكبرهم قدراً عبدالله المحض، قال في عمدة الطالب: سمّي المحض؛ لمكانه من الحسنين؛ لأنّ أباه الحسن بن الحسن، واُمّه فاطمة بنت الحسين عليه السلام، وكان يشبه برسول الله صلى الله عليه وآله، وكان شيخ بني هاشم في زمانه، وقيل له: بم صرتم أفضل الناس؟ قال: لأنّ الناس كلّهم يتمنّون أن يكونوا منّا، ولا نتمنّىٰ أن نكون من أحد، وكان قوي النفس شجاعاً، وربما قال شيئاً من الشعر، ومن شعره قوله:

بيض غرائر ما هممن بريبة ... كظباء مكّة صيدهنّ حرام

يحسبن من لين الكلام زوانيا ... ويصدّهنّ عن الخنا الإسلام

أقول: وهما مذكوران في شواهد الإنسجام والفصاحة اللفظية[٢].

قال في عمدة الطالب: ولمّا قدم أبوالعبّاس السفّاح وأهله سرّاً علىٰ أبيسلمة الخلاّل الكوفة، أسرّ[٣] أمرهم، وعزم أن يجعلها شورىٰ بين ولد علي وولد العبّاس، حتّىٰ يختاروا هم من أرادوا.

ثمّ قال: أخاف ألاّ يتّفقوا، فعزم علىٰ أن يعدل بالأمر إلىٰ ولد علي من الحسن والحسين عليهما السلام، فكتب إلىٰ ثلاثة نفر منهم: جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين عليهم السلام، وعمر بن علي بن الحسين، وعبدالله المحض بن الحسن، ووجّه بالكتب مع رجل

---

(١) عمدة الطالب ص ١١٨ ـ ١١٩.

(٢) لم أعثر علىٰ هذا الكتاب ولا علىٰ مؤلّفه في المعاجم الرجالية.

(٣) في العمدة: ستر.

من مواليهم من ساكني الكوفة .

فبدأ بجعفر بن محمّد عليه السلام، فلقيه ليلاً، وأعلمه أنّه رسول أبي سلمة، وأنّ معه كتاباً إليه منه، فقال: وما أنا وأبوسلمة وهو شيعة لغيري، فقال الرسول: تقرأ الكتاب وتجيب عليه بما رأيت .

فقال جعفر عليه السلام لخادمه: قدّم منّي السراج، فقرّبه، فوضع عليه كتاب أبي سلمة فأحرقه، فقال: ألا تجيبه؟ فقال: قد رأيت الجواب .

فخرج من عنده، وأتىٰ عبدالله بن الحسن بن الحسن، فقبل كتابه، وركب إلىٰ جعفر بن محمّد عليه السلام، فقال جعفر عليه السلام له: أيّ أمر جاء بك يا أبامحمّد؟ لو أعلمتني لجئتك، فقال: هذا كتاب أبي سلمة يدعوني للأمر، ويراني أحقّ الناس به، وقد جاءته شيعتنا من خراسان .

فقال له جعفر الصادق عليه السلام: ومتىٰ صاروا شيعتك؟ أنت وجّهت أبامسلم إلىٰ خراسان وأمرته بلبس السواد؟ هل تعرف أحداً منهم باسمه ونسبه؟ كيف يكونون من شيعتك وأنت لا تعرفهم ولا يعرفونك؟ فقال عبدالله: إن كان هذا الكلام منك لشيء .

فقال جعفر عليه السلام: قد علم الله أنّي أوجب علىٰ نفسي النصح لكلّ مسلم، فكيف أدّخره عنك، فلا تمنّينّ نفسك الأباطيل، فإنّ هذه الدولة ستتمّ لهؤلاء القوم، ولا تتمّ لأحد من آل أبي طالب، وقد جاءني مثل الذي جاءك، فانصرف غير راض بما قاله.

وأمّا عمر بن علي بن الحسين، فقال: ما أعرف كاتبه فأجيبه، وردّ الكتاب.

ومات عبدالله المحض ـ رضي الله عنه ـ في حبس المنصور[١].

وذكر في عمدة الطالب صفة قتله، وفيها سؤال الذي كان محبوساً عنده، وأمره المنصور بقتله لمن كان عنده بقوله: ما تعدون عبدالله بن الحسن فيكم؟ فقالوا: هو والله خير من أظلّت هذه وأقلّت هذه، أي: السماء والأرض، فضرب احدىٰ يديه على الأُخرىٰ، وقال: قد والله مات[٢].

وذكر الشيخ أحمد بن الفضل باكثير في وسيلة المآل في ترجمته: أنّ عبدالله كان جمّ الفضائل، حاضر الجواب، وقد كانت بنو هاشم اجتمعت في آخر دولة بني أُمية وضعفهم، وأرادوا أن يبايعوا من يقوم بالأمر، واتّفقوا علىٰ إبراهيم ومحمّد بن عبدالله المحض.

فلمّا اجتمعوا أرسلوا إلىٰ جعفر بن محمّد عليه السلام ليحضر، فقال عبدالله أبوهما: لا تدعوه، فإنّه يفسد عليكم أمركم، فلمّا دخل جعفر عليه السلام سألهم عن سبب الاجتماع، فأخبروه، فقال: لا والله لا نتركك وأنت شيخ بني هاشم، وتبايع هذين الغلامين، فقال له عبدالله: إنّما يمنعك الحسد، فمدّ يدك نبايعك أنت، فقال جعفر عليه السلام: والله ليست لي ولا لهما، وانّها لصاحب القباء الأصفر، والله ليعلبنّ بها صبيانهم ونساؤهم وغلمانهم، ثمّ نهض فخرج.

وكان المنصور حاضراً عندهم وعليه قباء أصفر، فما زالت كلمة جعفر عليه السلام تعمل فيه حتّىٰ ملكوا، ولم يزل محمّد وإبراهيم يترشّحان للأمر حتّىٰ قام السفّاح، فهربا منه واستترا.

---

(١) عمدة الطالب ص ١١٩ ـ ١٢٠.

(٢) عمدة الطالب ص ١٢١.

قال: ولمّا أراد ابنه محمّد أن يستتر، قال له: إنّي مؤدّ إليك حقّ الله تعالىٰ في تأديبك ونصيحتك، فأدّ إليّ حقّه في القبول وحسن الاستماع.

يابني كفّ عن الأذىٰ، وافض الندىٰ، واستعن بطول الصمت في المواضع التي تدعوك فيها نفسك إلى الكلام، فإنّ الصمت حسن، وللمرأ ساعات يضرّه فيها خطاؤه، ولا ينفعه صوابه، واعلم أنّ من أعظم الخطأ العجلة قبل الإمكان، والإناة بعد الفرصة.

يا بنيّ احذر الجاهل وإن كان ناصحاً، كما تحذر عداوة العاقل، فيوشك الجاهل أن يورّطك بمشورته في بعض إغرارك، فيسبق إليك مكر العاقل، وإيّاك ومعادات الرجال، فإنّه لا يعدمك مكر حليم، أو مباداة جاهل[١]. إنتهىٰ ما نقلته من وسيلة المآل.

ورأيت في كتاب الكافي[٢] من كتب الإمامية المعتمدة عندهم، نقلاً طويلاً يطابق ما نقلته من عمدة الطالب، ومن وسيلة المآل إجمالاً، وسأذكره في ترجمة موسى الجون؛ لأنّه هو راويه بإسناد الإمامية إليه، والله أعلم.

وفي تاريخ الإسلام للذهبي في ترجمة السفّاح أوّل خلفاء بني العبّاس، بإسناده عمّن حضر مجلس السفّاح، وهو أحشد ما يكون ببني هاشم والشيعة ووجوه الناس.

فدخل عبدالله بن حسن بن حسن ومعه مصحف، فقال: يا أميرالمؤمنين أعطنا حقّنا الذي جعله الله لنا في هذا المصحف، فأشفق الناس من أن يعجّل السفّاح

---

(١) راجع: المحدّثون من آل أبي طالب ٢: ٢٦٩ ـ ٣٢٢ برقم: ٣٠٦.

(٢) أصول الكافي ١: ٣٥٨ ـ ٣٦٦ ح ١٧.

بشيء إلىٰ شيخ بني هاشم أو يعيا بجوابه، فقال غير منزعج: إنّ جدّك علياً كان خيراً منّي وأعدل ولي هذا الأمر، فما أعطىٰ جدّيك الحسن والحسين وكانا خيراً منك شيئاً، وكان الواجب أن أعطيك مثله، فإن كنت فعلت فقد أنصفتك، وإن كنت زدتك فما هذا جزائي منك، فسكت عبدالله وانصرف، وعجب الناس من جوابه[1]. إنتهىٰ.

وأعقب عبدالله المحض كما في عمدة الطالب: من ستّة رجال: محمّد ذي النفس الزكية، وإبراهيم قتيل باخمرىٰ، وموسى الجون، وأُمّهم واحدة قرشية، وسليمان وإدريس، وأُمهما واحدة قرشية، ويحيىٰ صاحب الديلم، وأُمّه واحدة منفردة قرشية أيضاً[2].

ترجمة
إبراهيم الغمر بن الحسن المثنّى بن الحسن بن علي بن أبي طالب

قال في عمدة الطالب: ولقّب الغمر لجوده، ويكنّىٰ أباإسماعيل، وكان سيداً شريفاً، روى الحديث، وهو صاحب الصندوق بالكوفة، يزار قبره، قبض عليه أبوجعفر المنصور مع أخيه، وتوفّي في حبسه سنة خمس وأربعين ومائة وله تسع وستّون سنة. قال ابن خداع: مات قبل الكوفة بمرحلة وسنّه سبع وستّون سنة.

وكان السفّاح يكرمه، فيروىٰ أنّ السفّاح كان كثيراً ما يسأل عبدالله المحض عن ابنيه محمّد وإبراهيم، فشكىٰ عبدالله ذلك إلىٰ أخيه إبراهيم الغمر، فقال له: إذا سألك عنهما، فقل عمّهما إبراهيم أعلم بهما، فقال له عبدالله: وترضىٰ بذلك؟ قال: نعم،

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٨: ٤٦٧ ـ ٤٦٨.

(٢) عمدة الطالب ص ١٢١.

فسأله السفّاح عن ابنيه ذات يوم، فقال: لا علم لي بهما وعلمهما عند عمّهما إبراهيم .

ثمّ خلا بإبراهيم، فسأله عنهما، فقال: يا أميرالمؤمنين أكلّمك كما يكلّم الرجل سلطانه، أو كما يكلّم ابن عمّه؟ فقال: بل كما يكلّم ابن عمّه، فقال: يا أميرالمؤمنين أرأيت إن كان قد قدّر الله أن يكون لمحمّد وإبراهيم من هذا الأمر شيء أتقدر أنت وجميع من في الأرض على دفع ذلك؟ قال: لا والله، قال: وأرأيت إن لم يقدّر لهما من ذلك شيء، أيقدران ولو اتّفق أهل الأرض معهما على شيء منه؟ قال: لا والله، قال: فمالك تنغّص على هذا الشيخ النعمة التي تنعمها عليه، فقال السفّاح: والله لا ذكرتهما بعد هذا، فلم يذكر شيئاً من أمرهما حتّى مضى لسبيله .

والعقب من إبراهيم الغمر من إسماعيل الديباج وحده، ويقال له: الشريف الخلاص، وشهد فخّاً، والعقب من إسماعيل الديباج من رجلين: الحسن التجّ ويكنّى أباعلي، وشهد فخّاً، وحبسه الرشيد نيفاً وعشرين سنة حتّى أطلقه المأمون، وتوفّي وهو ابن ثلاث وستّين سنة[(١)] .

أقول: ومن نسله الشريف: سادة أجلاّء، وعلماء أتقياء، فضلاء ونقباء وأدباء نبلاء، وطالع عمدة الطالب[(٢)]، ففيهاكفاية في هذه المطالب .

وحسبك منهم بآل معية، ومنهم: بالشيخ السيد الأفضل تاج الدين النقيب محمّد ابن جلال الدين القاسم بن الزكي الأوّل، وهو شيخ صاحب عمدة الطالب، قال فيه: شيخي المولى السيد العالم الفقيه الحاسب النسّابة المصنّف تاج الدين محمّد، إليه

---

(١) عمدة الطالب ص ١٩٧ ـ ١٩٨ .

(٢) عمدة الطالب ص ١٩٨ ـ ٢١٠ .

انتهىٰ علم النسب في زمانه، وله فيه الإسنادات العالية، والسماعات الشريفة، أدركته شيخاً، وخدمته قريباً من اثنتي عشرة سنة، قرأت فيها ما أمكن حديثاً ونسباً وفقهاً وأدباً وتواريخ وشعراً، إلىٰ غير ذلك .

وذكر من تصانيفه: كتاب نهاية الطالب في نسل أبي طالب، خرج في اثني عشر مجلّداً، قال: قرأت عليه أكثره. وكتاب الثمرة الظاهرة من الشجرة الطاهرة، أربع مجلّدات، وكتاب أخبار الأُمم خرج منه أحد وعشرون مجلّداً، وكان يقدّر إتمامه في مائة مجلّد كلّ مجلّد أربعمائة ورقة، إلىٰ غير ذلك من مصنّفاته التي ذكرها[١] .

وذكرت أنا أعجبها وأجلّها، وهو والده، كلاهما من أعاظم مشايخ الإجازات للإمامية، حسبما رأيت في كتبهم في رجال رواياتهم، وقد ذكرت ذلك فيما سلف من هذه الرسالة[٢] .

والثاني: إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر، ونسله البيت العالي الشريف الغني عن التعريف علماً وفضلاً وتقىً وسموّاً، إلى الإمامة صعب المرتقىٰ، فإنّه أعقب من ثلاثة :

أحدهم: القاسم الرسّي، قال فيه مصنّف النفحة العنبرية: هو الملقّب بـ«ترجمان الدين» لسعة فضله، وله التصانيف العجيبة في الأُصول والفروع، والردّ على المخالفين للإسلام، كالردّ على ابن المقفّع، والردّ على النصارىٰ والفلاسفة، إلىٰ آخر ترجمته وهي طويلة[٣] .

---

(١) عمدة الطالب ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

(٢) راجع: المحدّثون من آل أبي طالب ٣: ٣٠٩ ـ ٣١٣ .

(٣) النفحة العنبرية ص ١٠٦ .

قال فيها: ولمّا عرف المأمون فضله ورغبة الناس إليه، حثّ في طلبه، ثمّ عاد إلىٰ مكاتبته، وصدّر إليه مالاً جزيلاً ليجيبه، فلم يفعل وردّ المال، وانتقل في آخر عمره إلى الرسّ، وهي أرض خلف جبل أسود بالقرب من ذي الحليفة(١). إنتهىٰ.

وقال صاحب عمدة الطالب: ويكنّىٰ أبامحمّد، وكان ينزل جبل الرسّ، وكان عفيفاً زاهداً ورعاً، له تصانيف، ودعا إلى الرضا من آل محمّد عليهم السلام(٢).

أقول: ولذلك تعدّه الإمامية من القائلين بإمامة أئمّتهم، أي: لم يدّع الإمامة لنفسه، بل للرضا من آل محمّد عليهم السلام؛ لأنّه يعلم أنّ المعاصر له من أئمّتهم عليهم السلام أحقّ منه بالإمامة، للأفضلية والنصّ والعصمة.

وقالوا مثل ذلك في زيد بن علي، وبعض أهل البيت الذين قاموا بالسيف داعين للرضا من آل محمّد عليهم السلام.

وذكروا أنّ للقاسم الرسّي كتاباً يرويه عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، وأنّه روىٰ عن موسى الكاظم عليه السلام وغيره(٣)، والله أعلم.

وإلى القاسم الرسّي هذا ينتهي أئمّة الزيدية القائمين باليمن إلىٰ زماننا هذا، فإنّ جميعهم إلاّ أفراداً من بني الحسين عليه السلام كما تقدّم التنبيه عليه ينتهون إليه رضي الله عنه.

قال صاحب النفحة العنبرية: ومنه تفرّعت أولاد الحسن باليمن إلاّ السليمانيين بتمامة، فإنّهم أولاد عبدالله المحض، وكلّ من تفرّع من القاسم الرسّي بطنان: بنو

---

(١) النفحة العنبرية ص ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٢) عمدة الطالب ص ٢١٣.

(٣) رجال النجاشي ص ٣١٤ برقم: ٨٥٩، المحدّثون من آل أبي طالب ٣: ٧٧ ـ ٧٨ برقم: ٤٤٠.

الهادي، وبنو حمزة(١).

ترجمة

الحسن المثلّث بن الحسن المثنّى بن الحسن السبط

أخو عبدالله المحض، ويكنّىٰ أباعلي، لم يترجمه صاحب عمدة الطالب، ورأيت ترجمته في كتب الرجال تصانيف الإمامية بقولهم: مدني تابعي، روىٰ عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه. وعدّوه من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام، وقالوا: مات سنة خمس وأربعين ومائة بالهاشمية، وهو ابن ثمان وستين سنة(٢).

وقال الذهبي في سنة خمس وأربعين ومائة: وفيها توفّي الحسن بن الحسن في حبس المنصور(٣).

قال صاحب عمدة الطالب: وله عدّة أولاد، منهم: أبوالحسن علي العابد ذو الثفنات، استقطع أبوه عين مروان، فكان لا يأكل منها تحرّجاً، وكان مجتهداً في العبادة، حبسه الدوانيقي مع أهله، فمات في الحبس وهو ساجد، فحرّكوه فإذا هو ميت، كذا قال أبونصر البخاري(٤)، وقال الشيخ العمري: مات في الحبس

---

(١) النفحة العنبرية ص ١٠٧.

(٢) رجال الشيخ الطوسي ١٣٠ برقم: ١٣٢٢ و ص ١٧٩ برقم: ٢١٤٤، والمحدّثون من آل أبي طالب ١: ٢٦٤ برقم: ١٥٢.

(٣) تاريخ الإسلام ٩: ١٠٧.

(٤) سرّ السلسلة العلوية ص ١٤.

مقتولاً[(١)].

وحكى الشيخ أبو الفرج الاصفهاني في كتاب مقاتل الطالبيين: أنّ بني حسن لمّا طال مكثهم في حبس المنصور، وضعفت أجسامهم، كانوا إذا خلوا بأنفسهم نزعوا قيودهم، فإذا أحسّوا بمن يجيء إليهم لبسوها، ولم يكن علي العابد يخرج رجله من القيد، فقالوا له في ذلك، فقال: لا أخرج هذا القيد من رجلي حتّىٰ ألقى الله تعالىٰ، فأقول: يا ربّ سل أباجعفر فيم قيّدني؟[(٢)]

قال: ومن ولد علي العابد بن الحسن المثلّث: الحسين بن علي، وهو الشهيد صاحب فخّ، خرج ومعه جماعة من العلويين زمن الهادي بن موسى المهدي بن المنصور بمكّة، وجاء موسى بن عيسى بن علي، ومحمّد بن سليمان بن المنصور، فقتلاهم بفخّ يوم التروية سنة تسع وستّين ومائة، وقيل: سنة سبعين، وحملا رأسه إلى الهادي، فأنكر الهادي فعلهما وأمضاهما حكم السيف فيه بدون رأيه.

ونقل أبونصر البخاري، عن محمّد الجواد بن علي الرضا عليهما السلام، أنّه قال: لم يكن لنا بعد الطفّ مصرع أعظم من فخّ، قال: ولم يعقّب الحسين صاحب فخّ[(٣)]، وعقب الحسن المثلّث من أخيه الحسن بن علي العابد، لا عقب له من غيره[(٤)]. إنتهىٰ.

وقوله «ونقل أبونصر البخاري عن محمّد الجواد بن علي الرضا عليهما السلام» الخ، هذا يؤيّد ما ترويه الإمامية في فضائل الحسين بن علي العابد بن الحسن المثلّث،

---

(١) المجدي للشريف العمري ص ٦٦.

(٢) مقاتل الطالبيين ص ١٣٠ ـ ١٣١.

(٣) سرّ السلسلة العلوية ص ١٤ ـ ١٥.

(٤) عمدة الطالب ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

وتعتقد أنّه كان من أصحاب الصادق عليه السلام(١) والرواة عنه، والمقرّين بإمامته، ولمّ يدّع في خروجه الإمامة لنفسه، وإنّما دعا للرضا من آل محمّد صلى الله عليه وآله، كزيد بن علي، والقاسم الرسّي، وأشباههما(٢).

ومن العجب قول الذهبي في تاريخ الإسلام في نقل وقعة فخّ في سنة تسع وستّين ومائة، بعد أن ذكر خروج الحسين بن علي بالمدينة: لأنّه كان كفيل الحسن ابن محمّد بن عبدالله بن حسن الذي حدّه والي المدينة، فغضب ففقدوه، وكان يحيى بن عبدالله بن حسن كفيلاً أيضاً، وطالبهما الأمير بالحسن المحدود، وأغلظ لهما، فقال يحيىٰ للحسين: نخرج الليلة، فقال الحسين، فيكسر بخروجنا الليلة ما بيننا وبين أصحابنا من الميعاد، وقد كانوا تواعدوا على الخروج بمنىٰ أيّام الموسم، فقال يحيىٰ: فما الحيلة؟ فخرج الحسين بالمدينة ومعه يحيى المذكور.

قال الذهبي: وقد كان قوم من الكوفيين من شيعتهم، وممّن بايع لهم مختفين في دار، فمضوا إليهم، فلمّا كان آخر الليل خرجوا.

ثمّ ذكر الذهبي قتالهم من كان بالمدينة من أولياء بني العبّاس، وقتل يحيىٰ بيده خالد البربري إذ جاء ومعه أمير المدينة عمر بن عبدالعزيز، ومعهم الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن، فقتل خالد البربري وانهزموا.

وذكر أيضاً أخذهم ما في بيت المال، فوجدوا بضعة عشر ألف دينار، وقيل: سبعين ألفاً.

إلىٰ أن قال الذهبي: ثمّ تجهّز الحسين بن علي أحد عشر يوماً، وسار من

---

(١) رجال الشيخ الطوسي ص ١٨٢ برقم: ٢١٩٩.

(٢) راجع: المحدّثون من آل أبي طالب ٣: ٤١٥ ـ ٤١٩ برقم: ٢١٦.

المدينة والرعية يدعون عليه في وجهه، فإنّه آذى الناس، وكان أصحابه فسقة يتغوّطون في جوانب المسجد، قال: فمضىٰ إلىٰ مكّة، وتجمّع معه خلق من عبيد مكّة، فبلغ خبره الهادي، وقد حجّ تلك الليالي محمّد بن سليمان بن علي، وموسى ابن عيسىٰ، ومعهما العدّة والخيل، فالتقى الجمعان، فكانت الواقعة بفخّ، فقتل في المصاف الحسين وأراح الله منه ونودي بالأمان.

وذكر الذهبي قتلهم للحسن بن محمّد بن عبدالله بن الحسن، وغضب الهادي علىٰ موسى بن عيسىٰ لقتله إيّاه.

وذكر هرب إدريس بن عبدالله بن الحسن منفلتاً من المعركة، فصار إلىٰ مصر، وتوصّل إلى المغرب إلىٰ أن استقرّ بطنجة، وهي على البحر المحيط، فاستجاب له من هناك من البربرية، قال: وأعانه على الهروب نائب مصر واضح العبّاسي، وكان يترفّض، فسيّره، فطلب الهادي واضحاً وصلبه، وقيل: صلبه الرشيد.

قال: ثمّ بعث الخليفة شماخاً اليماني دسيسة وكتب معه إلىٰ أمير افريقية، فتوصّل إلىٰ إدريس، وأظهر أنّه شيعي متحرّف [1]، وأنّه عارف بالطبّ، فأنس به إدريس.

ثمّ شكىٰ إليه إدريس أسنانه، فأعطاه سنوناً مسموماً، وهرب الشماخ ليلاً، واستنّ به إدريس فتلف، فقام بعده ولده إدريس، فتملّك هو وأولاده بالمغرب زماناً بناحية تاهرت، وانقطعت عنهم البعوث، وجرت للإدريسية أُمور يطول شرحها، وبنو القصور والمدائن [2].

---

(١) في التاريخ: متحرّق.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ١٠: ٣٤ ـ ٣٧.

ترجمة
إدريس بن عبدالله المحض

وقد اندرج في كلام الذهبي هذا ذكر إدريس بن عبدالله بن الحسن .

وقال فيه صاحب عمدة الطالب: ويكنّىٰ أبا عبدالله، وشهد فخّاً مع الحسين بن علي العابد صاحب فخّ، فلمّا قتل الحسين انهزم هو حتّىٰ دخل المغرب، فسمّ هناك بعد أن ملك .

وكان قد هرب إلىٰ فاس وطنجة، ومعه مولاه راشد، ودعاهم إلى الدين، فأجابوه وملّكوه، فاغتمّ الرشيد لذلك حتّىٰ امتنع من النوم، ودعا سليمان بن جرير متكلّم الزيدية وأعطاه سمّاً، فورد سليمان على إدريس متوسّماً بالمذهب، فسرّ به إدريس، ثمّ طلب غرّة ووجد به خلوة من مولاه راشد، فسقاه السمّ وهرب، فخرج راشد خلفه، فضربه علىٰ وجهه ضربة منكرة وفاته، وعاد وقد مضىٰ إدريس لسبيله .

وأعقب إدريس بن عبدالله المحض من ابنه إدريس وحده، وكان لمّا مات أبوه حملاً في بطن اُمّه، واُمّه اُمّ ولد بربرية، ولمّا مات إدريس وضعت المغاربة التاج علىٰ بطن اُمّ إدريس .

قال الشيخ أبونصر البخاري: قد خفي عن الناس حديث إدريس بن إدريس لبعده عنهم، ونسبوه إلىٰ مولاه راشد، وقالوا: إنّه احتال في ذلك لبقاء الملك له. ولم يعقّب إدريس بن عبدالله .

وليس الأمر كذلك، فإنّ داود بن القاسم الجعفري، وهو أحد كبار العلماء، وممّن له معرفة بالنسب، حكىٰ أنّه كان حاضراً قصّة إدريس بن عبدالله، وولادة إدريس ابن إدريس .

قال: وكنت معه في المغرب، فما رأيت أشجع منه ولا أحسن وجهاً، وقال الرضا علي بن موسى الكاظم عليه السلام: إدريس بن إدريس بن عبدالله من شجعان أهل البيت، والله ما ترك فينا مثله. إلىٰ آخر كلام صاحب عمدة الطالب[(١)].

وإدريس بن عبدالله المحض مذكور في كتب رجال الإمامية هكذا: إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي المدني، من أصحاب جعفر الصادق عليه السلام[(٢)]. إنتهىٰ.

وقد يؤيّد ما ذكروه بقول الذهبي: وأعانه على الهروب نائب مصر واضح العبّاسي وكان يترفّض[(٣)]. إذ لو كان إدريس بن عبدالله علىٰ رأي الزيدية لما أعانه هذا الذي كان يترفّض؛ لأنّ الرافضة عدلوا عن زيد بن علي إلى جعفر الصادق عليه السلام.

قال الذهبي في أثناء ترجمة زيد بن علي: أنبأنا عمرو بن القاسم، قال: دخلت علىٰ جعفر الصادق بن محمّد، وعنده أُناس من الرافضة، فقلت: إنّ هؤلاء يبرأون من عمّك زيد، فقال: برأ الله ممّن يبرأ منه، كان أقرأنا لكتاب الله، وأفقهنا في دين الله، وأوصلنا للرحم، ما ترك فينا مثله[(٤)]. إنتهىٰ.

---

(١) عمدة الطالب ص ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٢) رجال الشيخ الطوسي ص ١٦٢ برقم: ١٨٤٧، المحدّثون من آل أبي طالب ١: ٨٦، برقم: ٧١.

(٣) تاريخ الإسلام ١٠: ٣٦.

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي ٨: ١٠٦.

وكذا ما نقله صاحب عمدة الطالب[١] من كلام الرضا بن موسى الكاظم عليه السلام في الثناء على إدريس بن إدريس بن عبدالله، لا يخلو من إيناس بما ذكروه، والله تعالىٰ أعلم.

ترجمة

جعفر بن الحسن المثنّى بن الحسن بن علي بن أبي طالب

قال في عمدة الطالب: ويكنّىٰ أباالحسن، وكان أكبر إخوته سنّاً، وكان سيداً فصيحاً، يعدّ في خطباء بني هاشم، وله كلام مأثور، وحبسه المنصور مع إخوته، ثمّ تخلّص، وتوفّي بالمدينة وله سبعون سنة، وعقبه من ابنه الحسن بن جعفر، وقد كان تخلّف عن فخّ مستعفياً[٢].

وساق نسبه الكريم، وذكر فيهم آل الشجري، وهم بنو حمزة بن محمّد بن عبيدالله بن عبدالله بن الحسن بن جعفر.

ومنهم: السيد العالم أبوالسعادات ابن الشجري، صاحب الأمالي في النحو، قال: انقرض عقبه، ولأخيه بقية بالنيل والحلّة[٣].

ترجمة

داود بن الحسن المثنّى بن الحسن بن علي بن أبي طالب

قال في عمدة الطالب: ويكنّىٰ أباسليمان، وكان يلي صدقات أميرالمؤمنين علي عليه السلام نيابة عن أخيه عبدالله المحض، وكان رضيع الصادق جعفر عليه السلام، وحبسه

---

(١) عمدة الطالب ص ١٩٤.

(٢) عمدة الطالب ص ٢٢٥.

(٣) عمدة الطالب ص ٢٢٩.

المنصور الدوانيقي، فأفلت منه بالدعاء الذي علّمه الصادق عليه السلام لأُمّه أُمّ داود، ويعرف بدعاء أُمّ داود، يدعىٰ به يوم الاستفتاح، وهو النصف من رجب.

قال: وتوفّي داود بالمدينة وهو ابن ستّين سنة. وعقبه من ابنه سليمان بن داود، وأُمّه أُمّ كلثوم بنت زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام.

وعقب سليمان من ابنه محمّد بن سليمان، ويلقّب بـ«البربري» وخرج بالمدينة أيّام أبي السرايا، قال أبونصر البخاري: فقتل[١].

وقال أبوالحسن العمري: توفّي في حياة أبيه وله نيّف وثلاثون سنة[٢].

وأعقب من أربعة رجال: موسىٰ، وداود، وإسحاق، والحسن[٣].

وذكر من ولد إسحاق بن الحسن بن محمّد بن سليمان بن داود: أبا عبدالله محمّد الطاووس بن إسحاق المذكور، قال: وولده كانوا بسوراء المدينة، ثمّ انتقلوا إلىٰ بغداد والحلّة، وهم سادات وعلماء ونقباء معظّمون.

منهم: السيد الزاهد سعد الدين موسى بن جعفر بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن محمّد الطاووس، كان له أربعة بنين: شرف الدين محمّد، وعزّ الدين الحسن، وجمال الدين أبوالفضائل أحمد العالم الزاهد المصنّف، ورضي الدين أبوالقاسم علي السيد الزاهد صاحب الكرامات، نقيب النقباء في العراق[٤]. إنتهىٰ ما نقلته من عمدة الطالب.

---

(١) سرّ السلسلة العلوية ص ١٨.

(٢) المجدي للشريف العمري ص ٨٩.

(٣) عمدة الطالب ص ٢٣١.

(٤) عمدة الطالب ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

والسيدان ابنا طاووس المذكوران أحمد وعلي المشهوران بابني طاووس، هما من أجلاّء علماء الإمامية ومصنّفيهم، والمقدّمين في الفقه والحديث، وجميع فنون العلم فيهم.

وذكروا في كتبهم في الرجال من تصانيف السيد أحمد الزاهد بن موسى بن جعفر بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن محمّد الطاووس الحسني: كتاب بشرى المحقّقين في الفقه ستّ مجلّدات، كتاب الملاذ في الفقه أربع مجلّدات، كتاب الثاقب المسخّر على نقض المشجّر في أُصول الدين، كتاب الروح نقضاً على ابن أبي الحديد، كتاب شواهد القرآن مجلّدان، كتاب بناء المقالة العلوية في نقض الرسالة العثمانية للجاحظ، كتاب زهرة الرياض في المواعظ مجلّد، كتاب الأزهار في شرح لامية مهيار، كتاب الاختيار في أدعية الليل والنهار.

قالوا: وله غير ذلك تمام اثنين وثمانين مجلّداً من أحسن التصانيف، وحقّق الرجال والرواية والتفسير تحقيقاً لا مزيد عليه.

قالوا: وكان شاعراً أديباً منشئاً بليغاً، توفّي سنة ثلاث وسبعين وستمائة[١].

وأمّا أخوه صاحب الكرامات علي بن موسى الحسني، فله تصانيف مشهورة عندهم، أكثرها في الأدعية المروية عن أهل البيت عليهم السلام، منها: كتاب مهج الدعوات رأيته، فرأيت فيه إسناد دعاء حرز اليماني المشهور بالسيفي إلى أمير المؤمنين عليه السلام[٢].

---

(١) رجال ابن داود الحلّي ص ٤٥ ـ ٤٧ برقم: ١٣٧، المحدّثون من آل أبي طالب ١: ٨٣ ـ ٨٦ برقم: ٧٠.

(٢) مهج الدعوات ص ٢٢٣.

والدعاء المذكور عارياً من زيادات استحضار الروحانيات التي بأيدي الناس، ليس فيه شيء منها، وفي الحقيقة من فنّ الطلسمات المحضور في شرعنا، كما حقّقه الشيخ وليالدين ابن خلدون في مقدّمة التاريخ[1]، فارجع إلىٰ ما قاله، وبسط الكلام فيه في علم السحر تعلم ما ذكرته، وبالله التوفيق .

وقد أنهيت تراجم المعقبين من أولاد حسن المثنّى بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وذكرت بعض الأعيان من أعقابهم، إلاّ أولاد عبدالله المحض، وقد تقدّم أنّه أعقب من ستّة رجال: محمّد ذيالنفس الزكية، وإبراهيم قتيل باخمرىٰ، وموسى الجون، وسليمان، وإدريس، ويحيىٰ صاحب الديلم .

وكلّ منهم سيد عظيم، وأيّد في العلم والعمل، له التقديم، وبطل تهابه الأُسود، ومقدّم بعزمه على المنايا الحمر والرزايا السود، وكلّ منهم في الأُحقّين بالخلافة معدود، والخليفة العبّاسي عمّا يقارب فضله مصدود، وكانوا أحقّ بها وأهلها لو أسعفتهم علىٰ بني العبّاس الجدود .

ترجمة

محمّد النفس الزكية بن عبدالله المحض

ولقد قام منهم على الخليفة المنصور وهو الثعلب الرواغ والأسد الهصود محمّد النفس الزكية، وأخوه إبراهيم، فتركاه في أودية الخشية، والتوقّي منهما يهيم، وملكا عليه الحرمين وأقطارها والبصرة وأعمالها؛ لأنّ محمّد النفس الزكية خرج بالمدينة وتابعه ومال إليه، وساق إليه الناس أكثر علمائها وفقهائها، حتّىٰ مالك بن أنس .

---

(١) تاريخ ابن خلدون ١: ٥٥١ .

قال الذهبي: في سنة خمس وأربعين ومائة، فكان ظهور محمّد بالمدينة في مائتي رجل وخمسين رجلاً، فمرّ بالسوق، ثمّ مرّ بالسجن، فأخرج من فيه.

إلىٰ أن قال: وخطب فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال: أمّا بعد: فإنّه كان من أمر هذا الطاغية عدوّ الله أبي جعفر ما لم يخف عليكم، بناؤه القبّة الخضراء التي بناها معاندة لله في ملكه، وتصغيراً لكعبة الله. تمام الخطبة.

إلىٰ أن قال الذهبي: ثمّ إنّ محمّداً استعمل عمّاله على المدينة، وانّه ولي علىٰ مكّة الحسن بن معاوية بن عبدالله بن جعفر الطيّار، ولم يتخلّف عنه من الوجوه إلاّ نفر.

إلىٰ أن قال: قال سعد بن عبدالحميد بن جعفر: أخبرني غير واحد أنّ مالكاً لُستفتي في الخروج مع محمّد، وقيل له: إنّ في أعناقنا بيعة للمنصور، فقال: إنّما بايعتم مكرهين، وليس علىٰ مكره يمين، فأسرع الناس إلىٰ محمّد، ولزم مالك بيته.

وذكر الذهبي أنّه خرج معه محمّد بن عجلان فقيه المدينة وعابدها، وذكر أنّه قطع يده لذلك جعفر بن سليمان بعد قتل محمّد ذي النفس الزكية، وعبدالحميد بن جعفر، قال: ولزم عبيدالله بن عمر ضيعة له واعتزل فيها، وخرج أخواه عبدالله وأبوبكر مع محمّد بن عبدالله ولم يقتلا، واختفىٰ جعفر الصادق ﷺ، وذهب إلىٰ مال له بالفرع معتزلاً للفتنة.

إلىٰ أن قال: وكان سفيان الثوري يتكلّم في عبدالحميد بن جعفر لخروجه مع محمّد، ويقول: إن مرّ بك المهدي وأنت في البيت، فلا تخرج إليه حتّىٰ يجتمع إليه الناس، وذكر سفيان صفّين، فقال: ما أدري أخطأوا أم أصابوا[١].

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٩: ٢٢ ـ ٢٣.

أقول: ما أطرف هذا الكلام، وأبعده عمّا أجمع عليه أهل الإسلام(١).

قال الذهبي: وكتب المنصور إلىٰ محمّد: ﴿إنّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله - إلىٰ قوله تعالىٰ - إلاّ الذين تابوا من قبل أن تقدروا﴾ الآية(٢)، ولك عهد الله وميثاقه وذمّته وذمّة رسوله إن تبت ورجعت أن أؤمّنك وجميع أهل بيتك، وأعطيك ألف ألف درهم، وما سألت من الحوائج.

قال: فكتب محمّد جوابه: ﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين * نتلو عليك - إلىٰ قوله تعالىٰ - ما كانوا يحذرون﴾(٣) وأنا أعرض عليك من الأمان مثل ما عرضت عليّ، فإنّ الحقّ حقّنا، وإنّما ادّعيتم هذا الأمر بنا، ثمّ ذكر شرفه وأبوّته، إلىٰ آخر الكتاب الذي ذكره الذهبي(٤).

ثمّ ذكر جواب المنصور له، وهو طويل تركته؛ لأنّ فيه سوء أدب علىٰ أميرالمؤمنين علي عليه السلام وعلى الحسن والحسين عليهما السلام، وجرأة عظيمة واعتماداً علىٰ طريقة الخوارج والنواصب في نفي الحسن والحسين عليهما السلام وبنيهما عن ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله، متشبّثين بقوله تعالىٰ ﴿ما كان محمّد أبا أحد من رجالكم﴾(٥).

---

(١) وهو أنّ الصفّ الذي كان يقوده جيش منصور، لا شكّ أنّه كان جيش ضلالة وخطأ، وأمّا جيش محمّد النفس الزكية، فإن كان داعياً إلى الرضا من آل محمّد عليهم السلام، وهو الإمام جعفر الصادق عليه السلام، فيكون جيش هدىً وصواب، ولكن سيأتي ما في رواية الكليني في الكافي، ويظهر منه خلاف ذلك.

(٢) سورة المائدة: ٣٣ ـ ٣٤.

(٣) سورة القصص: ١ ـ ٥.

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي ٩: ٢٤.

(٥) سورة الأحزاب: ٤٠.

وهذه عبارته في هذا المعنىٰ، قابله الله بعمله: وفخرت علىٰ من هو خير منك إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وما خيار بني أبيك إلاّ بنو إماءٍ، ما ولد فيكم بعد وفاة النبي ﷺ أفضل من علي بن الحسين وهو لأُمّ ولد، وهو خير من جدّك. وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمّد بن علي وجدّته أُمّ ولد، وهو خير من أبيك، ولا مثل ابنه جعفر بن محمّد، وهو خير منك .

وأمّا قولك إنّكم بنو رسول الله ﷺ، فإنّ الله قال في كتابه: ﴿ما كان محمّد أبا أحد من رجالكم﴾ ولكنّكم بنو ابنته[1]. إلىٰ آخر الكتاب، تركت ما فيه من الجرأة وإساءة الأدب علىٰ علي والحسن والحسين عليهم السلام، وكافاه عنهم وعن جميع عترة أهل البيت بما استحقّه .

ثمّ ذكر الذهبي وقوع الحرب، وأنّ عيسى بن موسىٰ أحاط بالمدينة، ودعا محمّداً إلى الطاعة .

قال الذهبي: ولمّا التحم الحرب نادىٰ: يا محمّد إنّ أميرالمؤمنين أمرني أن لا أُقاتل حتّىٰ أعرض عليك الأمان، فلك الأمان علىٰ نفسك ومن اتّبعك، وتعطىٰ من المال كذا وكذا، فصاح محمّد: أله عن هذا، فقد علمت أنّه لا يثنيني عنكم فزع، ولا يقرّبني منكم طمع، ثمّ ترجّل .

وقال عثمان بن محمّد بن خالد: إنّي لأحسبه قتل يومئذ بيده سبعين رجلاً وقتل رحمه الله[2].

قال الذهبي: وقيل: كان مع محمّد سيف رسول الله ﷺ ذو الفقار، فقدّ الناس به،

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٩: ٢٥ .

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٩: ٢٨ .

وجعل لا يقاربه أحد إلاّ قتله، فجاءه سهم فوجد الموت، فكسر السيف.

وذكر الذهبي رواية أنّه لمّا أحسّ بالموت أعطى السيف رجلاً كان عليه أربعمائة دينار، قال: فلم يزل عنده حتّىٰ ولي جعفر بن سليمان المدينة، فاُخبر عنه، فدعاه فأعطاه أربعمائة دينار وأخذ السيف، ثمّ صار إلىٰ أبي‌موسىٰ، فجرّبه علىٰ كلب، فانقطع السيف[١].

أقول: هذه الرواية كما ترىٰ، وأيّ مسلم يجترىء علىٰ تجريب سيف رسول الله ﷺ ولا سيما في كلب، اللّهمّ إلاّ أن يحمله علىٰ ذلك شدّة البغض والعداوة للعلويين، فإنّ ذو الفقار سيف علي عليه السلام أعطاه إيّاه النبي ﷺ.

قال الفيروزآبادي في القاموس: وذوالفقار بالفتح سيف العاص بن منبّه، قتل يوم بدر كافراً، فصار إلى النبي ﷺ، ثمّ صار إلىٰ علي عليه السلام[٢].

وفي وسيلة المآل للشيخ أحمد بن الفضل باكثير، قال ابن إسحاق: وفي هذا اليوم ـ يعني يوم اُحد ـ هاجت ريح، فسمع هاتف يقول:

لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتىٰ إلاّ علي
فإذا ندبتم هالكاً فاندبوا الولي ابن الولي

قال: واختلف في ذي‌الفقار، فقيل، وذكر ما نقلته من القاموس، وقال: فأعطاه رسول الله ﷺ علياً عليه السلام بعد ذلك، أي: بعد بدر، فقاتل به دونه يوم اُحد.

قال: وعن علي عليه السلام أنّه جاء جبرئيل إلى النبي ﷺ، فقال له: إنّ صنماً باليمن معفّراً في الحديد، فابعث إليه فأدققه وخذ الحديد، فبعثني رسول الله ﷺ إليه،

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٩: ٣٠.

(٢) القاموس المحيط ٢: ١١١.

فدققت الصنم وجئت بالحديد، فاستعذب منه سيفين، فسمّي أحدهما مخذماً، والآخر ذوالفقار، فتقلّده رسول الله ﷺ، وأعطاني مخذماً، ثمّ أعطاني بعد ذلك ذوالفقار، فرآني وأنا أُقاتل به دونه يوم أُحد، فقال: لا سيف إلاّ ذوالفقار، ولا فتىٰ إلاّ علي (١). إنتهىٰ.

قال الذهبي: وقيل: لمّا خرج حمزة بن عبدالله بن محمّد بن علي بن أبي طالب مع محمّد، كان جعفر الصادق عليه السلام ينهاه، ويقول: هو والله مقتول، وبعث عيسى بن موسىٰ بالرأس إلى العراق، ثمّ طيف به في البلدان (٢).

وذكر أنّه كانت راية محمّد مع الأفطس علم أصفر فيه صورة حية (٣).

أقول: وهذا الأفطس هو الحسن بن علي الأصغر بن زين العابدين علي بن الحسين، لم يعقّب علي الأصغر إلاّ منه.

قال في عمدة الطالب: قال أبونصر البخاري: خرج الأفطس مع محمّد النفس الزكية، وبيده راية بيضاء وأبلي، ولم يخرج معه أشجع منه ولا أصبر، وكان يقال له: رمح آل أبي طالب لطوله (٤).

وقال أبوالحسن العمري: كان صاحب راية محمّد الصفراء (٥).

وذكر صاحب عمدة الطالب: أنّه قعد الأفطس هذا لجعفر الصادق عليه السلام بشفرة

---

(١) وسيلة المآل للحضرمي ص ١٤٨، المخطوط.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٩: ٣١.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٩: ٢٨.

(٤) سرّ السلسلة العلوية ص ٧٧.

(٥) المجدي للشريف العمري ص ٤١٦.

ليقتله، ومع ذلك أوصىٰ له جعفر الصادق عليه السلام في مرض موته بثمانين ديناراً، وأنّه لمّا أوصىٰ له قالت له عجوز في البيت: أتأمر له وقد قعد لك بخنجر في البيت يريد أن يقتلك؟ فقال جعفر الصادق عليه السلام: أتريدين أن أكون ممّن قال الله تعالىٰ: ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾.

وذكر أيضاً أنّه لمّا قتل النفس الزكية محمّد بن عبدالله، اختفى الحسن الأفطس هذا، فلمّا دخل جعفر الصادق عليه السلام العراق ولقي المنصور، قال له: يا أميرالمؤمنين تريد أن تسدي إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله يداً؟ قال: نعم يا أبا عبدالله، قال: تعفو عن ابنه الحسن بن علي بن علي بن الحسين، فعفىٰ عنه[1].

ونسب صاحب النفحة العنبرية إلى الحسن الأفطس هذا: السيد القطب العلوي الشيخ أحمد البدوي المشهور المدفون بمصر، ومشهده عظيم، فقال: هو أحمد بن عبدالله بن عبيدالله بن محمّد بن علي بن فهد بن صقر بن زهير بن سليمان بن يوسف بن إبراهيم بن علي الأخضم بن علي الرمح، وهو أخو عمر الأشرف وزيد الشهيد، يعني ابن علي بن الحسين عليهما السلام[2].

وقد غلط في قوله «علي الرمح»[3] والصواب ابن الحسن الرمح[4] بن علي الأصغر، وهو ابن علي بن الحسين أخو عمر الأشرف وزيد الشهيد.

ولم يذكر في عمدة الطالب علي الأخضم، والله أعلم.

---

(١) عمدة الطالب ص ٤١٤ ـ ٤١٥.

(٢) النفحة العنبرية ص ٤٩ ـ ٥٠.

(٣) وقد أشرت في هامش النفحة إلىٰ غلطه، فراجع.

(٤) ويقال له: الأفطس.

وذكر الذهبي وصاحب عمدة الطالب، أنّ محمّد النفس الزكية قتل في موضع يسمّىٰ أحجار الزيت .

قال صاحب العمدة: وكان ذلك مصداق تلقّبه بالنفس الزكية؛ لأنّه روي عن رسول الله ﷺ قال: يقتل بأحجار الزيت من ولدي نفس زكية، قال: وكان مالك بن أنس قد أفتى الناس بالخروج معه وبايعه .

قال: وعقب محمّد من ابنه أبي‌محمّد عبدالله الأشتر الكابلي وحده، وكان قد هرب بعد قتل أبيه إلى السند، فقتل في كابل في جبل يقال له: علج، وحمل رأسه إلى المنصور، فأخذه الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي‌طالب، فصعد به المنبر، وجعل يشهّره للناس [1] .

أقول: هكذا يكون ولد زيد بن الحسن الذي تخلّف عن عمّه الحسين عليه السلام وبابنه، ولم يفعل ما فعله أخوه الحسن المثنّىٰ ـ رضي الله عنه ـ حيث سار معه، وجاهد بين يديه، حتّىٰ وقع في المعركة جريحاً، ورفع منها لم يبق منه إلاّ رمق الحياة، كافأه الله بعظيم الأجر وجازاه .

ترجمة
إبراهيم قتيل باخمرى بن عبدالله المحض

وأمّا إبراهيم بن عبدالله المحض بن الحسن المثنّىٰ أخو محمّد النفس الزكية، فإنّه خرج بالبصرة بأمر أخيه محمّد النفس الزكية، فملكها وعظم شأنه، وأخاف المنصور وأزعجه، وأقلقه مكانه، حتّىٰ بلغ إلىٰ أن كان يقول: فأين قول صادقهم؟ أين لعب الغلمان والصبيان؟ يعني قول جعفر الصادق عليه السلام الذي تقدّم نقله، وظهر فيه

---

(١) عمدة الطالب ص ١٢٤ .

مكاشفته وكرامته وفضله .

قال في عمدة الطالب: وظهر إبراهيم ليلة الإثنين غرّة شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة بالبصرة، وبايعه وجوه الناس، منهم: بشير الرحّال، والأعمش سليمان بن مهران، وعبّاد بن منصور القاضي صاحب مسجد عبّاد بالبصرة، والمفضّل بن محمّد، وسعيد الحافظ، ونظرائهم .

ويقال: إنّ أباحنيفة الفقيه بايعه أيضاً، وكان قد أفتى الناس بالخروج معه، فيحكىٰ أنّ امرأة أتته، فقالت: إنّك أفتيت ابني بالخروج مع إبراهيم، فخرج فقتل، فقال: ليتني كنت مكان ابنك .

وكتب إليه أبوحنيفة: أمّا بعد، فإنّي جهّزت إليك أربعة آلاف درهم، ولم يكن عندي غيرها، ولولا أمانات الناس عندي للحقت بك، فإذا لقيت القوم وظفرت بهم، فافعل بهم ما فعل أبوك في أهل صفّين، اُقتل مدبرهم، وأجهز علىٰ جريحهم، ولا تفعل كما فعل أبوك في أهل الجمل، فإنّ القوم لهم فئة .

ويقال: إنّ هذا الكتاب وقع إلى المنصور الدوانيقي، فكان سبب تغيّره علىٰ أبي‌حنيفة .

وكان إبراهيم قد تلقّب بأميرالمؤمنين، وعظم شأنه، وأحبّ الناس ولايته، وارتضوا سيرته، فقلق الدوانيقي لذلك قلقاً عظيماً، وندب إليه عيسى بن موسىٰ من المدينة إلىٰ قتاله، وسار إبراهيم من البصرة حتّى التقيا بباخمرىٰ قرية قريبة من الكوفة، وانهزم عسكر عيسى بن موسىٰ .

فيحكىٰ أنّ إبراهيم نادىٰ: لا تتبعوا[1] أحد منهزماً، فعاد أصحابه، فظنّ

---

(١) في العمدة: لا يتبعنّ .

أصحاب عيسى بن موسىٰ أنّهم انهزموا، فكرّوا عليهم، فقتلوه وقتلوا أصحابه إلاّ قليلاً.

وقيل: بل انهزم بعض عسكر عيسىٰ علىٰ مسناة ملتوية، فلمّا صاروا علىٰ عكسها ظنّ أصحاب إبراهيم أنّهم كمين قد خرج عليهم، ورفع إبراهيم البرقع عن وجهه، فجاءه سهم عاثر [١]، فوقع في جبهته، فقال: الحمد لله أردنا أمراً وأراد الله غيره، أنزلوني، فأنزلوه وكان آخر أمره.

ولمّا اتّصل بالمنصور انهزام عسكره وهو بالكوفة، اضطرب اضطراباً شديداً، وجعل يقول: فأين قول صادقهم؟ أين لعب الغلمان والصبيان؟ ثمّ جاءه بعد ذلك خبر الظفر، وجيء برأس إبراهيم، فوضعه في طست بين يديه، والحسن بن زيد بن الحسن بن علي واقف علىٰ رأسه عليه السواد، فخنقته العبرة، فالتفت إليه المنصور، فقال: أتعرف رأس من هذا؟ قال: نعم.

فتىً كان يحميه من الضيم سيفه ... وينجيه من دار الهوان اجتنابها

فقال المنصور: صدقت ولكن أراد رأسي، فكان رأسه أهون عليّ، ولوددت أنّه فاء إلىٰ طاعتي [٢]. إنتهىٰ ما في عمدة الطالب.

ونحوه إلاّ مويضعات في تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي.

قال: ثمّ اختفىٰ إبراهيم بالبصرة، فجعل يدعو الناس، فيستجيبون له لشدّة بغضهم للمنصور لبخله وعسفه.

قال ابن سعد: لما ظهر محمّد بن عبدالله، وغلب على الحرمين، وجّه أخاه إلى

---

(١) في العمدة: غائر.

(٢) عمدة الطالب ص ١٢٩ ـ ١٣٠.

البصرة، فدخلها في أوّل رمضـان من سنة خمس، فغلب عليها، وبيّض أهل البصرة ونزعوا السواد، وخرج معه من العلماء جماعة كثيرة، ثمّ تأهّب لحرب المنصور .

قال ابن جرير وغيره: بايعه نميلة بن مرّة، وعبدالله[١] بن سفيان، وعبدالواحد ابن زياد، وعمر بن سلمة الهجيمي، وعبيدالله بن يحيى الرقاشي، وندبوا له الناس، فأجاب طائفة حتّىٰ بلغوا أربعة آلاف، وشهر أمره، وقالوا له: لو نهضت إلىٰ وسط البصرة أتاك من أتاك، فنزل في دار أبي مروان النيسابوري .

قال عبدالله[٢] بن سفيان: أتيت إبراهيم يوماً وهو مرعوب، فأخبرته بكتاب أخيه أنّه ظهر بالمدينة، وأنّه يأمره بالخروج، فوجم لها واغتمّ، فأخذت أُسهّل عليه وأقول: قد اجتمع لك الأمر، معنا التغلبي والطهوي والمغيرة وأنا وجماعة، فنخرج إلى السجن بالليل فنفتحه، ويصبح معك خلق كثير من الناس، فطابت نفسه، وبلغ ذلك المنصور، فجهّز جيشاً إلى البصرة، ثمّ سار فنزل الكوفة ليكتفي شرّ الشيعة وفتقهم، قال: فجعل يحبس أو يقتل كلّ من يتّهمه بالكوفة .

وكان ابن عامر[٣] الأسدي يبايع لإبراهيم بالكوفة سرّاً، وقتل المنصور جماعة كثيرة عسفاً وظلماً .

إلىٰ أن قال: وبقي إبراهيم سائر شهر رمضان ينفذ عمّاله في البلاد حتّىٰ أتاه نعي أخيه، ففتّ في عضده، وبهت لذلك، وخرج يوم العيد إلى المصلّىٰ، فصلّىٰ بالناس يعرف فيه الحزن والانكسار .

---

(١) في التأريخ: عفو الله .

(٢) في التاريخ: عفو الله .

(٣) في التاريخ: ابن ماعز .

إلىٰ أن قال: قال حجّاج بن قتيبة: دخلت على المنصور، وقد جاءه فتق البصرة وفارس وواسط والمدائن، وهو مطرق يتمثّل:

ونصبت نفسي للرماح دريّة إنّ الرئيس لمثل ذلك فعول

وما أظنّه يقدر علىٰ ردّ السلام[١] للفتوق المحيطة به، ولمائة ألف سيف بالكوفة كامنة ينتظرون صيحة، فيثبون، فوجدته صقراً أحوذياً مشمّراً، قد قام إلىٰ ما نزل به من النوائب يمرسها ويعركها.

إلىٰ أن قال: وعن داود بن جعفر بن سليمان، قال: أُحصي ديوان إبراهيم من أهل البصرة مائة ألف مقاتل، وقال آخر: بل كانوا عشرة آلاف. وهذا أشبه، وكان مع عيسى بن موسىٰ خمسة عشر ألفاً.

ثمّ ذكر الذهبي وقوع القتال، وأنّه انهزم حميد بن قحطبة، وكان علىٰ مقدّمة عيسى بن موسىٰ، فانهزم الجيش، فثبت عيسى بن موسىٰ في مائة فارس من خواصّه، فقيل له: لو تنحّيت، فقال: لا أزول حتّىٰ أُقتل أو أُفتح.

وعن عيسى بن موسىٰ قال: لمّا رأى المنصور توجّهي إلىٰ إبراهيم، قال: إنّ المنجّمين يزعمون أنّك لاقيه، وانّ لك جولة. ثمّ يفيء إليك أصحابك، فكان كما قال.

قال: فأنا لكذلك إذ صمد ابنا سليمان لإبراهيم، فخرجا من ورائه، فنظر أصحاب إبراهيم، فإذا القتال من ورائهم، فكرّوا، فركبنا أعقابهم، فلولا ابنا سليمان ابن علي لافتضحنا، وكان من صنع الله تعالىٰ أنّ أصحابنا لمّا انهزموا، اعترض لهم نهر دون ثنيتين عاليتين، فحالتنا بينهم وبين الفرات، ولم يجدوا مخاضاً، فكرّوا

---

(١) في التاريخ: على السلاح.

راجعين بأنفسهم، فانهزم أصحاب إبراهيم، فثبت هو في نحو من خمسمائة رجل.

إلىٰ أن قال: وثبتوا عامّة يومهم يقتتلون، إلىٰ أن جاءهم غرب لا يدرىٰ من رمىٰ به، فوقع في حلق إبراهيم، فتنحّىٰ عن موقفه، فأنزلوه، وهو يقول: وكان أمر الله قدراً مقدوراً، أردنا أمراً وأراد الله غيره، فاجتمع عليه أصحابه يحومونه، فأنكر حميد اجتماعهم، وأمر فحملوا عليهم، فقاتلوا أشدّ قتال يكون، حتّى انفرجوا عن إبراهيم، فنزل أصحاب حميد، فاحتزّوا رأس إبراهيم.

إلىٰ أن قال الذهبي: قال خليفة بن خيّاط: صلّىٰ إبراهيم العيد بالناس، وخرج معه أبو خالد الأحمر، وعيسى بن يونس، وعبّاد بن العوّام، وهشيم، ويزيد بن هارون، في طائفة من العلماء، ولم يخرج معه شعبة، وكان أبو حنيفة يجاهر في أمره ويأمر بالخروج.

وحدّثني من سمع حمّاد بن زيد يقول: ما كان بالبصرة أحد إلاّ وقد تغيّر أيّام إبراهيم إلاّ ابن عون.

وحدّثني ميسور بن بكر أنّه سمع عبدالوارث يقول: فأتينا شعبة، فقلنا: كيف ترىٰ؟ قال: أرىٰ أن تخرجوا وتعينوه[١]. إلىٰ آخر ما نقله الذهبي عن علماء ذلك الوقت في أمر إبراهيم.

ولا يخفىٰ أنّه يقدح في دعوى الإجماع علىٰ تحريم الخروج على الجائر، لكن قد قال ابن حجر في شرح الهمزية للأبوصيري في ردّ قول ابن العربي المالكي: لم يقتل يزيد الحسين إلاّ بسيف جدّه[٢]، وقد ذكرناه فيما سلف، ويردّ بأنّ هذا إنّما

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٩: ٣٦ ـ ٤٣.

(٢) تقدّم نقل هذا الكلام في موضعين من الكتاب، وأجبنا عنه بما لا محيص عنه.

هو بعد استقرار الأحكام، وانعقاد الإجماع علىٰ تحريم الخروج على الجائر، أمّا قبل ذلك فكان الأمر منوطاً بالاجتهاد. إنتهىٰ.

وهو يفهم تأخّر انعقاد الإجماع المذكور عن مثل عصر إبراهيم وأخيه محمّد، فيندفع القدح. إلاّ أنّه يبقىٰ أن يقال: قد نقل عن الإمام مالك مساعدة محمّد النفس الزكية، والإفتاء بالخروج، وعن الإمام أبي‌حنيفة مثل ذلك مع إبراهيم، حتّىٰ أنّه كان يجاهر في‌أمره. ونقل نحو ذلك الزمخشري في الكشّاف(١) في تفسير قوله تعالىٰ ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾(٢) فإن صحّ هذا النقل عن هذين الإمامين، لُشكل دفع القدح في هذا الإجماع، والله تعالىٰ أعلم.

وقال صاحب عمدة الطالب في ترجمة إبراهيم المذكور: ويكنّىٰ أباالحسن، وكان يرىٰ مذهب الاعتزال، وكان شديد الأيد، فيحكىٰ أنّه كان واقفاً مع أخيه محمّد وأبيه عبدالله وإبل لهم تورد، وفيها ناقة شرود لا تملك، فأقبلت مع الإبل ترد، فقال محمّد لإبراهيم وهو ملتفّ في شملة: إن رددتها فلك كذا وكذا، فوثب إبراهيم، فقبض علىٰ ذنبها، فشردت الناقة، وتبعها إبراهيم ممسكاً بذنبها، حتّىٰ غابا عن أعينهم، فقال عبدالله لابنه محمّد: بئسما صنعت عرّضت أخاك للتلف، فلمّا كان بعد ساعة أقبل إبراهيم ملتفّاً بشملته، فقال محمّد: ألم أقل لك إنّك لا تقدر علىٰ ردّها، فأخرج ذنب الناقة فألقاه، وقال: أما يعذر من جاء بهذا.

وكان إبراهيم من كبار العلماء في فنون كثيرة، فيقال: إنّه كان أيّام اختفائه بالبصرة قد اختفىٰ عند المفضّل بن محمّد الضبّي، فطلب منه دواوين العرب

---

(١) الكشّاف ١: ٣٠٩.

(٢) سورة البقرة: ١٢٤.

ليطالعها، فأتاه بما قدر عليه، فأعلم إبراهيم علىٰ ثمانين قصيدة، فلمّا قتل إبراهيم استخرجها المفضّل وسمّاها المفضّليات[١].

وذكر صاحب عمدة الطالب في ترجمة محمّد النفس الزكية: إنّه كان المنصور قد بايع له ولأخيه إبراهيم مع جماعة من بني هاشم، فلمّا بويع لبني العبّاس اختفىٰ محمّد وإبراهيم مدّة خلافة السفّاح، فلمّا ملك المنصور وعلم أنّهما علىٰ عزم الخروج جدّ في طلبهما، وقبض علىٰ أبيهما وجماعة من أهلهما. إلىٰ آخر ما ذكره[٢].

والقصد ذكر كون المنصور قاتلهما، فقتلهما وبيعتهما في عنقه، وبيان سبب اختفائهما.

وقال الذهبي في سنة أربع وأربعين ومائة: وكان المنصور قد أهمّه شأن محمّد وإبراهيم ابني عبدالله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي‌طالب، لتخلّفهما عن الحضور إلىٰ عنده مع الأشراف، فقيل: إنّ محمّداً ذكر أنّ المنصور لمّا حجّ في حياة أخيه السفّاح كان ممّن بايع له ليلة اشتور بنو هاشم بمكّة في من يعقدون له الخلافة حين اضطرب أمر بني أُمية[٣]. إنتهىٰ.

وهذا يؤيّد رواية أنّ المنصور بايع لابني عبدالله بن الحسن؛ لأنّ كلمتهما كانت واحدة، وكان المترشّح للإمامة محمّد، وإبراهيم تابع له، والله أعلم.

وفي كتب الإمامية في رجالهم ما صورته: إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن

---

(١) عمدة الطالب ص ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٢) عمدة الطالب ص ١٢٣.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٩: ١٤ ـ ١٥.

الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي المدني، قتل سنة خمس وأربعين ومائة لخمس بقين من ذي القعدة من أصحاب جعفر الصادق عليه السلام (١). إنتهىٰ.

وأيضاً ما صورته: محمّد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الملقّب بالنفس الزكية من أصحاب جعفر الصادق عليه السلام، قتل سنة خمس وأربعين ومائة بالمدينة (٢). إنتهىٰ.

مخالفة الإمام جعفر الصادق عليه السلام لخروج محمّد وإبراهيم

فما تقدّم نقله من قول الذهبي «واختفىٰ جعفر الصادق عليه السلام وذهب إلىٰ مال له بالفرع معتزلاً للفتنة» وقوله أيضاً «ولمّا خرج حمزة بن عبدالله بن محمّد بن علي ابن أبي طالب مع محمّد كان جعفر الصادق عليه السلام ينهاه» إلىٰ آخر ذلك الكلام. وما ذكره صاحب عمدة الطالب من خروج الحسن الأفطس مع محمّد النفس الزكية، وانّه قعد لجعفر الصادق عليه السلام ليقتله، وظاهر ذلك أنّه بسبب مخالفته لمحمّد ومباينته إيّاه، وما في روايات الإمامية من تكلّم جعفر الصادق عليه السلام مع عبدالله المحض في أمر ابنه محمّد النفس الزكية الكلام الخشن ـ وسنذكر بعضه ـ ممتنعاً عن بيعته، وناهياً له عن الخروج.

فجميع ذلك محمول علىٰ بذل جعفر الصادق عليه السلام للنصيحة، وعلمه بمقتضىٰ شفقته ومحبّته على ابن عمّه عبدالله المحض وابنيه محمّد وإبراهيم، لما تقرّر عنده

---

(١) رجال الشيخ الطوسي ص ١٥٦ برقم: ١٧١٧، المحدّثون من آل أبي طالب ١: ١٧ ـ ٢١ برقم: ١٣.

(٢) رجال الشيخ الطوسي ص ٢٧٥ برقم: ٣٩٧٧، المحدّثون من آل أبي طالب ٣: ٢٠٣ ـ ٢٢١ برقم: ٥١٨.

من العلم بأنّهما لا يبلغان المرام، بل يقتلان، ويقع بسببهما علىٰ بني الحسن عظائم النكبات والمتاعب.

ثمّ كان لذلك ينهىٰ كلّ أحد من بني الحسن وبني الحسين عن الخروج معهما لعظيم شفقته علىٰ كلّ فرد منهم، فمنهم من كان يعاديه لذلك جهلاً وقصور نظر، كالحسن الأفطس، فيصدر منه ما صدر، ويحتمل ذلك جعفر الصادق عليه السلام لكرمه، وسعة حلمه وعلمه، وحقّ القرابة، ولمّا لم ينجع نصحه ووعظه لمحمّد النفس الزكية، وصمّم علىٰ شهر السيف، تنحّىٰ جعفر الصادق عليه السلام عن الفتنة، وهو آسف حزين كئيب محترق الأحشاء؛ لما يتوقّع وقوعه علىٰ محمّد وإبراهيم ومن قام معهما من أبناء الحسن وأبناء الحسين.

ولم يكن بين جعفر الصادق عليه السلام وبين عبدالله المحض وولديه ومن قام معهما من بني الحسن وبني الحسين عداوة دينية أو دنيوية، ولا بغض ولا تغيّر خاطر، وكلّهم كانوا يرجعون إليه في العلم، ويأخذون عنه أحكام الشرع والعقل، ويعظّمونه، وكان هو معهم كالوالد للأولاد، ويودّ أن يتحمّل عنهم المتاعب وإن فطرت الأكباد.

يدلّ علىٰ هذه الجملة ما تقدّم نقله في ترجمة عبدالله المحض، أنّه لمّا جاءه كتاب أبي سلمة الخلاّل يدعوه إلى البيعة، ركب إلىٰ جعفر الصادق عليه السلام إجلالاً له، وتعويلاً علىٰ رأيه، وذكر الكتاب، فأجابه جعفر عليه السلام مخاطباً له كما يخاطب الأُستاد تلميذه أو الوالد ولده، وقشر له العصا، وجبّهه بعكس مطلوبه، وحال بينه وبين محبوبه، فلم يجبه عبدالله إلاّ بالأدب والاحترام، ولم يصدر عنه ما ينافي الإعظام.

وكذلك ما ذكره الذهبي بقوله: وجدّ المنصور في طلب محمّد بن عبدالله، فأُخبر أنّه في شعب من شعاب رضوىٰ، وهو جبل جهينة من أعمال ينبع، قال: فاستعمل

علىٰ ينبع عمرو بن عثمان الجهيني، وأمره بتطلّب محمّد، فخرج عمرو إليه ليلة بالرجال، ففزع محمّد وفرّ منهم، فانقلب[(١)] وله ابن صغير، ولد له هناك من جارية، فوقع الطفل من الجبل من يد أُمّه فتقطّع، فقال محمّد بن عبدالله :

منخرق السربال يشكو الوجىٰ ... تـنكبه أطراف مروٍ حداد
شـرّده الخـوف وأزرىٰ بـه ... كذاك من يكـره حـرّ الجـلاد
قد كان فـي المـوت له راحـة ... والموت حتم في رقاب العباد

فلمّا طال أمر الأخوين على المنصور أمر رياحاً بأخذ بني حسن وحبسهم، فأخذ حسناً وإبراهيم ابني حسن بن حسن، وحسن بن جعفر بن حسن بن حسن، وسليمان وعبدالله ابني داود بن حسن بن حسن، ومحمّداً وإسماعيل وإسحاق بني إبراهيم المذكور، وعبّاس بن حسن بن حسن بن حسن وأخاه علياً، ثمّ قيّدهم وجهر على المنبر بسبّ محمّد بن عبدالله وأخيه إبراهيم، فسبّح الناس وعظّموا ما قال، فقال رياح لعنه الله: ألصق الله بوجوهكم الهوان لأكتبنّ إلىٰ خليفتكم غشّكم وقلّة نصحكم، فقالوا: لا نسمع منك يابن المحدودة، وبادروه يرمونه بالحصىٰ، فنزل واقتحم دار مروان، وأغلق الباب، فرموه وشتموه، ثمّ كفّوا .

ثمّ إنّ آل حسن حملوا في أقيادهم إلى العراق، ولمّا نظر إليهم جعفر الصادق عليه السلام، وهم يخرج بهم من دار مروان، جرت دموعه علىٰ لحيته، ثمّ قال: والله لا تحفظ لله حرمة بعد هؤلاء، وأُخذ معهم أخوهم من أُمّهم محمّد بن عبدالله ابن عمرو بن عثمان بن عفّان، وهو ابن فاطمة بنت الحسين عليه السلام .

وقال الواقدي: أنا رأيت عبدالله بن الحسن وأهل بيته يخرجون من دار مروان

---

(١) في التاريخ: فانفلت .

في الحديد، ويجعلون في المحامل عُراةً ليس تحتهم وطاء، وأنا يومئذ قد راهقت الاحتلام.

إلىٰ أن قال: فسأل عبدالله بن الحسن من المنصور وهو بالربذة أن يأذن له في الدخول عليه، فامتنع.

إلىٰ أن قال: ثمّ أحضر المنصور الديباج، وهو محمّد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان، فسأله عنهما، فحلف له، فلم يقبل، وضربه مائة سوط، وجعل في عنقه غلاًّ وردّه إليهم، وقد لصق قميصه علىٰ جسده من الدماء، ثمّ سيّرهم إلى العراق.

فأوّل من مات بالحبس عبدالله المحض بن الحسن أي المثنّىٰ، ثمّ مات حسن بعده فصلّىٰ عليه الديباج، ثمّ مات الديباج، فقطع رأسه وأرسل مع جماعة من الشيعة ليطوفوا به بخراسان، ويحلفوا أنّه رأس محمّد بن عبدالله ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، يوهمون أنّه رأس محمّد بن عبدالله بن الحسن الذي كانوا يجدون في الكتب خروجه فيما زعموا علىٰ أبي‌جعفر.

قال الذهبي: وقيل: لمّا أُتي بهم إلى المنصور نظر إلىٰ محمّد بن إبراهيم بن حسن، فقال: أنت الديباج الأصفر؟ قال: نعم، قال: أما والله لأقتلنّك قتلة ما قتلتها أحد من أهل بيتك، ثمّ أمر بأسطوانة، فنقرت، ثمّ أُدخل فيه ثمّ شدّ عليه وهو حيّ.

قال الذهبي: وروي عن موسى بن عبدالله بن حسن، قال: ما كنّا نعرف في الحبس أوقات الصلاة إلاّ بأجزاء كان يقرؤها علي بن الحسن.

وقيل: إنّ المنصور أمر بقتل عبدالله بن حسن سرّاً.

إلىٰ أن قال الذهبي: ويقال: إنّ المنصور سقى السمّ غير واحد منهم[١]. إنتهىٰ.

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٩: ١٧ ـ ٢٠.

والمراد من هذا المنقول ما نقله عن جعفر الصادق عليه السلام، فإنّه دالّ علىٰ ما ذكرناه من شدّة محبّته لهم، وشفقته عليهم، وحزنه لما أصابهم، وأين هذا ممّا تقدّم نقله عن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أنّه صعد المنبر برأس ابن عمّه عبدالله الأشتر بن محمّد النفس الزكية، وجعل يشهّره للناس.

وأوردت هذا المنقول بطوله ليعلم ما نزل بالعترة الفاطمية العلوية، والبضعة النبوية، ممّا يوجب لهم رفع الدرجات العُلوية، ولأعدائهم العقوبات الأُخروية.

وممّا يدلّ علىٰ ما ذكرته من روايات الزيدية والإمامية معاً، ما في صدر الصحيفة الكاملة أدعية زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام، وهي المشهورة الكثيرة الوجود بأيدي الناس، وفيها من البلاغة والإخبات ما يقع عن معارضته بما يقاربه الياس، وترويه الزيدية والإمامية عن رجالهم.

وقد ذكر ابن حمدون النديم في تذكرته العظيمة الشهيرة بين العلماء والأُدباء من أهل السنّة وغيرهم بعض أدعيتها.

ونقل منها دعاء رؤية الهلال الشيخ عبدالرحمٰن المرشدي في مصنّفه الذي سمّاه براعة الاستهلال.

ففي صدرها في أثناء ذكر روايتها عن يحيى بن زيد بن علي بن الحسين، وأنّه قال لراويها عنه: إذا قضى الله من أمري وأمر هؤلاء ما هو قاضٍ، فهي أمانة لي عندك حتّىٰ توصلها إلى ابني عمّي محمّد وإبراهيم ابني عبدالله بن الحسن.

وإنّما قال يحيىٰ رضي الله عنه ذلك؛ لأنّ هذا الراوي أخبره عن جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال فيه: يقتل ويصلب كما قتل أبوه وصلب، فقال يحيىٰ: ﴿يمحو الله ما يشاء﴾[1] الآية

---

(١) سورة الرعد: ٣٩.

الشريفة .

فلمّا رجع الراوي إلىٰ جعفر الصادق عليه السلام بالمدينة، أخبره بذلك جميعه، واستأذنه في إعطاء صحيفة الأدعية لمحمّد وإبراهيم، فقال له: مكانك، ثمّ وجّه إلىٰ محمّد وإبراهيم، فجاءا إليه، فقال لهما جعفر عليه السلام: هذا ميراث ابن عمّكما يحيىٰ من أبيه، قد خصّكما به دون إخوته، ونحن مشترطون عليكما فيه شرطاً، فقالا: رحمك الله قل فقولك المقبول، فقال: لا تخرجا بهذه الصحيفة من المدينة، قالا: ولِمَ ذلك؟ قال: إنّ ابن عمّكما خاف عليها أمراً أنا أخافه عليكما، قالا: إنّما خاف عليها حين علم أنّه يقتل .

فقال أبو عبدالله جعفر الصادق عليه السلام: وأنتما فلا تأمنّا، فوالله إنّي لأعلم أنّكما ستخرجان كما خرج، وتقتلان كما قتل، فقاما وهما يقولان: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم[(١)] .

فانظر إلىٰ تأدّبهما مع جعفر الصادق عليه السلام، حيث بعث إليهما فأتياه، ومخاطبته إيّاهما مخاطبة الأُستاد لتمليذه، وقولهما «قل فقولك المقبول» وقولهما وقد أساءهما البشارة بالقتل «لا حول ولا قوّة» الخ، قول المصدّق له في خبره عن المغيب الموقن، بوقوع ما أخبر به من القتل .

ولولا الاحترام والاذعان لمشيخته عليهما، والإيقان بصداقته، وشفقته عليهما، لقابلا إساءتهما بإخبارهما بالقتل بما جرت به العادة في جواب من يخبره عن الغيب بما فيه إساءة، من التصريح أو التعويض بتكذيبه، وأقلّ ذلك تلاوة، نحو قوله

---

(١) الصحيفة السجادية ص ٤٤ ـ ٤٨، المطبوع مع شرحه للسيد الداماد بتحقيقي .

تعالىٰ ﴿فلا يظهر علىٰ غيبه أحداً﴾ الآية[١]، وأقلّ منه ذكر ما يدلّ علىٰ جواز تخلّف ما أخبر به، كالآية التي تلاها يحيى بن زيد.

فمحمّد وإبراهيم أشدّ اعتقاداً وأقوىٰ بصيرة في جعفر الصادق عليه السلام من يحيى بن زيد.

وفي روايات الإمامية[٢]، بإسنادهم إلىٰ عبدالله بن إبراهيم بن محمّد الجعفري، وهو كما في كتب رجالهم: عبدالله بن إبراهيم بن محمّد بن علي بن عبدالله بن جعفر الطيّار[٣]، وهو في عمدة الطالب أبوه إبراهيم الأعرابي، قال: وكان من أجلاّء بني هاشم، وهو ابن محمّد الرئيس بن علي الزينبي، أُمّه زينب أخت الإمام الحسين عليه السلام من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: وولده أحد أرجاء آل أبي طالب الثلاثة، واحدتها بنو موسى الجون. إلىٰ أن قال: والثانية بنو موسى الكاظم عليه السلام، والثالثة بنو جعفر السيد بن إبراهيم بن محمّد بن علي الزينبي[٤].

هذا، وقال في عبدالله بن إبراهيم هذا الراوي للرواية التي نذكرها: أعقب من إبراهيم، وفيه العدد، ومن محمّد وعلي[٥]. إنتهىٰ.

والرواية، قال عبدالله: أتينا خديجة بنت عمر بن علي بن الحسين بن علي بن

---

(١) سورة الجنّ: ٢٦.

(٢) وهذه الرواية بطولها رواها الكليني في أُصول الكافي ١: ٣٥٨ ـ ٣٦٦، ونقلناها بتمامها في كتابنا المحدّثون من آل أبي طالب ٣: ٢٠٦ ـ ٢١٣.

(٣) راجع ترجمته ورواياته إلىٰ كتابنا المحدّثون من آل أبي طالب ٢: ٢٢٦ ـ ٢٤١.

(٤) عمدة الطالب ص ٤٦ ـ ٤٧.

(٥) عمدة الطالب ص ٥٧.

أبي طالب، فعزّيتها بابن بنتها، فوجدنا عندها موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فإذا هو يقول لابنة أبي يشكر الراثية قولي، فقالت:

أعدد رسول الله واعدد بعده ... أسد الإله وثالثاً عبّاسا
واعدد علي الخير واعدد جعفراً ... واعدد عقيلاً بعده الرواسا

فقال: أحسنت زيديني، فاندفعت تقول:

ومنّا إمام المتّقين محمّد ... وفارسه ذاك الإمام المطهّر
ومنّا علي صهره وابن عمّه ... وحمزة منّا والمهذّب جعفر

ثمّ ذكر عبدالله كلاماً جرىٰ من خديجة، قالت فيه: هذا ما اصطفىٰ مهدينا، تعني محمّد بن عبدالله بن الحسن، تمازحه ـ أي: موسى بن عبدالله ـ بذلك.

فقال موسىٰ: والله لأخبرنّكم بالعجب، رأيت أبي لمّا أُخذ في أمر محمّد بن عبدالله، وأجمع علىٰ لقاء أصحابه، قال: لا أجد هذا الأمر يستقيم إلاّ أن ألقىٰ أباعبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام، فانطلق وهو متّكىء عليّ، فانطلقت معه حتّىٰ أتينا أبا عبدالله عليه السلام، فلقيناه خارجاً يريد المسجد، فاستوقفه أبي وكلّمه، فقال له أبوعبدالله عليه السلام: ليس هذا موضع ذلك، نلتقي إن شاء الله، فرجع مسروراً.

فلمّا كان الغد انطلقنا حتّىٰ دخلنا عليه، فابتدأ أبي بالكلام، فقال من جملته: قد علمت جعلت فداك إنّ السنّ لي عليك، وإنّ في قومك من هو أسنّ منك، ولكن الله تعالىٰ قد قدّم لك فضلاً ليس لأحد من قومك، وقد جئتك معتمداً لما أعلم من برّك، واعلم فديتك أنّك إذا أجبتني لم يختلف عنّي أحد من أصحابك، ولم يختلف عليّ اثنان من قريش ولا غيرهم.

وذكر في الرواية جواب جعفر الصادق عليه السلام ولم يؤنسه فيه، قال: وهجم علينا ناس، فقطعوا كلامنا، فقال أبي: ما تقول جعلت فداك، فقال: نلتقي إن شاء الله، فقال

أبي: أليس على ما أُحبّ؟ قال: على ما تحبّ إن شاء الله من إصلاح حالك، فانصرف.

إلى أن قال: فعاد بعد ثلاثة أيّام، فدخلنا وجلسنا، ودنا إليه أبي، فقبّل رأسه، ثمّ قال: جعلت فداك قد عدت إليك راجياً مؤمّلاً، قد انبسط رجائي وأملي، ورجوت الدرك لحاجتي، فقال جعفر عليه السلام: يابن عمّ إنّي أُعيذك بالله من التعرّض بهذا الأمر، وإنّي لخائف عليك أن يكسبك شرّاً.

قال: فجرى الكلام بينهما إلى أن أفضى إلى ما لم يكن يريد، وذكر من جملة ذلك كلاماً طويلاً. من جملته قول عبدالله المحض، إذ أخبره بصفات المقتول بسدّة أشجع عند بطن مسيلها يريد محمّداً ولده: وليس هو ذلك، والله لنجازينّ باليوم يوماً وبالسنة سنة، ولنومنّ بثأر بني طالب جميعاً.

فقال له أبو عبدالله جعفر عليه السلام: يغفر الله لك ما أخوفني أن يكون هذا البيت يلحق صاحبنا منّتك نفسك في الخلاء ضلالاً، لا والله لا يملك أكثر من حيطان المدينة، ولا يبلغ عمله الطائف، وما للأمر من بدّ أن يقع، فاتّق وارحم نفسك وبني أبيك.

إلى أن قال: والله إنّه المقتول بسدّة أشجع بين دورها، ولكأنّي به صريعاً مسلوباً، ولا ينفع هذا الغلام ما يسمع، قال موسى بن عبدالله: يعنيني، وليخرجنّ معه، فينهزم ويقتل صاحبه، ثمّ يمضي فتخرج معه راية أُخرى، فيقتل كبشها، ويهزم جيشها، فإن أطاعني فليطلب الأمان عند ذلك من بني العبّاس حتّى يأتيه الله بالفرج، ولقد علمت بأنّ هذا الأمر لا يتمّ، وانّ ابنك الأحول الأخضر الأكشف المقتول بسدّة أشجع بين دورها عند بطن مسيلها.

قال موسى بن عبدالله: فقام أبي يجرّ ثوبه مغضباً يقول: بل يغني الله عنك، ولتعودنّ أو ليقي الله بك وبغيرك، وما أردت بهذا إلاّ امتناع غيرك، وأن تكون

ذريعتهم إلىٰ ذلك، فقال: الله يعلم ما أُريد إلاّ نصحك ورشدك، وما عليّ إلاّ الجهد.

فقام أبي يجرّ ثوبه مغضباً، فلحقه أبو عبدالله عليه السلام، فقال له: إنّي سمعت من عمّك وهو خالك يذكر أنّك أنت وبني أبيك ستقتلون، فإن أطعتني ورأيت أن تدفع بالتي هي أحسن فافعل، ووالله الذي لا إله إلاّ هو عالم الغيب والشهادة الرحمٰن الرحيم الكبير المتعال علىٰ خلقه، لوددت أنّي أفديك بولدي وبأحبّ أهل بيتي إليّ، وما يعدلك عنه شيء، فلا تراني أنّي غششتك.

قال: فخرج أبي من عنده مغضباً أسفاً، فما أقمنا بعد ذلك إلاّ قليلاً عشرين ليلة، حتّىٰ قدمت رسل أبيجعفر المنصور، فأخذوا أبي وعمومتي سليمان بن حسن، وحسن بن حسن، وإبراهيم بن حسن، وداود بن حسن، وعلي بن حسن، وسليمان بن داود بن حسن، وعلي بن إبراهيم بن حسن، وحسن بن إبراهيم بن حسن، وحسن بن جعفر بن داود، وطباطبا إبراهيم بن إسماعيل بن حسن، وعبدالله بن داود.

قال: فصفّدوا، ثمّ حملوا في محامل عراء لا وطاء فيها، ووقفوا بالمصلّىٰ لكي يشمتهم الناس، قال: فكفّوا عنهم ورقّوا لهم، ثمّ انطلقوا بهم، حتّىٰ وقفوا عند باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال عبدالله بن إبراهيم الجعفري: فحدّثتنا خديجة بنت عمر بن علي أنّهم لمّا أُوقفوا عند باب المسجد الذي يقال له: باب جبرئيل، اطّلع عليهم أبو عبدالله جعفر الصادق عليه السلام، وعامّة ردائه مطروح بالأرض، ثمّ اطّلع من باب المسجد، فقال: فعل الله بكم وفعل، يا معشر الأنصار ما علىٰ هذا عاهدتم رسول الله صلى الله عليه وآله ولا بايعتموه، أما والله إنّي كنت حريصاً، ولكنّي غلبت، وليس للقضاء مدفع، ثمّ قام فأخذ احدىٰ نعليه فأدخلها رجله والأُخرىٰ بيده، وعامّة ردائه يجرّه بالأرض، ثمّ دخل بيته،

فحمّ عشرين ليلة لم يزل يبكي فيها الليل والنهار حتّىٰ خفنا عليه.

ثمّ نقل عبدالله بن إبراهيم الجعفري عن موسى بن عبدالله كيفية خروج أخيه محمّد النفس الزكية بالمدينة، وأخذه البيعة على الناس، فكان موسىٰ ثالث ثلاثة بايعوه، ولم يختلف عليه قرشي ولا أنصاري ولا عربي.

قال: وشاور عيسى بن زيد وكان من ثقاته، وكان علىٰ شرطته في البعثة إلىٰ وجوه قومه، فقال عيسى بن زيد: إن دعوتهم دعاءً يسيراً لم يجيبوك أو تغلظ عليهم، فخلّني وإيّاهم، فقال له محمّد: ابعث إلىٰ من أردت منهم، فقال عيسىٰ: ابعث إلىٰ رئيسهم وكبيرهم، يعني أبا عبدالله جعفر بن محمّد عليه‌السلام.

قال موسىٰ: فأُتي به، فقال له عيسى بن زيد: أسلم تسلم، فقال جعفر عليه‌السلام: أحدثت نبوّة بعد محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله؟ فقال له محمّد: لا ولكن بايع تأمن علىٰ نفسك ومالك وولدك.

ثمّ ذكر موسى بن عبدالله امتناع جعفر عليه‌السلام من البيعة، وما أجاب به من الأجوبة البليغة حتّىٰ أمر به إلى السجن، فقال جعفر عليه‌السلام لعيسى بن زيد: يا أكشف يا أزرق لكأنّي بك تطلب لنفسك جحراً تدخل فيه، وما أنت في المذكورين عند اللقاء، وانّه إذا صعق خلفك طرت مثل الهيق النافر.

ثمّ ذكر موسىٰ مخاطبة جعفر الصادق عليه‌السلام بأنّه سيقتل، وإخباره بكيفية قتله، وبالفارس الذي يقتله، وقوله في آخر كلامه: فهو والله صاحبك، فلا رحم الله رمته، فقال له محمّد: يا أبا عبدالله حسبت فأخطأت [١].

---

(١) وهذه الرواية طويلة جدّاً، رواها الكليني في أُصول الكافي ١: ٣٥٨ ـ ٣٦٦، ونقلناها في كتابنا المحدّثون من آل أبي طالب ٣: ٢٠٦ ـ ٢١٣.

أقول: أمّا الغلظة على جعفر الصادق عليه السلام حتّى انتهى الأمر إلى الحبس، فـإنّما وقع ذلك من عيسى بن زيد، ولم يكن محمّد يقدر على مخالفته(١)؛ لأنّه الناهض بأمره، والقائم معه، وهو في اضطرار إلى المعين.

وهذا من عيسى بن زيد بن علي بن الحسين ليس بأفظع مـن إرادة الحسـن الأفطس بن علي الأصغر بن علي بن الحسين أن يفتك بجعفر الصادق عليه السلام، وقعد له بشفرة ليقتله؛ لأنّه كان صاحب راية محمّد النفس الزكية، كما تقدّم نقله من عمدة الطالب، ومع ذلك عفى عنه الإمام جعفر عليه السلام، وأوصى له من ماله، وتكلّم له وهو مختفي عند المنصور أبلغ كلام، حتّى عفى عنه وآمنه.

وعيسى بن زيد هذا قد كافاه الله تعالى في الدنيا عمّا فعل مع جعفر الصادق عليه السلام بمتاعب عظيمة، حتّى نقل صاحب عمدة الطالب أنّه بلغ به الحال في اختفائه بعد خروجه مع محمّد، ثمّ مع إبراهيم أيّام المنصور، ثمّ أيّام المهدي، ثمّ أيّام الهادي، إلى أن كان في بعض اختفائه يسقي الماء على جمل، وتـزوّج امـرأة مـن أهـل الكوفة، وحصل له منها بنت، فكبرت.

فأراد السقّاء الذي كان عيسى بن زيد يستقي الماء على جمله أن يزوّج ولده بتلك البنت، ففرحت اُمّها زوجة عيسى بذلك؛ لأنّها ترى نفسها وزوجها في أسفل المراتب عن السقّاء صاحب الجمل، فتحيّر عيسى في الأمر، فدعا الله تعالى على ابنته بالموت، فاستجيب له، فماتت قبل ذلك الزواج المشؤوم، فكان يبكي رحمة لتلك البنت أنّها ماتت ولم تعلم أنّها من رسول الله صلى الله عليه وآله. ذكر جـميع ذلك صـاحب

---

(١) كيف أراد محمّد النفس الزكية أن يصير خليفة للمسلمين، ومع ذلك لا يـمكنه مخالفة أحد اُمرائه ؟

عمدة الطالب[١].

فيرجىٰ أن يكون ما وقع علىٰ عيسى بن زيد كفّارة لتلك السيّئة العظيمة، ولابدّ أن يناله من عفو الإمام جعفر الصادق عليه السلام وحلمه ما نال الحسن الأفطس.

وهو مترجم في كتب رجال الإمامية بقوله: عيسى بن زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي‌طالب، أبو يحيىٰ، عداده في الكوفيين، اسند عن جعفر الصادق عليه السلام[٢]. إنتهىٰ.

ولم يقدحوا فيه، ولا في محمّد، وقد مرّت ترجمته من كتبهم، فكأنّه ثبت عندهم إنابته وتوبته، وعفو جعفر الصادق عليه السلام عنه، والله أعلم.

وأمّا قول محمّد النفس الزكية للإمام الصادق عليه السلام «يا أبا عبدالله حسبت فأخطأت» فكأنّه اضطرّه إلىٰ هذا الكلام أنّه بصدد مبايعة الناس إيّاه، وقد أقبلوا عليه وبايعوه حتّىٰ علماء المدينة وفقهاؤها، حتّىٰ أنّ الإمام مالك كان يفتي بالخروج معه، كما تقدّم نقله من تاريخ الذهبي.

فإخباره بمحضر جمع الناس بأنّه يقتل، يكسر عليه ما تمّ له، ويهدم بناؤه، فاضطرّ إلىٰ مثل ذلك الكلام، فإنّه لم يكن مكذّباً بالاخبار الصادقة، لكنّه قد وطّن نفسه علىٰ القتل إن وقع، وبنىٰ على الاستماتة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أقدم لذلك علماء المدينة علىٰ مبايعته ونصرته.

ولم يكن ذلك هو رأي الإمام جعفر الصادق عليه السلام لما ترجّح عنده حسبما اختصّه

---

(١) عمدة الطالب ص ٣٤٩ ـ ٣٥١.

(٢) رجال الشيخ الطوسي ص ٢٥٧ برقم: ٣٦٤٢، المحدّثون من آل أبي‌طالب ٣: ٤٤ ـ ٤٥، برقم: ٤٣٤.

الله به من العلم أنّه لا يتوصّل محمّد إلىٰ أمر بمعروف ونهي عن منكر، بل يقتل دون ذلك، ويكون قتله مساءة لأهل البيت النبوي جميعاً، والله أعلم .

رجعنا إلىٰ نقل موسى بن عبدالله: وفي رواية الإمامية، عن عبدالله الجعفري، قال بعد أن نقل إتيانهم بإسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب: وهو شيخ كبير ضعيف، قد ذهبت إحدىٰ عينيه، وذهبت رجلاه، فهو يحمل حملاً، فدعاه إلى البيعة فامتنع، وقال: أيّ شيء تنتفع من بيعتي، وما قاله من الكلام الرادع الذي نقله عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام في حقّ محمّد ووصف تلك الفتنة، وانّه حبس، فلمّا كان المساء دخل عليه بنو أخيه بنو معاوية بن عبدالله بن جعفر، فتوطّأوه حتّىٰ قتلوه .

وفي تاريخ الذهبي: وقيل: أرسل محمّد إلىٰ إسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وقد شاخ ليبايعه، فقال: يابن أخي أنت والله مقتول، كيف أبايعك؟ فارتدع الناس عنه قليلاً، فأتته حمادة بنت معاوية بن عبدالله، فقالت: يا عمّ إنّ إخوتي قد أسرعوا إلى ابن خالهم، فلا تثبط عنه الناس، فأبىٰ إلاّ أن ينهي عنه، فيقال: إنّها قتلته، فأراد محمّد الصلاة عليه، فقال ابنه عبدالله: تقتل أبي وتصلّي عليه، فنحاه الحرس وصلّىٰ عليه محمّد[1] . إنتهىٰ. وهذا يصدّق ما في رواية الإمامية .

وبعد أن نقل كيفية قتال محمّد وعيسى بن موسىٰ بعد إخراجه جعفر الصادق عليه السلام من الحبس بمدّة أيّام، وكأنّه في تلك المدّة خرج جعفر الصادق عليه السلام من المدينة إلى الفرع، كما ذكره الذهبي، ونقلناه فيما سلف .

ونقل كيفية قتل محمّد النفس الزكية نحو ما ذكره الذهبي، حيث قال: ودخل

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٩: ٢٣ .

حميد بن قحطبة في زقاق أشجع، فهجم علىٰ محمّد فقتله وهو غافل وأخذ رأسه، ولم أذكر هذه الرواية فيما سبق .

قال موسى بن عبدالله: وأخذت المدينة وأجلبنا هرباً في البلاد، فانطلقت حتّىٰ سمعت بإبراهيم بن عبدالله، فوجدت عيسى بن زيد مكمناً عنده، فأخبرته بسوء تدبيره، وخرجنا معه ـ يعني إبراهيم بن عبدالله ـ حتّىٰ أُصيب، ثمّ مضيت مع ابن أخي الأشتر عبدالله بن محمّد بن عبدالله بن حسن، حتّىٰ أُصيب بالسند، ثمّ رجعت شريداً طريداً تضيق عليّ البلاد .

فلمّا ضاقت عليّ الأرض، واشتدّ الخوف، ذكرت ما قاله أبو عبدالله ـ أي: جعفر بن محمّد الصادق عليه‌السلام ـ فجئت إلى المهدي وقد حجّ، وهو يخطب الناس في ظلّ الكعبة، فما شعر إلاّ وقد قمت من تحت المنبر، فقلت: لي الأمان يا أميرالمؤمنين وأدلّك علىٰ نصيحة لك عندي، قال: نعم فما هي؟ قلت: أُدلك علىٰ موسى بن عبدالله بن الحسن، فقال لي: نعم لك الأمان، فقلت: أعطني ما أثق به، فأخذت منه عهوداً أو مواثيق، ثمّ قلت: يا أميرالمؤمنين أنا موسى بن عبدالله، فقال لي: إذاً تكرم وتحبىٰ .

إلىٰ أن قال: وقال المهدي: من يعرفك؟ فقلت: هذا الحسن بن زيد يعرفني، وهذا موسى بن جعفر يعرفني، وهذا الحسن بن عبيدالله يعرفني، فقالوا: نعم يا أميرالمؤمنين كأنّه لم يغب عنّا، ثمّ قلت: يا أميرالمؤمنين لقد أخبرني بهذا المقام أبو هذا الرجل، وأشرت إلى موسى بن جعفر عليه‌السلام إلى آخر الرواية .

وفيها فأمر لموسى بن جعفر بن محمّد بخمسة آلاف دينار، فأمر لي موسىٰ منها بألفي دينار. آخر رواية الإمامية عن موسى بن عبدالله بن حسن بن الحسن بن

علي بن أبي طالب [١] .

ترجمة
موسى الجون بن عبدالله المحض

وفي ترجمة موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنّى بن الحسن السبط في وسيلة المآل للشيخ أحمد بن الفضل باكثير، نقلاً من عمدة الطالب: ولمّا قبض الدوانيقي علىٰ أبيه وأهله، أخذه وضربه ألف سوط، ثمّ قال له: أتعلم ما هذا؟ هذا سجلّ قاض عليك منّي .

ثمّ قال له: إنّي مرسلك إلى الحجاز لتأتيني بخبر أخويك محمّد وإبراهيم، فقال: إنّك ترسلني إلى الحجاز والعيون ترصدني، فلا يظهران لي، فكتب إلىٰ والي الحجاز: أن لا يتعرّض له، فخرج إلى الحجاز وهرب إلىٰ مكّة .

فلمّا قتل أخواه وحجّ المهدي محمّد بن المنصور، فقال له في الطواف قائل: لي الأمان وأدلّك علىٰ موسى الجون بن عبدالله، فقال المهدي: لك الأمان إن دللتني عليه، فقال: الله أكبر، أنا موسى بن عبدالله، فقال المهدي: من يعرفك ممّن حولك من الطالبيين؟ فقال: هذا الحسن بن زيد، وهذا موسى بن جعفر، وهذا الحسن بن عبيدالله بن العبّاس بن علي، فقالوا جميعاً: صدق هذا موسى بن عبدالله بن الحسن.

وعاش موسىٰ إلى زمن الرشيد، ودخل عليه ذات يوم، فلمّا قام من عنده عثر بطرف البساط فسقط، فضحك الرشيد، فالتفت إليه موسىٰ، فقال: يا أميرالمؤمنين

---

(١) وهذه الرواية بطولها رواها الكليني في أصول الكافي ١: ٣٥٨ ـ ٣٦٦، ونقلناها في كتابنا المحدّثون من آل أبي طالب ٣: ٢٠٦ ـ ٢١٣ .

إنّه ضعف صوم لا ضعف سكر [١]. إنتهىٰ.

فذكر ما في رواية الإمامية من أخذه الأمان من المهدي، وظاهره أنّه أخذ الأمان منه في خلافة المنصور، ولا يخلو من بعد؛ إذ يبعد أن يعطيه الأمان بدون إذن المنصور، ولا سيما وقد ختل موسى المنصور، فعظم جرمه عنده، ولم يذكر خروج موسىٰ مع أخيه محمّد، ثمّ مع أخيه إبراهيم، ثمّ مسيره إلى السند مع الأشتر ابن أخيه.

ولا يخفىٰ أنّه يبعد من مثله في مجده وسؤدده وعلوّ همّته أن يتخلّف وهو بالحجاز مختفياً من المنصور وقد ضربه ألف سوط، كما في رواية عمدة الطالب التي نقلها في وسيلة المآل، ثمّ لا يعضد أخاه محمّداً ويخرج معه، ثمّ لا يعضد أخاه إبراهيم ويخرج معه، وإذا خرج معهما فعظم جرمه بخروجه معهما مع ختله للمنصور، وخدعه إيّاه، إذ أرسله في طلبهما ودلالته عليهما، يقتضي أن يهرب مع الأشتر ابن أخيه محمّد إلى السند، ويبعد في البلاد أكثر من ذلك، وهرب الأشتر عبدالله بن محمّد النفس الزكية إلى السند، نقله صاحب عمدة الطالب [٢] وغيره، وسبق ذكر ذلك، والله أعلم.

وقال الشيخ أحمد بن الفضل باكثير في وسيلة المآل في ترجمة موسى الجون: ويكنّىٰ أبالحسن، وقيل: أبا عبدالله، ويلقّب بـ«الجون» لقّبته بذلك أُمّه هند بنت أبيعبيدة بن عبدالله بن زمعة بن الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبدالعزّى بن قصي، قال: وكان أسود اللون، وكانت ترقصه في صغره وتقول:

---

(١) عمدة الطالب ص ١٣٣.

(٢) عمدة الطالب ص ١٢٤.

إنّك إن تكون جوناً أقـرعا يوشك أن تسودهم وتبرعا

قال: وكان موسىٰ شاعراً[١] .

قال: ويروي المسعودي في كتابه مروج الذهب، عن الفضل بـن الربـيع، أنّ عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير سعىٰ إلى الرشيد، فقال: إنّ موسى ابن عبدالله بن الحسن قد أرادني على البيعة له، فجمع الرشيد بينهما، فقال الزبيري لموسىٰ: سعيتم علينا، وأردتم نقض دولتنا، فالتفت إليه موسىٰ، وقال: من أنـتم؟ فغلب على الرشيد الضحك حتّىٰ رفع رأسه إلى السقف لئلاّ يظهر مـنه، ثـمّ قـال موسىٰ: يا أميرالمؤمنين أترىٰ هذا المشنّع عليّ خرج مع أخي محمّد علىٰ جدّك المنصور، وهو القائل من أبيات :

قوموا ببيعتكم ننهض بـطاعتنا إنّ الخلافة فيكم يا بني حسن

في شعر طويل، وليس سعايته حبّاً لك، ولا رعاية لدولتك، ولكن والله بغضاً لنا جميعاً أهل البيت، ولو وجد من ينتصر به علينا جميعاً لفعل، وأنا مستحلفه، فإن حلف أنّي قلت ذلك فدمي لأميرالمؤمنين حلال. فقال الرشيد: احلف يا عبدالله، فلمّا أراده موسىٰ على اليمين تلكّأ وامتنع، فقال له الفضل: ولم تمتنع وقد زعمت آنفاً أنّه قال لك ما زعمته؟ قال عبدالله: فأنا أحلف له، فقال موسىٰ: قل تـقلّدت الحول والقوّة دون حول الله وقوّته إلىٰ حولي وقوّتي إن لم يكن ما حكيته عنك حقّاً، فحلف له .

فقال موسىٰ: الله أكبر، حدّثني أبي، عـن أبـيه، عـن جـدّه، عـن عـلي بـن أبي طالبﷺ، عن رسول اللهﷺ، أنّه قال: ما حلف أحد بهذه اليـمين كـاذباً إلاّ

---

(١) عمدة الطالب ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

عجّل الله له العقوبة قبل ثلاث، والله ما كذبت، وها أنا ذا يـا أمـيرالمـؤمنين فـي قبضتك، فإن مضت ثلاثة أيّام ولم يحدث عليه حدث فدمي لك حلال .

فقال الرشيد للفضل: خذ بيد موسىٰ، فليكن عندك. قال الفضل: ما صلّيت العصر ذلك اليوم حتّىٰ سمعت الصياح من دار عبدالله بن مصعب، فأمرت مـن يـتعرّف خبره، فأُخبرت أنّه قد أصابه الجذام، وأنّه قد تورّم واسودّ. فسرت إليه، والله مـا كدت أعرفه لأنّه صار كالزقّ العظيم، واسودّ حتّىٰ صار كالفحم. فسرت إلى الرشيد فعرّفته خبره، فما انقضىٰ كلامي حتّىٰ أتاني خبر موته. فبادرت بالأمر بـتجهيزه وصلّيت عليه .

فلمّا دفنوه لم يستقرّ في قبره حتّىٰ انخسف به، وخرجت منه رايحة مفرطة في النتن، فأمرت بشوك كان مارّاً في الطريق، فطرح في تـلك الوهـدة، فـما اسـتقرّ وانخسف ثانية. فأمرت بألواح ساج، فوضعت علىٰ قبره، وطرح التراب عـليها، وانصرفت إلى الرشيد فأعلمته، فأكثر التعجّب من ذلك، وأمرني بتخلية موسىٰ، وأن أعطيه ألف دينار .

وأحضره فسأله لم عدلت عن اليمين المتعارفة. فقال: لأنّا روينا عـن جـدّنا علي عليه السلام من حلف يمين مجّد الله تعالىٰ فيها استحيا الله تعالىٰ من تعجيل عقوبته، ومن حلف منّا كاذبة ينازع فيها حوله وقوّته عجّل الله له العقوبة قبل ثلاث. قال: ويقال: إنّ صاحب هذا الخبر يحيى بن عبدالله أخو موسىٰ[1]. إنتهىٰ .

أقول: وهو الذي ذكره ابن حجر في الصواعق[2]، وقد تقدّم نقله .

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٣٤٠ ـ ٣٤٢.

(٢) الصواعق المحرقة ص ٢٠١ ـ ٢٠٢.

ترجمة
يحيىٰ صاحب الديلم بن عبدالله المحض

وهو الذي رواه صاحب عمدة الطالب، قال: وكان يحيىٰ قد هرب إلىٰ بلاد الديلم وظهر هناك، واجتمع عليه الناس، وبايعه أهل تلك الأعمال، وعظم أمره، وقلق الرشيد لذلك وأهمّه، وأزعجه غاية الإنزعاج، فكتب إلى الفضل بن يحيى البرمكي: إنّ يحيى بن عبدالله قذاة في عيني، فأعطه ما شاء، واكفني أمره.

فسار إليه الفضل في جيش كثيف، وأرسل إليه بالرفق والتحذير، والترغيب والترهيب، فرغب يحيىٰ في الأمان، فكتب له أماناً مؤكّداً، وأخذ يحيىٰ، وجاء به إلى الرشيد.

إلىٰ أن قال: ومضىٰ يحيىٰ إلى المدينة، فأقام بها إلىٰ أن سعىٰ به عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير إلى الرشيد، وقال: إنّ يحيىٰ أرادني على البيعة، فجمع الرشيد بينهما بعد أن استقدم من المدينة، فلمّا اجتمعا قال يحيىٰ للزبيري: سعيتم علينا وأردتم نقض دولتنا، فالتفت إليه يحيىٰ وقال: من أنتم؟ إلىٰ آخر النقل الذي مرّ بعينه باللفظ والمعنىٰ(١). والله تعالىٰ أعلم.

قال صاحب عمدة الطالب: ثمّ إنّ الرشيد صبر أيّاماً، وطلب يحيىٰ واعتقل عليه، فأحضر يحيىٰ أمانه، فأخذه الرشيد وسلّمه إلىٰ أبي يوسف القاضي، فقرأه وقال: هذا الأمان صحيح لا حيلة فيه، فأخذه أبو البختري من يده وقرأه، ثمّ قال: هذا أمان فاسد من جهة كذا وكذا، وأخذ يذكر شبهاً، فقال له الرشيد: فخرّقه، فأخذ السكّين فخرقه ويده ترعد حتّىٰ جعله سيوراً، وأمر بحيىٰ إلى السجن، فمكث فيه

---

(١) عمدة الطالب ص ١٨٥ ـ ١٨٦.

أيّاماً.

ثمّ أحضره وأحضر القضاة والشهود ليشهدوا أنّه صحيح لا بأس به، ويحيىٰ ساكت لا يتكلّم، فقال له بعضهم: مالك لا تتكلّم؟ فأومأ إلىٰ فيه أنّه لا يطيق الكلام، وأخرج لسانه وقد اسودّ، فقال الرشيد: هو ذا يوهمكم أنّه مسموم، ثمّ أعاده إلى السجن، فلم يعرف له خبر بعد ذلك، فقيل: إنّه قتله جوعاً، وانّه وجد في بركة عاضّاً علىٰ حماء وطين.

وقال شيخ الشرف العبيدلي: بنى الرشيد عليه اُسطوانة.

وقيل: حبسه في دار السندي بن شاهك في بيت نتن، وردم عليه الباب حتّىٰ مات.

وقيل: اُلقي في بركة فيها سباع قد جوعت، فلاذت به وهابت الدنوّ منه، فبنىٰ عليه ركن بالجصّ والحجر وهو حيّ.

وفي غدر الرشيد بيحيىٰ يقول أبو فراس الحارث بن سعد بن حمدان من قصيدة يعدّ فيها مساوي بني العبّاس:

يا جاهداً في مساويهم يكتّمها غدر الرشيد بيحيىٰ كيف ينكتم

ذاق الزبيري غبّ الحنث وانكشفت عن ابن فاطمة الأقوال والتهم [١]

وما ذكره من بركة السباع، وأنّها لم تتعرّض ليحيى المذكور، أشار إليه ابن حجر في الصواعق [٢].

وذكرها فاضل الشافعية السيد علي السمهودي في جواهر العقدين.

---

(١) عمدة الطالب ص ١٨٧ ـ ١٨٨.

(٢) الصواعق المحرقة ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

وأبوفراس الحمداني صاحب القصيدة التي منها البيتان، وهو المترجم في يتيمة الدهر للثعالبي بقوله: كان فرد دهره، وشمس عصره، بلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة، وشعره جامع بين السهولة والجزالة، والحلاوة والمتانة، لم تجتمع خلاله إلاّ في شعر عبدالله بن المعتزّ، بل يعدّ أبوفراس أشعر منه، وكان الصاحب بن عبّاد يقول: بدأ الشعر بملك، وختم الشعر بملك، أي: بامرىء القيس وأبي فراس. إلىٰ آخر ترجمته[١].

والقصيدة المذكورة من بليغ شعره، يذكر فيها مناقب العلويين الفاطميين، ومفاخرهم ومصايبهم من العبّاسيين، ويعدّد معائب العبّاسيين في الدين، وأنواع فسوقهم وسقوطهم عن درجات مفاخر العلويين، وهي طويلة ومطلعها :

الحقّ مكتتم والدين مهتضم   وفيء آل رسول الله مقتسم

وعثرت منذ سنين عليها مشروحة شرحاً لطيفاً[٢]، يذكر فيه نقلاً من كتب التاريخ والسير، ما ذكره أبوفراس من مساوي بني العبّاس، ومظالمهم للفاطميين سادات الناس، وسفينة نوح، ونجوم الهداية، وقرناء الكتاب العزيز، والسنّة الشريفة في الإنقاذ من الغواية .

وقد ذكرت بعض هذه الأحاديث فيما سلف، وصحّة أكثرها وشهرتها معلومة عند الخلف والسلف، وقد أفردت أعيان العلماء لها مصنّفات، وأشادوا بذكرها في مؤلّفات، ككتاب ذخائر العقبىٰ للمحبّ الطبري، وكتاب استجلاب ارتقاء الغرف

---

(١) يتيمة الدهر للثعالبي ١: ٥٧ .

(٢) في هامش النسخة: هو شرح السيد محمّد أمير الحاج، وقد طبع بايران. شهاب‌الدين الحسيني النجفي سنة ١٣٦٦ بخطّه الشريف .

للسخاوي، وكتاب وسيلة المآل للشيخ أحمد بن الفضل باكثير، وكتاب درر السمطين للزرندي، وكتاب جواهر العقدين للسيد السمهودي، وهو أحسنها تنقيحاً وبياناً لمعاني الأحاديث، بل لم يصنّف مثله في القديم والحديث.

فضائل أهل البيت النبوي عليهم السلام

فمن تلك الأحاديث ما يعمّ أفرادهم ولا يخصّ آحادهم، كقوله صلى الله عليه وآله: أحبّوا الله لما يغدوكم به من نعمة، وأحبّوني لحبّ الله، وأحبّوا أهل بيتي لحبّي.

قال في الصواعق: فيه صحّ، خلافاً لما وهم فيه ابن الجوزي.

ثمّ قال: وأخرج البيهقي وغيره: لا يؤمن عبد حتّىٰ أكون أحبّ إليه من نفسه، وتكون عترتي أحبّ إليه من عترته، ويكون أهلي أحبّ إليه من أهله.

قال: وصحّ أنّ العبّاس قال: يا رسول الله إنّ قريشاً إذا لقي بعضهم بعضاً لقوهم ببشر حسن، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها، فغضب غضباً شديداً، وقال: والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتّىٰ يحبّكم لله ولرسوله.

وفي معنىٰ هذه الأحاديث ولاسيما الأخير غيرها.

وكقوله صلى الله عليه وآله: أخلفوني في أهل بيتي. وذلك آخر ما تكلّم به صلى الله عليه وآله.

وقوله صلى الله عليه وآله: إنّ لله تعالىٰ ثلاث حرمات، فمن حفظهنّ حفظ الله تعالىٰ دينه ودنياه: حرمة الإسلام، وحرمتي، وحرمة رحمي.

وفي رواية عن أبي بكر، ارقبوا محمّداً صلى الله عليه وآله في أهل بيته[١].

وكلّ ذلك في الصواعق. يعني هذه الأحاديث، ولاسيما غيرها ممّا هو في الصواعق، وجواهر العقدين، وغيرهما.

---

(١) الصواعق المحرقة ص ١٧٢ ـ ١٧٣.

وهذا العموم يتناول فاسقهم ومبتدعهم، كما نبّه علىٰ ذلك في الصواعق في قوله:

تنبيه: تمسّك بالآية والأحاديث السابقة من لم يعتبر الكفاءة في النكاح، يعني قوله تعالىٰ ﴿إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾(١).

ونحو قوله ﷺ: أكرمهم عند الله أتقاهم، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا.

وقوله ﷺ: يا أيّها الناس إنّ ربّكم واحد، لا فضل لعربي علىٰ عجمي، ولا لأسود علىٰ أحمر إلاّ بالتقوىٰ. وغير ذلك ممّا أورده قبل التنبيه.

قال: ولا شاهد فيما ذكر؛ لأنّه بالنسبة لما ينفع في الآخرة، وليس كلامنا فيه، إنّما الكلام في أنّ النسب العلي هل يفتخر به ذوو العقول في الدنيا أو لا؟ ولا شكّ في الافتخار به، وأنّ من أجبرها وليها علىٰ نكاح غير مكافىء لها في النسب، يعدّ ذلك بخساً لحقّها، وعاراً عليها، بل صلاح الذرّية ينفع في الآخرة.

فقد صحّ عن ابن عبّاس في قوله تعالىٰ ﴿ألحقنا بهم ذرّيتهم﴾(٢) أنّه قال: إنّ الله يرفع ذرّية المؤمن معه في درجته يوم القيامة، وإن كانوا دونه في العمل.

وصحّ عن ابن عبّاس في قوله تعالىٰ ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾(٣) أنّه قال: حفظا بصلاح أبويهما، وما ذكر عنهما صلاح.

إلىٰ أن قال: فإذا نفع الأب الصالح، مع أنّه السابق كما قيل في الآية، عموم الذرّية، فما بالك بسيد الأنبياء والمرسلين بالنسبة إلىٰ ذرّيته الطيبة الطاهرة.

---

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) سورة الطور: ٢١.

(٣) سورة الكهف: ٨٢.

وقد قيل: إن حمام الحرم إنّما أُكرم؛ لأنه من ذرّية حمامتين عششتا علىٰ غار ثور الذي اختفىٰ فيه النبيﷺ عند خروجه من مكّة للهجرة.

وقد حكى التقي الفاسي عن بعض الأئمّة، أنّه كان يبالغ في تعظيم شرفاء المدينة النبوية، وسبب ذلك: أنّه كان منهم شخص اسمه مطير مات، فتوقّف عن الصلاة عليه؛ لأنّه كان يلعب بالحمام، فرأى النبيﷺ في المنام ومعه ابنته فاطمة الزهراءﷺ، فأعرضت عنه، فاستعطفها حتّىٰ أقبلت عليه وعاتبته قائلة له: أما يسع جاهنا مطيراً.

وحكىٰ أيضاً في ترجمة صاحب مكّة السيد الشريف أبي نمي محمّد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني: أنّه لمّا مات، امتنع الشيخ عفيف الدين الدلاصي من الصلاة عليه، فرأىٰ في المنام فاطمة الزهراءﷺ وهي بالمسجد الحرام والناس يسلّمون عليها، وأنّه رام السلام عليها، فمنعته وأعرضت عنه ثلاث مرّات، فتحامل عليها وسألها عن السبب، فقالت: يموت ولدي ولا تصلّي عليه، فتأدّب[١] واعترف بظلمه بعدم الصلاة عليه.

وحكى التقي المقريزي عن يعقوب المغربي، أنّه كان بالمدينة النبوية في رجب سنة (٨١٧) فقال له الشيخ العابد محمّد الفاسي[٢] وهما بالروضة المكرّمة: إنّي كنت أبغض أشراف المدينة بني حسين لتظاهرهم بالرفض، فرأيت وأنا نائم تجاه القبر الشريف رسول اللهﷺ، وهو يقول: يا فلان باسمي، مالي أراك تبغض أولادي؟ فقلت: حاش لله ما أكرههم، وإنّما كرهت ما رأيت من تعصّبهم علىٰ أهل

---

(١) في الأصل: فتاب.

(٢) في الصواعق: الفارسي.

السنّة. فقال لي: مسألة فقهية، أليس الولد العاق يلحق بالنسب؟ فقلت: بلىٰ يا رسول الله، فقال: هذا ولد عاقّ. تمام الرواية.

وحكىٰ أيضاً عن الرئيس شمس الدين العمري، قال: سار الجمال محمود العجمي المحتسب ونوّابه وأتباعه إلىٰ بيت عبدالرحمٰن الطباطبي، فاستأذن عليه، فخرج وعظم عليه مجيء المحتسب إليه، فقال له المحتسب: يا سيدي حلّلني، قال: ممّ يا مولانا؟ قال: إنّك لمّا جلست البارحة عند السلطان الظاهر برقوق فوقي، عزّ ذلك عليّ، وقلت في نفسي: كيف يجلس هذا فوقي؟ فلمّا كان الليل رأيت في منامي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا محمود أتأنف أن تجلس تحت ولدي. تمام الحكاية.

وذكر في الصواعق عدّة حكايات من هذا القبيل، ثمّ قال التقي المقريزي: وعندي عدّة حكايات صحيحة بمثل هذا في حقّ بني حسن وبني حسين، فإيّاك والوقيعة فيهم، وإن كانوا علىٰ أيّ الحالات؛ لأنّ ولد الولد ولد علىٰ كلّ حال صلح أو فجر [(١)].

إنتهىٰ ما نقلت من الصواعق. ونحوه في جواهر العقدين، ووسيلة المآل.

ويندرج في مضمون الأحاديث الآمرة بمحبّتهم، ويتضمّن العموم الموجود فيها أحادث التحذير من بغضهم وسبّهم، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: من أبغض أحداً من أهل بيتي حرم شفاعتي.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: من مات علىٰ بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله تعالىٰ.

---

(١) الصواعق المحرقة ص ٢٤٢ ـ ٢٤٤.

قال في الصواعق بعد ذكرهما مع غيرهما: وصحّ أنّه ﷺ قال: والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلاّ أدخله الله النار.

وروىٰ أحمد وغيره: من أبغض أهل البيت فهو منافق.

إلىٰ أن قال: وورد من سبّ أهل بيتي، فإنّما يرتدّ عن الله والإسلام، ومن آذاني في عترتي فقد آذى الله، إنّ الله حرّم الجنّة علىٰ من ظلم أهل بيتي أو قاتلهم، أو أعان عليهم أو سبّهم[(١)].

وفي جواهر العقدين: الذكر الحادي عشر، ذكر التحذير من بغضهم وعداوتهم، وأنّه لا يبغضهم أحد إلاّ أدخله النار، وأنّه لا يبغضهم إلاّ منافق، ولعن من ظلمهم، وتحريم الجنّة عليه.

وذكر السيد في هذا الذكر هذه الأحاديث وغيرها، نحو قوله: ولأبي بكر بن يوسف من طريق طلحة بن مصرف، قال: كان يقال بغض بني هاشم نفاق، ويشهد له قول جابر: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ ببغضهم علياً.

إلىٰ أن قال: وقد أخرج الطبراني، عن أبي‌سعيد الخدري، قال: قال رسول‌الله ﷺ: يا علي معك يوم القيامة عصىً من عصى الجنّة، تذود بها المنافقين يوم القيامة عن الحوض.

وعن بعضهم قال: كنت بين مكّة والمدينة، فإذا أنا بشيخ يلوح في البرية يظهر تارة ويغيب أُخرىٰ، حتّىٰ قرب منّي، فسلّم عليّ، فرددت عليه السلام، وقلت: من أين يا غلام؟ قال: من الله، قلت: وإلىٰ أين؟ قال: إلى الله، قلت: فما زادك؟ قال: التقوىٰ، قلت: فمن أنت؟ قال: أنا رجل عربي، فقلت: عيّن لي، قال: رجل من

---

(١) الصواعق المحرقة ص ١٧٤ ـ ١٧٥.

قريش، فقلت: عيّن لي عافاك الله، فقال: أنا رجل هاشمي، فقلت: عيّن لي، قال: أنا رجل علوي، ثمّ أنشد:

نحن على الحوض روّاده ... نــذود ونسـعد ورّاده
فما فاز مـن فـاز إلاّ بـنا ... وما خاب من حـبّنا زاده
ومن سرّنا نال منّا السرور ... ومن ساءنا سـاء مـيلاده
ومن كان غـاصبنا حـقّنا ... فـيوم القـيامة مـيعاده

ثمّ قال: أنا محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ثمّ التفت فلم أره، فلم أدر نزل في الأرض أو صعد في السماء[١].

وأخرج أحمد عن علي عليه السلام، أنّه قال: نحن النجباء، وأفراطنا أفراط الأنـبياء، وحزبنا حزب الله، وحزب الفئة الباغية حزب الشيطان، ومن سوّىٰ بـيننا وبـين عدوّنا فليس منّا.

وعن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: اللّهمّ ارزق من أبغضني وأهل بيتي كثرة المال والعيال، كفاهم بذلك أن يكثر مالهم فيطول حسابهم، وأن يكـثر عـيالهم، فيكثر شيطانهم.

قال السيد: قلت: لمّا كان الحامل علىٰ بغضهم الميل إلى الدنيا لما جبلوا عليه من حبّ المال والولد، دعا عليهم بتكثير ذلك مع سلبهم نعمته، فلا يكون ذلك إلاّ نقمة عليهم، لكفرانهم نعمة من هدوا علىٰ يديه إيثاراً للدنيا[٢].

---

(١) جواهر العقدين للسمهودي ٢: ٢٥٨ ـ ٢٥٩، و الفـصول المـهمّة لابـن صـبّاغ المالكي ص ٢٠٢.

(٢) جواهر العقدين ٢: ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

أقول: الأصح أن يقال: دعا عليهم أن يكونوا من أهل الإستدراج والإملاء، قال تعالىٰ شأنه: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * وأملي لهم إنّ كيدي متين﴾(١) وقال عزّوجلّ في الإستدراج بخصوص ما في الحديث ﴿أيحسبون أنّما نمدّهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات﴾ الآية(٢).

ويزيدهم استدراجاً أنّهم يرون العترة النبوية العلوية يغلب عليهم الفقر والتقتير في الرزق والمتاعب، كما هو مقتضىٰ قوله ﷺ «اللّهمّ اجعل رزق آل محمّد قوتاً» ويروىٰ «كفافاً» ذكره البغوي في المصابيح(٣)، نقلاً عن الصحيحين والترمذي وغيرها.

وقوله ﷺ في رواية ذكرها في الصواعق، عن أحمد وغيره: ليست الدنيا من محمّد ولا من آل محمّد. تمام الرواية فراجعها.

وقوله ﷺ وقد رأىٰ فئة من بني هاشم، فاغرورقت عيناه، فسئل، فقال: إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وانّ أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريداً وتطريداً. ذكره في الصواعق(٤) وما في هذا المعنىٰ من الأحاديث.

فإذا رأوا ذلك تبادر إلىٰ أذهانهم نحو ما كان في أذهان القائلين ﴿لولا أُنزل هذا القرآن علىٰ رجل من القريتين عظيم﴾(٥) فكان ذلك أبلغ إستدراج إلهي، وخذلان

---

(١) سورة الأعراف: ١٨٢ ـ ١٨٣.

(٢) سورة المؤمنون: ٥٦ ـ ٥٧.

(٣) مصابيح السنّة للبغوي ٣: ٤١٧ برقم: ٤٠٠٦.

(٤) الصواعق المحرقة ص ١٨١.

(٥) سورة الزخرف: ٣١.

غير متناهي، والله أعلم.

ويندرج أيضاً حديث مكافاته ﷺ من أحسن إليهم، ذكر ذلك في الصواعق وجواهر العقدين، وأوردا حديث: من صنع إلىٰ أحد من بني عبدالمطّلب يداً، فلم يكافئه في الدنيا، فعليّ مكافاته غداً إذا لقيني[(١)].

وبسند ضعيف: أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريّتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أُمورهم عند ما اضطرّوا، والمحبّ لهم بقلبه ولسانه[(٢)].

ويندرج أيضاً مع تضمّن المذكور آنفاً هنا وفيما قبله، حديث «انّ أهل بيتي سيلقون بعدي من أمّتي قتلاً وتشريداً، وإنّ أشدّ قومنا بغضاً بنو أُمية وبنو المغيرة، وبنو مخزوم».

قال في الصواعق: صحّحه الحاكم، واعترض بأنّ فيه من ضعّفه الجمهور، قال: وأخرج ابن ماجة أنّه ﷺ رأىٰ فتية من بني هاشم فاغرورقت عيناه. الحديث الذي سبق آنفاً نقله، وأورد في هذا المعنىٰ غير ذلك[(٣)].

وإنّما قلنا تندرج هذه الأحاديث في ذلك؛ لأنّه إنّما ذكر ﷺ ذلك تحذيراً للأُمّة من أن يفعلوا بهم ما ذكره، ولأنّ كون الإنسان معرضاً للبلاء والشدائد والمصائب في الدنيا مع العلم بقربه من الله تعالىٰ، ممّا يدلّ علىٰ مزيد حبّ الله تعالىٰ إيّاه، وقبوله أعماله، وقوّة إيمانه.

---

(١) الصواعق المحرقة ص ١٨٧، جواهر العقدين للسمهودي ٢: ٢٧٤.

(٢) الصواعق المحرقة ص ١٧٦، جواهر العقدين ٢: ٢٧٤.

(٣) الصواعق المحرقة ص ٢٣٩.

كما يدلّ عليه الحديث الصحيح: الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر[١]. وهو في مسلم[٢] والترمذي وغيرهما.

وحديث الصحيحين: حجبت النار بالشهوات، والجنّة حجبت بالمكاره[٣].

وحديث: أشدّكم بلاءً الأنبياء، ثمّ الأمثل فالأمثل[٤]. وغيرها ممّا هو معروف مشهور.

وكلّها تحت قوله تعالىٰ ﴿ولنبلونّكم حتّىٰ نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾[٥] الآية، وما في معناها من الآيات الشريفة، يوجب له في قلوب المؤمنين زيادة المحبّة الدينية والإكرام والإعظام، ولاسيما في قلوب علماء الإسلام، فهذه الأحاديث التي ذكرناها وغيرها ممّا لم نذكره يعمّ أفراد العترة أهل البيت.

ومن الأحاديث الشريفة ما يخصّ منهم العلماء بالكتاب والسنّة، وهي أحاديث التمسّك بهم، كأحاديث الثقلين[٦]، وقد ذكرت بعضها فيما سلف استطراداً، وقلت: إنّ مجموع رواياتها يبلغ التواتر المعنوي، والإنصاف أشرف الأوصاف، وأرجو أن لا يبيضّ الحمر في لصاف.

---

(١) كنز العمّال ٣: ١٨٥ برقم: ٦٠٨١.

(٢) صحيح مسلم ٤: ٢٢٧٢ برقم: ٢٩٥٦.

(٣) كنز العمّال ٣: ٣٣١ برقم: ٦٨٠٤.

(٤) كنز العمّال ٣: ٣٢٧ برقم: ٦٧٨٣.

(٥) سورة محمّد ﷺ: ٣١.

(٦) الصواعق المحرقة ص ٤٣ ـ ٤٤.

ومن ذلك ما في الصواعق، قال: وفي رواية صحّحها الحاكم علىٰ شرط الشيخين: النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأُمّتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا، فصاروا حزب إبليس[١].

قال: وجاء من طرق عديدة يقوىٰ بعضها بعضاً: إنّما أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجىٰ. وفي رواية لمسلم: ومن تخلّف عنها غرق. وفي رواية: هلك. وإنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل من دخله غفر له[٢].

ومنها: قوله في الصواعق، وأخرج الأوّل يعني أباسعيد حديث أنا وأهل بيتي شجرة في الجنّة، وأغصانها في الدنيا، فمن شاء اتّخذ إلىٰ ربّه سبيلا[٣].

قال: والثاني يعني الملاّ في سيرته حديث: في كلّ خلف من أُمّتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا وانّ أئمّتكم وفدكم إلى الله عزّوجلّ، فانظروا من توفدون[٤].

قال: وأخرج أحمد خبر: الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت[٥]. قال بعد ذكره لأحاديث الثقلين، وكلامه الذي ذكرته فيما سلف.

والحاصل أنّ الحثّ وقع على التمسّك بالكتاب والسنّة، وبالعلماء بهما من أهل

---

(١) الصواعق المحرقة ص ١٨٦ و ٢٣٦.

(٢) الصواعق المحرقة ص ١٨٦ و ٢٣٦.

(٣) الصواعق المحرقة ص ٢٣٦.

(٤) الصواعق المحرقة ص ١٥٠ و ٢٣٦.

(٥) الصواعق المحرقة ص ١٥١.

البيت، ويستفاد من مجموعها بقاء الأُمور الثلاثة إلىٰ قيام الساعة[١]. إنتهىٰ.

وهذا تلخيص بسط السيد علي السمهودي في جواهر العقدين بقوله بعد ذكره لأحاديث الثقلين وما في معناها في تنبيهاته، ما هذا لفظه:

ثالثها: أنّ ذلك يفهم وجود من يكون أهلاً للتمسّك به من أهل البيت والعترة الطاهرة في كلّ زمان وجدوا فيه إلىٰ قيام الساعة، حتّىٰ يتوجّه الحديث المذكور إلى التمسّك بهم، كما أنّ الكتاب العزيز كذلك، ولذلك كانوا كما سيأتي أماناً لأهل الأرض، فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض.

وأخرج أبوالحسن المغازلي من طريق موسى بن القاسم، عن علي بن جعفر، سألت أباالحسن عليه السلام عن قول الله تعالىٰ ﴿مشكاة فيها مصباح المصباح﴾ فقال: المشكاة فاطمة، والمصباح الحسن، والحسين الزجاجة ﴿كأنّها كوكب درّي﴾ قال: كانت فاطمة كوكباً درّياً من نساء العالمين ﴿يوقد من شجرة مباركة﴾ الشجرة المباركة إبراهيم ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ لا يهودية ولا نصرانية ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور علىٰ نور﴾، قال: منها إمام بعد إمام ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾[٢] قال: يهدي الله لولايتنا من يشاء[٣].

قال السيد: وقوله «منها إمام بعد إمام» يعني أئمّة يقتدىٰ بهم في الدين، ويتمسّك بهم فيه ويرجع إليهم، ويشهد له ما سبق من حديث «في كلّ خلف من أمّتي عدول من أهل بيي، ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال

---

(١) الصواعق المحرقة ص ١٥١.

(٢) سورة النور: ٣٥.

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٣١٧ برقم: ٣٦١.

المبطلين»[١] وقد قدّمنا في القسم الأوّل حديث «يحمل هذا العلم في كلّ خلف عدول ينفون منه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين» وهو عامّ وهذا فرد منه.

وقد أخرج الحافظ عبدالعزيز بن الأخضر من طريق أبي‌الطفيل عامر بن واثلة، قال: كان علي بن الحسين عليه السلام إذا تلا هذه الآية ﴿يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾[٢] يقول: اللّهمّ ارفعني في أعلىٰ درجات هذه الندبة، وأعنّي بعزم الإرادة، وهب لي حسن المستعتب من نفسي، وخذ لي منها حتّىٰ تتجرّد خواطر الدنيا عن قلبي، من مزيد خشيتي منك، وارزقني قلباً ولساناً يتجاريان ذمّ الدنيا، وحسن التجافي عنها، حتّىٰ لا أقول إلاّ صدقت. وذكر بقية ما كان يقوله ممّا يشتمل علىٰ وصف المحن، وما انتحلته طوائف من هذه الأُمّة بعد مفارقتها لأئمّة الدين، والشجرة النبوية.

إلىٰ أن قال عليه السلام: وذهب آخرون إلى التقصير في أمرنا، واحتجّوا بمتشابه القرآن، فتأوّلوا بآرائهم، واتّهموا مأثور الخبر.

إلىٰ أن قال: فإلىٰ من يفزع خلف هذه الأُمّة، وقد درست أعلام الملّة، ودانت الأُمّة بالفرقة والاختلاف، يكفّر بعضهم بعضاً، والله تعالىٰ يقول: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا﴾ الآية[٣].

فمن الموثوق به علىٰ إبلاغ الحجّة، وتأويل الحكمة، إلاّ أهل الكتاب، وأبناء أئمّة الهدىٰ، ومصابيح الدجىٰ، الذين احتجّ الله تعالىٰ بهم علىٰ عباده، ولم يدع

---

(١) الصواعق المحرقة ص ١٥٠ و ٢٣٦.

(٢) سورة التوبة: ١١٩.

(٣) سورة آل عمران: ١٠٥.

الخلق سدىً من غير حجّة، هل تعرفونهم أو تجدونهم إلاّ من فروع الشجرة المباركة، وبقايا الصفوة، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، وبرّأهم من الآفات، وافترض مودّتهم في الكتاب، هم العروة الوثقىٰ، وهم معدن التقىٰ، وخير خيار العالمين[١]. إنتهىٰ ما نقلته من جواهر العقدين.

وفي الصواعق في الآيات التي ذكرها في فضائل أهل البيتعليهم السلام، قال: الآية الخامسة: قوله تعالىٰ ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾[٢] أخرج الثعلبي في تفسيرها عن جعفر الصادقعليه السلام، أنّه قال: نحن حبل الله الذي قال الله تعالىٰ فيه: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾.

وكان جدّه زين العابدينعليه السلام إذا تلىٰ قوله تعالىٰ ﴿يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ يقول دعاءً طويلاً يشتمل علىٰ طلب اللحوق بدرجة الصادقين، والدرجات العلية، وعلىٰ وصف المحن، وما انتحلته المبتدعة المفارقون لأئمّة الدين والشجرة النبوية، ثمّ يقول: وذهب آخرون إلى التقصير في أمرنا[٣]. إلىٰ آخر ما ذكره في جواهر العقدين حرفاً بحرف، والله أعلم.

ترجمة
علي بن جعفر الصادق

وعلي بن جعفر الذي روىٰ تفسير قوله تعالىٰ ﴿كمشكاة فيها مصباح﴾ الآية عن أبي الحسن موسى الكاظمعليه السلام أخيه، هو علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمّد

---

(١) جواهر العقدين ٢: ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٣) الصواعق المحرقة ص ١٥١ ـ ١٥٢.

الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

قال فيه صاحب عمدة الطالب: يكنّىٰ أباالحسن، وهو أصغر ولد أبيه، مات أبوه وهو صغير [١]، وكان عالماً كبيراً، روىٰ عن أخيه موسى الكاظم عليه السلام، وعن ابن عمّ أبيه الحسين ذي الدمعة بن زيد الشهيد، وعاش إلىٰ أن أدرك الهادي علي بن محمّد ابن علي بن موسى الكاظم عليهم السلام، ومات في زمانه، وخرج مع أخيه محمّد بن جعفر الصادق، ثمّ رجع عن ذلك، وكان يرىٰ رأي الإمامية.

فيروىٰ أنّ أباجعفر الأخير، وهو محمّد بن علي بن موسى الكاظم عليهم السلام دخل على العريضي، فقام له قائماً وأجلسه في موضعه، ولم يتكلّم حتّىٰ قام، فقال له أصحاب مجلسه: أتفعل هذا مع أبي جعفر وأنت عمّ أبيه؟ فقال وضرب يده علىٰ لحيته: إذا لم ير الله هذه الشيبة أهلاً للإمامة أراها أنا أهلاً للنار.

ونسبته ـ رضي الله عنه ـ إلى العريض قرية علىٰ أربعة أميال من المدينة كان يسكن بها، وأُمّه أمّ ولد، يقال لولده: العريضيون، وهم كثيرون [٢].

أقول: منهم السلسلة الكريمة الفاخرة، المشتملة علىٰ رجال علوم الحقائق الزاخرة، الفائزين بالولاية بالمقام العلوي، والحقيقي [٣] بأن يفتخر بهم النسب الحسيني العلوي، وهم المعروفون بآل علوي، نسبة إلى السيد الجليل السديد أبي علوي بن أبي الجديد.

قال صاحب النفحة العنبرية في أنساب خير البرية: فأولد عيسىٰ أحمد المنتقل

---

(١) في العمدة: طفل.

(٢) عمدة الطالب ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

(٣) في هامش الأصل: والحقيقون ـ خ ظ.

إلىٰ حضرموت، فمن ولده هناك: السيد أبوالجديد القادم إلىٰ عدن في أيّام المسعود بن طغتكين بن أيّوب بن شادي، سنة احدىٰ عشرة وستمائة، فتوحّش المسعود منه لأمر ما، فقبضه وجهّزه إلى الهند، ثمّ رجع إلىٰ حضرموت بعد وفاة المسعود.

فمن ذرّيته ثَمّ بنو أبي علوي: وهو أبوعلوي بن أبي الجديد بن علي بن محمّد بن أحمد بن جديد بن عبدالله بن أحمد بن عيسىٰ[1]. إنتهىٰ.

أقول: وعيسى المذكور هو ابن محمّد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب سلام الله عليهم، وأفاض علينا سعادة الدارين منهم.

ذكر في عمدة الطالب محمّد المذكور، قال: ويكنّىٰ بأبي عبدالله، وفي ولده العدد، وهم متفرّقون في البلاد، وكلّ من ذكرهم من أولاد محمّد المذكور ينتهون إلىٰ عيسى بن محمّد، وكنيته أبوالحسين.

فمنهم: بنو يحيى بن عيسىٰ بالمدينة الشريفة.

ومنهم: بنو أبي تراب علي بن عيسىٰ.

ومنهم: بنو إسحاق بن عيسىٰ.

ومنهم: بنو أبي محمّد الحسن المحدّث بن عيسىٰ.

ومنهم: بنو الحسين الجبلي بن عيسىٰ.

قال: منهم بتفرش من فراهان أبويعلىٰ مهدي بن محمّد بن الحسين المذكور، له عقب.

---

(١) النفحة العنبرية ص ٥٢ ـ ٥٣.

ومنهم: بنو أحمد بن عيسىٰ[١].

أقول: وهؤلاء أقرب إلىٰ سلسلة آل باعلوي؛ لأنّهم ينتهون إلىٰ أحمد بن عيسىٰ.

ومنهم: بنو علي بن عيسىٰ، وينتهون إلىٰ عيسى الأزرق الرومي الثاني بن محمّد ابن علي بن عيسىٰ، قال: له أعقاب، منهم: بنو نواية، وهم بنو علي يعرف بأُمّه نواية ابن محمّد بن أحمد بن محمّد بن الحسن بن علي بن الحسين بن عيسى الثاني.

ومنهم: بالعراق بنو المخيض[٢]، وهو أبومنصور علي بن محمّد بن علي بن علي ابن نواية المذكور.

ومنهم: السيد الفاضل الشاعر المادح لأهل البيت محمّد المعروف بابن الحاتم، وهو ابن علي بن محمّد بن علي بن علي بن نواية، له عقب[٣]. إنتهىٰ مالخّصته من عمدة الطالب.

وفي اصفهان في هذا الزمان سادة ينتمون إلىٰ علي العريضي[٤]، لا أعلم أينتهون إلىٰ عيسى المذكور، أو إلىٰ غيره من أولاد علي العريضي، الذين فصّلهم في عمدة الطالب قبل ذكر عيسى المذكور، وهم والطباطبائيون الحسنيون أجلّ

---

(١) عمدة الطالب ص ٣٠٠ ـ ٣٠١.

(٢) في العمدة: بنو المختصّ.

(٣) عمدة الطالب ص ٣٠١.

(٤) وهم السادة آل الإمامي، المعروفون في هذا العصر أيضاً، وينتهي نسبهم الشريف إلى عيسى المذكور، وذكرت تفاصيل أنسابهم وأعقابهم وذراريهم في كتابنا المعقبون من آل أبي طالب ٢: ٤٢٣ ـ ٤٣٢، فراجع.

السادة باصفهان في هذا الزمان قدراً، وأشهرهم بصحّة النسب .

والمنتمون إلىٰ علي العريضي أهل رئاسة بالمناصب، يذكرون أنّها فيهم من قدم الزمان، لكن الطباطبائيون أكثر عدداً، حتّىٰ أنّ لهم أوقافاً قديمة كانت تقوم بهم، وفي هذا الزمن صارت لكثرة عددهم لا تسمن ولا تغني من جوع .

وقد اجتمعت بأشخاص منهم أهل علم وصلاح ونجابة وجلالة عند أهل اصفهان وغيرهم وردوا الحجّ، وفاتني أن أسألهم أينتهي نسبهم إلى القاسم الرسّي ابن ابراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنّى بن الحسن السبط، أو إلىٰ أحد أخويه المذكورين في عمدة الطالب[١]، وهما أحمد والحسن ابنا إبراهيم طباطبا، فإنّ الثلاثة معقبون، إلاّ أنّ عقب القاسم الرسّي أكثر وأفخر .

وذكر صاحب عمدة الطالب منهم باصفهان آل أبي العسّاف، قال: كانوا باصفهان إلىٰ بعد الستمائة[٢]. والله تعالىٰ أعلم .

خاتمة الرسالة

وقد تمّت الرسالة المسمّاة «تنبيه وسنى العين بتنزيه الحسن والحسين عليهما السلام في مفاخرة بني السبطين» بل الكتاب المشتمل علىٰ فرائد من درر السمطين، وفوائد أزهىٰ وأبهىٰ من جنان علىٰ شطّين، وقد كان عزمي أن تكون رسالة مختصرة علىٰ تقرير المقصود مقتصرة .

فلمّا التزمت أن تكون علىٰ نهج المجاميع، كما ذكرت في صدرها البديع،

---

(١) عمدة الطالب ص ٢١١ ـ ٢١٢ .

(٢) عمدة الطالب ص ٢١٧ .

والكلام ذي شجون يأخذ بعضه برقاب بعض، تسلّط عليّ عزم الاختصار النقض، وجالت جياد البسط بدون الركض، وحسن علىٰ ذلك ما في المنحىٰ من الثواب، وانّه بدون البسط لا ينجلي وجه الصواب .

ولذلك أيضاً لم أقتصر في النقل علىٰ مصنّفات أهل الجماعة والسنّة، وإن كان بغيرها لا تنفد ... الحقّ والأسنّة، وإلىٰ سواها لا تثني أزمّة الاعتبار والأعنّة، وأيضاً ... أنّ العترة الشريفة السنية من الحسينية والحسنية ... على المحبّة والثناء والتعظيم الزائد، وفي ... والسرّ الإلهي الساري كما يسري على ... يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ...[1] إنّما الأعمال بالنيات، عمود سرادق الدينيات والدنيويات، وقائد اللطف الإلهي والتوفيق، خرّيت المهامة والمفاوز من كلّ فجّ عميق، جعله الله تعالىٰ لي وللناظر بعين الانصاف والتحقيق ألزم مصاحب ورفيق .

هذه صورة خطّ المصنّف ـ أدام الله تعالىٰ بقاه، وأعطاه في الدارين ما يتمنّاه ـ : أنهاه مصنّفه محمّد بن علي بن حيدر بن محمّد بن نجم، وبه يعرف هذا البيت، فيقال: بيت السيد نجم بن محمّد بن محمّد بن محمّد ثلاثة محمّدين .

والأخير ابن حسن، وهو أوّل من توطّن منهم قرية سكيك بضمّ السين المهملة قرية من بلاد الشام قريبة غاية القرب من جلق وهي دمشق، ابن نجم بن حسين بن محمّد بن موسى بن يوسف بن محمّد بن معالي بن علي الحائري المذكور في عمدة الطالب[2] ابن عبدالله بن محمّد بن علي، هو ابن الديلمية بن عبدالله، هو أبوطاهر بن محمّد، هو أبوالحسين المحدّث بن طاهر، هو أبوالطيب بن الحسين،

---

(١) بياضات في أصل النسخة المخطوطة .

(٢) عمدة الطالب ص ٢٦٣ .

هو القطعي بن موسى الأصغر المعروف بأبي‌سبحة بن إبراهيم المرتضى بن موسى الكاظم عليه السلام .

وكان الفراغ منه يوم الجمعة صدر لخمس بقين من شعبان سنة ثمان وعشرين ومائة بعد الألف، والسلام علىٰ من لا نبي بعده وعلي وأصحبه .

وجاء في آخر النسخة المخطوطة: قد تمّ هذا الكتاب بيد الأحقر الفقير المحتاج إلى الله الغني محمّد بن محمّد بن محمود الحسيني في اليوم السابع والعشرين من شهر ربيع الثاني، من شهور سنة ستّ وستّين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية .

وتمّ استنساخ هذه الرسالة الشريفة تحقيقاً وتصحيحاً وتعليقاً عليها، في اليوم العاشر من صفر المظفّر سنة (١٣٢٩) هـ علىٰ يد العبد الفقير المتمسّك بأذيال أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام السيد مهدي الرجائي عفي عنه، في بلدة قم المقدّسة حرم أهل البيت وعشّ آل محمّد عليهم السلام .

فهرس الكتاب

حياة المؤلّف، اسمه ونسبه ٣
الإطراء عليه ٤
مشايخه ومن روىٰ عنهم ٩
تآليفه القيمة ٩
أدبه الرايع ١٣
رسالته إلى السيد علي خان صاحب السلافة ١٦
حول الكتاب ١٩
تقريظ العلاّمة الفقيه المرعشي ﷺ على الكتاب ٢١
ولادته ووفاته ٢٢
رسالة مذاكرة ذوي الراحة والعنا في المفاخرة بين الفقر والغنا للمؤلّف ٢٣
تنبيه وسنى العين بتنزيه الحسن والحسين عليهما السلام في مفاخرة بني السبطين ٤٣
مقدّمة المؤلّف ٤٥
تحقيق حول والدة الإمام زين العابدين عليه السلام ٥١
صحّة نكاح الملل الأُخرىٰ ٥٢
فضائل العجم ٥٦
إقدام العقلاء لتحصيل المُلك وفضله ٥٩

عدم اجتماع المُلك والنبوّة ٦٤
الحسن والحسين عليهما السلام من أحفاد الملوك ٦٧
براءة ساحة الحسنين عليهما السلام عن المفاخرة ٦٧
مذهب الإمامية في إمامة الحسن والحسين عليهما السلام وفضلهما ٨١
تقدّم مذهب الشيعة على المذاهب الأُخر ٨٥
ترجمة الشريف المرتضىٰ ٩٥
تحقيق حول كلام الشريف المرتضىٰ في تنزيه الإمام الحسن عليه السلام ٩٧
أحقّية الإمام الحسن عليه السلام للإمامة والخلافة ٩٧
عصمة الإمام الحسن عليه السلام ١١١
تذييل فيه جمع دفع تخييل ١١٦
العلّة التي من أجلها صالح الإمام الحسن عليه السلام معاوية ١٢١
علّة خروج الإمام الحسين عليه السلام ١٤٦
خروج الإمام الحسين عليه السلام بعد توثيق الأُمور ١٥١
مجيء مسلم بن عقيل لأخذ البيعة للحسين عليه السلام ١٧٨
أسباب الظفر بالأعداء كانت لائحة للحسين عليه السلام ١٨١
عدم إلقاء الإمام الحسين عليه السلام نفسه في التهلكة ١٨٦
كان خروج الإمام الحسين عليه السلام من صواب الرأي ١٩١
غدر الكوفيين ومناجزة الإمام الحسين عليه السلام معهم ١٩٣
شهادة الإمام الحسين عليه السلام من المصالح الإلهية ٢٠١
تصويب فعل الحسنين عليهما السلام في المهادنة والمناجزة ٢٠٣
أعقاب الإمام الحسن والحسين عليهما السلام ٢٠٦

خاتمة الرسالة ٤٠٣

ذكر الإمام محمّد بن الحسن العسكري عليه السلام ٢٠٩
تحقيق حول حديث النقباء والأسباط ٢١٤
فضل العترة الطاهرة وتقديمهم في المناقب والفضائل ٢١٩
الصدر الأوّل من أعلام بني الحسن ٢٢١
الفائزون بالشهادة من أعلام بني الحسين ٢٢٥
الذين تمّت لهم دولة من بني الحسين ٢٢٧
الأُمراء والحكّام من نسل جعفر الحجّة ٢٣٢
الأُمراء والحكّام من نسل عمر الأشرف ٢٣٥
الأُمراء والحكّام من المشعشعيين ٢٣٦
الممالك الحسينية بأرض الهند ٢٣٧
الخلفاء الفاطميون العبيديون بالمغرب ومصر ٢٣٨
المملكة المعنوية لبني الحسين ٢٤٠
تراجم أهل الصدر الأوّل من بني السبطين ٢٤٣
ترجمة الإمام زين العابدين عليه السلام ٢٤٣
ترجمة الإمام محمّد الباقر عليه السلام ٢٥١
ترجمة الإمام جعفر الصادق عليه السلام ٢٥٨
ترجمة الإمام موسى الكاظم عليه السلام ٢٦٧
ترجمة الإمام الرضا عليه السلام ٢٧٨
ترجمة الإمام محمّد الجواد عليه السلام ٢٩٥
ترجمة الإمام علي الهادي عليه السلام ٣٠٠
ترجمة الإمام الحسن العسكري عليه السلام ٣٠٤

ترجمة زيد الشهيد ٣٠٨
ترجمة يحيى بن زيد الشهيد ٣٢١
ترجمة الحسن المثنّىٰ ٣٢٢
ترجمة عبدالله المحض بن الحسن المثنّىٰ ٣٢٨
ترجمة إبراهيم الغمر بن الحسن المثنّىٰ ٣٣٢
ترجمة الحسن المثلّث بن الحسن المثنّىٰ ٣٣٦
ترجمة إدريس بن عبدالله المحض ٣٤٠
ترجمة جعفر وداود ابني الحسن المثنّىٰ ٣٤٢
ترجمة محمّد النفس الزكية بن عبدالله المحض ٣٤٥
ترجمة إبراهيم قتيل باخمرىٰ ٣٥٢
مخالفة الإمام جعفر الصادق عليه السلام لخروج محمّد وإبراهيم ٣٦٠
ترجمة موسى الجون بن عبدالله المحض ٣٧٥
ترجمة يحيىٰ صاحب الديلم ٣٧٩
فضائل أهل البيت النبوي عليهم السلام ٣٨٢
ترجمة علي بن جعفر العريضي ٣٩٤
خاتمة الرسالة ٣٩٨
فهرس الكتاب ٤٠١